٦٦١

مختصر

مجمع البيان

في

تفسير القرآن

تأليف

الشيخ محمد باقر الناصري

الجزء الأول

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

فاتحة الكتاب

مكية عن ابن عباس وقتادة ،
ومدنية عن مجاهد،وهي سبع آيات .

الإستعاذة قبل التسمية،فيقول ابن كثير وأبو عاصم وابو عمرو : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ونافع وابن عامر والكسائي : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنَّ الله هو السميع العليم . وحمزة : نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم . وأبو حاتم : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم .

والإستعاذة : الإستجارة . والشيطان في اللغة : كل متمرد من الجنّ والإنس والدواب .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اتفق أصحابنا أنها آية من سورة الحمد ، ومن كل سورة ، وأن مَن تركها في الصلاة عمداً بطلت صلاته ، سواء كانت الصلاة فرضاً ، أم نفلاً .

وروي عن الصادق (ع) أنه قال : قاتلهم الله عمدوا إلى أعظم آية في كتاب الله فزعموا أنها بدعة إذا أظهروها وهي : « بسم الله الرحمـن الرحيم ».قيل : المراد استعينوا بالله بأن تسموا الله باسمائه الحسنى وتصفوه بصفاته العلى . وقيل : المراد استعينوا بالله ، والتقدير : ابتدأ قراءتي بتسمية الله ، أو أقرأ مبتدأً بتسمية الله ، وهو القول الأولى بالصواب .

قوله تعالى : « الحمدُ لله ربِّ العالمين »

معنى الآية أن الأوصاف الجميلة والثناء الحسن كلها لله الذي تحقُّ له العبادة ، لكونه قادراً على أُصول النعم ، وفاعلاً لها ، ولكونه منشئاً للخلق ، مصلحاً لشأنهم . وفي الآية دلالة على وجوب الشكر لله على نعمه . وفيها تعليم للعباد كيف يحمدونه .

قوله تعالى : « الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين »

إنّه سبحانه لما بيّن ملكه في الدنيا بقوله « رب العالمين » بيّن أيضاً ملكه في الآخرة بقوله « مالك يوم الدين » ، وأراد باليوم : الوقت . وقال محمّد بن كعب أراد به : يوم لا ينفع إلا الدين . وهذه الآية دالة على إثبات المعاد ، وعلى الترغيب والترهيب ، لأن المكلف إذا تصور ذلك لا بد أن يرجو ويخاف .

قوله تعالى : « إياك نعبد وإياك نستعين »

معناه نعبدك ولا نعبد سواك ونستعينك ولا نستعين غيرك ، والعبادة ضرب من الشكر وغاية فيه .

قوله تعالى : « إهدنا الصراط المستقيم »

ومعناه : ثبّتنا على الدين الحق ، لأن الله قد هدى الخلق كلهم ، إلا أن الإنسان قد يزل ، وترد عليه الخواطر الفاسدة ويحسن أن يسأل الله تعالى أن يثبته على دينه ويديمه عليه ويعطيه زيادة الهدى . . ولها معان أُخر .

وقيل في معنى الصراط وجوه :

أحدها : إنه كتاب الله ، وهو المروي عن النبي صلّى الله عليه وآله ، وعن علي ، وابن مسعود .

وثانيها : إنه الإسلام ، وهو المروي عن جابر ، وابن عباس .

وثالثها : إنه دين الله الذي لا يقبل من العباد غيره ، عن محمّد بن الحنفية .

والرابع : إنه النبي والأئمة القائمون مقامه ، وهو المروي في أخبارنا .

والأولى حمل الآية على العموم .

قوله تعالى : « صراط الذينَ أنعمتَ عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضآلين » .

أي مَن أنعمتَ عليهم بطاعتك ، وهم الذين ذكرهم الله في قوله : « ومَن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

وأراد « بالمغضوب عليهم » : اليهود ، عند جميع المفسرين الخاص والعام .

وأراد « بالضالين » : النصارىٰ . . وقال الحسن البصري : بل كل واحد من الطائفتين ، مغضوب عليهم وهم ضالون ، وقيل المراد « بالمغضوب عليهم والضالين » : جميع الكفار . وأصل الغضب : الشدة . وأصل الضلال : الهلاك .

سورة البقرة

مدنية كلها إلا آية واحدة وهي قوله : واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ... الآية فإنها نزلت في حجة الوداع بمنى وعدد آياتها مائتان وست وثمانون آية وهو العدد المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى :

« الم »

اختلف العلماء في الحروف المعجمة المفتتح بها السور . فذهب بعضهم إلى أنها من المتشابهات التي استأثر الله بعلمها ولا يعلم تأويلها إلا الله . وهذا هو المروي عن أئمتنا (ع) . وفسرها الآخرون على وجوه : أنها أسماء السور ومفاتحها ، أو أن المراد بها الدلالة على أسماء الله تعالى ، أو أنها تسكيت للكفار ، لأن المشركين تواصوا فيما بينهم أن لا يستمعوا هذا القرآن وأن يلغوا فيه .

قوله تعالى :

« ذَلِكَ الكِتابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلمُتَّقِينَ »

المراد بالكتاب : القرآن . ومعنى قوله : لا ريب فيه : أي انه بيان وهدى وحق ومعجز .

فصل في التقوى والمتّقين . . .

روي عن النبي (ص) انه قال : جماع التقوى في قوله تعالى : « إنّ الله يأمر بالعدل والإحسان . . . الآية » . وقيل : المتقي الذي اتقى ما حرّم عليه ، وفعل ما أوجب عليه . وقيل : هو الذي يتقي بصالح أعماله عذاب الله . وسأل عمر بن الخطاب كعب الأحبار عن التقوى فقال : هل أخذت طريقاً ذا شوك ؟ فقال : نعم . قال : فما عملت فيه ؟ قال : حذري وتشمرت . فقال كعب : ذلك التقوى .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وروي عن النبي (ص) : أنه قال : إنّما سمّي المتقون لتركهم ما لا بأس به ، حذر الوقوع فيما به بأس ، وقال بعضهم : أن لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث أمرك .

قوله تعالى :

« الَذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصلاةَ وَمما رَزَقناهُم يُنفِقُونَ » .

لما وَصف القرآن بانه هدىً للمتقين ، بيّن صفة المتّقين فقال : الذين يؤمنون بالغيب ، أي يصدقون بجميع ما أوجبه الله،أو ندب إليه ، أو أباحه .

وروى الخاص والعام عن علي بن موسى الرضا عليه السلام : أن الإيمان هو التصديق بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالأركان . وأقول : ان أصل الإيمان هو المعرفة بالله وبرسوله وبجميع ما جاء به رسله . وقال النبي (ص):الإيمان سرٌّ ـ وأشار إلى صدره ـ والإسلام علانية .

قوله تعالىٰ : وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِما أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبلِكَ وبِالآخِرةِ هُم يُوقِنُونَ .

يؤمنون بما أُنزل إليك ، يعني : القرآن . وما أُنزل من قبلك ، يعني : الكتب المتقدمة مع من سبقك من الرسل .

قوله تعالىٰ :

أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

على دلالة وبيان من ربّهم . ولمّا وصف المتقين بهذه الصفات بيّن ما لهم عنده تعالىٰ .

قوله تعالىٰ :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

قيل:نزلت في أبي جهل وخمسة من أهل بيته قتلوا في بدر . وقيل : نزلت في قوم بأعيانهم من أحبار اليهود ممّن كفر بالنبي عناداً ، وكتم أمره حسداً . وقيل : نزلت في مشركي العرب . وقيل : هي عامة في جميع الكفار .

قوله تعالىٰ :

خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ

غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾

قيل في معنى الختم وجوه : أحدها : أن المراد بالختم العلامة . وقيل : هي نكتة سوداء تشاهدها الملائكة فيعلمون بها ، انه لا يؤمن بعدها فيذمّونه ويدعون عليه . والمعنى أن الكفر تمكّن من قلوبهم فصارت كالمختوم عليها ، وصار بمنزلة من لا يفهم ولا يبصر ولا يسمع .

قوله تعالى :

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾

نزلت في المنافقين وهم : عبدالله بن أبي سلول وجد ابن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهم، وأكثرهم من اليهود ، فيظهرون كلمة الإيمان ، وكان قصدهم أن يطّلعوا على أسرار المسلمين فينقلونها إلى الكفار ، فبيّن أن ما قالوه بلسانهم مخالف لما في قلوبهم . وهذا يدلُّ على فساد قول مَن يقول : الإيمان مجرد القول !! .

قوله تعالى :

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾

يخادعون الله ، أي : يعملون عمل المخادع ، فمعنى يخادعون يظهرون غير ما في أنفسهم . وقوله : والّذين آمنوا ، أي : يخادعون المؤمنين بقولهم ، إذا رأوهم قالوا آمنّا وهم غير مؤمنين ، أو بمجالستهم ومخالطتهم إياهم حتى يفشوا إليهم أسرارهم فينقلوها إلى أعدائهم ، وما يشعرون أنه يرجع عليهم بالعذاب فهم في الحقيقة إنّما خدعوا أنفسهم .

قوله تعالى :

فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

المراد بالمرض في الآية : الشك والنفاق ، بلا خلاف. وقوله : فزادهم الله مرضاً ، قيل أن معناه : ازدادوا عندما زاد الله من البيان بالآيات والحجج . وقال ابو علي الجبائي : إنه أراد في قلوبهم غمٌّ بنزول النبي (ص) المدينة وتمكّنه فيها وظهور المسلمين وقوّتهم .

قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

المراد : وإذا قيل للمنافقين لا تفسدوا في الأرض بعمل المعاصي وصدّ الناس عن الإيمان ، قالوا : إنما نحن مصلحون . إن الذي تسمّونه فساداً هو عندنا صلاح ؛ لأنا إنّما نفعل ذلك كي نسلم من الفريقين . أو أنهم جحدوا ذلك ، وقالوا : إنا لا نعمل بالمعاصي ولا نحرّف الكتاب ، وكان ذلك نفاقاً منهم ، ولكن لا يشعرون ، أي : لا يعلمون أن ما يفعلونه فساد وليس بصلاح ، ولو علموا ذلك لرجي صلاحهم . وقيل : لا يعلمون ما يستحقون من العقاب .

قوله تعالى :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

السفيه : الضعيف الرأي ، الجاهل القليل المعرفة بمواقع المنافع والمضار . وإذا قيل للمنافقين صدّقوا بمحمّد وبما أُنزل إليه ، كما صدّق أصحابه ، ـ وقيل كما صدّق عبدالله بن سلام ومن آمن معه من اليهود ـ ، قالوا : أنصدّق كما صدّق الجهّال . ثم كذبهم الله وحكم بأنهم هم الجهّال في الحقيقة .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾

يعني المنافقين إذا رأوا المؤمنين قالوا : آمنا ، أي : صدّقنا نحن بما أُنزل على محمّد (ص) كما صدّقتم أنتم . وإذا خلوا إلى شياطينهم : رؤسائهم من الكفار ـ وقيل: هم اليهود الذين أمروهم بالتكذيب ـ قالوا إنّما نحن مستهزؤن ، أي : مستهزؤن بأصحاب محمّد (ص) ونسخر بهم في قولنا آمنا .

قوله تعالى :

اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾

يستهزئ بهم : يجازيهم على استهزائهم ، ويمدّهم في طغيانهم يعمهون : يملي لهم ليؤمنوا ، وهم مع ذلك متمسكون بطغيانهم وغيّهم ،ويعمهون : يتحيّرون .

قوله تعالى :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

أشار الى مَن تقدم ذكرهم من المنافقين ، قال ابن عباس : أخذوا الضلالة ، وتركوا الهدىٰ . ومعناه : استبدلوا الكفر بالإيمان ، فما ربحت تجارتهم ، أي : خسروا في استبدالهم الكفر بالإيمان والعذاب بالثواب .

قوله تعالى :

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

أي : مثل هؤلاء المنافقين لما أظهروا الإيمان ، وأبطنوا الكفر ، كمثل الذي أوقد ناراً ، أو كمثل الذي طلب الضياء بإيقاد النار في ليلة مظلمة فاستضاء بها واستدفأ ورأى ما حوله فاتقىٰ ما يحذر ويخاف وأمن . فبينما هو كذلك إذ أُطفئت ناره فبقي مظلماً خائفاً متحيّراً . كذلك المنافقون لما أظهروا كلمة الإيمان واستناروا بنورها واعتزّوا بعزّها . فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وبقوا في العذاب .

وقيل في معنىٰ إذهاب الله نور المنافقين : إطلاع الله المؤمنين علىٰ كفرهم . وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب وعطاء : الآية نزلت في اليهود وانتظارهم خروج النبي (ص) وإيمانهم به ، واستفتاحهم به علىٰ مشركي العرب ، فلما خرج كفروا به . وذلك أن قريظة وبني قينقاع قدموا من الشام الىٰ يثرب حين انقطعت النبوة من بني اسرائيل وأفضت إلى العرب فدخلوا المدينة يشهدون لمحمّد (ص)

بالنبوة : وأن أمته خير الأمم ، وكان يغشاهم رجل من بني اسرائيل يقال له عبدالله ابن هينان ، قبل أن يوحى إلى النبي ، كل سنة ، فيحضهم على طاعة الله تعالى وإقامة التوراة والإيمان بمحمّد (ص) ، ويقول : إذا خرج فلا تفرقوا عليه وانصروه ، وقد كنتُ أطمع ان أُدركه ، ثم مات قبل خروج النبي (ص) ، فقبلوا منه ، ولمّا خرج النبي صلّى الله عليه وآله وسلم كفروا به ، فضرب الله لهم هذا المثل .

قوله تعالى :

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾

صمّ لا يسمعون الحق ، بكم لا ينطقون به ، عمي لا يبصرون ، فهم لا يرجعون عن ضلالتهم ولا يتوبون ، ولمّا لم تصل اليهم منفعة هذه الأعضاء ، فكأنهم ليس لهم هذه الأعضاء .

قوله تعالى :

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

مثل هؤلاء المنافقين في جهلهم وشدة تحيّرهم كأصحاب مطر منزل من السماء في هذا المطر ظلمات . وانهم اذا حضروا النبي (ص) جعلوا أصابعهم في آذانهم فرقاً من كلام النبي (ص) أن ينزل فيهم شيء . والصيّب : المطر .

قوله تعالى :

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا
فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ
بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

المعنى : يكاد ما في القرآن من الحجج النيّرة تخطف قلوبهم من شدة إذعانها إلى النظر في أمور دينهم ، كلّما أضاء لهم مشوا فيه لإهتدائهم إلى الطريق ، وكلّما دعوا إلى خير وغنيمة أسرعوا . وإذا وردت شدة على المسلمين تحيّروا لكفرهم ووقفوا . وقيل: أن اليهود لما نُصر المسلمون ببدر قالوا هذا الذي بشر به موسى (ع) فلما نُكبوا في أُحد وقفوا وشكّوا .

قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن
قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾

وهذا الخطاب متوجه إلى جميع الناس إلا مَن ليس بمكلف . روي عن ابن عباس والحسن أن ما في القرآن من « يا أيها الناس » فإنه منزل بمكة ، وما فيه « يا أيها الذين آمنوا » فإنه نزل بالمدينة .

قوله تعالى :

الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَٰشًا وَالسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ
مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ

أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

معنى الآية يتعلّق بما قبلها لأنه تعالى أمرهم بعبادته والإعتراف بنعمه ثم عدّد لهم صنوف نعمه ليستدلوا بذلك على وجوب عبادته .

قوله تعالى :

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾

لما احتجّ الله للتوحيد عقبه بالإحتجاج للنبوة بما يقطع عذرهم . فقال : « وإن كنتم في شك» من صدق هذا الكلام الذي أنزلناه على محمّد (ص) « فأتوا بسورة من مثله » أي من مثل هذا القرآن من الإعجاز وحسن النظم وجزالة اللفظ والفصاحة التي اختصت به ، والإخبار عمّا كان وما يكون دون تعلم الكتب ودراسة الأخبار ، « وادعوا شهداءكم » يعني أعوانكم وأنصاركم . وهذه الآية تدلّ على صحة نبوة نبيّنا ، وان الله تحدّى بالقرآن .

قوله تعالى :

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

اي : فإن لم تأتوا بسورة من مثله وقد تظاهرتم أنتم وشركاؤكم عليه وأعوانكم ، وتبيّن لكم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم أنه من عندي فلا تقيموا على التكذيب به . ومعنى « ولن تفعلوا » أي : ولم تأتوا بسورة مثله أبداً لأن

« لن » تنفي على التأبيد في المستقبل . وفيه دلالة على صحة نبوة نبينا محمّد (ص) لأنه إخبار بالمستقبل . « فاتقوا النار » أي فاحذروا أن تصلوا النار بتكذيبكم . « أُعدّت للكافرين » معناها خلقت لهم وهيّئت للكافرين لأنهم الذين يخلدون فيها ولأنهم أكثر أهل النار .

قوله تعالى :

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)

قرن الله الوعد في هذه الآية بالوعيد فيما قبلها ليحصل الترغيب والترهيب . « هذا الذي رزقنا من قبل » لأن ثمار الجنة اذا جنيت من أشجارها عاد مكانها مثلها فيشتبه عليهم ، فيقولون : هذا الذي رزقنا من قبل في الجنة . . أو أن معناها : هذا الذي رزقنا من قبلُ في الدنيا . . أو هذا الذي رزقنا في الجنة أي كالذي رزقنا من قبل . وهم يعلمون أنه غيره ولكنهم شبّهوه به في طعمه ولونه وريحه وطيبه وجودته . « ولهم فيها أزواج » قيل : هنّ الحور العين : وقيل : هنّ نساء الدنيا . « مطهّرة » في الأبدان والأخلاق والأعمال ولا يحضنَ ولا يلدْن .

قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

« إن الله لا يستحي » أي : لا يدع . وقيل : لا يمنع ، ومعناه أن الله لا يدع ضرب المثل بالأشياء الحقيرة لحقارتها إذا رأى الصلاح في ضرب المثل بها .
« فما فوقها » أي : ما هو أعظم منها ، عن قتادة وابن جريج ، وقيل : فما فوقها في الصغر والقلة . « فأما الذين آمنوا » أي صدقوا محمداً (ص) والقرآن وقبلوا الإسلام « فيعلمون أنه الحق من ربهم » . « وأما الذين كفروا » بالقرآن « فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً » .

فمعنى قوله تعالى « يضل به كثيراً » أن الكفار يكذبون به وينكرونه ويقولون ليس هو من عند الله فيضلون بسببه ، « ويهدي به كثيراً » الذين آمنوا به وصدقوا وقالوا هذا في موضعه .

والهداية في القرآن تقع على وجوه :

أحدها : أن تكون بمعنى الدلالة والإرشاد كما ، في قوله تعالى : « إنّا هديناه السبيل » .

وثانيها : أن يكون بمعنى زيادة الألطاف التي بها تثبت على الهدى ، ومنه قوله تعالى : « والذين اهتدوا زادهم هدى » أي : شرح صدورهم وثبتهم .

وثالثها : أن يكون بمعنى الإثابة .. وغير ذلك من الوجوه .

قوله تعالى :

﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٢٧)

أي يهدمونه . وقيل في عهد الله وجوه :

أحدها : أنه ما ركب في عقولهم من أدلة التوحيد والعدل وتصديق الرسل وما احتج به لرسله من المعجزات .

وثانيها : إنه وصية الله إلى خلقه على لسان رسوله بما أمرهم من طاعته ونهاهم عن معصيته ،ونقضهم لذلك : تركهم العمل به .

وثالثها : ان المراد به كفار أهل الكتاب . وعهد الله الذي نقضوه من بعد ميثاقه هو ما أُخذ عليهم في التوراة من إتّباع محمّد (ص) والتصديق بما جاء به من عند الله . «ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل» معناه : أمروا بصلة النبي (ص) والمؤمنين فقطعوهم .

قوله تعالى :

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٨)

عجباً منكم عن أي حال يقع منكم الكفر بالله مع الدلايل الظاهرة على وحدانيته والمعجزات القاهرة على صدق مَن اختص برسالته ، «وكنتم أموات

فأحياكم » كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم يعني نطفاً ، ثم أحياهم الله ، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها ، ثم أحياهم بعد الموت . فحياتان وموتتان . أو كنتم أمواتاً خاملي الذكر فأحياكم بالظهور . « ثم اليه ترجعون » أي : يبعثكم يوم الحشر للحساب والمجازاة .

قوله تعالىٰ :

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

قال المفسرون : لما استعظم المشركون أمر الإعادة عرفهم الله خلق السماوات والأرض ليدلهم بذلك علىٰ قدرته علىٰ الإعادة . « ثم استوىٰ إلىٰ السماء » فيه وجوه :

أحدها : أن معناه قصد السماء لتسويتها كقول القائل كان الأمير يدبر أمر الشام ثم استوىٰ إلى أهل الحجاز ؛ أي : تحول فعله وتدبيره اليهم . وهو أسلم الوجوه وأقواها .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

المعنىٰ : اذكر يا محمّد إذ قال ربك للملائكة .... قيل : ـ ا
لجميع الملائكة ، وقيل : ـ خطاب لمَن أسكنه الأرض بعد الجان من ال
وأراد بالخليفة : آدم .

قوله تعالىٰ :

وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَٰٓئِكَةِ
أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾

المعنىٰ : أبـان الله تعالىٰ لملائكته فضل آدم عليهم وعلىٰ جميع ـ
خصّه به من العلم ، وعلّمه معاني الأسماء ، إذ الأسماء بلا معان لا فائدة ف
وقيل : إنّه تعالىٰ علّمه جميع الأسماء والصناعات وعمارة الأرضين وال
والأدوية ، واستخراج المعادن وغرس الأشجار ومنافعها ، وجميع ما يتعلق
الدين والدنيا . . وقيل : انه علّمه أسماء الأشياء كلها : ما خلق وما لم ي
بجميع اللغات التي يتكلّم بها ولده بعده . فأخذ عنه ولده اللغات ، فلم
تكلم كل قوم بلسان ألفوه واعتادوا عليه . . وقيل : انه تعالىٰ لم يعلّمه
العربية ، فإن أول من تكلم العربية اسماعيل (ع) . ثم عرضهم على الملا
قيل : عرض الخلق . . وقيل: عرض عليهم من كل جنس واحد ، وأراد
تعجيزهم .

قوله تعالىٰ :

قَالُوا سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ الْعَ
الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾

قالوا : سبحانك ، أي تنزيهاً لك وتعظيماً عن أن يعلم الغيب أحد سواك وقيل : تنزيهاً لك عن الإعتراض عليك في حكمك .

قوله تعالى :

قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

أي : أخبر الملائكة بأسمائهم ، باسم كل شيء ومنافعه ومضاره ، وأنه علّمه من لطائف الحكمة ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها .

قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾

الظاهر أن الأمر بالسجود له كان لجميع الملائكة حتى جبرائيل وميكائيل لقوله تعالى : فسجد الملائكة كلهم أجمعون ، وفي هذا تأكيد للعموم . . . واختلف في سجود الملائكة لآدم على أي وجه كان . فالمروي عن أئمتنا عليهم السلام أنه على وجه التكرمة لآدم والتعظيم لشأنه وتقديمه عليهم . ولهذا جعل أصحابنا رضي الله عنهم الآية دالة على أن الأنبياء أفضل من الملائكة ، من حيث أنه أمرهم بالسجود لآدم . . . ثم اختلف في ابليس هل كان من الملائكة أم لا ، فذهب قوم إلى : أنه كان منهم ؛ وقال آخرون وفيهم الشيخ المفيد : أن ابليس كان من الجن ، أو أن قسماً من الملائكة كان يقال لهم الجن .

قوله تعالى :

وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾

روي عن ابن عباس وابن مسعود : أنه لما أُخرج ابليس من الجنة ، ولعن وبقي آدم وحده استوحش اذ ليس معه من يسكن اليه فخلقت حواء ليسكن اليها . وإنما سمّيت حواء لأنها خلقت من حي ، وقيل : لأنها أُم كل حي .

واُختلف في الجنة التي اسكن فيها آدم ، فقال أبو هاشم : هي جنة من جنان السماء غير جنة الخلد ، وقال أبو مسلم : هي جنة من جنان الدنيا في الأرض . وقال أكثر المفسرين : انها جنة الخلد . واختلف في هذا النهي ، فقيل : أنه نهي تحريم ، وقيل : أنه نهي التنزيه دون التحريم ، كمَن يقول : لا تجلس على الطرق ، وهو قريب من مذهبنا . فإن الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم القبائح لا صغيرها ولا كبيرها .

قوله تعالى :

فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾

فإنما أخرج الله آدم من الجنة لأن المصلحة قد تغيرت بتناوله من الشجرة ، فاقتضت الحكمة والتدبير الإلهي إهباطه إلى الأرض وابتلائه بالتكليف والمشقة ؛

وقوله تعالى : « بعضكم لبعض عدو » يعني : آدم وذريته وابليس وذريته . وفي هذه الآية دلالة على أن الله تعالى لا يريد المعصية ولا يصد أحداً عن الطاعة ، ولا يخرجه عنها ؛ ولا يسبب المعصية لأنه نسب ذلك إلى الشيطان .

قوله تعالى :

فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

واختلف في الكلمات :

فقيل هي قوله تعالى : « ربنا ظلمنا أنفسنا . . . الخ » .

وقيل هي قوله تعالى : «اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربي إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين . اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربي ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين . اللّهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ربي إنّي ظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم .

وقيل هي : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر .

وقيل ـ وهي رواية تختص بأهل البيت عليهم السلام ـ أنّ آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء معظمة مكرمة فسأل عنها ، فقيل له : هذه الأسماء أجّل الخلق منزلة عند الله تعالى . والأسماء هي : محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، فتوسل آدم عليه السلام إلى ربه بهم في قبول توبته ورفع منزلته .

فصل في التوبة وشروطها

إعلم أن من شروط التوبة الندم على ما مضى من القبيح ، والعزم على أن لا يعود إلى مثله في القبيح . فإن هذه التوبة أجمع المسلمون على سقوط العقاب عندها ، واختلفوا فيما عداها .

وعندنا تصح التوبة اذا كانت من ترك الندب ويكون ذلك على وجه الرجوع إلى فعله وعلى هذا تحمل توبة الأنبياء عليهم السلام في جميع ما نطق به القرآن .

قوله تعالى :

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾

إن الإهباط إنما كان للإبتلاء والتكليف .

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾

كفروا : أي جحدوا ، وكذبوا بآياتنا : اي دلالاتنا وما أنزلناه على الأنبياء . وفي هذه الاية دلالة على أن مَن مات مصرّاً على كفره ، غير تائب منه وكذب بآيات ربه فهو مخلّد في نار جهنم . وآيات الله : دلائله وكتبه المنزلة على رسله . والآية مثل الحجّة والدلالة .

قوله تعالى :

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾

« يا بني اسرائيل » يعني : يا بني يعقوب ، نسبهم الى الأب الاعلى ، كما قال يا بني آدم « نعمتي » أراد بذلك النعم التي أنعم بها على أسلافهم من كثرة الأنبياء فيهم والكتب ، وانجائهم من فرعون ومن الغرق على أعجب الوجوه ، وإنزال المن والسلوى عليهم ، وكون الملك فيهم من زمن سليمان عليه السلام ، وغير ذلك .

وقال ابن الأنباري : أراد : اذكروا ما أنعمت به عليكم فيما استودعتكم من علم التوراة وبيّنت لكم من صفة محمّد صلّى الله عليه وآله والزمتكم من تصديقه واتباعه ، فلما بعث ولم يتّبعوه كانوا كالناسين لهذه النعمة . « وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم » قيل فيه وجوه ، أحدها : هو أن الله عهد إليهم في التوراة أنه باعث نبياً يقال له : محمّداً ، فمَن تبعه كان له أجران اثنان : أجر اتباعه موسى وإيمانه بالتوراة ، وأجر باتباعه محمّداً وإيمانه بالقرآن « أوفِ بعهدكم » أدخلكم الجنّة ، أو أنّه أراد جميع الأوامر والنواهي .

وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة ، وفي الحديث : التحدث بالنعم شكر . وفيها دلالة على عظم المعصية في جحود النعم وكفرانها .

قوله تعالى :

وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾

مخاطباً اليهود ، « آمنوا » أي صدقوا ، « بما أنزلت » على محمّد (ص) من القرآن لأنه منزل من السماء إلى الأرض مصدقاً لما معكم من التوراة فإن فيها

البشارة بمحمّد وبيان صفته . « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً » روي عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية قال :

كان حُييُ بن أخطب وكعب بن الأشرف وآخرون من اليهود لهم مأكلة على اليهود في كل سنة ، فكرهوا بطلانها بأمر النبي (ص) فحرّفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره فذلك الثمن الذي أُريد بالآية .

وهذا الخطاب يتوجه أيضاً على علماء السوء من هذه الأُمة إذا اختاروا الدنيا على الدين فتدخل فيه الشهادات والقضاء والفتاوى وغيرها .

قوله تعالى :

وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾

أي : لا تخلطوا الحق بالباطل . ومعنى لبسهم الحق بالباطل : أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض لأنهم جحدوا صفة النبي (ص) فذلك الباطل . وقيل : الحق : التوراة التي أنزلها الله على موسى والباطل ما كتبوه بأيديهم .

قوله تعالى :

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾

« وأقيموا الصلاة » أي : أدّوها بأركانها وحدودها وشرائطها كما بيّنها النبي (ص) « واركعوا مع الراكعين » لها عدة وجوه ، منها ، أن الخطاب لليهود ولم يكن في صلاتهم ركوع ، أو أنه عبر بالركوع عن الصلاة ، يقول القائل : فرغت من ركوعي لأن الركوع أول ما يشاهد من الأفعال التي يستدل بها على أن الإنسان يصلّي ، أو أنه حثّ على صلاة الجماعة .

قوله تعالىٰ :

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾

خطاب لعلماء اليهود كانوا يأمرون العرب بالإيمان بمحمّد (ص) إذا بعث فلما بعث كفروا به . وروىٰ أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : مررت ليلة أُسري بي علىٰ أُناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار ، فقلت : مَن هؤلاء يا جبرائيل ؟ فقال : هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممّن كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قوله تعالىٰ :

وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾

روي عن أئمّتنا عليهم السلام أن المراد بالصبر : الصوم ، فيكون فائدة الإستعانة به أنه يذهب بالشره وهوىٰ النفس ،كماقال(ص) : (الصوم وجاء). وفائدة الإستعانة بالصلاة انه يتلىٰ فيها ما يرغب فيما عند الله تعالىٰ ويزهد في الدنيا وحب الرياسة . وكان النبي إذا أحزنه أمر استعان بالصلاة والصوم . « وانها لكبيرة إلا علىٰ الخاشعين » انها : عائدة إلىٰ الصلاة ، وهو قول أكثر المفسرين ، « الخاشعين » المتواضعين لله تعالىٰ . فإنهم قد وطّنوا أنفسهم علىٰ فعلها وعودوها فلا يثقل عليهم .

قوله تعالىٰ :

﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (٤٦)

لما تقدم ذكر الخاشعين المؤمنين بيّن صفتهم ، « يظنون » أي يوقنون أنهم ملاقوا ما وعدهم ربهم . « وأنهم اليه راجعون » بالإعادة في الآخرة ، أو يرجعون بالموت كما كانوا قبل الحياة ، أو أنهم يرجعون إلىٰ موضع لا يملك أحد لهم ضراً ولا نفعاً غيره تعالىٰ ، وأنهم يقرّون بالنشأة الثانية .

قوله تعالىٰ :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (٤٧)

قال ابن عباس : فضلهم على عالمي زمانهم لأن أُمّتنا أُمة محمّد أفضل الأُمم بدليل قوله تعالىٰ : « كنتم خير أُمة أُخرجت للناس » .

قوله تعالىٰ :

﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (٤٨)

« اتقوا » أي احذروا واخشوا ، وقال المفسرون حكم هذه الآية مختص باليهود لأنهم قالوا نحن أولاد الأنبياء وآباؤنا يشفعون لنا . ويدل عليه أن الأُمة اجتمعت على أن للنبي (ص) شفاعة مقبولة ، وإنْ اختلفوا في كيفيتها ، وهي ثابتة عندنا للنبي (ص) ولأصحابه المنتجبين والأئمة من أهل بيته الطاهرين ولصالحي

المؤمنين وينجي الله تعالىٰ بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين . « ولا يؤخذ منها عدل » أي : فدية . وإنما سمّي الفداء عدلاً لأنه يعادل المفدي ويماثله .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾

آل فرعون هم قوم فرعون وأهل دينه كانوا يكلفون الناس من الأعمال الشاقة صنف يخدمونهم وصنف يحرثون لهم ، ومَن لا يصلح للعمل ضربوا عليه الجزية . والسبب في قتل الأبناء : أن فرعون رأىٰ في منامه كأن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتىٰ اشتملت علىٰ بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل ، فهاله ذلك . ودعا السحرة والكهنة فسألهم عن رؤياه ، فقالوا : أنه يولد في بني اسرائيل غلام يكون علىٰ يده هلاكك وزوال ملكك وتبديل دينك ، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل . ومع كل تلك الأعمال فإن الله بالغ أمره .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

فرقنا بين المائين حتىٰ مررتم في طريق يبس ، وكان الله أوحىٰ إلىٰ البحر أن أطع موسىٰ إذا ضربك ، فضرب بعصاه البحر فانفلق وظهر اثنا عشر طريقاً .

وجملة قصة فرعون مع بني اسرائيل في البحر : إنَّ الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ

موسى أن يسير ببني اسرائيل من مصر . فسرى موسى ببني اسرائيل ليلاً فأتبعهم فرعون حتى هجموا على البحر جميعاً ، فالتفتوا فإذا برهج دواب فرعون فقالوا : يا موسى أوذينا من قبل أن تأتينا ، ومن بعد ما جئتنا ، هذا البحر أمامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمَن معه ، وهكذا ضرب موسى بعصاه البحر ، فدخل هو وبنو اسرائيل للعبور ، فلما وصل فرعون إلى ساحل البحر تقحّم فرعون خلف موسى فلما خرج آخر من كان مع موسى من البحر ودخل آخر من كان مع فرعون البحر اطبق الله عليهم الماء فهلكوا جميعاً ونجا موسى ومَن معه .

قوله تعالى :

وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وإذ واعدنا موسى أن نؤتيه الألواح فيها التوراة والبيان والشفاء . فبعد هلاك فرعون وقومه عاد بنو اسرائيل إلى مصر ووعدهم الله إنزال التوراة والشرائع . فخلف موسى أصحابه ، واستخلف هارون عليهم ، فمكث موسى على الطور أربعين ليلة وانزل عليه التوراة في الألواح ، وفي غيابه كانت فتنة السامري . كان من قوم يعبدون البقر وكان حب عبادة البقر متركزاً في نفسه ، رغم أنه أظهر الإيمان بموسى . اختبر فيها الصابر الثابت الإيمان من النزغ ـ المستضعف مستودع الإيمان . ولا فرق بين أن يكون عجل السامري الذي أضل به بني اسرائيل جسداً ولحماً ودماً ، أو أن السامري صاغ عجلاً وجعل فيه خروقاً ومنافذ يدخلها الريح فيخرج منها صوت كخوار العجل ودعاهم إلى عبادته فأجابوه وعبدوه .

قوله تعالى :

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾

« عفونا عنكم » أي : وضعنا عنكم العقاب الذي استحققتموه بقبول توبتكم من عبادة العجل . وفي هذه الآية دلالة على وجوب شكر النعمة . وعلى أن العفو عن الذنب بعد التوبة نعمة من الله على عباده ليشكروه .

قوله تعالى :

وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

« آتينا » أي : أعطينا موسى الكتاب ، وهو التوراة ، والفرقان الذي هو أيضاً التوراة على بعض الأقوال . أو أن الفرقان انفراق البحر الذي أعطاه الله لموسى عليه السلام . أو أن المراد بالفرقان : الفرق بين الحلال والحرام . وقيل أن المراد بالفرقان : هو القرآن ، ويكون تقديره آتينا موسى التوراة وآتينا محمّداً الفرقان .

قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾

« وإذا قال موسى » أي : واذكروا اذ قال موسى لقومه الذين عبدوا العجل عند رجوعه اليهم . « ظلمتم أنفسكم » أي : أضررتم بأنفسكم ووضعتم العبادة غير موضعها باتخاذكم العجل معبوداً . وكذلك كل من فعل فعلاً يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه . « فتوبوا إلى بارئكم » أي : ارجعوا الى خالقكم ومنشئكم . « فاقتلوا انفسكم » أي : ليقتل البريء المجرم ، كما عن ابن عباس

وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم . وقيل في معنىٰ « اقتلوا أنفسكم » وجوهاً أُخرىٰ وطرقاً للقتل ، تراجع في الأصل .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾

« لن نؤمن لك » أي : لن نصدقك في قولك انك نبي مبعوث حتىٰ نرىٰ الله جهرة ، أي علانية ، فيخبرنا بأنك مبعوث ، أو أننا لا نصدقك فيما تخبر به من صفات الله حتىٰ نرىٰ الله عيانا ، « فأخذتكم الصاعقة » أي : الموت او النار . وتدل هذه الآية أيضاً علىٰ ان قول موسىٰ « ربي أرني أنظر اليك » كان سؤالاً لقومه . لانه لا خلاف بين أهل التوراة أن موسىٰ (ع) لم يسأل الرؤية إلا دفعة واحدة ، وهي التي سألها قومه .

قوله تعالىٰ :

ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

« بعثناكم » اي أحييناكم من بعد موتكم لاستكمال بقية أعماركم . وفي هذه الآية اثبات لمعجزة محمّد صلّىٰ الله عليه وآله ، واحتجاج علىٰ مشركي العرب الذين كانوا غير مؤمنين بالبعث .

واستدل قوم من أصحابنا بهذه الآية علىٰ جواز الرجعة .

قوله تعالى :

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

« الغمام » السحاب ، أو ما كان أبيض من السحاب . « وظللنا عليكم الغمام » أي : جعلنا لكم الغمام ظلّة وستراً تقيكم حرّ الشمس في التيه . « وأنزلنا عليكم المنّ » الذي هو معروف يتساقط على الشجر ، أو أنه جميع النعم التي أتتهم مما منّ الله به عليهم . وكان سبب نزول المنّ والسلوى عليهم : أن موسى (ع) أمرهم بالسير إلى بيت المقدس وحرب العمالقة . فقالوا لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون » فوقعوا في التيه ، فصاروا كلّما ساروا تاهوا حتى بقوا في التيه أربعين سنة . . . وفي التيه توفي موسى وهرون ، ثم خرج يوشع بن نون ، ولما صار حالهم في التيه ندموا على ما فعلوا . فألطف الله لهم بالغمام لتحميهم من حرّ الشمس وأنزل عليهم المنّ والسلوى . والسلوى قيل : طائر أبيض .

قوله تعالى :

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

أجمع المفسرون على أن المراد بالقرية هنا: بيت المقدس. وكان فيها بقايا من قوم عاد، وهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق، «وادخلوا الباب» الباب الذي أمروا بدخوله هو باب حطة من بيت المقدس، وهي باب القبلة التي كان يصلّي اليها موسى وبنو إسرائيل. ادخلوا خاضعين متواضعين، أو اذا دخلتم الباب فاسجدوا شكراً لله «وقولوا حطّة» معناه: قولوا في دعائكم حط عنا ذنوبنا، وهو أمر بالإستغفار. وروي عن الباقر عليه السلام انه قال: نحن باب حطتكم.

قوله تعالى:

فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

أي فخالف الذين ظلموا وعصوا لما امروا به واستهزؤا بدعائهم في قول حطة «فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً» أي عذاباً من السماء حيث قيل أنهم أهلكوا بالطاعون فمات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون ألفاً من كبرائهم وشيوخهم. وبقي الأبناء فانتقل عنهم العلم والعبادة.

قوله تعالى:

وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾

إنما استسقىٰ موسىٰ لبني اسرائيل في حال التيه حينما شكوا الظمأ فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر فتنفجر عين ماء لكل سبط وهم ـ كما تقدم ـ اثنا عشر سبطاً . فكل سبط ومَن معه من بني اسرائيل لهم عين ماء . « كلوا واشربوا من رزق الله » أي التي منَّ بها عليكم من المنّ والسلوىٰ والماء الذي يأتيكم بلا مشقة . « ولا تعثوا في الأرض مفسدين » أي : لا تسعوا في الأرض بالفساد .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ الْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

« طعام واحد » اشارة إلى أنهم كانوا يأكلون يومياً لوناً واحداً دون أن يتغير وهو المنّ والسلوىٰ ، فملّوه ، وقالوا : (فادع لنا ربك) أي اسأل ربك وأدعه لأجلنا يخرج لنا مما تنبته الأرض من البقل وهو ما ينبته الربيع ، أو كل نبات لا ساق له . و « الفوم » الحنطة أو الحنطة والخبز ، وقيل: إنه الثوم لما ذكر بعده البصل ،

والعدس : المعروف . فقال الله « اهبطوا مصراً » . وأُختلف في مصر ، قيل : هي مصر الفراعنة ، وقيل : بيت المقدس ، وقيل : أيّ مصر تريدون فادخلوها فإنكم ستجدون فيها ما سألتم . « وضربت عليهم الذلة » أي أُلزموا بالذلة أو بالجزية . و « المسكنة » زي الفقر ، فترىٰ الثري منهم يتباءس مخافة أن تضاعف عليه الجزية . « وباؤا بغضب من الله » أي رجعوا متحمّلين غضب الله ، وقد وجب عليهم ذلك الغضب . والذلة والمسكنة « بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق » أي بغير جرم كقتلهم لزكريا (ع) ويحيىٰ (ع) وغيرهما .

قوله تعالىٰ :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

فكأنه قال : إنّ الذين آمنوا ومَن آمن من اليهود والنصارىٰ ومن الصابئين بالله وباليوم الآخر فلهم أجرهم ، أو الذين ثبتوا على إيمانهم واستقاموا ولم يبدلوا فلهم أجرهم .

او مَن آمن بمحمّدٍ من الأُمم السابقة بعد إيمانهم بالله وكتبه المتقدمة . وروي عن ابن عباس انه قال : إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالىٰ : « ومَن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » ولكن المصنف استبعد هذا النسخ ، وقال : فالأولى أن يحمل علىٰ أنه لم يصح هذا القول عن ابن عباس .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٦٣)

عاد الخطاب لبني اسرائيل ، أي : عهدكم الذي فطر الله الخلق عليه من التوحيد والعدل . « ورفعنا فوقكم الطور » قيل : إن موسى (ع) حين رجع من الطور فأتى بالواح ، فقال لقومه : جئتكم بالألواح وفيها التوراة والحلال والحرام فاعملوا بها . قالوا : ومَن يقبل قولك ؟ فأرسل الله عز وجل الملائكة حتى نتقوا الجبل فوق رؤوسهم . فقال موسى (ع) : إن قبلتم ما آتيتكم به وإلا ارسل الجبل عليكم .. فأخذوا التوراة ، وسجدوا لله تعالى ملاحظين إلى الجبل .

والأخذ بقوة هو العمل بما فيه بعزيمة وجد . وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل « خذوا ما آتيناكم بقوة » : أبقوّة الأبدان أم بقوّة القلوب ؟ فقال : بهما جميعاً .

قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٦٤)

« توليتم » نبذتم العهد الذي أخذناه عليكم . « فلولا فضل الله عليكم » بما مكّنكم من الإيمان وأزال الحواجز عنه أمامكم « لكنتم من الخاسرين » .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾

إخبار عن اليهود الذين جاوزوا ما أمروا به من ترك الصيد يوم السبت فكانت الحيتان تجتمع يوم السبت لأمنها فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد . وقيل : إنهم اصطادوا يوم السبت مستحلين ما نهوا عنه فقال الله ـ عقوبة لهم ـ : كونوا قردة خاسئين . فمسخهم الله تعالى عقوبة لهم وكانوا يتعاوون ثلاثة أيام ثم أهلكهم الله . وهذه القردة والخنازير ليست من نسل أولئك ، ولكن مسخ أولئك على صورها و « خاسئين » مبعدين عن الخير وأذلاء صاغرين . وفي هذا اخبار للرسول عن عناد أسلاف اليهود وكفرانهم وعصيانهم مع ظهور الآيات والمعجزات الواضحة وتسلية لرسول الله (ص) عمّا يقاسيه من مخالفة اليهود وكيدهم .

قوله تعالى :

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

« فجعلناها » أي الأمة التي مسخت ، وهم أهل إيلة : قرية على شاطىء البحر ، « نكالا » عقوبة وفضيحة ، أو عبرة وتذكرة . « لما بين يديها وما خلفها » المروي عن ابن عباس ، والمأثور عن الإمام الباقر والصادق عليهما السلام : أي : شهدوا مسخهم من الأمم والقرى المعاصرة لهم وكذلك موعظة للأمم المتأخرة التي يبلغها خبر العذاب ؛ والمسخ الذي استحقه المتعدون لحدود الله . « وموعظة للمتقين » وتنبيهاً لكي لا يقعوا في المعاصي بما وقع فيه أولئك فيستحقون ما استحقه المعتدون . نعوذ بالله من سخطه .

قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟
أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا
رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ
عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا
مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ
﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ
ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ
فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

في المروي عن الرضا عليه السلام : أن رجلاً من بني اسرائيل قتل قريباً له ثم أخذه وطرحه على طريق أفضل سبط من اسباط بني اسرائيل ، ثم جاء يطلب بدمه قائلاً لموسى : سبط آل فلان قتل فلاناً ، فأوحى الله اليه أن يأمرهم بذبح بقرة . فأمرهم موسى بذبح بقرة ـ كما حكت الآية ـ قالوا أتتخذنا هزواً ، أي تسخر منا . قال : اعوذ بالله أن اكون من الجاهلين . وانما قال : من الجاهلين ، ليدل على أن الاستهزاء لا يصدر إلا عن جاهل . فإن مَن استهزأ بغيره لا يخلو :

اما أن يستهزىء بخلقته، أو بفعل من أفعاله. فأما الاستهزاء بالخلقة فلا معنىٰ له . . وأما الفعل فاذا كان قبيحاً ، فالواجب ان ينبّه فاعله علىٰ قبحه لينزجر عنه . . ولعل السبب في أمرهم بذبح البقرة لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عندهم ما كانوا يرونه من تعظيم البقرة وتزول من نفوسهم مرتكزات عبادة البقرة ، ثم بدأوا يستوضحون ويتأكدون عن البقرة ولونها . وروىٰ ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أنهم امروا بأدنىٰ بقرة ، ولكنهم لما شددوا علىٰ أنفسهم شدد الله عليهم .

قوله تعالىٰ :

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

إشارة للقصة السالفة من القتل وغموض الأمر عن القاتل فأمروا أنْ يقربوا قرباناً بقرة معينة فتذبح ثم يضرب الميّت ببعض أجزاء البقرة . وتمّ لهم ما أرادوا حين ذبحوا البقرة الموصوفة وضربوا الميت القتيل ببعض أجزائها ، فأحياه الله ، وقام قائماً فأخبرهم عمّن قتله ثم عاد ميتاً .

وفي هذه الآية دلالة علىٰ صدق نبوة محمّد صلّىٰ الله عليه وآله حيث أخبر اليهود بغوامض أخبارهم وقصصهم التي لا يجوز أن يعلمها إلاّ من قرأ كتب الأولين ، أو أوحي اليه من رب العالمين .

قوله تعالىٰ :

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً

وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)

أي : عتت وغلظت ويبست قلوبكم بعد آيات الله كلّها التي أظهر الله تعالى على يد موسى من التيه، وإغراق فرعون، ونتق الجبل، وانفراق البحر، وانباع الماء بضرب الحجر بالعصا إلى إحياء الميّت وكلامه ، كلها معاجز خارقة للعادة تلزم من شاهدها الإيمان ولين القلب للطاعة .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وقد ورد الخبر عن النبي (ص) انه قال : لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تقسي القلب ، وإن أبعد الناس من الله القاسي القلب .

ثم فضّل الله تعالى الحجارة على القلب القاسي لأن من الحجارة ما تلين وينتفع منها بتفجر الأنهار أو تخرج منها العيون ، وإن منها لما يهبط من خشية الله تعالى . وقد قيل : أن الضمير هنا عائد إلى القلوب ، وأن من القلوب التي تخشع وتهبط من خشية الله . وإن قال بعضهم : إن الأخير أيضاً عائد إلى الحجارة وإن من الحجارة مَن يهبط من خشية الله ، ولكن المصنف استبعد ذلك ، بل أحاله وضعّفه إلا في حالات المعاجز .

قوله تعالى :

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)

خطاب لأمة محمّد (ص) وإنَّهم يطمعون في تأثير كلامهم ودعوتهم في أهل الكتاب ، بأن يؤمنوا لكم وهؤلاء قد ولدوا في أحضان العناد والتمرد على آيات الله فإن في أسلافهم مَن كانوا يسمعون كلام الله ويعلمون أنه حق فيعاندون ويحرفونه ويتأولونه على غير تأويله الواقعي ، سواء كان ذلك الفريق المصر على العناد برغم سماعه لكلام الله قريباً ، كعلماء اليهود وأحبارهم ، أم هم البعيدون ، كما قيل أنهم السبعون رجلاً الذين اختارهم موسى من قومه فسمعوا كلام الله ولم يمتثلوا أمره .

وفي هذه الآية دلالة على عظم الذنب في تحريف الشرع وهو عام لجميع الناس في إظهار البدع في الفتوى والقضايا والأحكام .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

روي عن أبي جعفر الباقر (ع) أنه قال : كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين اذا لقوا المسلمين حدثوهم بما في التوراة من صفات محمّد (ص) فنهاهم كبراؤهم عن ذلك ، وقالوا : لا تخبروهم بما في التوراة من صفة محمّد (ص) فيحاجّوكم به عند ربكم . وقيل : نزلت في بني قريظة خاصة .

قوله تعالى :

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

أولا يعلم اليهود أن الله يعلم سرهم وعلانيتهم بخصوص ما يعرفون من صفات محمّد والدعوة للإيمان به كما جاء بكتبهم .. أو أن الله يعلم نفاقهم في إظهار الإيمان بمحمّد وإذا خلا بعضهم لبعض كذبوا محمّداً وبيتوا عدم التصديق بنبوته .

قوله تعالىٰ :

وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

أي : ومن أهل الكتاب أميّون غير عالمين بمعنى الكتاب لا يعلمون ما في التوراة الذي أنزلها الله من الفرائض والحدود والأحكام .

قوله تعالىٰ :

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

الويل في الآية: العذاب ، وقيل: جبل في النار وقيل: غير ذلك .

وهو أنهم عمدوا إلى التوراة وحرفوا صفة لنبي (ص) ليوقعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود ، وقيل : المراد بالآية كتباً كان يكتب للنبي فيغير ما يملي عليه ثم ارتد عن الإسلام . ولكن الأول اوجه لسياق الكلام عن اليهود الذين كانوا يحاولون ايقاف انتشار الإسلام وصد الناس عن الإيمان بمحمّد (ص) ليشتروا به ثمناً قليلاً وهو ما يحصلونه من عوامّهم من المال والجاه .

قوله تعالى :

وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

قال ابن عباس ومجاهد : قدم رسول الله (ص) المدينة واليهود تزعم أنَّ مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وإنّما يعذب بكل سنة يوماً واحداً ثم ينقطع العذاب . وقيل أربعون يوماً أيام العذاب وهي الأيام التي عبدوا فيها العجل .

قوله تعالى :

بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾

رد الله تعالى على اليهود قولهم لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودة وتوعدهم بأن مَن كسب سيئة من الشرك أو غيره سيكون من أصحاب النار كما وعد الله أهل الصدق والطاعة بالثواب الدائم والنعيم الخالد .

قوله تعالى :

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا

وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

عاد سبحانه إلىٰ ذكر بني اسرائيل مخاطباً : واذكروا مواثيق وعهود أنبيائكم بأن لا تعبدوا إلا الله ، وتحسنوا إلىٰ الوالدين ، وتصلوا قرباكم ، وتعطفوا على اليتامىٰ ، وتقولوا للناس حسناً من القول الجميل والخلق الكريم .

وروىٰ جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالىٰ « وقولوا للناس حسناً » قال (ع) : قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم ، فإنَّ الله يبغض اللعّان السبّاب الطعّان علىٰ المؤمنين ، الفاحش المتفحش ، السائل الملحف ، ويحب الحليم العفيف المتعفف .

ثم أخبر تعالى عن اليهود بأنهم أعرضوا عن ذكر الله وتولّوا إلا قليلاً منهم ممّن وفىٰ بعهد الله وميثاقه .

قوله تعالى :

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾

إخبار عن نقض اليهود للمواثيق والعهود التي عاهد عليها أسلافهم بأن لا تسفكوا دماءكم بقتل بعضكم بعضاً ، ولا تفعلوا الفساد .

قوله تعالىٰ :

ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن

دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

ثم انتم هؤلاء يا معشر يهود بني اسرائيل بعد اقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم ان لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم وبعد شهادتكم على أنفسكم بذلك انه واجب عليكم ولازم لكم الوفاء به ، تقتلون انفسكم بقتل بعضكم بعضاً ، وتتعاونون على إخراج فريق من ديارهم بالإثم والعدوان . وأسراكم الذين عند غيركم تخلصّونهم بالمال ، أما أسارى غيركم فتقتلونهم ، أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض .. وهذا يدل على أن الإيمان بالبعض دون الكل لا ينفع .

وفي الآية تسلية لنبيّنا محمّد (ص) في ترك اليهود لأقواله وانحيازهم عن الإيمان ، فكأنه يقول كيف يقبلون أقوالك ويسلمون لك الأمر ويؤمنون بك وهم لا يعملون حتى بكتبهم مع اقرارهم بها وبأنها من عند الله تعالى .

قوله تعالى :

أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ

الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

أشار تعالىٰ إلى الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضه وأنهم آثروا الحياة الدنيا وحب الرياسة والمال عوضاً عن الآخرة ونعيمها فأولئك لا حظ لهم ولا نصيب في نعيم الآخرة ولا يخفف عنهم العذاب .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾

ذكر سبحانه أنعامه وأفضاله على بني اسرائيل بإرسال رسله إليهم وما قابلوه من تكذيبهم « ولقد آتينا موسى » أعطيناه التوراة « وقفّينا من بعده بالرسل » في الدعاء إلى الله « وآتينا عيسى بن مريم البينات » من المعاجز والآيات الدالة على صدق وصحة نبوته . « وأيّدناه بروح القدس » أي قوّيناه بجبرئيل . وقيل روح القدس : الإنجيل . أي قوّينا عيسى بروح القدس . وأقوى الوجوه أن روح القدس جبرئيل . وإنما خصّ به عيسى عليه السلام مع أن جبرئيل متصل بكل الأنبياء ، لأن جبرئيل كان مصاحباً لعيسى منذ صغره إلى كبره فكان يسير معه حيث سار . ولما همّ اليهود بقتله لم يفارقه حتى صعد به إلى السماء .

ثم خاطب الله تعالىٰ اليهود « أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوىٰ أنفسكم

استكبرتم ، وآنفتم من قبوله فكذبتم بعضهم كعيسى ومحمّد ومَن لم تقدروا علي قتله ، وقتلتم آخرين : كيحيى وزكرياء ؛ والمتأخرون من اليهود وإن لم يباشر قتل الأنبياء إلا أنهم رضوا بفعل أسلافهم فشركوا في دماء الأنبياء .

قوله تعالى :

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

وقال اليهود إن قلوبنا غلف ممنوعة عن القبول ولا فائدة في إنذارك ولكن ال لعنهم بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون ، انّهم قليلوا الإيمان بما أُنزل عليك يا محمّد . قل مَن يؤمن من اليهود بالإسلام وبك يا محمّد ، كعبدالله بن سلام وأصحابه وفي هذه الآية رد على المجبرة لأن هؤلاء اليهود قالوا مثل ما يقولونه من أن على قلوبهم م يمنع من الإيمان ويحول بينها وبينه فكذبهم الله تعالى في ذلك بأن لعنهم وذمهم . ولو كانوا صادقين لما استحقوا اللعن والطرد ولكان الله سبحانه قد كلفهم ما لا يطيقون .

قوله تعالى :

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

قال ابن عباس:كانت اليهود يستفتحون أي يستنصرون على الأوس والخزرج برسول الله (ص) قبل مبعثه ، فلمّا بعثه الله من العرب ولم يكن من بني اسرائيل كفروا به وجحدوا ما كانوا يتلون في انتظاره وصفاته ، فلما جاءهم ما عرفوا يعني محمّداً الذي عرفوا صفته ومبعثه كفروا به حسداً وبغياً وطلباً للرياسة .

قوله تعالى :

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

ذم لليهود على إيثارهم الدنيا على الدين وكفرهم بما أنزل الله أي القرآن ، والدين الإسلامي المنزل على محمّد (ص) بغياً وحسداً لمحمّد (ص) إذ كان من ولد اسماعيل ولم يكن من بني اسرائيل . « فباؤا بغضب على غضب » قيل : أن الغضب الأول حين غيّروا التوراة وحرفوها ، والثاني كفرهم بمحمّد ، وقيل : أن الغضب الأول حين عبدوا العجل والثاني كفرهم بمحمّد ، وقيل : أن الغضب الأول كفرهم بعيسى (ع) والثاني كفرهم بمحمّد صلّى الله عليه وآله .

قوله تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾

وإذا قيل لليهود آمنوا وصدقوا بما أنزل الله على محمّد (ص) قالوا : نؤمن بما أنزل علينا من التوراة ، ويكفرون بما وراء التوراة من الإنجيل والقرآن أو يكفرون بجميع ما أُنزل ما عدا التوراة . مع أن الحق أن القرآن والإسلام ومحمّد (ص) جاء مصدقاً لما معهم من التوراة . وقل لهم يا محمّد إن كنتم حقاً تؤمنون

بالتوراة فلِمَ تقتلون أنبياء الله ؟! وقد حُرِّم ذلك في التوراة .

وفي هذه الآية دلالة على أن الإيمان بكتاب الله لا يصح إذا لم يحصل الإيمان بما سواه من كتب الله المنزلة ورسله السابقة .

قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ ﴿٩٢﴾

ضرب الله مثلاً لعناد اليهود وقلة بصيرتهم في الدين فإنهم حتى مع موسى وقد جاءهم بالبيّنات الدالة على صدقه ، والمؤيدة لنبوته ، كالعصا والطوفان واليد البيضاء وفلق البحر ، مع ذلك فإنهم ضلوا بعد هذه البينات واتخذوا العجل إلـهاً وعبدوه لمّا فارقهم موسى لميقات ربه وهو زمن قليل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ﴿٩٣﴾

أكّد سبحانه أن اليهود قد أخذ الميثاق عليهم بالإيمان والإعتراف بمحمّد ورسالته ، ولكن حب عبادة العجل مشرب في قلوبهم ، قل لهم يا محمّد : بئس الإيمان إيمانكم إن كان يأمركم بقتل الأنبياء والتكذيب لرسل الله وكتبه ، بل إن ذلك ليس من الإيمان ولا من التوراة ولكنه من بقايا نفوسهم المريضة المحبة لعبادة العجل .

قوله تعالى :

﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٩٤)

قل يا محمّد لليهود وأحبارهم إنْ كان ما تقولونه من أن الدار الآخرة عند الله خالصة وخاصة لكم ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى وإنّكم أبناء الله وأحباؤه ولا يعذبكم ، فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين ، لأن مَن اعتقد بأن الجنة له كان الموت أحب اليه من الدنيا ومتاعها . وهذا لا ينافيه ما روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال : لا يتمنينّ أحدكم الموت لضر نزل به ، ولكن ليقل : اللهم أحيني ما دامت الحياة خيراً لي وتوفّني ما كانت الوفاة خيراً لي . . فإن ذلك يوجه بالنهي عن الجزع وضرورة الصبر في المكاره .

قوله تعالى :

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٩٥)

أخبر أنهم لن يتمنّوا الموت أبداً بما قدمت أيديهم من المعاصي وقد ورد أنهم كفّوا عن تمني الموت ، وانهم لو تمنّوا الموت لماتوا . وقال ابن عباس : كان رسول الله (ص) يقول لهم إن كنتم صادقين في مقالكم فقولوا : اللهم أمتنا . فوالذي نفسي بيده لا يقولها رجل إلا غص بريقه فمات مكانه .

قوله تعالى :

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ

﴿لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾

ولتجدنّ يا محمّد هؤلاء اليهود أحرص الناس بل هم أحرص من غيرهم من المشركين والمجوس على البقاء في الحياة . وقسم منهم يود لو يعمّر ويبقى حي ألف سنة وما ذلك بمنجيه من عذاب الله . وقيل فيه اشارة إلى ما كان يتمنّا المجوس ويحيون به ملوكهم ويدعون به لمن يشاؤون بقولهم : عش ألف نورو وألف مهرجان .

وفي هذه الآية دلالة على أن الحرص على طول البقاء لطلب الدنيا فحسب مذموم ، وإنما المحمود طلب البقاء للتزود من الطاعات وتلافي الفائت بالتوبة والإنابة اليه والسعي بالأرض في الإصلاح والصلاح والعمل على نشر الحق وتثبيت دعائم الإسلام .

قوله تعالى :

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٩٧ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ۝٩٨﴾

قال ابن عباس : كان سبب نزول هذه الآية ما روي أن ابن صوريا وجماعة من يهود أهل فدك ، لمّا قدم النبي (ص) المدينة سألوه عن مسائل ودلالات ظهرت لهم فيها صفات الأنبياء ، وكانوا كلما أجابهم عن مسألة قالوا : صدقت ! ثم قال

ابن صوريا : خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك واتبعتك :

أي ملَك يأتيك بما ينزل الله عليك ؟

قال : فقال (ص) : جبريل .

قال : ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب ، وميكائيل ينزل باليسر ، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنا بك .

فنزل قوله تعالى : «قل» يا محمّد رداً على اليهود : مَن كان عدواً لجبريل فإنما نزل عليك بإذن الله لا من تلقاء نفسه . وإن كان نزل عليك فإنما أنزله الله عليك . ولا نفرق بين أحد من الملائكة . ويجب على المؤمنين موالاة وتقديس كافة رسل الله لا تفريق بينهم وإن عداوتهم عداوة لله سبحانه ، وإن الله عدو للكافرين .

قوله تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ ٩٩

لقد أنزلنا اليك يا محمّد آيات ، وهي جميع المعاجز . وقيل:القرآن خاصة وما فيه من الدلالات بيّنات واضحات ، ولا عذر فيها لمَن يريد آيات بيّنات . وما يكفر بها إلا الفاسقون عن أمر ربهم المتمردون في كفرهم .

قوله تعالى :

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٠٠

إخبار منه تعالى عن إصرار اليهود على نقض العهود التي أخذها الأنبياء عليهم بأن يؤمنوا بالنبي الأمي ، أو هي العهود التي كانت بين رسول الله وبين اليهود فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير ، عاهدوا أن لا يعينوا على النبي أحداً فنقضوا ذلك ، وأعانوا عليه قريشاً يوم الخندق .

قوله تعالى :

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

لمّا جاء اليهود المعاصرين لبعثة النبي محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم ، جاءهم محمّد مرسلاً من عند الله مصدقاً لما معهم من التوراة والإنجيل ، نبذه علماؤهم ورؤساؤهم وراء ظهورهم نبذوا التوراة لأنها جاءت بصفات محمّد ، ومصدقة لرسالته ؛ أو أنهم نبذوا القرآن وراء ظهورهم ، ولم يعملوا به كأنهم لا يعلمون أنه صدق وحق ، وكتموا ما علموا بغياً وعناداً ، أو كأنهم لا يعلمون ما عليهم من العقاب بفعلهم هذا . أو انزلوا أنفسهم منازل الجهّال الذين لا يعلمون .

قوله تعالى :

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ

مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾

عطف سبحانه على ما تقدم مَن نبذ فريق من اليهود لكتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلوا الشياطين ، سواء منهم مَن كان في زمن سليمان أم زمن محمّد ، أو هم جميعاً متّبعون لما تتلوا الشياطين وتكذب .

واختلف في الشياطين الذين عنتهم الآية ، فقيل : هم شياطين الجن . وقيل : هم شياطين الإنس المتمردون في الضلالة . وقيل : هم شياطين الجن والإنس ، حيث كانت الشياطين تكذب على ملك سليمان وعلى ما أُنزل على الملكين ، حيث كانت تروي عن سليمان ما يؤدي إلى الكفر ، وينسبان له السحر ، مدّعين أن ملك سليمان كان قائماً بالسحر ، فبرأه الله منه . وكان كفر الشياطين بما استخرجوه من السحر ، أو بما نسبوه إلى سليمان ، أو بما أشاروا اليه : إلى ما أدخره سليمان من الكتب الخاصة بفن السحر وجمعه لئلا يضل به الجاهلون .

« وما أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت » قيل: أن الذي أُنزل على الملكين هو وصف السحر ، وماهيته ، وكيفية الاحتيال به ، ليطّلعوا الناس على سحر الشياطين فيجتنبوه ، ويفرقوا بين السحر والمعجزة . أو هو بمعنى النفي ، فما كفر سليمان ولا أُنزل على الملكين سحر . وقيل : إن هاروت وماروت رجلان من عامة الناس ، أو أنهما من الشياطين .

واختلف في (بابل) : فقيل : هي بابل العراق ؛ لأنه تبلبلت بها الألسن . وقيل : هي بابل دوماند . وقيل : هي من نصيبين إلى رأس العين .

« وما يعلّمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر » أي : فلا تكفر بتعلّم السحر ، أو لا تكفر بالعمل بالسحر . « فيتعلّمون منهما» إما من الملكين أو من

السحر والكفر، «ما يفرقون به بين المرء وزوجه» اما بتزيين الكفر، فإذا كفر أحد الزوجين فارق زوجه ، أو بالسعي بالنميمة والوشاية حتى يؤول أمر الزوجين إلى الفرقة والمباينة . « ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق » أولئك هم اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم علموا لمن استبدل السحر بدين الله ما له في ثواب الآخرة من نصيب .

قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

إشارة لأولئك الذين يتعلّمون السحر ويعملون به . أو هم اليهود خاصة . لو أنّهم آمنوا بمحمّد والقرآن وصدّقوه ، واتقوا السحر والكفر وجميع المعاصي لأثيبوا ، وثواب الله خير لهم لو كانوا يعلمون . وفي هذه الآية أن أصحاب هذه الفنون والشعبذات هم جهلة لا يعلمون ما يصلحهم .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾

لمّا قدم سبحانه من نهي اليهود عن السحر ، عقّبه بالنهي عن إطلاق هذه اللفظة (راعنا) التي كانت اليهود تقولها استهزاءً برسول الله وانتقاصاً له ، أو سب بالعبرانية بمعنى : اسمع لا سمعت . وارشدهم والمسلمين إلى أن يقولوا : انظرنا التي هي بمعنى : انتظرنا نفهم ونتبيّن ما تقوله ، أو فقّهنا ، أو أقبل علينا بنظرك . ثم أكد سبحانه ضرورة الإستماع لما يأمركم به محمّد (ص) وما يأتيكم به . وللكافرين المنكرين لما جاء به محمّد والقرآن عذاب إليم موجع .

قوله تعالىٰ :

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

اخبار منه سبحانه عن الكفار من أهل الكتاب والمشركين بالله من عبدة الأوثان وأنهم لا يودون أن ينزل الله عليكم شيئاً من الخير الذي هو عند الله ، بغياً منهم وحسداً ، والله يختص برحمته مَن يشاء من عباده للنبوة والرسالة .

قوله تعالىٰ :

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾

قد تقدم ذكر النسخ وحقيقته وأقسامه عند المفسرين « ما نسخ من آية » قيل : ما نرفع من آية ، أوحكم الآية ، أو نبدّلها . « أو ننسها » إما بمعنىٰ النسيان والغياب عن الذهن ، أو بمعنى الترك والإعراض « نأت بخير منها أو مثلها » أي بخير منها لكم في التسهيل والتيسير ، كالأمر بالقتال الذي سهل على المسلمين بقوله تعالىٰ « الآن خفّف الله عنكم » . « أو مثلها » في السهولة كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد أن كان التوجه في الصلاة الىٰ بيت المقدس .

وقيل : نأت بخير منها في الوقت والزمان الثاني من باب المصلحة . وفي هذه الآية دلالة علىٰ أن القرآن محدث ، وأنه غير الله لأن القديم لا يصح نسخه .

قوله تعالى :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾

خطاب منه تعالى للنبي محمّد (ص) ، أوله ولأمته ؛ للتأكيد أن مرد الأشيا كلها اليه لأنه خالقها ومدبرها . وليس للإنسان من دون الله ـ أي : غير الله ـ مر ولي ولا نصير .

قوله تعالى :

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

قيل : إنها نزلت في أشخاص معينين . أو في عموم مشركي العرب الذير سألوا محمّداً ما لا يحق لهم . فمنهم من سأل أن يُنزّل عليهم كتاب من السماء . وتفجير الأنهار . ومنهم من سأل أن يرى الله جهرة ، ومنهم مَنْ اقتفى آثار من اشت في الطلب من أقوام الأنبياء السابقين . لذا قال تعالى في حقهم : أم تريدون أ تسألوا محمّداً ، ومن يفعل ذلك بعد ما وضحت له آيات الإيمان ، ودلائل صدق محمد صلّى الله عليه وآله ، ثم يصر على عناده ويطلب شروطاً ومعاجز أُخرى فق ضل سواء السبيل وانحرف عن الصراط المستقيم .

قوله تعالى :

وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً

حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾

نزلت في حيي بن أخطب وأخيه ياسر بن أخطب ، وقد دخلا على النبي (ص) حين قدم المدينة ، فلما خرجا قيل لحيي : أهو نبي ؟ قال هو هو ! فقيل : ما له عندك ؟ قال : العدواة إلى الموت . وهو الذي نقض العهد ، وأثار الحرب يوم الأحزاب . وقيل : هي في جماعة من اليهود ، أو كعب بن الأشرف حيث أخبر سبحانه عن سرائر اليهود فقال : « ودَّ » أي تمنّى . « كثير من أهل الكتاب » لو يردونكم يا معشر المؤمنين بعد إيمانكم بالإسلام والإيمان بمحمّد ، ودّوا أن تعودوا كفاراً حسداً منهم لكم على عظيم الثواب والخير الذي عرفوه معه للإيمان وأهله . أو حسداً لأن النبوة نزلت في غيرهم وزوال الرياسة منهم إليكم ، من بعد ما تبين لهم أن محمّداً رسول الله ، والإسلام دين الله الحق . ثم أمر تعالى بالصفح والعفو عن مؤاخذتهم والبطش بهم ،وأكثر الأقوال على أن هذه الاية منسوخة بآيات القتال وعدم الصفح عن المشركين إما بقوله : « قاتلوا الذين لا يؤمنون . . . » وإما بقوله : « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . . . » أو بقوله : « أذن للذين يقاتلون . . . » .

قوله تعالى :

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

لمّا أمر الله سبحانه المؤمنين بالصفح عن الكفار والتجاوز عنهم علم أنه يشق عليهم ذلك مع شدة عداوة اليهود وغيرهم لهم ، فأمرهم بالاستعانة على ذلك

بالصلاة والزكاة ، فإن في ذلك معونة لهم على الصبر .

قوله تعالىٰ :

وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾

حكى سبحانه نبذاً من أقوال اليهود ودعاواهم الباطلة بأنه لَن يدخل الجنة إلا مَنْ كان يهودياً ، كما قالت النصارى لَن يدخل الجنة إلا مَنْ كان نصرانياً ولكنها مجرد أماني كاذبة يتمنونها على الله ، فقل لهم يا محمّد : احضروا برهانكم إن كنتم صادقين في دعاواكم هذه . وفي الآية دلالة على جواز المحاججة في أمور الدين والعقيدة .

قوله تعالىٰ :

بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

ردّ منه سبحانه على مقالة مَن تقدم ذكرهم من اليهود والنصارى ودعاواهم ، وأن النجاة والسلامة والجنة ليست لهم كما يدعون بل هي لمَن أسلم وجهه وأخلص في توجهه لله تعالىٰ وتواضع واستسلم لأمر الله ، ومن أمر الله الإعتراف بالإسلام وهو محسن في عمله مؤمن مخلص فله أجره عند ربه .

قوله تعالىٰ :

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ

عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَـٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

قال ابن عباس : انه لما قدم وفد نصارىٰ نجران علىٰ رسول الله (ص) أتتهم أحبار اليهود فتنازعوا عند رسول الله (ص) ، فقال رافع بن حرملة : ما أنتم على شيء وجحد نبوة عيسىٰ وكفر بالإنجيل . فقال رجل من أهل نجران : ليست اليهود علىٰ شيء ، وجحد نبوة موسىٰ ، وكفر بالتوارة . فأنزل الله هذه الآية .

ثم بيّن سبحانه أن حال أهل الكتاب بالجهل بما في الكتب كحال المشركين من العرب وغيرهم ممّن لا كتاب لهم في إنكار الإسلام . وأنّ المشركين من غير أهل الكتاب كذلك ، قالوا لمحّمد وأصحابه : إنكم لستم علىٰ شيء . او أن مشركي العرب قالوا : إن جميع الأنبياء وأممهم لم يكونوا علىٰ شيء وكانوا على خطأ . فالله يحكم بينهم يوم القيامة . وحكمه تعالىٰ بأن يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار . او أن حكمه في الإنتصاف من الظالم المكذب بغير حجّة ولا برهان للمظلوم ، ويريهم مَن يدخل الجنة عياناً ومن يدخل النار عياناً .

قوله تعالىٰ :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَـٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾

قيل : أنها نزلت في الروم غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتىٰ أظهر الله المسلمين عليهم ، وقيل : في بخت نصر خرب بيت المقدس وأعانه عليه

النصارىٰ . أو هي في قريش حين منعوا رسول الله (ص) دخول مكة والمسجد الحرام ، كما انهم هدموا مساجد كان أصحاب رسول الله (ص) يصلّون فيها بمكة لمّا هاجر النبي إلىٰ المدينة . وفيها من العموم ما يشمل كل من منع مساجد الله وسعىٰ في خرابها بأي شكل : من الهدم ، وتعطيل العبادة والجماعة . وقوله « ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين » قيل : لما نزلت هذه الآية أمر النبي (ص) منادياً ألاّ يحجّن بعد العام مشرك ، ولا يطوفنّ بهذا البيت عريان ، فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك .

وقيل : انه حكم عام ، أنه ليس للمشركين دخول المساجد ، فإن دخل إلى بعض المساجد منهم أحد كان علىٰ المسلمين إخراجه منه ، ولا يجوز أن يمكن الكفار من المساجد .

قوله تعالىٰ :

﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ١١٥

قيل : نزلت بعد ان انكر اليهود تحويل القبلة عن بيت المقدس إلىٰ الكعبة ، وأنه سبحانه ليس في جهة دون جهة . وقيل : أنه كان للمسلمين التوجه حيث شاءوا في صلاتهم ، ثم نسخت بقوله تعالىٰ « فولِ وجهك شطر المسجد الحرام » بعد أن كان النبي (ص) قد اختار التوجه في صلاته لبيت المقدس فأمر بالتحول .

وقيل : أنها نزلت في صلاة النوافل يصلّيها المرء بالسفر إلى أي جهة كان ، كما هو المرويّ عن أئمتنا عليهم السلام .أما في الفرائض « فولّوا وجوهكم شطره » أي لا تصلّوها إلا إلىٰ الكعبة .

وقيل غير ذلك في أسباب النزول . « فأينما تولّوا فثمّ وجه الله » أي جهة الله ، ويُقصد بالعبادة ، أو أنه تعالى يعلم ويرىٰ فادعوه كيف توجهتم ، أو فثمّ الطريق المؤدي لرضوانه تعالىٰ .

﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ﴿١١٨﴾

قيل : هم النصارىٰ أو اليهود أو مشركوا العرب . وأنهم كانوا يتمادون في الجهل واللجاجة ، ويسيرون علىٰ منوال من سبقهم من الكفار ، حيث لم يقتصروا علىٰ ما ظهر لهم من المعاجز والآيات الدالة علىٰ صدق الأنبياء ، فتراهم يتجاهلونها ويطلبون أن يكلمهم الله ويخبرهم بأنك نبيّه . . أو هلّا يكلمنا كما كلّم موسىٰ (ع) وغيره من الأنبياء . « كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم » وهم اليهود ، حين طلبوا من موسىٰ أن يروا الله جهرة وأن يكلّمهم ، تشابهت قلوبهم بالكفر والعناد والإعتراض علىٰ الأنبياء . وأنّ فيما ظهر من الآيات الباهرات الدالة علىٰ صدقه صلّىٰ الله عليه وآله وسلم كفاية لمَن ترك التعنت والعناد .

قوله تعالىٰ :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿١١٩﴾

بيّن سبحانه تأييد نبيه محمّد (ص) بالحجج ، وبعثه بالحق ، وهو الإسلام والقرآن وأنك بشير لمَن اتبعك وصدقك بالثواب ونذير لمَن خالفك بالعقاب ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم ولا تؤاخذ بذنوبهم .

قوله تعالىٰ :

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ

قوله تعالىٰ :

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾

نزلت الآية في المسيح ، حيث قالوا : أن المسيح ابن الله . وقيل : نزلت فيهم وفي مشركي العرب حيث قالوا : الملائكة بنات الله . له ما في السموات والأرض والمسيح وغيره مخلوقون مملوكون كسائر المخلوقات . « كلٌ له قانتون » مطيعون شاهدون أنهم عبيده ، دالّون بصنعتهم على صانعهم .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالىٰ :

بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

بديع ، اي : مبدع ومخترع ، وهو لكل من أحدث شيئاً دون احتذاء ومثال وتقليد . فهو تعالىٰ منشىء السماء والأرض ومبدعها دون احتذاء من صنع خالق كان قبله . « وإذا قضىٰ أمراً » أي اذا فعل أمراً أو أراد إحداث أمر . وقد قيل في القضاء معان عشر ، فأمره في ذلك أن يقول له كن فيكون .

وفي هذه الآية دلالة علىٰ أنه سبحانه لا يجوز أن يتّخذ ولداً لأنه إذا ثبت أنه منشىء السماوات والأرض ثبت بذلك انه سبحانه ليس بصفة الأجسام والجواهر ؛ ومَن كان بهذه الصفة لم يجز عليه اتخاذ الولد . ولأنه سبحانه قد أنشأ عيسىٰ من غير أب من حيث هو مبدع الأشياء فجلّ عن اتخاذ الأبناء وتعالىٰ عن ذلك علواً كبيراً .

قوله تعالىٰ :

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ

هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾

وكانت اليهود والنصارىٰ يسألون النبي (ص) الهدنة ويدّعون أنه (ص) إن هادنهم وأمهلهم اتبعوه ، فآيسه الله من موافقتهم وأخبره : انهم لن يرضوا عنك حتىٰ تتبع ملتهم ودينهم . وقيل : ملتهم : قبلتهم . فقل يا محمّد لهؤلاء : أن هدىٰ الله ودينه الحق هو الدين الذي أنزله الله عليك في القرآن الكريم لا ما يدعيه اليهود والنصارىٰ .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالىٰ :

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢١﴾

قيل : أنها نزلت في أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر ابن أبي طالب من الحبشة ، وكانوا اربعين رجلاً ، اثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا . . وقيل: نزلت في جماعة ممن آمن من اليهود . وقيل : هي عامة في جميع من أُوتي كتاباً كاليهود والنصارىٰ والمسلمين .

« يتلونه حق تلاوته » أي يتبعون ما فيه ولا يحرفونه ويعملون بحلاله وحرامه . وقيل إن حق تلاوته : ـ كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام ـ الوقوف عند ذكر الجنة والنار ، يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار . وقيل إن حق تلاوته : يرتلون الفاظه ويفهمون معانيه .

« أولئك يؤمنون به » أي بالكتاب، أو بالنبي محمّد (ص) . ومَن يكفر به بعد هذه البينات فأولئك هم الخاسرون، في الدنيا يخسرون النصر والظفر ، وفي الآخرة يخسرون ما أعدّه الله للمؤمنين من نعيم الجنة .

قوله تعالى :

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢

هذه الآية الكريمة تقدم ذكرها برقم (٤٧) من سورة البقرة . وذكر المفسرون وجوهاً لتكررها هنا . فقالوا : انه تعالى كررها للتذكير بها ولحثّهم على الطاعة التي هي من آثار شكر النعمة . أو أن في تكريرها ابلاغاً في الحجة وتأكيداً للتذكر . وقد ورد مثل هذا التكرار في الآيات كما هو في سورة الرحمٰن في تعديد آلاء الله ونعمه ، وفي سورة المرسلات « ويل يومئذٍ للمكذبين » . وفيها من المباحث والفوائد ما لا يسع ذكره . وعن تفسيرها تُراجع الآية (٤٧) من هذه السورة .

قوله تعالى :

وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣

وهذه الآية الكريمة أيضاً قد تقدم ذكر مثلها برقم (٤٨) من سورة البقرة ، والكلام عنها كما في الآية السابقة .

قوله تعالىٰ :

وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾

الابتلاء يأتي بمعنى :الاختبار، والإمتحان ، والكمال ، والوفاء . وفي الآية : بمعنىٰ الإختبار ، ولكنه مجاز ؛ إذ أن الله تعالىٰ عالم بسريرة ابراهيم وعلانيته .

والكلمات التي امتحن الله بها ابراهيم اختلف فيها ؛ فقد روي عن الصادق عليه السلام : انه ابتلاه في نومه ، بطلب ذبح ولده اسماعيل ، ولما ظهر شدة إيمان ابراهيم وعزمه علىٰ تصديق الرؤيا بذبح ولده أثابه، بأن جعله للناس إماماً، ثم انزل الله عليه الحنيفية . وقيل : غير ذلك في الكلمات التي ابتلى الله بها ابراهيم، وأنها خصال التطّهر وتنظيف البدن . وقيل : أنها الإمامة . وقيل : أنها كلّما كلّفه الله به من الطاعات العقلية والشرعية . والآية محتملة لجميع هذه الأوجه .

كما ذكر الشيخ ابو جعفر بن بابويه رحمه الله في كتابه « النبوة » ان الكلمات التي ابتلىٰ الله بها ابراهيم هي عين الكلمات التي تلقاها آدم (ع) من ربه فتاب عليه وأنه سأل الله بحق محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين فتاب عليه ربه .

ثم دعا ابراهيم ربه أن يشمل بلطفه ورعايته ذريته فيشرفهم بالإمامة فأجاب الله دعاءه إلا الظالمين من ذريته فإنه استثناهم بقوله تعالىٰ « لا ينال عهدي الظالمين » أي لا يكون الظالم إماماً للناس .

واستدل الإمامية بهذه الآية علىٰ أن الإمام لا يكون إلا معصوماً عن القبائح . ومَن ليس بمعصوم قد يكون ظالماً لنفسه أو ظالماً لغيره . والآية مطلقة غير مقيدة بوقت دون وقت . فلا يكون الظالم إماماً وإنْ تاب فيما بعد .

قوله تعالى :

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

عطف على ما تقدم من ابتلاء ابراهيم ، وهي على ما قبلها . والبيت الذي جعله الله مثابة هو البيت الحرام ـ الكعبة ـ . وروي انه سمّي البيت الحرام : لأنه حُرّم على المشركين أن يدخلوه ؛ وسمّي الكعبة لأنها مكعبة الشكل .

« مثابة للناس » أي يثوبون إليه ويرجعون كل عام . وقد ورد في الخبر : أن من رجع من مكة وهو ينوي الحجّ من قابل زيد في عمره . وقيل معنى مثابة : أي أن الناس يثابون ببركات الحج . وقيل مثابة أي : ملجأ لهم ومعاذاً ومجتمعاً . وكلها معانٍ متقاربة .

« وأمناً » أي مأمناً ؛ لأن الله حكم على من عاذ به والتجأ إليه لا يخاف على نفسه ما دام فيه ، وكان قبل الإسلام يرى الرجل قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرض له . وهذا قد توارثوه من دين اسماعيل فبقوا عليه إلى أيام نبينا محمّد (ص) .

« واتخذوا من مقام ابراهيم مصلّى » قال ابن عباس : الحجّ كله مقام ابراهيم .

وقيل : مقام ابراهيم والمزدلفة والجمار .

وقيل : الحرم كله مقام ابراهيم .

وقيل : هي الصلاة عند مقام ابراهيم حيث أمرنا بالصلاة بعد الطواف . وهو أظهر الوجوه . وبه جاءت الروايات عن أهل البيت عليه السلام .

قوله تعالى :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

يعني بالبلد مكة . آمناً أي ذا أمن ، وقال ابن عباس : يريد حراماً محرماً لا يصاد طيره ولا يقطع شجره ولا يختلى خلاؤه . وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قوله يوم فتح مكة : إن الله تعالى حرّم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي ولا تحل لأحد من بعدي ، ولم تحل لي إلا ساعة من نهار .

كما أن في الآية أمر بتعظيم مكة وأن تؤمن ولا تهاج .

قوله تعالى :

وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾

بيان منه تعالى بكيفية بناء ابراهيم للبيت . فقد روي : قد كان آدم (ع) بناه ، ثم عفي أثره . فجدده ابراهيم (ع) . وهذا هو المروي عن أئمتنا عليهم السلام . كما أنهم رووا : أن أول من حجّ البيت آدم عليه السلام وأن أول من نطق بالعربية هو اسماعيل عليه السلام . وفي هذه الآية دلالة على أن الدعاء عند الفراغ من العبادة مرغوب فيه مندوب اليه ، كما فعله ابراهيم واسماعيل عليهما السلام .

وكان ابراهيم عليه السلام يبني واسماعيل يناول الحجر ، فوصفا بأنهما رفعا البيت وأنهما بنياه مسجداً لا مسكناً .

قوله تعالىٰ :

رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)

ذكر سبحانه تمام دعاء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بقولهما : ربنا واجعلنا مسلمين لك ، في مستقبل اعمارنا ، كما جعلتنا في الماضي . وثبّتنا على الدين موحدين مخلصين في عبادتنا ، واجعل من ذريتنا أمة مسلمة . وفيها اشارة وبشارة لأمة محمّد (ص) لأن الرسول الذي بعث من ذرية اسماعيل (ع) في مكة هو محمّد (ص) . « وأرنا منا سكنا » أي : عرفنا المواضع . وعقّبا ذلك بالدعاء بأن يتوب عليهما ، وهو تأدب منهما تجاه المولىٰ كما أن فيه دعاء وطلب التوبة لذريتهما المسلمين .

قوله تعالىٰ :

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)

وابعث فيهم : اشارة إلىٰ ذرية اسماعيل المسلمين الذين بعث الله فيهم رسولاً منهم وهو رسول الله محمّدبن عبدالله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم ، لما روي عنه (ص) انه قال : أنا دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسى عليهما السلام . يعني قوله تعالىٰ : « ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد » .

قوله تعالىٰ :

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾

لمّا بين سبحانه قصة ابراهيم وأن ملته ملة محمّد صلّى الله عليه وآله عقّبه بذكر الحث علىٰ اتباعها فقال : ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا مَن سفه نفسه . والسفاهة : الهلكة والضلال .

إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾

متصل بما سبق من قوله ولقد اصطفيناه . . واختلف في أنه متىٰ قيل له ذلك . . هل كان حين أفلت الشمس ورأىٰ ابراهيم تلك الآيات والأدلة ؟ أو بعد النبوة ؟ أو غير ذلك ؟ . . ومعنىٰ أسلم : استقم علىٰ الإسلام وأثبت على التوحيد.

قوله تعالىٰ :

وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

تأكيداً علىٰ اهتمام ابراهيم بأمر الدين وعهده الىٰ بنيه في وصيته . ووصىٰ بها أي : بالملة والدين ، أو بكلمة الإسلام .

وفي هذه الآية دلالة علىٰ الترغيب في الوصية عند الموت وحثّ الذرية علىٰ الدين والتقوىٰ .

قوله تعالىٰ :

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾

ردٌ منه تعالىٰ علىٰ مقالة اليهود إذ قالوا : إن يعقوب يوم مات أوصىٰ بنيه باليهود وأن ذلك كذب وافتراء منهم علىٰ يعقوب . وإنما أوصىٰ يعقوب بنيه بالثبات علىٰ عبادة الله فأقروا له انهم سيثبتون من بعده علىٰ عبادة إلهه وإله آبائه ، وهم علىٰ نهج من سبقهم من آبائهم وإن إلههم إله واحد . ونحن له مسلمون أي مذعنون مقرون بالعبودية ، أو منقادون مستسلمون لأمره ونهيه .

قوله تعالىٰ :

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

« تلك أُمة » أي جماعة ، قد مضت وهم ابراهيم وأولاده ، لها ما عملت من طاعة أو معصية ولا تسألون عمّا كانوا يعملون ، وانما يطالب كل انسان بعمله دون عمل غيره ، كما قال تعالىٰ : « ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرىٰ » .

وفي الآية دلالة علىٰ بطلان قول المجبرة أن الأبناء مؤاخذون بذنوب الآباء ، وأن ذنوب المسلمين تحمل علىٰ الكفار ، وأن ذلك منافٍ للعدالة والحق .

قوله تعالىٰ :

﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾

عن ابن عباس : أن عبدالله بن صوريا وكعب بن الأشرف ومالك ابن الضيف وجماعة من اليهود ونصارىٰ أهل نجران خاصموا أهل الإسلام،كل فرقة تزعم أنها أحق بدين الله من غيرها . فقالت اليهود : نبيّنا موسىٰ أفضل الأنبياء وكتابنا التوراة أفضل الكتب . وقالت النصارىٰ : نبيّنا عيسىٰ أفضل الأنبياء، وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب . وكل فريق منهما قالوا للمؤمنين المسلمين : كونوا علىٰ ديننا . أو أن اليهود والنصارىٰ خاطبوا النبي (ص) بهذه ودعوه الى اتّباع دينهم . لذا ردّ الله عليهم مقالتهم وأمر نبيّه محمّداً (ص) أن قل لهم : بل ملة ابراهيم ، أي : دين ابراهيم حنيفاً مستقيماً . وقيل في معنىٰ الحنيفية أربعة أقوال : منها أنها الحجّ لبيت الله . أو أنها إتباع الحق . أو أنها إتباع ابراهيم فيما أتىٰ به من شريعة ، من الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام . أو أن الحنيفية الإخلاص لله وحده في الإقرار بالربوبية والإذعان للعبودية . وكل هذه الأقوال ترجع الىٰ معنىٰ الإستقامة والميل إلى ما أتىٰ به ابراهيم عليه السلام من الملة : وما كان ابراهيم من المشركين كما اشرك اليهود والنصارىٰ حيث قالوا في الله ما يؤدي للشرك ونسبوا له البنين .

قوله تعالىٰ :

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ

﴿مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

خطاب للمسلمين ، او هو للنبي والمؤمنين ، حيث أمرهم الله باظهار ما تدينوا به على الشرع من الإيمان بالله وبرسله وكتبه وما أُنزل الينا وهو القرآن ، وما أُنزل إلى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط . قال قتادة : هم يوسف واخوته بنو يعقوب . ولد كل واحد منهم أُمة من الناس فسمّوا الأسباط . والأسباط واحدهم سبط . وقد ذكر اسماؤهم . والذي يقتضيه مذهبنا أنهم لم يكونوا انبياء بأجمعهم ، لأن ما وقع منهم من المعصية فيما فعلوا بيوسف (ع) لا خفاء به . والنبي عندنا معصوم من القبائح صغيرها وكبيرها . وليس في ظاهر القرآن ما يدل على أنهم كانوا أنبياء .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وروي عن أبي جعفر عليه السلام حين سئل : أكان ولد يعقوب أنبياء ؟ قال (ع) :لا ، ولكنهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلا سعداء ، تابوا وتذكروا ما صنعوا .

وان نؤمن بما إوتي موسى ـ التوراة ـ وعيسى ـ الإنجيل ـ ، وان لا نفرّق بين أحد منهم فنفعل كفعل اليهود والنصارى من كفرهم ببعض الأنبياء . ونحن له مسلمون بجميع ما تقدم ذكره ، مؤمنون بالله مقرّون بأنبيائه .

قوله تعالى :

﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾

لمّا نزلت الآية السابقة : قولوا آمنا بالله . . . قرأها النبي (ص) على اليهود

والنصارى ، فلما سمعت اليهود ذكر عيسى انكروا وكفروا ، وقالت النصارى إنّ عيسى ليس كسائر الأنبياء لأنه ابن الله . فنزلت الآية « فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا » إلى طريق الجنة « وإن تولّوا » وأعرضوا عن الإيمان وجحدوه فإنما هم في شقاق وخلاف حيث خالفوا الحق وتمسّكوا بالباطل فصاروا مخالفين لله وهو السميع لأقوالهم العليم بأعمالهم .

قوله تعالى :

صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾

صبغة الله أي : اتبعوا دين الله ، وما روي عن الصادق عليه السلام قال : يعني به الإسلام . وقيل : شريعة الله التي هي الختان . أو فطرة الله التي فطر الناس عليها . ومَن أحسن من الله ديناً وصبغةً .

قوله تعالى :

قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾

اختلف في محاجّتهم ، فقيل : كانت محاجتهم للنبي (ص) أنهم يزعمون ـ أي اليهود ـ أولى بالحق لتقدم النبوة فيهم والكتاب . وقيل : بل كانت محاجّتهم انهم قالوا نحن أحقُّ بالإيمان من العرب الذين عبدوا الأوثان ، وقيل : انهم قالوا يا محمّد إنّ الأنبياء كانوا منّا ، ولم يكن من العرب نبي ، فلو كنت نبياً لكنت منّا . وقالوا : نحن ابناء الله وأحباؤه . وقالوا : لن يدخل الجنة إلا مَن كان هوداً أو نصارى ، لذا خاطبهم الله تعالى : قل يا محمّد : اتحاجّوننا في الله وتخاصموننا ، وهو سبحانه خالقنا والمنعم علينا ، وخالقكم والمنعم عليكم ،

وهو ربنا وربكم ، وخالقنا وخالقكم ، فهو أعلم حيث يجعل رسالته ونبوته ، ونحن له مخلصون ، موحّدون ، ولا عيب علينا مما سبق من عبادة الأوثان اذ كنّا موحدين ، كما لا عيب عليكم بفعل مَن عبد العجل من اسلافكم .

وقد ذكر في الإخلاص معانٍ كثيرة ، فقد روي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قال : إن لكل حق حقيقة ، وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شيء من عمل الله . وقيل : الإخلاص أن تستوي أعمال العبد في الظاهر والباطن . وقيل : هو ما استتر من الخلائق واستصفى من العلائق . وقيل غير ذلك .

قوله تعالى :

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٤٠)

وفي هذا احتجاج عليهم في قولهم لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى . وفيه توبيخ منه تعالى لهم لتقوّلهم على الله وكتمهم الشهادة التي يعرفونها حيث أن الله بيّن لهم في كتبهم صحة نبوة محمّد (ص) والبشارة به ، أو أنهم كانوا يعلمون أن ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وأولاده كانوا حنفاء مسلمين ، فكتموا هذه الشهادة ، وادّعوا أنهم على دينهم . وفيه نهي عام عن كتمان الشهادة . وإن من أشد أنواع الظلم أن تكتم الشهادة وبذلك تطمس معالم الحق .

قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

قد مضى تفسير هذه الآية برقم (١٣٤) ، وقيل في وجه تكراره انه - اعني ابراهيم عليه السلام - في الاولى ذكر ومعه الأنبياء عليهم السلام ،وفي الثانية أسلاف اليهود . وقيل اذا اختلفت الأوقات والمواطن لم يكن التكرير معيباً . ووجه اتصال الآية بما قبلها انه يقول : إذا سلم لكم ما ادعيتم من أن الانبياء كانوا على دين اليهودية أو النصرانية فليس لكم فيه حجّة لأنه لا يمتنع اختلاف الشرائع بالمصالح فلله سبحانه أن ينسخ من الشرائع ما شاء ، ويقر ما شاء على حسب ما تقتضيه الحكمة .

وقيل:أن ذلك ورد مورد الوعظ لهم والزجر حتى لا يتكلوا على فضل الآباء والأجداد ، فإن ذلك لا ينفعهم إذا خالفوا أمر الله تعالى .

قوله تعالى :

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾

ذكر الله سبحانه الذين عابوا المسلمين بالانصراف عن قبلة بيت المقدس إلى الكعبة ، واُختلف في الذين قالوا ذلك . . فقيل : هم اليهود ، وقيل : هم مشركوا العرب. وأن رسول الله (ص) لما حُول إلى الكعبة من بيت المقدس قالوا : يا محمّد رغبت عن قبلة آبائك ثم رجعت اليها ، فلترجعنّ إلى دينهم . وقيل:المعني - بالسفهاء - هم المنافقون ، قالوا ذلك استهزاءً بالإسلام .

وأما الوجه والسبب في الصرف عن القبلة الأولى بيت المقدس إلى الكعبة فإنه تعالى أعلم بالمصالح ، ولما بيّنه سبحانه بقوله ﴿ لنعلم مَنْ يتّبع الرسول ممّن ينقلب على عقبيه وأينما تولوا فثمّ وجه الله ، قل لله المشرق والمغرب ﴾ يتصرّف فيها كيف يشاء على ما تقتضيه حكمته ، وان المواطن كلّها لله يشرف منها ما يشاء في كل زمان على ما يعلمه من مصالح العباد .

وعن ابن عباس : كانت الصلاة إلى بيت المقدس بعد مقدم النبي صلّى الله عليه وآله الى المدينة سبعة عشر شهراً .

وعن الصادق عليه السلام قال : تحوّلت القبلة الى الكعبة بعد ما صلّى النبي (ص) بمكة ثلاثة عشر سنة إلى بيت المقدس ، وبعد مهاجرته إلى المدينة صلّى إلى بيت المقدس سبعة أشهر ، قال : ثم وجهه الله إلى الكعبة ، وذلك أن اليهود كانوا يعيّرون رسول الله (ص) ويقولون له أنت تابع لنا تصلّي إلى قبلتنا فاغتم رسول الله (ص) من ذلك غماً شديداً وخرج في جوف الليل ينظر إلى آفاق السماء ينتظر من الله تعالى في ذلك أمراً . فلما أصبح وحضر وقت صلاة الظهر كان في مسجد بني سالم ، قد صلّى من الظهر ركعتين فنزل عليه جبرائيل (ع) فأخذ بعضديه وحوّله إلى الكعبة ، وأنزل عليه قوله تعالى : ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينّك قبلة ترضاها فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام ﴾ وكان صلّى ركعتين إلى بيت المقدس وركعتين إلى الكعبة . فقالت اليهود والسفهاء : ما ولّاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها ؟

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الثاني

من القرآن الكريم

قوله تعالىٰ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

بيانٌ منه سبحانه لفضل هذه الأمة على سائر الأمم . والوسط : العدل ، أو الخيار . ومعنىٰ شهداء علىٰ الناس ، أي : لتشهدوا علىٰ الناس بأعمالهم التي خالفوا فيها الحق في الدنيا أو الآخرة . أو لتكونوا حجّة علىٰ الناس فتبيّنوا لهم الحق والدين : ويكون الرسول عليكم شهيداً مؤدّياً للدين اليكم . سمّي الشاهد شاهداً لأنه يبيّن ، ولذلك يقال للشهادة بيّنة . ويكون الرسول عليكم شهيداً بما يكون من أعمالكم وحجة عليكم . ولما حوّلت القبلة إلىٰ الكعبة قال اناس : كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الأولىٰ ببيت المقدس فأنزل الله « وما كان الله ليضيع ايمانكم » .

وفي هذه الآية دلالة علىٰ جواز النسخ في الشريعة ووقوعه فيها .

قوله تعالىٰ :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ

وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

قال المفسرون كانت الكعبة أحبّ القبلتين إلىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فقال لجبرئيل : وددت أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلىٰ غيرها . فقال له جبرئيل (ع) انما أنا عبد مثلك وأنت كريم علىٰ ربك فادعُ ربك وسله . ثم ارتفع جبرئيل (ع) وجعل رسول الله (ص) يديم النظر إلىٰ السماء رجاء أن يأتيه جبرئيل (ع) بالذي سأل ربه ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية .

وقد روي في أسباب رغبة النبي (ص) في تحويل القبلة إلىٰ الكعبة لأن الكعبة كانت قبلة ابيه ابراهيم عليه السلام وقبلة آبائه ، ولأن اليهود عابوا علىٰ النبي والمسلمين ذلك وقالوا : يخالفنا في ديننا ويتبع قبلتنا .

وقيل في ذلك اسباب أُخرىٰ .

« فلنولينّك قبلةً ترضاها » أي تريدها وتحبّها . « فولِ وجهك شطر المسجد الحرام » ، « وحيثما كنتم » من الأرض في برٍ أو بحرٍ او سهلٍ او جبلٍ فولوا وجوهكم نحوه .

وإن الذين أُوتوا الكتاب من علماء اليهود والنصارىٰ ليعلمون أن تحويل القبلة إلىٰ الكعبة حق مأمور به من ربهم وأن ذلك جاء علىٰ لسان انبيائه من البشارة بمحمدٍ (ص) وصفاته . ومن صفاته أن يصلّي إلىٰ القبلتين ، وما الله بغافل عمّا يعملون من كتمان الحق والمعاندة ، وهذه الآية ناسخةٌ لفرض التوجه إلىٰ المقدس .

وقال ابن عباس : أول ما نسخ من القرآن فيما ذُكر لنا شأن القبلة .

واختلف الناس في صلاة النبي (ص) إلىٰ بيت المقدس . فقال قوم : كان عليه السلام يصلّي بمكة إلىٰ الكعبة ، فلما هاجر إلىٰ المدينة أمره الله تعالى أن يصلّي إلىٰ بيت المقدس . إلا أنه كان يجعل الكعبة بينه وبينها ولا يصلّي في غير المكان الذي يمكنه من التوجه الى الكعبة وبيت المقدس في آن واحد[1] . وقال قوم : بل كان يصلّي بمكة والمدينة إلى بيت المقدس إلىٰ أن أمره الله بالتحوّل إلىٰ الكعبة .

قوله تعالىٰ :

وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

وفي الكلام معنىٰ القَسَم ، أي والله لأن أتيت اهل العناد من علماء اليهود والنصارىٰ بكل حجّة ودلالة تُثبت صدق دعواك ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم ، وفيها بيان عن عدم احتمال تغيير القبلة بعد اليوم إلىٰ المقدس وفيها حسم لأطماع أهل الكتاب من احتمال عودة النبي في التوجه لقبلتهم بيت المقدس . وما بعضهم بتابع قبلة بعض لأن اليهود يتوجهون لبيت المقدس والنصارىٰ يتوجهون إلىٰ جهة المشرق الموضع الذي وُلد فيه عيسىٰ عليه السلام .

---

(١) ويمكن مناقشة هذا الرأي بملاحظة سكنىٰ النبي (ص) مدة الحصار في شعب أبي طالب حيث تكون الكعبة عند استقباله لبيت المقدس خلف ظهره ، أو الى أحد جانبيه من الخلف بما لا يحصل له استقبالها قطعاً . ثم إن موقع المدينة بين مكة وبيت المقدس لا يسمح باستقبالهما معاً .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ١٤٦

أي أن الكتابيين يعرفون النبي (ص) وصحة نبوّته وأنه حق من ربهم وأنهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ، وأن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ، وفي ذلك استثناء لبعضهم الذي أسلم وآمن واعترف بالحق وبما جاءت به الكتب في محمد (ص) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ١٤٧

الإمتراء : الإستخراج أو الإستدرار . . الحق من ربك: أي إن ما أتاك من الله من الوحي والكتاب والشرائع حق من ربك فلا تكن من الشاكين في الحق والخطاب للأمة عامة .

قوله تعالى :

﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ١٤٨

وفي هذه الآية بيان لأمر القبلة أيضاً . « ولكل وجهة » ورد في معناها وجوه منها : ان معناه لكل اهل ملة من اليهود والنصارى قبلة ، أو أن لكل نبي وصاحب ملة وجهة وطريقة ، وهي الإسلام ، وإن اختلفت الأحكام . أو بمعنى أن لكل من

المسلمين واهل الكتاب قبلة يصلّون اليها ، أو أن لكل قوم من المسلمين وجهة كان منهم وراء الكعبة أو قدامها أو عن يمينها أو عن شمالها .

« هو موليها » أي أن الله موليها اياها وأمرهم بالتوجه اليها في صلاته « فاستبقوا الخيرات » بالمسارعة اليها ، أو بادروا لقبول ما يأمركم الله به ، معناه ، تنافسوا فيما رغبتم فيه من الخير .

« اينما تكونوا يأتِ بكم الله جميعاً » أي حيثما متم من بلاد الله يأت بكم إلى المحشر يوم القيامة . وروي في أخبار اهل البيت (ع) أن المراد أصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان .

قوله تعالى :

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾

تأكيد على وجوب التوجه الى الكعبة وأن التوجه إليها هو الحق من ربك المأمور به منه تعالى . وقيل:في معنى الحق الثابت الذي لا يزول ولا يحتمل بعد النسخ .

قوله تعالى :

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ

وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

قد مضى الكلام في معنى أول الآية وقيل في تكراره وجوه : منها أن المعنى مختلف وإن اتفق اللفظ ، لأن المراد بالأول « من حيث خرجت » منصرفاً عن التوجه الى بيت المقدس فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام . . والمراد بالثاني : أين ما كنت من البلاد فتوجه نحوه من كل جهات الكعبة وسائر الأقطار . . ومن وجوه التكرار : انه يفيد التأكيد ليثبت قلوب المؤمنين بعد النسخ ، ولئلا يكون للناس عليكم حجة ، ولأن أهل الكتاب يقولون ليس هذا هو النبي المبشر به ، إذ أن من صفاته أن يصلّي إلى قبلتين ، لذلك أكّد تعالى صلاة رسوله والمسلمين إلى قبلتين ، ولئلا يعدل المسلمون عن قبلتهم التي أمرهم بالتحوّل إليها لما يلاقونه من حجة أهل الكتاب وغيرهم من المعاندين . وإن هذا التكرار فيه حجة وبرهان ، ينتفع بها كل من عرفها « إلا الذين ظلموا منهم » فانهم يكتمون ما عرفوا « فلا تخشوهم واخشوني » ولا تخافوهم ولا تلتفتوا إلى ما يكون منهم ، فإن عاقبة السوء عليهم « ولأتم نعمتي عليكم » بهدايتي إياكم إلى قبلة ابراهيم عليه السلام « ولعلكم تهتدون » إلى ثوابها أو الى التمسك بها .

قوله تعالى :

كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾

التزكية : هي الطهارة والنماء والقدس ، والحكمة العلم الذي يتوصل به إلى الأفعال المستقيمة .

وفي الاية تذكير بأن في بعثة الرسول منكم اليكم نعمة عليكم لأنه يحد
لكم به عزّ الرسالة . والرسول هو نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلم . ويزكي
لأنه يدعوكم لما تكونون به أزكياء بطاعة الله واتباع مرضاته . ويعلّمكم الكت
والحكمه في القرآن الكريم وقيل : الكتاب القرآن ، والحكمة هي السنة النبوي
، ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون ، مما لا سبيل لكم لمعرفته بغير الرجوع للرس
والتعلّم منه فيكون ذلك من تمام نعم الله سبحانه التي يجب شكرها .

قوله تعالىٰ:

فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

الذكر حضور المعنىٰ للنفس ويكون بالقلب ويكون بالقول وبكليهما
واذكروني بالطاعة اذكركم بالرحمة والمعونة على الطاعة . . واذكروني بالشـ
اذكركم بالزيادة . . وقيل : اذكروني في النعمة والرخاء أذكركم في الشـ
والبلاء . . واشكروا لي : أي : اشكروا نعمتي وأظهروها واعترفوا بها . .
تكفرون وتتسترون علىٰ نعمتي بالجحود والنكران .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ

يخاطب سبحانه عباده المؤمنين بحبس النفس عمّا تشتهيه من المنكرا
وحملها علىٰ ما تنفر منه من الطاعات . ولهذا المعنىٰ أشار أمير المؤمنين علي
السلام بقوله : [الصبر صبران،صبر علىٰ ما تكره ، وصبر عمّا تحب] . والاستعا
بالصلاة لما فيها من الذكر والخشوع لله تعالىٰ وتلاوة القرآن الذي يتضمن ذك
الوعد والوعيد والهدىٰ والبيان . وهذا مما يدعو للحسنات ويزجر عن السيئات

وأن الله مع الصابرين في كل طاعة ، وفي كل جهاد ، سواء كان جهاداً للأعداء أم للنفس والهوىٰ والشهوات ويؤيّده قوله تعالىٰ « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » .

قوله تعالىٰ :

وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

السبيل : الطريق ، وسبيل الله طريق مرضاته وثوابه . وعن ابن عباس أنها نزلت في قتلىٰ بدر من المسلمين . وقد قتل في موقعة بدر أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار . . . ومعناها عام لجميع من يقتل في سبيل الله تعالىٰ .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقوله تعالىٰ « بل أحياءٌ » جاء فيها أقول منها : إنهم أحياء لما نالوه من جميل الذكر والثناء . وقيل : هم احياء بالطاعة والهدىٰ . وقيل : إن المشركين كانوا يقولون إن أصحاب محمّد يقتلون انفسهم في الحروب بغير سبب ويموتون ويذهبون ، فأعلمهم الله أنه ليس الأمر علىٰ ما قالوا وأنهم سيحيون يوم القيامة ويثابون . . أو أنهم أحياء إلىٰ يوم القيامة .

« ولكن لا تشعرون » أي لا تعلمون أنهم أحياء بهذه المعاني .

وفي هذه الآية دلالة علىٰ صحة مذهبنا في سؤال القبر وإثابة المؤمن فيه وعقاب العصاة .

قوله تعالىٰ :

وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾

« ولنبلونكم » أي نختبركم ليظهر أمركم من الصدق في العقيدة والثبات عند المكاره . وفيها حثّ للمؤمنين ليوطنوا انفسهم على المكاره التي تلحقهم من الكفار والمعاندين . وفي ذلك من المصالح ما لا يخفى . « وبشّر الصابرين » أي أخبرهم بما لهم من الصبر على تلك المشاق والمكاره ومن الفائدة للكفار لأنهم إذ عاينوا إصرار المسلمين وثباتهم رغم ما بهم من المكاره فإن ذلك يكشف للكفار عن صدق الإسلام ونبيّه وإلا لما تفانى المؤ منون بهذا الشكل وتحمّلوا كل تلك المصاعب والمصائب . كما أن في ذلك ثواب عظيم للصابرين وأجر جزيل وحسن الثناء على مدى الأجيال وتعاقب الدهور .

قوله تعالى :

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾
أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

وصفاً منه سبحانه للمؤمنين الصابرين وأنهم إذا أصابتهم مصيبة أو نكبة في النفس او المال وطنوا أنفسهم على ذلك احتساباً للأجر عند الله ، وقالوا : إنا لله وانا إليه راجعون ، اقراراً بالعبودية لله واعترافاً بالبعث والعود اليه سبحانه .

وفي الحديث مَنْ استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه . . وروى الصادق عليه السلام عن جده رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم قال : أربع مَن كنّ فيه كتبه الله من أهل الجنة : مَن كانت عصمته شهادة أن لا إله إلا الله ، ومَن اذا أنعم الله عليه النعمة قال : الحمد لله ، ومَن اذا أصاب ذنباً قال : استغفر الله ، ومَن اذا اصابته مصيبة قال : إنا لله وإنا اليه راجعون .

ثم بشّر عباده الصابرين بأن عليهم جزاء استقامتهم وصبرهم عند المكاره

صلوات من ربّهم ، أي ثناء جميل من ربّهم وتزكية وبركات ومغفرة ورحمة وأُولئك هم المهتدون المصيبون طريق الحق والهداية وهو طريق الجنة . وفيها حثّ ودعوة لعموم المسلمين .

قوله تعالىٰ :

إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

لمّا ذكر سبحانه امتحان العباد بالتكليف والإلزام مرة ، وبالمصائب والآلام أُخرىٰ ذكر سبحانه أن من جملة ذلك أمر الحجّ .

« إن الصفا والمروة من شعائر الله » وتقديره الطواف بين الصفا والمروة من شعائر الله وأنهما من أعلام متعبداته ومواضع نسكه وطاعته .

« فمَن حجّ البيت » أي قصده بالأفعال المشروعة . « أو اعتمر فلا جناح عليه » أي لا حرج عليه أن يطوّف بهما .

قال الصادق عليه السلام : كان المسلمون يرون أن الصفا والمروة مما ابتدع أهل الجنة ، فأنزل الله هذه الآية .

وأنه كان علىٰ الصفا صنم يقال له إساف ، وعلىٰ المروة صنم يقال له نائلة ، وكان المشركون اذا طافوا بهما مسحوهما ، فلهذا تحرّج المسلمون عن الطواف بين الصفا والمروة لأجل الصنمين ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية « ومَن تطوّع خيراً » قيل فيها وجوه :

منها : أن يتبرع بالطواف والسعي بعد أداء الواجب .

ومنها : أن معناه مَن تطوّع بالحج والعمرة بعد الحجّ والعمرة المفروضتين .

أو : مَن تطوّع بالخيرات والمبرّات وانواع الطاعات .

« فإن الله شاكر عليم» وفي هذه الآية دلالة على أن السعي بين الصفا والمروة عبادة ، ولا خلاف في ذلك ، وهو عندنا فرض واجب في الحجّ والعمرة . وكذلك عند الشافعي واصحابه . وعندنا وعند الشافعي مَنْ تركه متعمداً فلا حجّ له . وعند أبي حنيفة وأصحابه هو تطوّع . كما روي ذلك عن أنس وابن عباس .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾

المعني بالآية : اليهود والنصارىٰ الذين كتموا أمر محمّد (ص) ونبوته وهم يجدونه مكتوباً في التوراة والإنجيل ، كما أنها تتناول كل مَنْ كتم ما أنزل الله من امر او نهي أو حكم .

وفيها حثّ منه سبحانه علىٰ وجوب اظهار الحق وبيانه ونهي عن اخفائه وكتمانه . والبيّنات : الحجج المنزلة في الكتب التي تحمل الهدىٰ للناس . وجاء الكتمان بعد علمهم وبيان الله تعالىٰ في التوراة والإنجيل من صفة النبي (ص) والأحكام التي يأتي بها .

« أُولئك يلعنهم الله » أي يبعدهم من رحمته ويوجب لهم العقوبة . « ويلعنهم اللاعنون » من الملائكة والمؤمنين وغيرهم .

وروي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال : من سُئل عن علم يعلمه فكتمه أُلجمَ يوم القيامة بلجام من نار .

قوله تعالىٰ :

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٦٠)

استثنىٰ سبحانه مَن تاب واصلح وبيّن ، واخرجهم من جملة مَنْ استحق اللعنة اذ أن اُولئك ندموا علىٰ ما قدموا ، وأصلحوا نيّاتهم وبيّنوا ما كتموه من البشارة بمحمّد (ص) ورسالته .

وفيها وعد منه سبحانه بقبول توبة التائبين وانه لا يردّ تائباً .

قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (١٦١) ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ (١٦٢)

لما بيّن سبحانه حال مَنْ كتم الحق وحال مَنْ تاب منهم ، عقبه بحال مَن يموت مِن غير توبة مِن اليهود والنصارىٰ أو مِن الكفار جميعاً ، أي ماتوا مصرّين علىٰ الكفر أُولئك عليهم لعنة الله أي عقاب الله والبعد عن رحمته خالدين فيها أي دائمين في اللعنة والعذاب « لا يخفّف عنهم العذاب ولا هم يُنظر ون » أي لا يمهلون للإعتذار ولا يؤخر عنهم العذاب .

قوله تعالىٰ :

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٦٣)

قيل في أسباب النزول : إن كفار قريش قالوا : يا محمّد صف لنا وانسب لن
ربك . فأنزل الله هذه الآية ، وسورة الإخلاص « قل هو الله أحد . . .
والمعنى : وإلهكم أي خالقكم والمنعم عليكم بالنعم التي لا يقدر عليها غير
والذي لا يستحق العبادة غيره . « إله واحد » هي من صفاته سبحانه ، وأنّه ليس
بذي أبعاض ، ولا يجوز عليه الإنقسام ، ولا يحتمل التجزئة ، كما أنه واحد لا
نظير له ولا شبيه . كما انه سبحانه واحد في الالهية واستحقاق العبادة وأنه واحد في
صفاته التي يستحقها لنفسه ولا يشاركه فيها غيره .

قوله تعالى :

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَٰفِ الَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّا
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ
الرِّيَٰحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ (١٦٤)

لمّا أخبر الله سبحانه الكفار بأن الههم إله واحد، قالوا ما الدليل على ذلك؟
فقال الله سبحانه : « إنّ في خلق السماوات والأرض » أي في انشائهما على سبيل
الإختراع « واختلاف الليل والنهار » في الجنس واللون والطول والقصر . ثم عدّ
سبحانه جملة من آيات قدرته ودلائل عظمته وجسيم نعمه على عباده . وأن في
ذلك وغيره لآيات وحجج ودلالات لقوم يعقلون .

وفي هذه الآية دلالة على وجوب النظر والاستدلال وأن ذلك هو الطريق الصحيح إلى معرفته . وفيها بيان لما يجب فيه النظر والاجتهاد ، ويبطل فيه التقليد والإتباع .

قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ
لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

« ومن الناس » أي بعض الناس مَنْ يتخذ من دون الله أنداداً كآلهتهم من الأوثان والأصنام أو رؤسائهم الذين يطيعونهم كطاعة الأرباب ، كما روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : هم أئمة الظلمة وأشياعهم .

قوله تعالى :

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ
الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا
تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم
بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾

لمّا ذكر الذين اتخذوا الأنداد ذكر سوء حالهم في المعاد فقال سبحانه إذ تبرأ

الذين أُتبعوا وهم القادة والرؤساء مِن المشركين ، تبرأوا من الذين اتبعوهم . ورأى التابعون والمتبوعون العذاب وتقطّعت بهم الأسباب ، مِن التواصل والرحمية والعهود التي كانت بينهم والأعمال التي كانوا يعملونها في شركهم ويظنون أنها توصلهم إلى النجاة ، وتمنّوا أن تكون لهم كرة وعودة إلى الدنيا فيعلنون تبرءهم من أولئك القادة والرؤساء . كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ، وهي المعاصي التي عملوها أو الطاعات التي لم يعملوها وضيّعوها .

وروي عن أبي جعفر عليه السلام انه قال : هو الرجل يكتسب المال ولا يعمل فيه عملاً صالحاً ، فيرىٰ الأول ما كسبه حسرةً في ميزان غيره وما هم بخارجين من النار .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالىٰ :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾

عن ابن عباس انها نزلت في ثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج ، لما حرموا علىٰ أنفسهم من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة فنهاهم الله عن ذلك .

وأن الله سبحانه لما قدم ذكر التوحيد واهله والشرك وأهله عقّبه بذكر ما تتابع منه سبحانه علىٰ الفريقين مِن النعم والإحسان . ثم حذّرهم ونهاهم عن اتباع الشيطان لما في ذلك من الجحود لنعمه والكفران . مع أن الآية خطاب لعموم المكلفين مِن بني آدم .

وفي هذه الآية دلالة علىٰ اباحة المأكل إلا ما دل الدليل علىٰ حرمته .

قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ١٦٩

تعقيب على النهي عن متابعة الشيطان وأنه يدعو لمخالفة الدين ويأمر بالمعاصي . والسوء:ما يسوء صاحبه ويضره . والفحشاء:قيل المراد به الزنا . « وأن تقولوا علىٰ الله ما لا تعلمون » مِن دعوىٰ أن لله انداداً وشركاء ، وجميع المذاهب الفاسدة والإعتقادات الباطلة .

قوله تعالىٰ :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ ١٧٠

قال ابن عباس:أن النبي (ص) دعا اليهود إلىٰ الإسلام فقالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم منّا . فنزلت هذه الآية . وقيل : إنها نزلت في كفار قريش . وأن الواجب اتباع الدليل دون اتباع الهوىٰ .

قوله تعالىٰ :

﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ١٧١

ضرب الله مثلاً للكفار في تركهم اجابة مَن يدعوهم إلىٰ التوحيد والهدىٰ واصرارهم علىٰ التقليد فهم كالبهائم ، فكما أن البهائم لا تفهم وانما تسمع الصوت مِن الراعي دون أن تفهم المعنىٰ . . ومثلك يا محمّد في هؤلاء ومثلهم

معك كالأنعام المنعوق بها . والناعق : الراعي الذي يكلّمها وهي لا تعقل .

وقيل : إن المعنى : مثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام كمثل الراعي في دعائه الأنعام بتعال وما جرى مجراه مِن الكلام ، ولأن البهائم تسمع الدعاء وان لم تفهم معناه ، والأصنام حتى السماع لا يحصل لها .

« صمٌ بكمٌ عميٌ » أي هؤلاء الكفار صمٌ عن استماع الحجة ، بُكمٌ عن التكلم ، عُميٌ عن الأبصار ، فهم لا يعقلون . . أي هم بمنزلة مَن لا عقل له ، إذ لم ينتفعوا بعقولهم .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾

« كلوا من طيّبات ما رزقناكم » فيها دعوة للأكل من الحلال مع ملاحظة الاكل وقت الحاجة . والطيّبات : ما تستلذّونه وتستطيبونه من الرزق . وفيها نهي عن أكل الخبث . . واشكروا لله نعمه من التنبيه على أكل الطيبات وترك الخبائث .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾

بعد ذكر اباحة الطيبات عقبه تعالىٰ بتحريم المحرمات ، « الميتة » : هو ما يموت من الحيوان . « وما أهل به لغير الله » ما ذكر عليه غير اسم الله ، أو ذبح لغير الله . « فمن اضطر غير باغ ولا عادٍ » الىٰ أكل شيء ممّا حرم عليه ، وخاف علىٰ النفس من الجوع ، ولا يجد مأكولاً يسد به الرمق .

وقيل في الباغي والعاد ، أي ؛ غير باغ للذة . ولا عادٍ ومتعدٍ سدّ الجوع إلى أكثر منه . وقيل غير ذلك .

« فلا إثم عليه » أي : لا حرج عليه في سد الحاجة دون التعدي .

قوله تعالىٰ :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾

المعني بهذه الآية : عموم أهل الكتاب . وإن قيل انها موجهة إلىٰ بعض علماء اليهود ككعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وكعب بن أسد وكانوا ينالون من سفلتهم الهدايا ويرجون كون النبي منهم ، فلمّا بُعث محمّد (ص) من غيرهم خافوا زوال مملكتهم ، فغيّروا صفة ما أنزل الله في كتبهم في حق خاتم الأنبياء .

قوله تعالىٰ :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾

« أولئك » اشارة إلى مَنْ تقدم ذكرهم ، وهم أهل الكتاب ، أو علماؤهم « الذين اشتروا الضلالة بالهدىٰ » أي : استبدلوا الكفر بالنبي (ص) بالإيمان به . فصاروا بمنزلة مَنْ يشتري السلعة بالثمن . والمراد بالضلالة : كتمان أمر النبي وعدم التصديق به ، وهو طريق ضال يجرّهم نحو العذاب ؛ وعافوا الهدىٰ الذي هو التصديق بمحمّد واتباع شرعته التي هي طريق الثواب والجنة . « فما أصبرهم علىٰ النار » أيّ شيء أجرأهم علىٰ النار ، وأعمَلَهم اعمال أهل النار ، وأبقاهم علىٰ الضلال الذي هو الطريق الىٰ النار مع وضوح طريق الهدىٰ والجنة وقدرتهم علىٰ التحول اليه .

قوله تعالى :

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

ذلك الحكم الذي حكم فيهم أو حلّ بهم من العذاب والضلال معلوم لهم ،قد أنزل الله الكتاب بالحقّ ، وأن الذين اختلفوا في الكتاب من الكفار الذين تباينت اقوالهم في القرآن ، فمنهم مَنْ قال : هو كلام السحرة ، ومنهم من قال : كلام بليغ تعلمه . . أو أن المعني بالذين اختلفوا في الكتاب من اليهود والنصارى اختلفوا في التأويل والتنزيل وحرّفوا الكتاب وكتموا ما فيه من صفات النبي محمّد (ص) . . كما أنهم بينهم اختلفوا في كتبهم حيث جحدت اليهود الانجيل والقرآن وجحدت النصارىٰ التوراة والقرآن ، وكلهم في شقاق بعيد عن الصواب والحق لشهادة كل واحدٍ بضلال صاحبه .

قوله تعالى :

لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ

مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ
وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ
إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ
صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

قيل في أسباب النزول : لما حوّلت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة وكثر الخوض في نسخها وصار كأنه لا يراعى بطاعة الله إلا التوجه للصلاة فأنزل الله هذه الآية . . وقيل : نزلت في اليهود والنصارى حيث بيّن سبحانه أن البر كله ليس في الصلاة فقط ، بل حتى يضاف اليها غيرها من الطاعات وأولها الإيمان بالله واليوم الآخر والتصديق بالبعث والقيامة والحساب والثواب والعقاب وبالملائكة والكتب المنزلة على الأنبياء ، والنبيين ومكانتهم ، وأنهم معصومون مطهّرون صادقون في دعواتهم . . ثم عدد سبحانه جملة من الأعمال ـ اعمال البر والخير والإحسان وصلة الرحم وغيرها مما تقرب العبد من ربه وتمهّد له طريق الجنة وجزيل المثوبة .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ
بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ

بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾

نزلت هذه الآية في حيّين من العرب لأحدهما طول على الآخر ، وكانوا يتزوجون النساء بغير مهور ، وأقسموا لنقتلنّ بالعبد منّا الحر منهم ، وبالمرأة منّا الرجل منهم ، وبالرجل منّا الرجلين منهم ، وجعلوا جراحاتهم على الضعف من جراح أولئك حتى جاء الإسلام فأنزل الله هذه الآية .

ولما بيّن سبحانه أن البر لا يتم إلا بالإيمان والتمسك بالشرائع بيّن الشرائع وبدأ بالدماء والجراح فقال :

« يا أيها الذين آمنوا كُتب عليكم » أي : فرض عليكم وواجب ، أو كتب عليكم المساواة في أن يفعل بالقاتل مثل ما فعل بالمقتول ، وهو في القتل العمد ، إذ هو الذي يجب فيه القصاص ، ولا قصاص في الخطأ أو شبه العمد .

قوله تعالى :

وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾

بيان منه سبحانه لوجه الحكمة في إيجاب القصاص « ولكم في القصاص حياة » لأن من همّ بالقتل وفكر بالجريمة فتذكر القصاص وأنه سيُقتل اذا قتل ارتدع فكان ذلك سبباً للحياة .

وقيل : أن معناه : لكم في عقوبة القتل بالقتل حياة لأنه لا يقتل إلا القاتل دون غيره ، وهو بخلاف ما يفعله أهل الجاهلية في أخذ الثأر وقتل غير القاتل .

« يا أولي الألباب » أي : يا ذوي العقول ، لأنهم هم الذين يعرفون العواقب ويبصرون ذلك .

« لعلّكم تتقون » أي لتتقوا جريمة القتل ، أو لطمعكم بالتقوى تتجنّبون المعاصي والجرائم .

قوله تعالى :

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾

ثم بيّن سبحانه شريعة أُخرى وهي الوصية ، أي فرض عليكم « إذا حضر أحدكم الموت » أي : أسباب الموت من مرض أو هرم .

« إن ترك خيراً الوصية » أي ترك مالاً فلا بد من الإيصاء للوالدين والأقربين بالمعروف وان ذلك حقاً واجباً على المتقين .

وروي عن النبي (ص) أنه قال : مَنْ مات بغير وصية مات ميتة جاهلية .

وعنه (ص) انه قال : مَنْ لم يحسن وصيته عند موته كان نقصاً في مروءته وعقله .

وروي عن أبي عبدالله انه قال : ما ينبغي لأمريءٍ مسلم أن يبيت إلا ووصيته تحت رأسه .

قوله تعالى :

فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

نهي منه عن تغيير الوصية ، « فمَنْ بدّله » أي بدل الوصية وغيرها من الأوصياء أو الأولياء او الشهود بعد ما سمعوه من الموصي الميّت فإثم التبديل على مَن يبدّل الوصية أو الشهادة .

قوله تعالى :

فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

الجنف : الجور والميل عن الحق .. وهو استثناء من الوعيد السابق والنهي عن التغيير ، وأن اجراء الصلح بالحق ليس من التبديل المذموم .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بيانٌ منه سبحانه لفريضة أُخرى من الفرائض .. « كُتب عليكم الصيام » أي : فُرض عليكم الصيام .. « كما كُتب على الذين من قبلكم » من الأُمم الذين فُرض عليهم صيام ايام من السنة دون لحاظ عددها أو موعدها .. أو أنه تعالى فُرض عليها صيام شهر رمضان كما فُرض صوم شهر رمضان على النصارى إلا إنهم لما كان يتفق ذلك في الحر الشديد والبرد الشديد فحولوه إلى الربيع وزادوا في عدده .. فالمراد بمَن كان قبلكم النصارى ، أو هم عموم أهل الكتاب من اليهود والنصارى .. « لعلكم تتقون » أي لكي تتقوا المعاصي بفعل الصوم .

قوله تعالى :

أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ

خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾

« اياماً معدودات » أي معلومات محصورات .. وقيل : معناها : قلائل .

« فمَن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أُخر » وتقديره فمَن كان منكم مريضاً أو مسافراً ، فالذي ينوب مناب صومه عدة من أيام أُخر وفيه دلالة على ان المسافر والمريض يجب عليهما الإفطار ، لأنه سبحانه أوجب القضاء بنفس السفر والمرض .. وقد ذهب إلى وجوب الإفطار في السفر جماعة من الصحابة : كعمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن عوف وابي هريرة وعروة بن الزبير وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام . فقد روي أن عمر بن الخطاب امر رجلاً صام في السفر أن يعيد الصوم ، وروى يوسف بن الحكم قال : سألت ابن عمر عن الصوم في السفر فقال : أرأيت لو تصدقت على رجل صدقة فردّها عليك ألا تغضب ؟ فإنّها صدقة من الله تصدّق بها عليكم .. وروى عبد الرحمن بن عوف قال : قال رسول الله صلّى عليه وآله : الصائم في السفر كالمفطر في الحضر .. وعنه (ص) ؛ قال : من سافر أفطر وقصّر إلا أن يكون رجلاً سفره إلى صيدٍ أو في معصية الله .

« وعلى الذين يطيقونه فدية » وفيه ثلاثة أقوال :

أولها : انهم سائر الناس مخيّرون بين الصوم أو الكفارة عن كل يوم بإطعام مسكين ، ثم نسخ الحكم بالتخيير بقوله تعالى : « فمَنْ شَهِدَ منكم الشهرَ فليصمه » وأصبح الصوم واجباً على كل مَن يطيقه ، ولا تقبل الفدية إلا مع العذر .

وثانيها : أن التخيير للحوامل والمراضع والشيخ الفاني ، ثم نسخ من الآية الحامل والمرضع وبقي الشيخ .

وثالثها : أن معناه وعلى الذين كانوا يطيقونه ثم صاروا لا يطيقونه فعليهم فدية ، مدّ عن كل يوم .

« فدية طعام مسكين » اُختلف في مقدار الفدية .. وعندنا إن كان قادراً فمدّان ، فإن لم يقدر أجزأه مدٌّ واحد ، وهو ثلاثة ارباع الكيلو تقريباً .

« فمَن تطوّع خيراً فهو خير له » أي : بالتطوع بزيادة الاطعام . . .

« وأن تصوموا خير لكم » أي : صومكم خير لكم من الإفطار والفدية وهذا مع جواز التخيير والفدية ، وقد تقدم أنه منسوخ ، وبعد النسخ فلا يجوز أن يقال : الصوم خير من الفدية مع أن الإفطار لا يجوز أصلاً . وقيل : معناه « وأن تصوموا خير لكم » هو لمَن أفطر بالعجز كالشيخ - والشيخة ، وان جاز له الإفطار واعطاء الفدية ولكن مع الطاقة الصوم خير لكم وافضل ثواباً من الفدية .

قوله تعالىٰ :

شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾

« شهر رمضان » وهو الأيام المعدودات التي تقدم ذكرها . . وشهر رمضان خصّه الله بالفضائل ، ومنها أن الله أنزل فيه القرآن ، حيث قيل : أن الله أنزل جميع القرآن في ليلة القدر إلىٰ السماء الدنيا ، ثم أنزل بعد ذلك علىٰ النبي (ص) نجوماً في طول عشرين سنة . . وقيل : أنّ الله تعالىٰ ابتدأ إنزال القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان . . وقيل : إنّه كان يُنزّل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ما يُحتاج اليه في تلك السنة جملة واحدة ، ثم ينزل ارسالاً في الشهور والأيام

وروىٰ الثعلبي باسناده عن أبي ذر الغفاري عن النبي (ص) انه قال : أُنزلت

صحف ابراهيم لثلاث مضين من شهر رمضان ، وفي رواية الواحدي في أول ليلة منه ، وأُنزلت توراة موسى لست مضين من شهر رمضان ، وأُنزل انجيل عيسى لثلاث عشر ليلة خلت من رمضان ، وأُنزل زبور داود لثماني عشرة ليلة مضت من رمضان ، وأُنزل الفرقان على محمّد لأربع وعشرين من شهر رمضان .

وقيل : المراد بقوله « أُنزل فيه القرآن » انه أُنزل في فرضه وايجاب صومه على الخلق ، كما يقال انزل الله في الزكاة كذا يريد فرضها ووجوبها .

« هدىً للناس » أي هادياً ودالاً على ما كلّفوه من العلوم .

« وبيّنات من الهدى » أي دلالات من الهدى . . وقيل المراد بالهدى الأول من الضلال وبالثاني بيان الحلال والحرام .

« والفرقان » مما يفرق به بين الحق والباطل .

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام انه قال : القرآن جملة الكتاب والفرقان الحكم الواجب العمل به .

« فمَنْ شَهِد منكم الشهر فلْيَصمه » قيل في معناه : أي مَنْ شهد منكم المصر وحضر ولم يكن غائباً وقت حلول شهر رمضان فليصمه . ومَنْ سافر فليفطر . .

وقيل في معناه : مَنْ شاهد منكم الشهر ، وهو مكلف ومقيم فليصمه .

« ومَنْ كان مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أُخر » قد مضى تفسيره في الآية المتقدمة .

وروى أبو بصير قال : سألت أبا عبدالله عن حدّ المرض الذي على صاحبه فيه الافطار ؛ قال : هو مؤتمن عليه مفوّض اليه فإن وجد ضعفاً فليفطر ، وإن وجد قوة فليَصُم ، كان المرض على مَن كان .

وأما السفر الذي يوجب الإفطار عندنا فما كان مباحاً وطاعة وكانت المسافة

ثمانية فراسخ ، اربعة وعشرون ميلاً . . وعند الشافعي ستة عشر فرسخاً . . وعند أبي حنيفة أربعة وعشرون فرسخاً .

واُختلف في العدة من الأيام الأُخر ، فقال الحسن وجماعة هي على التضييق إذا برىء المريض أو قدم المسافر . . وقال أبو حنيفة موسّع فيها . . وعندنا موقت فيها بين رمضانين ،وتجوز متتابعة ومتفرقة والتتابع أفضل ، فإن فرّط حتى لحقه رمضان آخر لزمه الفدية والقضاء ، وبه قال الشافعي .

« يريد الله بكم اليسر » أي في الرخصة للمريض والمسافر ، إذ لم يوجب سبحانه الصوم عليهما « ولا يريد بكم العسر » أي التضييق عليكم « ولتكملوا العدة » أي لتتموا عدة ما أفطرتموه أيام السفر والمرض بالقضاء « ولتكبّروا الله على ما هداكم » المراد به تكبير ليلة الفطر ، أو تكبير يوم الفطر ، وهي التكبيرات لصلاة العيد . . وقيل : المراد به ولتعظموا الله على ما أرشدكم من شرايع الدين ، ولتشكروا الله على نعمه .

قوله تعالى :

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

روي عن الحسن أن سائلاً سأل النبي (ص) أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه ؟ فنزلت الآية .

وقال قتادة : نزلت جواباً لقوم سألوا النبي كيف ندعو ؟

قال ابو عبيدة : معناه فليجيبوني فيما دعوتهم اليه .

وقال المبردوالسراج : فليذعنوا للحق بطلب موافقةما أمرتهم به ونهيتهم عنه .

وقال مجاهد : فليستجيبوا لي بالطاعة ، وقيل:فليدعوني .

وروي عن النبي (ص) : أعجز الناس من عجز عن الدعاء ، وأبخل الناس من بخل بالسلام .

« وليؤمنوا بي » أي ليصدقوا بجميع ما أنزلته ، وروي عن أبي عبدالله أنه قال : « وليؤمنوا بي » أي وليتحققوا أني قادر على اعطائهم ما سألوه. فإن قيل: نحن نرى كثيراً من الناس يدعون الله فلا يجيبهم ، فما معنى قوله تعالى : « أجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ » ؟

وجوابه : أنه ليس أحد يدعو الله على ما توجبه الحكمة إلا أجابه الله . فإن الداعي اذا دعاه يجب أن يسأل ما فيه صلاح له في دينه ولا يكون فيه مفسدة له ولا لغيره .

ويؤيد ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري قال : قال النبي (ص) : ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم إلا أعطاه الله بها أحد خصال ثلاث : إما أن يعجّل دعوته ، وإما أن يؤخّر له في الآخرة ، وأما أن يدفع عنه من السوء مثله .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : ربما أخرت عن العبد اجابة الدعاء ليكون أعظم لأجر السائل وأجزل لإعطاء الأمل .

وقيل لابراهيم بن أدهم : ما بالنا ندعو الله سبحانه فلا يستجيب لنا ؟ فقال : لأنكم عرفتم الله فلم تطيعوه ، وعرفتم الرسول فلم تتبعوا سنته ، وعرفتم القرآن فلم تعملوا بما فيه ، وأكلتم نعمة الله فلم تؤدوا شكرها ، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها ، وعرفتم النار فلم تهربوا منها ، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه ، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له ، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم ، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس .

قوله تعالى :

أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

روى علي بن ابراهيم بن هاشم عن أبيه ، رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال : كان الأكل محرماً في شهر رمضان بالليل بعد النوم . وكان النكاح حراماً بالليل والنهار في شهر رمضان . وكان رجل من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله يقال له مطعم بن جبير ، وكان شيخاً ضعيفاً ، وكان صائماً ، فأبطأت عليه أهله بالطعام فنام قبل أن يفطر ، فلما انتبه قال لأهله : قد حرم عليّ الأكل في هذه الليلة ، فلما أصبح حضر حفر الخندق ، أغمي عليه ، فرآه رسول الله فرقّ له ، وكان قوم من الشباب يقربون نساءهم بالليل سراً في شهر رمضان بظن أنه حرام . . فأنزل الله تعالى هذه الآية وبيّن فيها سبحانه وقت الصيام الشرعي وما يتعلق به من الأحكام .

و « الرفث » الجماع ، وهو كل ما يراد من النساء . . وقيل: المراد بليلة الصيام : استحباب مقاربة النساء في أول ليلة من شهر رمضان ، والأقرب انه

تعالىٰ أراد اباحة النكاح في كافة ليالي الشهر .

« هنّ لباس لكم » اي سكن لكم تلابسوهنّ وتخالطوهنّ بالمساكنة .

« علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم » بالجماع في الليل والأكل في الليل بعد النوم .

« فتاب عليكم » أي قبِلَ توبتكم أو رخّص لكم وأزال التشديد عنكم .

« الخيط الأبيض من الخيط الأسود » أي النهار من الليل . فأول النهار طلوع الفجر الثاني، وقيل:بياض الفجر من سواد الليل ، وقيل:بياض أول النهار من سواد آخر الليل .

« ثم أتمّوا الصيام الىٰ الليل » أي من وقت طلوع الفجر الثاني وهو الفجر الصادق إلىٰ وقت دخول الليل وهو سقوط الحمرة من جانب المشرق واقبال السواد منه .

« ولا تباشروهنّ وانتم عاكفون في المساجد » أي معتكفون . والاعتكاف لا يصح عندنا إلا في أحد المساجد الأربعة : المسجد الحرام ومسجد النبي (ص) ومسجد الكوفة ومسجد البصرة ، وعند سائر الفقهاء يجوز في سائر المساجد . ولا يصح الاعتكاف عندنا إلا بصوم،وبه قال أبو حنيفة ومالك ، وعند الشافعي يصح بغير صوم ، وعندنا لا يكون إلا في ثلاثة أيام وعند أبي حنيفة يوم واحد وعند مالك عشرة أيام لا يجوز أقلّ منه وعند الشافعي ما شاء ولو ساعة واحدة .

وفي الآية دلالة علىٰ تحريم المباشرة في الاعتكاف ليلاً ونهاراً .

« تلك حدود الله » أي حرمات الله،وما منع الله فلا تقربوها بالمخالفة .

قوله تعالىٰ :

وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟

فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

ثم بيّن سبحانه شريعة من شرائع الاسلام عطفاً على ما تقدم من بيان الحلا والحرام . ومعناها أن لا يأكل بعضهم مال بعض بالغصب والظلم والوجو المحرمة . وفيها معنىً آخر أيضاً بالنهي عن صرف المال وأكله باللهو واللعب والقمار والملاهي .

وروي عن أبي جعفر عليه السلام : أنه يعني بالباطل : اليمين الكاذب يقتطع بها الأموال .

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : كانت قريش ، يقامر الرجل في أهله وماله فنهاهم الله . والأولى حمله على الجميع لأن الآية تحتمل الكل .

ثم نهى سبحانه بالقاء الأموال إلى القضاة والحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالاثم وبشهادة الزور « وأنتم تعلمون » ان ذلك المال جاءكم ليس من طريق الحق .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : علم الله أنّه سيكون في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق فنهى الله تعالى المؤمنين أن يتحاكموا إليهم ، وهم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق .

قوله تعالى :

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾

روي أن معاذ بن جبل قال: يا رسول الله إن اليهود يكثرون مساءلتنا عن الأهلّة فأنزل الله هذه الآية .

وقال قتادة : انهم سألوا رسول الله لِمَ خُلقت هذه الأهلة فأنزل الله هذه الآية فهي بيان لشريعة أُخرىٰ من الشرائع .

وسؤالهم عن الأهلّة ـ أي عن احوالها وزيادتها ونقصانها ووجه الحكمة في ذلك فقل لهم يا محمد : هي مواقيت للناس والحج ، حيث يحتاجها الناس في مواقيتهم وصومهم وفطرهم وعدة نسائهم وحلول ديونهم وحجهم . ووجه الحكمة في نقصانها وزيادتها ما تعلق بذلك من مصالح الدين والدنيا .

وفي الآية دليل واضح علىٰ أن الصوم لا يثبت بالعدد وانه يثبت بالهلال لأنه سبحانه نص علىٰ أن الأهلّة هي المعتبرة في المواقيت .

ثم قال تعالىٰ « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » حيث قيل : ان المحرمين كانوا لا يدخلون بيوتهم من أبوابها ولكنهم كانوا ينقّبون في ظهر بيوتهم أي في مؤخّرها نقباً يدخلون ويخرجون منه فنُهوا عن ذلك . . وقيل : أن معناه ليس البر أن تأتوا البيوت من غير جهاتها ، وينبغي اتيان الأُمور من جهاتها ؛ أو طلب المعروف من غير أهله .

وقال النبي (ص) : أنا مدينة العلم وعلي بابها ولا تؤتىٰ المدينة إلا من بابها .

وقال أبو جعفر عليه السلام : آل محمّد أبواب الله ووسيلته والدعاة إلىٰ الجنة والقادة اليها ، والأدلّاء عليها إلىٰ يوم القيامة .

قوله تعالىٰ :

وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في صلح الحديبية . وذلك أن رسول الله (ص) لما خرج هو وأصحابه في العام الذي أرادوا فيه العمرة ، وكانوا ألف واربعمائة ، فساروا حتى نزلوا الحديبية ، فصدّهم المشركون عن البيت الحرام ،فنحر والهدي بالحديبية، ثم صالحهم المشركون على أن يرجع (ص) من عامه ويعود في العام القابل ، ويخلّوا له مكة ثلاثة أيام ، فيطوف بالبيت ويفعل ما يشاء . فرجع إلى المدينة من فوره . فلما كان العام المقبل تجهز النبي (ص) وأصحابه للعمرة ، وخافوا ألاّ تفي لهم قريش بذلك ، وان يصدوهم عن البيت الحرام ويقتلونهم . وكره رسول الله قتالهم في الشهر الحرام في الحرم ، فأنزل الله هذه الآية .

وروي انها أول آية نزلت في القتال . فلما نزلت كان رسول الله (ص) يقاتل مَن قاتله ويكف عمّن كفّ عنه حتى نزلت « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » فنسخت هذه الآية . وقيل غير ذلك .

وروي عن أئمتنا (ع) أن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى « كفّوا أيديكم وأقيموا الصلاة » .

قوله تعالى :

وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾

نزلت بسبب رجل من الصحابة قتل رجلاً من الكفار في الشهر الحرام فعاب المؤمنين بذلك . فبيّن سبحانه أن الفتنة في الدين ، وهو الشرك ، أعظم من قتـ

المشركين في الشهر الحرام ، وان كان غير جائز .

وقد بيّن سبحانه في هذه الآية كيفية القتال مع الكافرين « واقتلوهم » أي الكفار ، « حيث ثقفتموهم » أي وجدتموهم « واخرجوهم من حيث أخرجوكم » من مكة ، « والفتنة أشد من القتل » أي شركهم بالله وكفرهم بالنبي أعظم من القتل في الشهر الحرام . . وسمّي الكفر فتنة لأن الكفر يؤدي الى الهلاك كما أن الفتنة تؤدي إلى الهلاك . . وفي الآية دلالة على وجوب اخراج الكفار من مكة .

قوله تعالى :

فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾

« فان انتهوا » أي امتنعوا من كفرهم بالتوبة منه . . وفيه دلالة على انه سبحانه يقبل توبة القاتل عمداً لأنه بيّن عز اسمه أنه يقبل توبة المشرك ، والشرك أعظم من القتل .

قوله تعالى :

وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى الظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾

الدين : هو الإذعان والطاعة والإسلام يجمعها . . حيث بيّن سبحانه الغاية من وجوب القتال « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » أي لا يبقى شرك وحتى تكون الطاعة والانقياد لأمر الله تعالى ، وحتى لا يبقى الكفر ، وليظهر الاسلام على الأديان كلها . .

« فإن انتهوا » وأذعنوا للاسلام فلا عقوبة ولا عدوان عليهم وانما العقوبة

بالقتل على الكافرين المصرّين .

وقيل : إنَّ هذه الآية ناسخة للآية الأولى التي تضمّنت النهي عن القتال في المسجد الحرام حتى يبدأوا بالقتال فيه لأن فيها ايجاب قتالهم على كل حال إلى أن يدخلوا في الإسلام .

وقيل : إنَّ الآية السابقة غير منسوخة كما قدمنا .

قوله تعالى :

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)

ثم بيّن حكم القتال في الشهر الحرام فقال : « الشهر الحرام بالشهر الحرام » والمراد بها : ها هنا : ذو القعدة وهو شهر الصدّ عام الحديبية ، والأشهر الحرم أربعة ، ثلاثة متصلة ذو القعدة وذو الحجّة والمحرم ، وواحد فرد وهو رجب . كانوا يحرمون فيها القتال ، حتى لو أن رجلاً لقي قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له بسوء . . وانما قيل : ذو القعدة لقعودهم فيه عن القتال .

ونراد بالحرمات حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام . .

« فمَن اعتدى عليكم » أي ظلمكم فجازوه باعتدائه ، وقابلوه بمثله . .

« واتقوا الله » فيما أمركم به ونهاكم عنه « واعلموا أن الله مع المتقين » بالنصرة لهم . . وفي هذه الآية دلالة على أن مَن غصب شيئاً وأتلفه يلزمه رد مثله .

قوله تعالى :

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ

اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

لما أوجب سبحانه القتال في سبيل الله عقّبه بذكر الانفاق فيه . ومعناه : وانفقوا من أموالكم في الجهاد وطريق الدين وكل ما أمر الله به من الخير وأبواب البر فهو سبيل الله لأن السبيل هو الطريق . . فسبيل الله : الطريق إلى الله ، وإلى رحمته وثوابه ؛ إلا أنه كثر استعماله في الجهاد لأن الجود بالنفس أقصى غاية الجود .

« ولا تُلقوا بأيديكم إلى التهلكة » وفي معناها وجوه :

منها لا تهلكوا انفسكم بأيديكم بترك الانفاق في سبيل الله فيغلب عليكم العدو .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أو : لا تركبوا المعاصي باليأس من المغفرة .

أو : لا تقتحموا الحرب بلا قدرة على الدفاع .

أو : لا تسرفوا في الانفاق . . وقيل غير ذلك . .

والأولى حملها على جميع هذه الوجوه ولا تنافي فيها .

وفي هذه الآية دلالة على تحريم الإقدام على ما يُخاف منه على النفس ، وعلى جواز ترك الأمر بالمعروف عند الخوف ، لأن في ذلك إلقاء النفس إلى التهلكة .

وفيها دلالة على الصلح مع الكفار والبغاة اذا خاف الإمام على نفسه أو على المسلمين ، كما فعله رسول الله (ص) عام الحديبية ، وفعله أمير المؤمنين (ع) في صفين ، وفعله الحسن (ع) مع معاوية من المصالحة لمّا تشتت أمره وخاف على نفسه وشيعته .

فإن عورضنا بأن الحسين (ع) قاتل وحده فالجواب أن فعله يحتمل وجهين : احدهما: انه ظنّ انهم لا يقتلونه لمكانه من رسول الله (ص) والآخر أنه غلب على ظنه أنه لو ترك قتالهم قتله الملعون ابن زياد صبراً كما فعل بابن عمّه مسلم بن

عقيل فكان القتل مع عزّ النفس والجهاد أهون عليه .

قوله تعالىٰ :

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

بيّن سبحانه فرض الحجّ والعمرة علىٰ العباد بعد بيانه فريضة الجهاد . .

« وأتمّوا الحجّ والعمرة » أي أتمّوها بمناسكها وحدودها « لله » أي اقصدوا ب التقرب . والعمرة واجبة عندنا مثل الحجّ واختلف فيها غيرنا « فإن أُحصرتم » منعكم خوف أو عدو أو مرض أو منعكم حابس قاهر فعليكم ما سهل من الهدي أردتم الإحلال من احرامكم . والهدي جزور أو بقرة أو شاة ، وأيسرها الشاة « تحلقوا رؤوسكم » أي لا تحلّوا من احرامكم حتىٰ يذبح الهدي . « فمَنْ كان منـ مريضاً أو به أذىً من رأسه » يحتاج فيه إلىٰ الحلق أُبيح له الحلق بشرط الفدية قيل نزلت في كعب بن عجرة . .

ثم بيّن أن حكم البعيد من الحرم وهم مَن لم يكن حاضري المسجد الحر فحجّهم حجّ تمتع، وحدّهم مَن كان علىٰ اثني عشر ميلاً من كل جانب إلىٰ مكة فوق . ومَنْ لَم يجد الهدي ولا ثمنه فعليه صيام ثلاثة أيام في الحجّ وهي : يوم ق

التروية ويوم التروية ويوم عرفة ، وإن صام في أول العشر جاز ذلك ، وسبعة أيام اذا رجعتم إلى بلادكم . تلك عشرةٌ كاملة .

روى معاوية بن عمّار عن الصادق (ع) أن رسول الله (ص) أقام بالمدينة عشر سنين لم يحجّ ثم أُنزل عليه « وأذّن في الناس . . » فأمر المؤذّنين أن يؤذّنوا بأعلى أصواتهم بأنّ رسول الله يحجّ من عامه هذا .

قوله تعالى :

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾

الرَفَثُ أصله في اللغة:الإفحاش في النطق ، وقيل:الرفث الجماع ، والفسوق:الخروج من الطاعة ، والجدال:المنازعة والمشاجرة والمخاصمة ، واللّب:العقل ، ومعلومات أي أنّ أشهر الحج معلومات مؤقتات لا يجوز فيها التبديل والتقديم والتأخير . وأشهر الحج عندنا شوال وذو القعدة وعشرٌ من ذي الحجّة « فمَنْ فرض فيهن الحجّ » أي أوجبه على نفسه وأحرم بالحجّ فلا يجوز له الرَفَث وهو الجماع أو التعرض بمداعبة أو مواعدة ، ولا فسوق وهو الكذب والمعاصي كلها ، ولا جدال وهو قول : (لا والله) و (بلى والله) صادقاً أو كاذباً أو السباب والإغضاب واللجاجة .

قوله تعالى :

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ

﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾ ﴿١٩٨﴾

قيل : كانوا يتأثمون ويتحرجون من التجارة في الحج فرفع الله الحرج عمن يتجر في الحج . وفي هذا تصريح بالإذن في التجارة .

وقيل : كان في الحج أجراء ومكارون وكان الناس يقولون أنْ لا حجّ لهم فبيّن سبحانه أنه لا إثم ولا حرج على الحاج في أن يكون أجيراً لغيره .

« فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام » وفيها دلالة على ان الوقوف بالمشعر الحرام فريضة واذكروه واشكروه بالثناء على نعمته عليكم بالهداية « وإن كنتم من قبله لمِنَ الضالين » عن النبوة والشريعة فهداكم الله .

قوله تعالى :

﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ﴿١٩٩﴾

إن المراد به الإفاضة من عرفات وأنه أمر لقريش وحلفائها وهم الحُمس لأنهم كانوا لا يقفون مع الناس بعرفة ، ولا يفيضون منها ، ويقولون نحن أهل حرم الله ، فلا نخرج منه ، وكانوا يقفون بالمزدلفة ويفيضون منها . فأمرهم الله بالوقوف بعرفة والإفاضة منها كما يفيض الناس .

وقيل : المراد بالإفاضة هنا: الإفاضة من المزدلفة الى منى يوم النحر وأن المعني بالناس هو ابراهيم عليه السلام واسماعيل (ع) واسحاق (ع) ومَنْ بعده من الأنبياء عليهم السلام .

قوله تعالىٰ :

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ٢٠٠﴾

فإذا أدّيتم مناسككم وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم آباءكم . . فقد روى الباقر (ع) أنهم كانوا إذا فرغوا من الحجّ يجتمعون هناك ويعدّون مفاخر آبائهم ومآثرهم ويذكرون أيامهم القديمة وأياديهم الجسيمة ، فأمرهم الله أن يذكروه مكان ذكرهم آباءهم ، وإن كانت لهم عليهم أيادٍ ونعم ، فنِعَم الله عليهم أعظم بأن يذكروا نِعَم الله ويعدّوا آلاءه ويشكروا نعماءه .

وقيل معناه : واستغيثوا بالله وافزعوا اليه كما يفزع الصبي إلىٰ أبيه في جميع أموره ويلهج بذكره .

ثم بيّن سبحانه أن الناس في تلك المواطن أصناف فمنهم مَنْ يسأل نعيم الدنيا ولا يسأل نعيم الآخرة لأنه غير مؤمن بالبعث « وما لَه في الآخرة من خَلاق » أي نصيب من الخير الموفور .

قوله تعالىٰ :

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ٢٠١﴾

لمّا ذكر سبحانه دعاء من سأله من أمور الدنيا في تلك المواقف الشريفة عقبه

بما يسأله المؤمنون فيها من الدعاء الذي يرغب فيه .. وهم الذين يطلبون نعيم الدنيا والآخرة .

وروي عن أبي عبدالله عليه السلام : أنها السعة في الرزق والمعاش وحُسن الخُلق في الدنيا ورضوان الله والجنة في الآخرة .

وروي عن النبي (ص) أنه قال : من أُوتي قلباً شاكراً ولساناً ذاكراً وزوجة مؤمنة تُعينه على أمر دنياه وآخرته فقد أُوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار .

قوله تعالى :

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٢٠٢)

أي حظ من كسبهم باستحقاقهم الثواب عليه اشارة للمؤمنين الذين امتدح الله دعاءهم حين قالوا « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » وسيُحاسبون أسهل حساب وأسرعه .

قوله تعالى :

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٠٣)

هذا أمر من الله للمكلفين أن يذكروه في أيام معدودات وهي أيام التشريق ثلاثة أيام بعد النحر . والذكر المأمور به أن تقول التكبيرات المعروفة عقيب الظه

قوله تعالى :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (٢٠٦)

بيان منه تعالى لصفة مَنْ تقدم من المنافقين . أي : واذا قيل لهذا المنافق اتقِ الله فيما نهاك عنه اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم أي كفاه عقوبةً عن ضلاله واصراره عليه أن يَصْلى جهنم وبئس المهاد .

وفي هذه الآية دلالة على أن مَنْ تكبّر عن قبول الحق اذا دُعي إليه كان مرتكباً أعظم كبيرة .

وقال ابن مسعود : ان من الذنوب التي لا تغفر أن يقال للرجل: اتقِ الله فيقول: عليك نفسك .

قوله تعالى :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢٠٧)

روى السدي عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب (ع) حين هرب النبي (ص) عن المشركين الى الغار ونام علي على فراش النبي (ص) ونزلت الآية بين مكة والمدينة . وروي انه لمّا نام على فراشه قام جبرائيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ، وجبرائيل ينادي : بخ بخٍ مَنْ مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة .

وقال عكرمة : نزلت في أبي ذر الغفاري جندب بن السكين وصهيب ابن سنان .

من يوم النحر وصورتها :

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر . الله أكبر ولله الحمد الله أكبر علىٰ ما هدانا والحمد لله علىٰ ما أولانا والله أكبر علىٰ ما رزقنا من بهيمة الأنعام .

« فمَنْ تعجّل في يومين فلا إثمَ عليه » أي أن الله رخّص في جواز النفر في اليوم الثاني من أيام التشريق . والأفضل أن يقيم الىٰ النَفر الأخير وهو الثالث من التشريق . فلا إثم عليه لمَنْ اتقىٰ الصيد إلىٰ انقضاء النَفر ، أما مَنْ لم يتقِ الصيد وارتكب مخالفة الصيد فمضافاً لما وجب عليه من الكفارات لا يجوز له النَفر من منىٰ يوم الثاني عشر بل يجب عليه المبيت ليلة الثالث عشر بمنىٰ .

قوله تعالىٰ :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾

بيّن سبحانه حال المنافقين بعد ذكر أحوال المؤمنين والكافرين فقال « **ومن الناس مَنْ يُعجبك قوله** » أي تستحسن كلامه يا محمّد ويعظّم موقعه في قلبك حين يظهر الإيمان والصحبة لك ، ويحلف بالله ويشهده علىٰ أنه يضمر كما يظهر ، بينما الواقع انه يضمر غير الإيمان ، وهو ألدّ وأشد المخاصمين .

وإذا تولىٰ وصار والياً أو سلطاناً علىٰ شيء جار وسعىٰ في الارض ليفسد فيها ، ليقطع الرحِم ويسفك الدماء . . وقد قيل: انها نزلت في الأخنس بن شريق أو في عموم المنافقين .

وقيل : المراد بها الرجل الذي يُقتل على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وقيل : نزلت في المهاجرين والأنصار . وقيل : هي عامة في كل مجاهد في سبيل الله . وفيها وصفٌ للمؤمن الآمر بالمعروف . ويشري أي يبيع نفسه ابتغاء مرضاة الله .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٠٨﴾

لما قدم تعالى ذكر الفِرَق الثلاث من العباد دعاهم جميعاً إلى الطاعة والانقياد « ادخلوا في السِلْم كافة » أي أُدخلوا في الإسلام ، وداوموا فيما دخلتم فيه . وقيل معناه : أُدخلوا في السِلْم في الطاعة لجميع شرايع الإسلام ولا تتركوا بعضه . وروي أن قوماً من اليهود أسلموا وسألوا النبي أن يُبقي عليهم تحريم السبت وتحريم لحم الإبل . فأمرهم أن يلتزموا بجميع أحكام الإسلام .

قوله تعالى :

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾

لما أمر سبحانه عباده بالطاعة عقّبه بالوعيد على تركها « فإن زللتم » أي تنحيتم عن الطريق القويم الذي أمركم الله بسلوكه من بعد ما جاءتكم البيّنات من الحجج والمعاجز فاعلموا أن الله عزيز في نقمته حكيم فيما شرّع من أحكام دينه .

قوله تعالى :

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ

وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

ثم عقب سبحانه على ما تقدم من الوعيد بوعيدٍ آخر . أي هل ينتظر هؤلاء المكذّبون بآيات الله إلا أن يأتيهم أمر الله وعذاب الله على معصيتهم . . وإنما ذكر الغَمام ليكون أهول .

قوله تعالى :

سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾

سَلْ يا محمّد بني اسرائيل وهم اليهود الذين كانوا حول المدينة وخاصة علماءهم كمْ أعطيناهم من حجة ظاهرة واضحة مثل اليد البيضاء والعصا وفلق البحر وتظليل الغَمام عليهم وانزال المَنّ والسلوى . . فبدّلوا نعمة الله وكفروا بآياته وخالفوه فضلّوا وأضلّوا . . والتبديل هو أن يحرّف او يكتم أو يتأوّل على خلاف جهته كما فعلوه في التوراة والإنجيل . . وكما فعله المبتدعة في القرآن .

قوله تعالى :

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾

نزلت الآية في أبي جهل وغيره من رؤساء قريش بُسطت لهم الدنيا ، وكانوا يسخرون من قوم من المؤمنين ، ويقولون لو كان محمّد نبياً لأتبعه أشرافنا . . وقيل نزلت في عبدالله بن أُبي وأصحابه يسخرون من ضعفاء المؤمنين . . وقيل:نزلت في رؤساء اليهود من بني قريضة والنضير وقينقاع سخروا من فقراء المهاجرين . .

ولا مانع في نزولها في جميعهم . وفي معنىٰ « زُيّن للذين كفروا » قولان :

أحدهما : ان الشيطان زيّنها لهم بأن قوىٰ دواعيهم وحَسَّنَ لهم فعل القبيح والإخلال بالواجب .

والقول الثاني : أنَّ الله زيّنها لهم بأن خلق فيها الأشياء المحبوبة المعجبة وبما خلق لهم الشهوة ، كما قال : « زُيّن للناس حبُّ الشهوات » لأن التكليف لا يتمّ إلا مع الشهوة ، وفيه امتحان لالتزام الإنسان بالأوامر .

« والله يرزق مَنْ يشاء بغير حساب » قيل فيه أقوال منها : أن معناه يعطيهم الكثير الواسع الذي لا يدخله الحساب من كثرته ، ومنها : انه لا يرزق الناس في الدنيا علىٰ مقابلة اعمالهم وإيمانهم وكفرهم ، فلا يدل بسط الرزق للكافر علىٰ منزلته عند الله ، أو أنه سبحانه لا يثيب المؤمنين في الآخرة على قدر أعمالهم التي سلَفَت منهم بل يزيدهم تفضـلاً ، أو أنّه تعالىٰ يعطي عطاءً لا يسأل عليه أجراً ولا مكافأة . . ووجوه أُخرىٰ وكلّها جائزة وحسنة .

قوله تعالىٰ :

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢١٣)

الأمّة في هذه الآية بمعنىٰ الملّة والدين ، واُختلف فيها عن القرآن أيّهم كانوا عليه ، فقيل : أنهم كانوا جميعاً علىٰ الكفر ، واُختلف في تلك الفترة التي كانوا فيها علىٰ الكفر ، هل هي بين آدم ونوح ؟ أو أنها من بعد نوح الىٰ مبعث ابراهيم والنبيّين بعده ؟!

وقيل أن الناس اُمة واحدة : أنهم كانوا علىٰ الحق وهم بين آدم ونوح عشر فِرَق كانوا علىٰ شريعة من الحق فاختلفوا بعد ذلك . . وقيل:غير ذلك من الأقوال التي لا داعي لإيراد ذكرها . .

« وما اختلف فيه إلا الذين أتوه » أي أعطوا العلم كاليهود فإنهم كتموا صفة النبي (ص) بعد ما علموها من التوراة والإنجيل بغياً وظلماً وحسداً وطلباً للرئاسة .

« فهدىٰ الله الذين آمنوا لِما اختلفوا فيه من الحق بإذنه » أي بعلمه أو بلطفه «والله يهدي مَنْ يشاء إلىٰ صراط مستقيم » المراد به البيان والدلالة ، والصراط المستقيم هو الإسلام . . أو بلطفه بهم أو يهديهم : يدلهم علىٰ الطريق المؤدية إلىٰ الجنة .

قوله تعالىٰ :

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

الزلزلة : شدة الحركة ، والزلزال : البلبلة المزعجة . . قيل:انها نزلت يوم الخندق لمّا اشتدت المخافة وحُوصر المسلمون في المدينة فدعاهم الله الىٰ الصبر ووعدهم بالنصر . . وقيل:نزلت في حرب أُحد لمّا قال عبدالله بن أُبي

لأصحاب النبي : إلىٰ متىٰ تقتلون أنفسكم ؟!

لو كان محمّد نبيّاً لما سلط الله عليه الأسر والقتل . . وقيل: نزلت في المهاجرين من أصحاب النبي (ص) الى المدينة إذ تركوا ديارهم وأموالهم ومسّهم الضر ، وفي الآية ذكر لِما جرىٰ علىٰ المؤمنين من الأُمم الخالية تسليةً لنبيّه ولأصحابه فيما نالهم من المشركين ، لأن سماع أخبار الصالحين يرغب في مثل احوالهم . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة . . . دون أن تبتلوا بمثل ما امتحن به مَنْ سبقكم من المؤمنين . . والبأساء نقيض النعماء . . . والضراء نقيض السراء .

قوله تعالىٰ :

يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخاً كبيراً ذا مال كثير ، فقال : يا رسول الله بماذا أتصدق . فأنزل الله هذه الآية : يسألونك يا محمد أي شيء ينفقون ومَنْ الذي ننفق عليه ، فكان الجواب فللوالدين والأقربين ، واليتامىٰ كل من لا أب له مع صغره . والمساكين : الفقراء . وابن السبيل : المنقطع به .

قوله تعالىٰ :

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾

هذه الآية بيان لكون الجهاد مصلحة لمَنْ أمر به . و« كُتب عليكم القتال » أي : فرض عليكم الجهاد في سبيل الله ، وقد يكون الشيء مكروهاً لكن لا علىٰ وجه السخط وعدم الرضا لأن المؤمنين لا يكرهون ما كتب الله عليهم . وأجمع المفسرون إلا عطاء : ان هذه الآية دالةً علىٰ وجوب الجهاد وفرضه ، إلا أنه فرض علىٰ الكفاية ، حتىٰ انه لو قعد جميع الناس عنه أثموا به وإن قام به مَن به الكفاية سقط عن الباقين . وقال عطاء : أن ذلك كان واجباً علىٰ الصحابة ولم يجب علىٰ غيرهم . . وقوله شاذ عن الاجماع .

قوله تعالىٰ :

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾

قال المفسرون : بعث رسول الله سرية من المسلمين وأمّر عليهم عبدالله بن جحش الأسدي ، وهو ابن عمّة النبي (ص) ، فانطلقوا فوجدوا عمرو بن الحضرمي في عير تجارة لقريش في آخر يوم من جمادىٰ الآخرة ، وكانوا يرون أنه من جمادىٰ وهو من رجب . فاختصم المسلمون فقال قائل منهم : هذه غرة من عدو وغنم رُزقتموه ولا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا !! وقال قائل :

منهم لا نعلم هذا اليوم إلا من الشهر الحرام . فغلب على الأمر الذين يريدون عرَض الحياة الدنيا فشدّوا على ابن الحضرمي فقتلوه وغنموا عيره !! فأنزل الله هذه الآية . . يسألونك يا محمّد عن القتال في الشهر الحرام ، قل يا محمّد : القتال في الشهر الحرام كبير وذنب عظيم ، وكذلك الصدّ عن سبيل الله ، والكفر بالله والصدّ عن المسجد الحرام ، كما أن اخراج اهل المسجد الحرام منه من المؤمنين المسلمين اكبر واعظم وِزراً عند الله . . والفتنة في الدين وهي الكفر اعظم من القتل في الشهر الحرام .

وقال قتادة وغيره : إن تحريم القتال في الشهر الحرام وعند المسجد الحرام منسوخ بقوله « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » وبقوله تعالى « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وعندنا أنه باقٍ على التحريم فيمَن يرى لهذه الأشهر حرمة ولا يبتدئون فيها بالقتال وكذلك في الحرم . . وإنما أباح الله تعالى للنبي (ص) قتال أهل مكة عام الفتح ، فقال (ص) إن الله احلّها لي في هذه الساعة ولا أُحلّها لأحدٍ من بعدي إلى يوم القيامة . . ومَنْ لا يرى منهم حرمة هذه الأشهر جاز قتاله ، أيّ وقت كان ، والتحريم منسوخ في حقه .

« ولا يزالون يُقاتلونكم » يعني اهل مكة يُقاتلوكم يا معشر المسلمين « حتى يردّوكم عن دينكم » الإسلام ، ويُلجئوكم إلى الارتداد إن استطاعوا .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾

نزلت هذه الآية في قصة عبدالله بن جحش وأصحابه لمّاقاتلوا في رجب

وقُتل واقد السهمي وابن الحضرمي ، فظنّ قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر . فأنزل الله الآية فيهم بالوعد بالأجر .

فمن الواجب على المؤمن أن لا ييأس من رحمة الله وأن لا يأمن من عقوبته . . ويؤيده قوله تعالى « يحذر الآخرة ويرجو رحمة به » وقوله تعالى : « يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » .

قوله تعالى :

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾

نزلت في جماعة من الصحابة أتوا رسول الله (ص) فقالوا : إفتنا في الخمر والميسر ، فإنهما مَذهبَةٌ للعقل مَسْلَبَةٌ للمال .

وفي الآية بيان الشرائع والأحكام . والخمر كل شراب مسكر مخالط للعقل مغطٍّ عليه ، وما اسكر كثيره فقليله حرام وخمر . . والميسر هو القمار كله . . حتى قالوا أن لعب الصبيان بالجوز هو قمار .

«قل» يا محمّد أن في الخمر والميسر اثم كبير ووزر عظيم . « ومنافع للناس

منفعة الخمرة ما كانوا يأخذونه من أثمانها ، وما يحصل من اللذة والطرب والقوة بشربها ومنفعة القمار هو أن يفوز الرجل بمال صاحبه من غير كدٍ ولا مشقة « واثمهما أكبر من نفعهما » لأن نفعهما في الدنيا وما يحصل من الإثم بهما يوجب سخط الله في الآخرة . أو اثمهما بعد تحريمهما اكبر من نفعهما قبل تحريمهما .

والآية الدالة على حرمتهما بصورة آكد هي في المائدة من قوله تعالى « انما الخمر والميسر . . . .

ثم قال تعالى : « ويسألونك ماذا ينفقون » أيّ شيء ينفقون . والسائل عمرو بن الجموح سأل عن النفقة في الجهاد وقيل: في الصدقات « قل العفو » فيه أقوال : منها: أنه ما فضل عن نفقة الأهل والعيال أو الفاضل عن الغنى . ومنها: أن العفو هو البذل الوسط من غير اسراف ولا اقتار . . ومنها: أن العفو ما فضل عن قوت السنة . . ونسخ ذلك بتحديد مقدار الزكاة ، ومنها: أن العفو أطيب المال وأفضله .

ويسألونك عن اليتامى والتصرّف بأموالهم . قل يا محمّد: «اصلاح لهم خيرٌ» اصلاح لأموالهم من غير أجرة ولا أخذ عوض منهم ، « وإن تخالطوهم » وتشاركوهم في أموالهم وتخالطوها بأموالكم فهم اخوانكم وهذا إذنٌ لمَن كانوا يتحرّجون من مخالطة الأيتام في الأموال من المأكل والمشرب والمسكن .

قوله تعالى :

وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

نزلت في مرثد بن أبي مرثد الغنوي بعثه رسول الله(ص) إلى مكة ليُخرِ منها أُناساً من المسلمين وكان قوياً شجاعاً فدعته امرأة يقال لها عناق إلى نفسه فأبى وكانت خلّة في الجاهلية، فقالت:هل لك أن تتزوج بي؟فقال: حتى استأذ رسول الله . فلما رجع استأذن في التزويج بها فنزلت الآية « ولا تنكحو المشركات » أي لا تتزوجوا النساء الكافرات حتى يصدّقن بالله ورسوله .

وهي عامة عندنا في تحريم مناكحة جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم . وليست بمنسوخة « ولأمةٌ مؤمنةٌ خير من مشركةٍ ولو أعجبتكم » بمالها أو حسبها أ جمالها « ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » أي لا تزوّجوا المشركين ولا تمكّنوه من النساء المسلمات « ولَعبدٌ مؤمنٌ » مصدّق خير من حرّ مشرك ولو أعجبكم ماله أ حاله أو جماله . لأن المشركين يدعون الى المعاصي والأفعال المؤدّية إلى النا «والله يدعو إلى الجنة » .

قوله تعالى :

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

قيل : كانوا في الجاهلية يتجنّبون مؤاكلة الحايض ومشاربتها ومجالستها فسألوا عن ذلك فنزلت الآية . . وقيل غير ذلك . . وهي بيان منه سبحانه لشريعة ، حيث يسألونك يا محمّد عن المحيض وأحواله ، قل : « هو أذىً » معناه قذر ونجس ، وأذىً لهنّ وعليهنّ لما فيه من المشقّة فاجتنبوا مجامعتهنّ في الفرج خاصة . « ولا تقربوهنّ حتى يطْهرن » بالتخفيف ، أي حتى ينقطع الدم عنهنّ . وبالتشديد ، معناه حتى يَغتسلْنَ .

وفي هذه الآية دلالة على وجوب اعتزال المرأة في حال الحيض . وفيها ذكر غاية التحريم . . ويشتمل على فصول احدها ذكر الحيض واقله عندنا ثلاثة أيام واكثره عشرة أيام . . وحكم الوطىء حال الحيض فعندنـــا كفارته في أول الحيض دينار وفي وسطه نصف دينار وفي آخره ربع دينار . . وعن مدة الحضر فمنهم من جعل الغاية انقطاع الدم ، فاذا توضأت أو غسلت فرجها بعد انتهاء مدة حيضها حلّ وطؤها وهو مذهبنا ، وان استحب أن لا يقربها إلا بعد الغسل .

قوله تعالى :

﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٢٣)

قيل: نزلت رداً على اليهود حيث قالوا إن الرجل اذا أتى المرأة من خلفها في قبلها خرج الولد أحول فكذبهم الله . وقيل: أنكرت اليهود اتيان المرأة قائمة وباركة فأنزل الله اباحته « فأتوا حرثكم » أيّ موضع شئتم من أين شئتم وكيف ومتى شئتم .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٢٤)

نزلت في عبدالله بن رواحة حين حلف أن لا يدخل على ختنه ولا يصلح بينه وبين امرأته . فكان يقول اني حلفت بهذا فلا يحل لي أن افعله . فنزلت الآية .

لمّا بين سبحانه احوال النساء وما يحلّ منهنّ عقبه بذكر الإيلاء وهو اليمين التي تحرم الزوجة فقال « ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم » أي لا تجعلوا اليمين بالله

علة مانعة لكم من البر والتقوى ، أو لا تجعلوا اليمين بالله حجّة في المنع من البر والتقوى فإن كان قد سلف منكم يمين ثم ظهر أن غيرها خير منها فافعلوا الذي هو خير ولا تحتجّوا بما قد سلف من اليمين .

وقيل في معناها: لا تجعلوا اليمين بالله عادة مبتذلة في كل حق وباطل وهو المروي عن أئمتنا(ع)، ومنها ما رواه عثمان بن عيسى عن أبي ايوب الخزاز قال: سمعت أبا عبدالله يقول : لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين فإنه سبحانه يقول : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » .

قوله تعالى :

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾

بيّن سبحانه أقسام اليمين ، واللغو: هو ما يجري على عادة الناس من قول ـ لا والله ، بلى والله ـ من عقد على يمين لا يقتطع بها مال ولا يظلم بها أحد . . وقيل : هو أن يحلف وهو يرى أنه صادق ، ثم تبيّن أنه كاذب فلا إثم عليه ولا كفارة . . وقيل : هو يمين الغضبان . . . والأول هو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله . « ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم » وما عزمتم وقصدتم .

قوله تعالى :

لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾

الإيلاء : الحلف ، وأنه من جملة الأقسام ولها احكام شرعية خاصة . .

فقال : « للذين يؤلون » يحلفون بأن يعتزلوا عن وطء نسائهم على وجه الاضرار بهنّ فلا بد لهم من التوقف والتثبّت في أربعة أشهر . . واليمين الملزمة هي اليمين بالله عز وجل أو بشيء من صفاته التي لا يشاركه فيها أحد ويكون الحلف على وجه الغضب ولقصد الإضرار بالمرأة . « فإن فاءوا » أي رجعوا إلى أمر الله وهو بأن يجامعوا عند القدرة عليه فيجب على الراجع كفارة ، ولا عقوبة عليه . واذا مضت اربعة أشهر ولم يجامع ألزمه الحاكم إما بالرجوع والكفارة وإما بالطلاق، فإن امتنع حبسه حتى يفيء .

قوله تعالى :

وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

« والمطلّقات » أي النساء المطلّقات المدخول بهنّ من ذوات الحيض غير الحوامل فعدّتهنّ ثلاثة قروء ، فلا يتزوجنّ قبل انقضائهنّ . . والمراد بالقروء الأطهار ، وقيل : المراد ثلاث حيضات .

« ولا يحلّ لهنّ أن يكتمنَ ما خلق الله في أرحامِهنّ » قيل : أُريد به أن لا يكتمن الحيض ، وقيل : الحمل ، أو هما وغيرهما ، كما هو المروي عن الصادق (ع) قال : قد فوّض الله الى النساء ثلاثة أشياء الحيض والطهر والحمل . . وهذا القول أعم فالأخذ به أولى .

« وبعولتهنّ أحق بردهنّ في ذلك » الأجل الشرعي وهو العدّة فإنه ما دامت تلك المدة باقية كان للزوج حق المراجعة ولا يحتاج في ذلك إلىٰ رضاء المرأة ولا إلىٰ عقدٍ جديدٍ ، وهذا يختص بالمطلقات رجعياً .

« ولهنّ » أي للنساء علىٰ ازواجهنّ من الحق « مثل الذي عليهنّ بالمعروف » من حسن المعاشرة وترك المضارة والتسوية في القسمة والنفقة والكسوة ، كما أن للزوج حقوقاً علىٰ زوجته مثل الطاعة وأن لا تدخل فراشه غيره .

وروي أن امرأة معاذ قالت : يا رسول الله ما حق الزوجة علىٰ زوجها ؟ قال : أن لا يضرب وجهها ولا يُقبحها وأن يُطعمها مما يأكل ويُلبسها مما يلبس ولا يهجرها .

وروي عنه صلّىٰ الله عليه وآله أنه قال : اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله . ومن حقكم عليهنّ أن لا يوطئن فراشكم من تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهنّ ضرباً غير مبرح ، ولهنّ عليكم رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف .

« وللرجال عليهنّ درجة » قيل:معناها فضيلة الطاعة ، وهو يملك التخلية وزيادة الميراث والجهاد . وقيل:له الفضل بنفقته وقيامه عليها .

وقد قيل في الآية : أن المطلّقة قبل الدخول والمطلّقة الحامل نسختا من هذه الآية بقوله « فما لكم عليهنّ من عدّةٍ تعتدونها ، وأولات الأحمال أجلهنّ أن يضعن حملهنّ » .

وقيل:انهما مخصوصتان في الآية ، كما ذكرنا في أول الآية .

قوله تعالىٰ :

الطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن

تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴿٢٢٩﴾

روى هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ، أن امرأة أتتها فشكت أن زوجها يطلّقها ويسترجعها يضارها بذلك ، وكان الرجل في الجاهلية اذا طلّق امرأته ثم راجعها قبل أن تنقضي عدّتها كان له ذلك ، وان طلّقها ألف مرة ؛ لم يكن للطلاق عندهم حد . فذكرت ذلك لرسول الله ، فنزلت « الطلاق مرتان . . » فجعل حد الطلاق ثلاثاً والطلاق الثالث ، قوله « فإن طلّقها فلا تحلّ له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره » . وقيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وزوجته جميلة بنت عبدالله بن أُبي .

وفيها بيان منه سبحانه لعدد الطلاق وهو مرتان ، يملك فيه الرجعة ، وهو انه اذا أراد طلاقها ينبغي أن يطلّقها في طهر لم يقربها فيه بجماع ، ثم يتركها حتى تخرج من العدّة ، أو حتى تحيض وتطهر ، ثم يطلّقها ثانية . . وفي الآية بيان انه ليس بعد التطليقتين إلا الفرقة البائنة ، وليس للازواج أن يأخذوا شيئاً مما أعطوه لأزواجهم اذا أرادوا طلاقهنّ إلا أن تُظهر المرأة النشوز وسوء الخلق وبغضاً للزوج فحينئذٍ حلّ له أن يخلعها ، وحلّ له ما تبذله له من الفدية بقدر ما أعطاها أو دونه أو أزيد منه .

واستدل أصحابنا بهذه الآية على أن الطلاق الثلاث بلفظٍ واحدٍ لا يقع لأنه قال « الطلاق مرتان » ثم ذكر الثالث .

قوله تعالى :

فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا

جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

قيل : انها نزلت في رفاعة بن وهب وزوجته حين طلّقها وتزوّجت بعده عبدالرحمن بن الزبير .

وفيها بيان حكم التطليقة الثالثة . . وتدل الآية على أنه اذا طلّقها الثالثة فلا تحلّ له إلا بعد شرائط ومنها أن تتزوج غيره ، ولا بد من النكاح والوطيء في القُبل . . فإذا فارقها الثاني بطلاق وانقضت عدّتها جاز للأول العقد عليها . . كما أن في الآية دلالة على أن النكاح بغير وليّ جائز ، وأن المرأة يجوز لها أن تعقد على نفسها .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قوله تعالى :

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾

ثم بيّن سبحانه ما يفعل بعد الطلاق . . أي اتركوهنّ حتى تنقضي عدّتهن فيكنّ املك بأنفسهنّ « ولا تُمسكوهنّ ضِراراً » أي لا تراجعوهنّ بدون رغبة ، وانما للاضرار بهنّ وعرقلتِهنّ في تطويل العدّة بعد الأخرى ، أو للتضييق بالنفقة

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم﴾ فيما أباحه لكم من الأزواج والأمـوال ومـا بيَّن لكم من الحلال والحرام .

قوله تعالى :

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ
مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نزلت في معقل بن يسار حين عَضَل أُخته جملاء أن ترجع إلى الزوج الأول عاصم بن عدي ، فإنه كان طلّقها وخرجت من العدّة . . وقيل في غيره . . والوجه أن تحمل الآية على المطلّقين ، أي اذا انقضت عدّتهنّ فلا تمنعوهنّ ظلماً عن التزويج .

وليس لأحد أن يستدل بالآية على أن العقد لا يصح إلا بوليّ ، لأنا قد بيّنا أن المراد بالعَضْل : المنع ، وإذا حملنا الآية على أنها خطاب للأزواج سقط قولهم ، وهذا أولى لأنه لم يجز للأولياء ذكر كما جرى ذكر المطلّقين .

قوله تعالى :

وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا

تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ
وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا
وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾

الرضاع : مصّ الثدي بشرب اللبن .

ولما بيّن سبحانه حكم الطلاق عقبه ببيان احكام الأولاد الصغار في الرضاع والتربية وما يجب في ذلك من الكسوة والنفقة .

« والوالـدات يُرضعـن أولادهـنّ حولين كاملين » في حكم الله ، وهـو أمر استحباب لا وجوب. و « حولين كاملين » أي سنتين تامّتين اربعة وعشرون شهر « وعلى المولود له » وهو الأب « رزقهنّ وكسوتهنّ » رزق الأم معاشها وكسوتها ما دامت في الرضاعة اللّازمة ـ بخصوص المطلّقة . ، « بالمعروف » أي بقدر اليسار « ولا تضارّ والدة بولدها » أي لا تترك الوالدة ارضاع ولدها غيظاً على أبيه فتضر بولده « ولا مولود له بولده » أي لا تمنع نفسها من الأب خوف الحمل فيضر ذلك بالأب .

«فإن أرادا فصالاً» قبل الحولين « عن تراضٍ منهما » من الأب والأُم وتشاور واتفاق مع لحاظ أن في تشاورهما مصلحة للولد لأن الوالدة تعلم من تربية الصبي ما لا يعلمه الوالد « فلا جناح عليهما » . « وإن أردتم » ايها الآباء « أن تسترضعوا اولادكم » عند غير أُمهاتهم لعلّة من انقطاع لبنٍ أو غيره « فلا جناح عليكم » .

قوله تعالى .

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

لما بيّن عدّة المطلّقات ، بيّن عدّة الوفاة « يتربصن بأنفسهنّ » أي ينتظرن انقضاء العدّة « أربعة أشهر وعشراً » وهذه عدّة الوفاة سواء كان مدخولاً بها أو غير مدخول بها ، حرّة كانت أو أمة ، فإن كانت حبلى فعدتها أبعد الأجلين من وضع الحمل أو أربعة أشهر وعشراً . والذي يجب على المعتدّة عدّة الوفاة اجتنابه هو الزينة والكحل بالأثمد وترك النُقلة عن المنزل والإمتناع من التزويج . وهذه الآية ناسخة لقوله « والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير اخراج » وإن كانت متقدمة في التلاوة عليها .

قوله تعالى :

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾

لمّا تقدم ذكر عدّة النساء وجواز الرجعة فيها عقّبه ببيان حال غير الازواج بأ
لا حرج ولا ضيق عليكم يا معشر الرجال « فيما عرضتم به من خطبة النساء
المعتدات ولم تصرّحوا به ، وذلك بأن تذكروا ما يدلُّ على رغبتكم فيها ولكن
تواعدوهنّ سراً لأنها أجنبية عنكم والمواعدة في السر تدعو إلى ما لا يحل « ولا تعزم
عقدة النكاح » أي لا تعقدوا عقدة النكاح حتى تنقضي العدّة « واعلموا أنّ الله يعلم
في أنفسكم » من أسراركم وضمائركم « فاحذروه » ولا تخالفوا أمره .

قوله تعالى :

لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾

هذه إباحة للطلاق قبل المسيس وفرض المهر فرفع الإثم عن الطلاق ق
الدخول .. والمسّ كناية عن الوطء .. والمراد بالفريضة الصداق .. ومتعوه
أي : أُعطوهنّ من مالِكم ما يتمتعن به من المتاع والثياب على الغني قدر حاله
وعلى الفقير بقدر امكانه ، وإنما تجب المتعة للتي لم يعيّن لها صداق . ا
المفروض لها مهر اذا طُلّقت قبل الدخول فلها نصف ذلك المهر .

قوله تعالى :

وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ

النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

ثم بيّن سبحانه حكم الطلاق قبل المسيس بعد الفرض وتعيين المهر ؛ وإن طلّقتم النساء قبل أن تجامعوهنّ ، وقدّرتم لهن مهراً معيّناً ، فعليكم لهنّ نصف ما قدرتم من المهر ، « إلا أن يعفون » عن حقهن أو مَنْ بيده عقدة النكاح، الوليّ وهو الأب والجد ، أو مَنْ توليه هي أمرها .

وقيل : الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج فيكون من حق الزوج اعفاء زوجته المطلّقة قبل الدخول عن نصفه في المهر . . ولكن الرأي الأول هو الأظهر . . « ولا تنسوا الفضل بينكم » أي لا تتركوا الأخذ بالفضل والإحسان .

قوله تعالى :

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾

لمّا حثّ سبحانه على الطاعة خصّ الصلاة بالمحافظة عليها لأنها أعظم الطاعات « حافظوا » داوموا على الصلوات المكتوبات في مواقيتها بتمام أركانها . .

ثم أختلف في الصلاة الوسطى ، فقيل : إنها صلاة الظهر . وقيل : أنها الجمعة يوم الجمعة والظهر من كل يوم . وقيل: أنها صلاة العصر . وقيل: أنها صلاة المغرب . وقيل: أنها العشاء . وقيل: أنها صلاة الفجر . وقيل: أنها احدى الصلوات الخمس ولم يعيّنها الله وأخفاها في جملة الصلوات المكتوبة ليحافظوا على الجميع ، كما أخفى ليلة القدر في ليالي شهر رمضان .

« وقوموا لله قانتين » هو الدعاء في الصلاة في حال القيام . والأصل في القنوت : الإتيان بالدعاء . أو غيره من العبادات في حال القيام . ويجوز أن يطلق على سائر الطاعات .

قوله تعالىٰ :

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢٣٩)

لمّا قدّم سبحانه وجوب المحافظة علىٰ الصلاة عقّبه بذكر الرخصة « فإن خفتم » أي : إن لم يمكنكم أن تقوموا قانتين موفين الصلاة حقّها لخوفٍ عرض لكم فصلّوا رجالاً ، أي علىٰ ارجلكم أو مشاةً أو علىٰ ظهور دوابّكم ، وهي المعروفة بصلاة الخوف من العدو ركعتان في السفر والحضر إلا المغرب فإنها ثلاث ركعات . ويروىٰ أن علياً صلّىٰ ليلة الهرير خمس صلوات بالإيماء وقيل: بالتكبير . وأن النبي (ص) صلّىٰ يوم الأحزاب إيماءً .

« فإذا أمِنتم » من الخوف فصلّوا صلاة الآمنين ، وقيل: اذكروا الله بالثناء عليه والحمد لله .

قوله تعالىٰ :

﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢٤٠)

« الذين يتوفّون » أي الذين يقاربون الوفاة، لأن المتوفّىٰ لا يؤمر ولا يُنهى فليوصوا وصيةً لأزواجهم ما ينفعهنّ حولاً من النفقة والكسوة والسكن وأن يخرجن من بيوت أزواجهنّ . فإن خرجن بأنفسهنّ وبرغبتهنّ قبل انتهاء الحول فلا جناح عليكم يا أولياء الميّت .

واتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة .

وقال أبو عبدالله عليه السلام : كان الرجل اذا مات أُنفق على امرأته من صلب المال حولاً ثم أُخرجت بلا ميراث . ثم نسختها آية الربع والثمن فالمرأة يُنفق عليها من نصيبها .

وعنه عليه السلام قال : نسختها « يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً » ونسختها آية المواريث .

قوله تعالى :

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ﴾

لمّا قدّم سبحانه بيان أحوال المعتدات عقبه ببيان ما يجب لهنّ من المتعة والإنفاق . . واختلفوا فيها ، قال سعيد بن جبير وغيره : المراد بهذا المتاع هو المتعة ، وأن المتعة واجبة لكل مطلّقة . . وقيل:أنها منسوخة . . وقيل:أنه المراد بها النفقة . . وعندنا أنها مخصوصة بتلك الآية ، إن نزلتا معاً ، وإن كانت تلك متأخرة فمنسوخة ، لأن عندنا لا تجب المتعة إلا للمطلّقة التي لم يُدخل بها ولم يُفرض لها مهر . فأما المدخول بها فلها مهر مثلها إن لم يُسمّ لها مهر .

قوله تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾

لمّا ذكر قوله « يبيّن الله لكم آياته »عقّبه بذكر آية من آياته : ألم ترَ وتعلم يا محمّد ، أو أيها السامع ، خبر هؤلاء ، وهم قومٌ من بني اسرائيل فرّوا من طاعون وقع بأرضهم . ويقال:أن اسم القرية التي خرجوا منها هرباً من وبائها ـ داوردان ـ قُبُل واسط .

قيل : إن ملكاً من ملوك بني اسرائيل أمرهم أن يخرجوا إلىٰ قتال عدوهم ، فخرجوا فعسكروا ، ثم جبنوا وكرهوا الموت ، فأعتلوا وقالوا : إن الأرض التي نأتيها بها الوباء ، فلا نأتيها حتىٰ ينقطع منها الوباء ـ فأرسل الله عليهم الموت ـ فلما رأوا أن الموت كثر فيها خرجوا من ديارهم فراراً من الموت . فلما رأىٰ المَلك قال : اللّهم ربَّ يعقوب وإلهَ موسىٰ ، قد ترىٰ معصية عبادك فارهم آيةً في أنفسهم حتىٰ يعلموا أنهم لا يستطيعون الفرار منك . فأماتهم الله جميعاً ، وأمات دوابّهم !، وأتىٰ عليهم ثمانية أيام حتىٰ انتفخت وأروحت أجسادهم ، فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم . فحضروا عليهم حضيرةً دون السباع ، وتركوهم فيها . . قالوا : وأتىٰ علىٰ ذلك مدة حتىٰ بليت أجسادهم وعريت عظامهم ، وتقطّعت أوصالهم . . فمرَّ عليهم حزقيل وجعل يتفكّر فيهم متعجّباً منهم ،فأوحيِ اليه : يا حزقيل تريد أن أُريك آيةً وأُريك كيف أُحيي الموتىٰ ؟! قال : نعم . . فأحياهم الله !!

وقيل : انهم كانوا قوم حزقيل فأحياهم الله بعد ثمانية أيام ، وذلك أنه لمّا أصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتىٰ ، فبكىٰ ، ثم قال يا ربّ كنت في قوم يحمدونك ويسبحونك ويقدسونك فبقيت وحيداً لا قوم لي ، فأوحىٰ الله اليه : قد جعلت حياتهم اليك . . فقال حزقيل : إحيوا بإذن الله ، فعاشوا !!

وسأل حمران بن أعين أبا جعفر الباقر عليه السلام عن هؤلاء القوم الذين قال لهم الله موتوا ثم أحياهم ؟ فقال : أحياهم حتىٰ نظر الناس إليهم ثم أماتهم ، أ.

ردّهم إلى الدنيا حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ؟ قال لا ، ردّهم الله حتى سكنوا الدور وأكلوا الطعام ونكحوا النساء ومكثوا بذلك ما شاء الله ثم ماتوا بآجالهم .

قوله تعالى :

وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾

أُختلف في المخاطب بقوله « وقاتلوا في سبيل الله » فقيل : موجهة للصحابة بعدما ذكّرهم بحال من فرّ من الموت فلم ينفعه الفرار ، يحرّضهم على الجهاد لئلا يسلكوا في الفرار من الجهاد سبيل أُولئك الذين فروا من الديار . وقيل : انه خطاب للذين جرى ذكرهم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

لما حثّ سبحانه على الجهاد وذلك يكون بالنفس والمال عقّبه بالتلطّف في الإستدعاء إلى أعمال البر والإنفاق في سبيل الخير . . والمراد به الأمر .

قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ ۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ

أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾

لما قدّم تعالى ذكر الجهاد عقّبه بذكر القصة المشهورة في بني اسرائيل وتضمنت شرح ما نالهم في قعودهم عنه . . الم ترَ يا محمّد إلى الملأ من بني اسرائيل بعد وفاة موسى ، اذ قالوا لنبيّ لهم ، قيل: اسمه شمعون لاوي بن يعقوب ، أو يوشع ابن نون ، أو شمويل وهو بالعربية اسماعيل ،حين قالوا:ابعث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله بعد أن ذاقوا مرارة الذل والهوان على يد الجبابرة ، أو العمالقة .

وقال أبو عبدالله : كان الملك في ذلك الزمان هو الذي يسير بالجنود والنبي يقيم له أمره ، وينبئه بالخبر من عند ربه . فأجابهم نبيّهم فقال : « هل عسيتم إن كتب عليكم القتال » أي لعلكم إن فرض عليكم القتال والجهاد أن لا تفوا بما تقولون « قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أُخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كُتب عليهم القتال تولّوا » ، وأعرضوا عن القيام به وضيّعوا أمر الله « إلا قليلاً منهم » وهم الذين عبروا النهر .

قوله تعالى :

وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾

أي جعله الله ملكاً ، وكان طالوت من ولد بنيامين بن يعقوب وسمّي طالوت لطوله ، وملكاً أي أميراً على الجيش . وقيل : بعثه نبيّاً بعد أن جعله ملكاً . وحين نكروا عليه ، وقالوا نحن أحقّ وأولى بالملك لأنّا من سبط النبوة وأوتينا المال ولم يؤتَ سعةً من المال فيشرف به . فأعلمهم الله أنه أعرف بوجوه الحكمة ، وأن المقصود في الملك والرئاسة هو العلم والشجاعة . وأن الله اصطفاه وزاده بسطةً في العلم والجسم . وكان أعلم بني اسرائيل في وقته ، وأجملهم وأعظمهم جسماً وأقواهم شجاعة .

وفيها دلالة بأن الملك ليس بواجب أن يكون وراثة وانه يكون بحسب ما يعلمه الله . . وفيها دلالة على أنّ من شرط الإمام أن يكون أعلم رعيّته وأكملهم وأفضلهم في خصال الفضل والشجاعة لأن الله علّل تقديم طالوت عليهم بكونه أعلم وأقوى . فلولا أن ذلك شرط لم يكن له معنى .

قوله تعالى :

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾﴾

« آية ملكه » أي علامة تمليك الله إياه .

وروى علي بن ابراهيم في تفسيره عن أبي جعفر عليه السلام : أن التابوت كان الذي أنزله على أم موسى فوضعت فيه ابنها والقته في البحر . وكان في بني اسرائيل معظّماً يتبركون به . فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آثار النبوة ، وأودعه عند وصيه يوشع بن نون ، فلم يزل التابوت

بينهم ، وبنو اسرائيل في عزّ وشرف ما دام فيهم ، حتى استخفّوا به فرفعه الله اليه . فلما سألوا نبيّهم أن يبعث إليهم ملكاً ، بعث الله لهم طالوت ورد عليهم التابوت وبقية ما ترك آل موسى وآل هارون . . قيل : انها عصا موسى ، وقيل : هي التوراة وشيء من ثياب موسى .

« إنّ في ذلك لآيةً لكم » أي : في رجوع التابوت اليكم علامة أنّ الله سبحانه ملّك طالوت عليكم.

قوله تعالى :

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾

« فلما فصل طالوت » أي : خرج من مكانه وقطع الطريق بالجنود الذين تكاثروا معه لما رأوا التابوت وأيقنوا بالنصر فبادروا إلى الجهاد وهم سبعون أو ثمانون ألفاً . قال طالوت : إن الله مبتليكم ومختبركم ليميز الله الصادق من الكاذب . وكان سبب امتحانهم بالنهر شكايتهم من قلة الماء وخوف العطش ، وبصبرهم عن الشرب منه يكثر ثوابهم ، ويستحقّون النصر على عدوهم .

وليتعوّدوا الصبر على الشدائد فيصبروا في الحرب ولا ينهزموا .

واُختلف في النهر الذي اُبتلوا به ، فقيل : هو نهر بين الأردن وفلسطين .

« فمَنْ شرب منه فليس منّي » أي : ليس من أهل ولايتي وليس من أصحابي ، ومن لم يطعم من ذلك النهر فإنه منّي ، أي : من أهل ولايتي ، إلا من أخذ الماء مرة واحدة . فشربوا منه كلّهم أكثر من غرفة إلا قليلا منهم ، فلما جاوزه هو ـ أي طالوت ـ والذين آمنوا معه ، تخطّوا النهر قال الكفار من قومه لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده . فقال المؤمنون الذين مع طالوت والذي روي أن عددهم عدد أهل بدر « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » .

قوله تعالى :

وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾

« ولمّا برزوا » أي : ظهر طالوت والمؤمنون معه لمحاربة جالوت وجنوده ، « قالوا ربّنا أفرغ » أي : صبّ علينا صبراً ، ووفقنا للصبر على الجهاد ، ووفقنا للثبات على الأمر وانصرنا على جهاد القوم الكافرين .

قوله تعالى

فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾

ذكرٌ لتمام القصة : وبعد أن مكّن الله داود والمؤمنين من قتل جالوت وجنوده « وآتاه الله المُلك » أي : اعطى داود المُلك والنبوة بعد قتله لجالوت « والحكمة والنبوة

وعلّمه مما يشاء » من أُمور الدين والدنيا ، ومنها صنعة الدروع فإنه كان يليّن له الحديد كالشمع ، والحكم بين الناس ، وكلام الطير والنمل ، « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » أي : لولا دفع الله بجنود المسلمين للكفار لغلب الكفار وخرّبوا البلاد . . وقيل : إن الله يدفع بالبر عن الفاجر الهلاك . . كما روي عن أبي عبدالله عليه السلام، قال : إن الله يدفع بمَنْ يصلّي من شيعتنا عمّن لا يصلّي منهم ، ولو اجتمعوا علىٰ ترك الصلاة لهلكوا ؛ وإن الله ليدفع بمَنْ يزكّي من شيعتنا عمّن لا يزكّي منهم ، ولو اجتمعوا علىٰ ترك الزكاة لهلكوا ؛ وإن الله ليدفع بمَنْ يحجّ من شيعتنا عمّن لا يحجّ منهم ، ولو اجتمعوا علىٰ ترك الحجّ لهلكوا . . وروى جابر بن عبدالله ، قال : قال رسول الله (ص) : إن الله يُصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ، ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم . . .

وقيل في معنى دفع الله الناس بعضهم ببعض قول الحَسَن : ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ،لأن مَن يمتنع عن الفساد لخوف السلطان اكثر ممّن يمتنع منه لأجل الوعد والوعيد الذي في القرآن .

قوله تعالىٰ :

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢)

« تلك » اشارة الىٰ ما تقدم من إماتة الُوف من الناس دفعة واحدة وإحيائهم دفعة واحدة بدعاء نبيّهم ، ومن تمليك طالوت ، ونصرة اصحاب طالوت مع قلة عددهم وضعفهم علىٰ جالوت واصحابه ، مع قوّتهم وشوكتهم ، في ذلك وغيره آيات الله ودلالات علىٰ قدرته ، « نتلوها عليك » يا محمّد « بالحق » والصدق « وإنك لمن المرسلين » حقاً بدلالة إخبارك بهذه الآيات مع أنك لم تشاهدها ، ولم تخالط أهلها ، ولا يتأتىٰ ذلك إلا بوحي من الله والله لا يوحي إلا إلىٰ انبيائه ورسله

الجُزءُ الثّالِث

مِنَ القرآن الكريم

قوله تعالى :

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (٢٥٣)

« تلك الرسل » بمعنى أولئك الرسل الذين تقدم ذكرهم من الأنبياء « فضلنا بعضهم على بعض » ، وإنما ذكر الله تفضيل بعض الرسل على بعض لألا يخلو أحد فيسوّي بينهم في الفضل كما استووا في الرسالة وليبيّن سبحانه أن تفضيل محمّد عليهم كتفضيل مَنْ مضى من الأنبياء بعضهم على بعض « ورفع بعضهم درجات » قال مجاهد : أراد به محمّداً (ص) فإنه تعالى فضّله على جميع أنبيائه بأن بعثه إلى جميع المكلفين ، واعطاه جميع الآيات ، وخصّه بالقرآن الذي لم يُعطَ غيره وهو المعجزة القائمة الى يوم القيامة ، بخلاف سائر المعجزات فإنها قد مضت وانقضت .

« وآتينا عيسى ابن مريم البينات » أي : الدلالات كإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى « وأيدناه بروح القدس » أي قوّيناه وأعنّاه بجبرئيل (ع) .

واُختلف في سبب تسمية جبرئيل (ع) روحاً :

قيل : انه سمي بذلك لأن الغالب عليه الروحانية ، وكذلك سائر الملائكة وخُصّ بهذا الإسم تشريفاً له .

وقال ابن زيد : المراد بروح القدس الإنجيل .
وعن ابن عباس : إن الروح،الإسم الذي كان عيسىٰ (ع) يُحيي به الموتىٰ .
وأقوىٰ الأقوال والوجوه هو : جبرئيل عليه السلام .

وإنما خُصَّ عيسىٰ به من بين الأنبياء بأنه مؤيّد بروح القدس لثبوت اختصاصه به من صغره إلىٰ كبره ، فكان يسير معه حيث سار . ولمّا همَّ اليهود بقتله لم يفارقه صعد به إلىٰ السماء . وكان تمثّل لمريم عند حملها به وبشرها به .

« ولو شاء الله ما اقتتل » أي من بعد الرسل بأن يلجئهم إلىٰ الإيمان ويمنعهم من الكفر ، إلا أنه لم يلجئهم إلىٰ ذلك لأن التكليف لا يحسن بالاكراه والإجبار ، والجزاء والتوبة لا تحسن إلا مع التخلية والاختيار .

قوله تعالىٰ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٥٤)

لما قصَّ سبحانه أخبار الأُمم السابقة وثبّت رسالة نبيّنا (ص) عقّبه بالحث علىٰ الطاعة ، قيل:المراد بها الزكاة.وقيل:يشمل الإنفاق الواجب والمستحب « من قبل أن يأتي يومٌ » أي : يوم القيامة ، لا بيع فيه ولا تجارة ولا خلة وهي الصداقة ولا شفاعة لغير المؤمنين « والكافرون هم الظالمون » لأنفسهم حيث عملوا بها ما استحقوا معها الحرمان .

قوله تعالىٰ :

﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي

السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)

وقد ورد في فضل هذه الآية ما لا يمكن حصره ، منه : ما رواه الثعلبي بإسناده عن عبدالله بن عمر قال : قال النبي (ص) : مَنْ قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة كان الذي يتولى قبض نفسه ذو الجلال والإكرام ، وكان كمَنْ قاتَل مع أنبياء الله حتى أُستشهد .

وعن علي عليه السلام قال : سمعت نبيّكم علىٰ أعواد المنبر وهو يقول : مَنْ قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لَم يمنعه من دخول الجنة إلا الموت ولا يواظب عليها إلا صدّيق أو عابد ، ومَن قرأها اذا أخذ مضجعه آمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره .

ولمّا قدّم سبحانه ذكر الأُمم في الآيات السابقة واختلافهم علىٰ انبيائهم في التوحيد وغيره ، عقّبه بذكر التوحيد ، فقال : « الله لا إله إلاّ هو » أي : لا أحد تحق له العبادة ويستحق الألهية . « الحي القيوم » القائم بتدبير خلقه ، أو الدائم الوجود . « لا تأخذه سِنَة » أي نعاس ، والنوم المزيل للقوة أي لا يغفل عن الخلق ولا يسهو . «له ما في السماوات وما في الأرض» أي له ملك ما فيهما وله التصرف فيهما . « وسِعَ كرسيّه » أي وسع علمه السماوات والارض ، أو ملكه وسلطانه وقدرته . . وقيل في الكرسي غير ذلك من المعاني . . « ولا يؤدّه حفظهما » أي لا يشقّ علىٰ الله ولا يثقله حفظ السماوات والأرض .

قوله تعالى :

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قيل : نزلت الآية في رجل من الانصار كان له غلام أسود يقال له صبيح ، وكان يُكرهه على الإسلام ، عن مجاهد .

وقيل : نزلت في رجل من الأنصار يُدعى أبا الحصين ، وكان له ابنان ، فقدم تجّار الشام إلى المدينة يحملون الزيت ، فلما أرادوا الرجوع من المدينة ، أتاهم ابنا أبي الحصين فدعوهما إلى النصرانية فتنصّرا ومضيا إلى الشام ، فأخبر أبو الحصين رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، فأنزل الله تعالى « لا إكراه في الدين » وكان هذا قبل أن يؤمر النبي بقتال أهل الكتاب ، ثم نُسخ ، وأُمر بقتال أهل الكتاب في سورة براءة .

وفي معنى « لا اكراه في الدين » وجوه ، منها : انها في أهل الكتاب خاصة الذين تؤخذ منهم الجزية . . وقيل : هو في جميع الكفار ، ثم نُسخ ، كما تقدم . . وقيل : أن المراد لا تقولوا لمَنْ دخل في الدين بعد الحرب انه دخل مكرهاً ، لأنه اذا رضي بعد الحرب ، وصحّ اسلامه ، فليس بمكرَه ، . . وقيل : نزلت في قوم خاصة ، من الأنصار ؛ وقيل : أن المراد ليس في الدين اكراه من الله ، ولكن العبد مخيّر لأن حقيقة الدين من أفعال القلوب ، كما أنّ مَنْ أُكره على الكفر ليس بكافر .

والمراد بالدين : الإسلام .

« قد تبيّن الرشد من الغيّ » ظهر الإيمان من الكفر والحق من الباطل بكثرة الحجج والبراهين الدالة عقلاً وسمعاً والمعجزات التي ظهرت على يد النبي صلّى الله عليه وآله .

« فمَن يكفر بالطاغوت » الذي هو الشيطان أو الكاهن أو الساحر أو مردة الجن والإنس . وكلما يطغي ، أو هي الأصنام « ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى » وهو الإيمان بالله ورسوله .

قوله تعالى :

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

لما ذكر سبحانه المؤمن والكافر بيّن وليّ كل واحد منهما . . والمراد بالطاغوت الشيطان ، وقيل : رؤساء الضلالة يخرجونهم من نور الإيمان والطاعة والهدى الى ظلمات الكفر والمعصية والضلال حيث يغوونهم ويزيّنون لهم الكفر .

قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾

لما بيّن تعالى انه وليّ المؤمنين وأن الكفار لا وليّ لهم سوى الطاغوت تسليةً لنبيه (ص) قصَّ عليه قصة ابراهيم (ع) ونمرود فقال : «ألم ترَ» يا محمّد ويصلك خبر «الذي حاجّ ابراهيم» وجادله، وهو نمرود بن كنعان ، وهو أول من تجبّر وادّعى الربوبية ، حين قال لإبراهيم : من ربّك ؟ فقال ابراهيم: «ربي الذي يحيي ويميت» وهو ما لا يقدر عليه غير الله . لأن الإماتة اخراج الروح من غير جرح ولا نقص بنية . فقال النمرود «أنا أحيي» باطلاق مَنْ وجب عليه القتل ، «وأميت» بالقتل لمَنْ اشاء ممَن هو حيّ ، وهذا جهل من الكافر .

وروي عن الصادق (ع) قال له : أحيي مَن قتلته إن كنت صادقاً ، ثم استظهر عليه ثانياً بالطلب في الشمس من المغرب «فبهت الذي كفر» أي تحيّر وانقطعت حجته ، وأخزاه الله وفضحه . . .

وفي الآية دلالة على فساد التقليد وحسن المحاججة .

وفي تفسير ابن عباس: إن الله سبحانه سلّط على نمرود بعوضة فعضّت شفتيه فأهوى إليها ليأخذها فطارت في منخره ، فذهب ليستخرجها فطارت في دماغه ، فعذّبه الله بها أربعين ليلة ثم أهلكه .

قوله تعالى :

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً

لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)

أي : إن شئت فانظر في قصة الذي مرّ على قرية وهو عزير ، وقيل : هو ارميا ، وقيل : هو الخضر . . والقرية التي مر عليها بيت المقدس لما خرّبه بخت نصّر ، وقيل : هي القرية التي خرج منها الألوف حذر الموت « خاوية على عروشها» أي: خالية أو خراب. قال: أنّى يُحيي هذه الله بعد موتها» وخرابها؟ كيف يُحيي الله أهلها بعد موتها؟ «فأماته الله مئة عام ثم بعثه»أي: أحياه، وأنه سمع نداء السماء «كم لبثت»؟، أو أن القائل له نبي أو مَلَك، أو القائل بعض المعمرين ممن شاهده عند موته وإحيائه . « قال لبثت يوماً أو بعض يوم » لأن الله أماته في اول النهار وأحياه بعد مئة سنة في آخر النهار . فقال : يوماً ، ثم التفت فرأى بقية الشمس ، فقال أو بعض يوم . « لم يَتَسنّه » أي لم تغيره السنون . وقيل : كان زاده عصيراً وتيناً وعنباً ، وهذه الثلاثة أسرع للتغير والفساد ، فوجدها كما هي لم تفسد ولم تتغير « ولنجعلك آية » اي : حجّة للناس في البعث والنشور .

وروي عن علي عليه السلام : إن عزيزاً خرج من أهله وامرأته حامل وله خمسون سنة ، فأماته الله مئة سنة ثم بعثه فرجع إلى أهله ابن خمسين سنة ، وله ابن له مئة سنة فكان ابنه أكبر منه ، فذلك من آيات الله .

وقيل : انه رجع وقد أحرق بخت نصر التوراة ، فأملاها من قلبه ، فقال رجل منهم حدثني أبي عن جدي أنه دفن التوراة في كرم ، فان أريتموني كرم جدي أخرجتها لكم ، فأروه فأخرجها فعارضوا ذلك بما أملى فما اختلفا في حرف ، فقالوا ما جعل الله التوراة في قلبه إلا وهو ابنه ، فقالوا عزير ابن الله .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾

أختلف في سبب سؤال ابراهيم . . فالمروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه رأى جيفة تمزّقها السباع ، فيأكل منها سباع البر وسباع الهواء ودواب البحر ، فسأل اللهَ ابراهيمُ فقال : يا ربِّ قد علمت انك تجمعها من بطون السباع والطير ودواب البحر ، فأرني كيف تُحييها لأعاين ذلك .

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي : أن الملك بشّر ابراهيم عليه السلام بأن الله قد اتخذه خليلاً وأنه يجيب دعوته ، ويحيي الموتى بدعائه ، فسأل الله تعالى أن يفعل ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد أجاب دعوته واتّخذه خليلاً .

وقيل سبب السؤال منازعة نمرود اياه في الأحياء ـ كما تقدم ـ ورابعها انه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان عالماً به من جهة الإستدلال والبرهان لتزول الخواطر ووساوس الشيطان ، وهذا أقوى الوجوه ؛ والإستفهام فيه للتقرير . فإن الله عالم بإيمان خليله كقوله تعالى : « أأنت قلت للناس . . . » وهو عالم بأنه لم يقل . . « قال بلى » أي أنا مؤمن ، ولكن سألت ذلك لأزداد يقيناً إلى يقيني . « قال فخُذ أربعةً من الطير » قيل أنها الطاوس والديك والحمام والغراب ، يقطّعها ويخلط ريشها بدمها ، وكانت عشرة أجبل ، فرّق أجزاءهن عليها ثم خذ بمناقيرهنّ ، وادعهنّ باسمي الأكبر . فقال ابراهيم عليه السلام :

أجبن باذن الله . فكانت تجتمع ويأتلف لحم كل واحد وعظمه إلى رأسه وطارت إلى ابراهيم .

واعلم أن الله قويّ لا يعجز عن شيء ، حكيم في أفعاله وأقواله ، وانه عزيز يذل الأشياء ، ولا يمتنع عليه شيء ، وأفعاله كلها حكمة وصواب .

قوله تعالى :

مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)

« مثل الذين يُنفقون أموالهم في سبيل الله » كمثل زارع حبة ، وسبيل الله هو الجهاد ، وغيره من أبواب البر كلها . والآية عامة في النفقة في جميع وجوه البر . يعني : أن النفقة في سبيل الله بسبعمئة ضعف والله يضاعف ويزيد لمَن يشاء في الأجر ؛ والله واسع القدرة والرحمة لا يضيق عن المضاعفة ، عليم بما كان من النفقة وبنيّة المنفق ، وما يقصده من الإنفاق .

قوله تعالى :

الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)

لما امر الله بالإنفاق عقبه ببيان كيفية الإنفاق بلا منّة على المعطى، ولا أذى له. و « المَنّ» هو أن يقول له: ألم أعطك كذا ، ألم أُحسن اليك ، ألم أغنك ،

ونحوها . و« الأذىٰ » أن يقول : أراحني الله منك ؟ ومَنْ ابتلاني بك ؟ أو أن يعبس في وجهه أو يؤذيه ، أو يصرفه في بعض أشغاله بسبب انفاقه عليه . فكل هذا من المَن والأذىٰ الذي يكدّر الصنيعة ، وينغّص النعمة ، ويبطل الأجر والمثوبة .

وقد روي عن النبي (ص) انه قال:المنّان بما يُعطي لا يكلّمه الله ولا ينظر اليه ولا يزكيه وله عذاب أليم .

قوله تعالى :

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (٢٦٣)

أي كلام حسن جميل يرد به السائل ودعاء صالح ، كأن يقول للسائل : صنع الله بك وأغناك الله عن المسألة وأوسع الله عليك الرزق ، ومغفرة وستر على السائل وعفو المسؤول عن ظلم السائل حين يسأل في غير وقته ، أو يُلحف في سؤاله ، أو يُسيء الأدب بأن يفتح الباب أو يدخل الدار بغير اذن فالعفو عن ظلمه . والقول الحسن خير من صدقة يتبعها أذىً .

وقد روي عن النبي (ص) أنه قال:إذا سأل السائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ، ثم ردّوا عليه بوقار ولين ، أما بذل يسير أو ردّ جميل ، فإنه قد يأتيكم مَنْ ليس بانس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم فيما خوّلكم الله تعالىٰ والله غني عن صدقاتكم ، حليم لا يعاجلكم بالعقوبة .

قوله تعالىٰ :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ

صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾

أكد تعالى ما قدمه بما ضرب من الأمثال، وحذّر من المنّ على السائل، أو على الله، وأن ذلك يُبطل الصدقات ويذهب بثوابه. وقرن تعالى حال المنّان بحال المنافق المرائي فإنهما يوقعان الفعل على غير الوجه الذي أراده الله فلا يستحق به فاعله الثواب، وكما أن الكافر لا ينتفع بأعماله حيث أنه لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، فمثّل فعل أولئك كمثل صفوان، وهو الحجر الأملس، اذا كان عليه تراب فأصابه وابل، وهو المطر العظيم، فإنه يتركه صلداً ويزيل ما عليه من التراب، كذلك فعل المنّان والمرائي فإن نيته ومنّه وأذاه يزيل كل خير من صدقته ويتركهم لا يقدرون على شيء مما كسبوا فلا يحصلون ما بذلوه ولا على ثواب الصدقة.

كما روى ابن عباس عن النبي (ص) قال: اذا كان يوم القيامة نادى مناد يُسمع الجمع: أين الذين كانوا يعبدون الناس، قوموا خذوا أجوركم ممّن عملتم له فإني لا أقبل عملاً خالطه شيء من الدنيا وأهلها.

قوله تعالى:

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾

« ومثل الذين ينفقون أموالهم » في أعمال البر طلباً لرضا الله وتوطيناً لنفوسهم على الثبوت على طاعة الله « كمثل جنّة بربوة » أي بستان بمرتفع من الأرض لأن نبتها أحسن وريعها أكثر ، اذا أصاب هذه البستان مطر شديد أعطت غلّتها ضعفين ، فإن لم يُصبها مطر شديد فطلٌ ـ وهو المطر الّلين ـ فهي منتجة على كلا الحالين « والله بما تعملون بصير » عالم بأفعالكم فيجازيكم بحسبها عالم بالمرائي والمخلص .

قوله تعالى :

أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾

« جنّة من نخيل » أي بستان يشتمل على النخيل والأعناب والأنهار الجارية « والإعصار » : الريح الشديد ، وفي ذلك الإعصار نار يحرق ذلك النخيل والاشجار . وهذا مثل ضربه الله في الحسرة بسلب النعمة ، وانه مثل للمرائي في النفقة ؛ أو أنه للمفرّط في طاعة الله والمنشغل عنها بملاذ الدنيا ؛ أو أنه مثل للذي يختم عمله بفساد . « كذلك » أي كهذا البيان الذي بيّن لكم في أمر الصدقة ، وقصة ابراهيم ، والذي مرّ على قرية ، وجميع ما سلف « يبيّن الله لكم الآيات » والدلالات التي تحتاجونها في أمور دينكم « لعلّكم تتفكرون » وتنظرون وتتفقهون .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾

روي عن أبي عبدالله (ع) : انها نزلت في أقوام لهم أموال من ربا الجاهلية وكانوا يتصدقون منها فنهاهم الله عن ذلك وأمر بالصدقة من الطيّب الحلال .

وقيل : انها نزلت في قوم كانوا يأتون بالحشف فيدخلونه في تمر الصدقة .

وفيها خطاب للمؤمنين أن « انفقوا » وتصدقوا « من طيبات ما كسبتم » بالتجارة ، أو من خياره وجياده ، « ومما أخرجنا لكم من الأرض » من الغلّات والثمار « ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون » أي لا تقصدوا الرديء من المال أو مما كسبتموه أو الخبيث هو المال الحرام . والأغماض لا يكون إلا في الشيء الرديء . أي : لا تتصدقوا بما لا تأخذونه من غرمائكم إلا بالمسامحة والمساهلة ، أوأنكم لا تأخذونه إلا أن تحطّوا من ثمنه لردائته « واعلموا أن الله غني » عن صدقاتكم ، مستحق للحمد على نعمه .

قوله تعالى :

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾

تحذير منه سبحانه من الشيطان المانع من الصدقة « الشيطان يعدكم الفقر »

بالنفقة في وجه البر ، وبانفاق الجيّد من المال ، أو بتأدية الزكاة « ويأمركم بالفحشاء » أي بالمعاصي وترك الطاعات « والله يعدكم مغفرة منه » أي يعدكم بالإنفاق من خيار المال أن يستر عليكم ويصفح عن عقوبتكم ويعدكم أن يُخلف عليكم خيراً من صدقتكم ويتفضّل عليكم بالزيادة في أرزاقكم .

قوله تعالى :

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

ذكر في معنى الحكمة وجوه :

قيل : إنه علم القرآن ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدّمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله .

وقيل : الحكمة : الإصابة في القول والفعل .

وقيل : الحكمة : علم الدين . . وقيل : النبوة . . وقيل : المعرفة بالله تعالى .

وقيل : الفهم . . وقيل : هو خشية الله . . وقيل : هو القرآن والفقه . .
وقيل : هو العلم الذي تعظم منفعته وتجلّ فوائده ، وهذا جامع للأقوال .

وانما قيل للعلم حكمة لأنه يمتنع به عن القبيح .

ويروى عن النبي (ص) أنه قال : إن الله آتاني القرآن ، وآتاني من الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلا كان خراباً ، ألا فتفقّهوا وتعلّموا فلا تموتوا جهالاً .

قوله تعالى :

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾

عاد سبحانه للترغيب على الإنفاق في وجوه الخير وسبل البر من نفقة واجبة، ومندوبة، ونذر واجب ملزم من صلاة أو صوم أو صدقة أو نحو ذلك ، فإن الله به عليم ، يجازي عليه ؛ وما للظالمين الذين يظلمون أنفسهم بوضع النفقة والنذر في غير موضعها، كما إذا أنفق رياء او اضراراً أو شقاقاً او من مال مغصوب أو مأخوذ من غير حله أو بنذر معصية أو ترك وفاء النذر مع القدرة عليه ، ما لكل هؤلاء من أنصار وأعوان يدفعون عذاب الله عنهم .

قوله تعالى :

إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾

إن تظهروا الصدقات وتعلنوها فنعم الشيء ، وليس في اعلان البذل والإنفاق محذور . وإن تُخفوها وتُؤتوها الفقراء في السر فهو خير لكم وأبلغ في الثواب . وهو عام في الزكاة وغيرها . كما جاء في الحديث : صدقة السر تُطفيء غضب الرب وتُطفيء الخطيئة كما يُطفيء الماء النار وتدفع سبعين باباً من البلاء .

وبحديث آخر : سبعة يظلّهم الله في ظلّه يوم لا ظل إلا ظلّه : الإمام العادل ، والشاب الذي نشأ في عبادة الله تعالىٰ ، ورجل قلبه يتعلق بالمساجد حتى يعود اليها ، ورجلان تحابّا في الله واجتمعا وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات

منصب وجمال فقال اني أخاف الله تعالىٰ ، ورجل تصدق بصدقة وأخفاها حتىٰ لم تعلم يمينه بما تنفق شماله ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .

« والله بما تعملون خبير » عالم بما تعملونه من صدقاتكم من اخفائها وإعلانها لا يخفىٰ عليه شيء .

قوله تعالىٰ :

لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾

كان المسلمون يمتنعون عن الصدقة علىٰ غير أهل دينهم ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية ، وقيل كانت أسماءبنت أبي بكر مع رسول الله في عمرة القضاء فجاءتها أمها فتيلة وجدتها تسألانها ، وهما مشركتان ، فقالت لا أعطيكما شيئاً حتىٰ استأذن رسول الله (ص) فإنكما لستما علىٰ ديني . فاستأذنته في ذلك فأنزل الله هذه الآية .

« ليس عليك هداهم » بمنع الصدقة عنهم لتحملهم بذلك علىٰ الإيمان ، أوليس عليك هداهم بالحمل علىٰ النفقة في وجوه البر وسبل الخير ، أوليس عليك أن تهدي الناس إلىٰ نيل الثواب والجنة وإنماعليك أن تهديهم إلىٰ الإيمان بأن تدلّهم عليه . . وهذا تسلية للنبي (ص) لأنه كان يغتم بترك قبولهم .

قوله تعالىٰ :

لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي

الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾

قال أبو جعفر (ع) : نزلت الآية في أصحاب الصفة وهم نحو من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر يؤون اليهم فجعلوا أنفسهم في المسجد ، وقالوا نخرج في كل سرية يبعثها رسول الله ، فحثّ الله الناس عليهم ، وكان الرجل اذا أكل وعنده فضل أتاهم به اذا أمسى .

وفي الآية بيان أفضل الفقراء الذين هم مصرف الصدقات وأنها للفقراء الذين حُبسوا ومنعوا في طاعة الله ولم يتمكنوا من العمل والتصرف في التجارة للمعاش إما لخوف العدو من الكفار وإما لمرض أو لفقر أو للإقبال على العبادة « لا يستطيعون ضرباً » أي ذهاباً وتصرفاً فيها . . يحسبهم الجاهل بحالهم وباطن أمورهم أغنياء من التعفف لإمتناعهم من السؤال والتجمّل في اللباس والتستر . . وفي الحديث:أن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويكره البؤس والتباؤس ويحب الحليم المتعفف من عباده ويبغض الفاحش البذيء السائل الملحف .

وعنه (ع) قال : وإن الله كره لكم ثلاثاً : قيلٌ وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال . ونهى عن عقوق الأمهات ، ووأد البنات ، وعن منع وهات .

وقال (ع) : الأيدي ثلاث : فيد الله العليا ، ويد المعطي التي تليه ، ويد السائل السفلى إلى يوم القيامة . ومَن سأل وله ما يغنيه جاءت مسألته يوم القيامة كُدحاً أو خُموشاً أو خدوشاً في وجهه .

قوله تعالى :

الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

قال ابن عباس : نزلت الآية في علي (ع) ، كانت معه أربعة دراهم ، فتصدق بواحد نهاراً ، وبواحد ليلاً ، وبواحد سراً ، وبواحد علانية . وهو المروي عن أبي عبدالله (ع) وأبي جعفر (ع) .

وروي عن أبي ذر والأوزاعي:انها نزلت في النفقة على الخيل في سبيل الله .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وقيل : هي عامة في كل من أنفق ماله في طاعة الله على هذه الصفة .

وعلى هذا فإنّا نقول : الآية نزلت في علي عليه السلام وحكمها سائر في كل مَنْ فعل مثل فعله وله فضل السبق الى ذلك . وفي الآية بيان لكيفية الإنفاق وثوابه . وإن الإنفاق في سبيل الله محبوب ومطلوب في كافة الأحوال والأوقات .

قوله تعالى :

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَوٰا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَٰنُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَوٰا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَوٰا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

لما حثّ الله تعالىٰ علىٰ الانفاق وبيّن ما يحصل للمنفق من الأجر عقّبه بذكر الربا الذي ظنه الجاهل زيادة في المال وهو في الحقيقة محق للمال . وأن الذين يأكلون الربا لهم علامة يُعرفون بها يوم القيامة ، فإنهم يقومون كمَنْ يصرعه الشيطان من الجنون فيكون امارة لأهل الموقف على أن هؤلاء أكلة الربا ، كما أن علىٰ كل عاص من معصيته علامة تليق به فيعرف بها صاحبها ، وعلىٰ كل مطيع من طاعته امارة تليق به فيعرف بها صاحبها .

وروي عنه (ص) انه قال : لما أُسري بي إلى السماء رأيت رجالاً بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم ، فقلت : مَنْ هؤلاء يا جبرئيل ؟ قال : هؤلاء أكلة الربا .

والآية متوجهة إلى كل مَنْ رابىٰ وإن لم يأكله .

« ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا » قال ابن عباس : كان الرجل منهم إذا حلّ دينه علىٰ غريمه فطالبه به ، قال المطلوب منه له زدني في الأجل وأزيدك في المال ، فيتراضيان عليه ، ويعملان به ، فإذا قيل لهم هذا ربا ، قالوا : هم سواء .

وقال الصادق (ع) : إنما شدّد في تحريم الربا لئلا يمتنع الناس من اصطناع المعروف قرضاً أو رفداً .

وقال الباقر (ع) : من أدرك الإسلام وتاب مما كان عمله في الجاهلية وضع الله عنه ما سلف ، ومن عاد إلى أكل الربا بعد التحريم ، وقال ما كان يقوله قبل مجيء الموعظة من أن البيع مثل الربا فأُولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، لأن ذلك القول لا يصدر إلا من كافر مستحلّ للربا .

وروي عن عليّ (ع) أنه قال : لَعَنَ رسولُ الله في الربا خمسة،آكله وموكله وشاهديه وكاتبه .

وعنه (ع) : اذا أراد الله بقرية هلاكاً أظهر فيهم الربا .

قوله تعالى :

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَوٰا وَيُرْبِي الصَّدَقَٰتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ (٢٧٦)

أكد سبحانه ما تقدم ، « يمحق الله الربا » اي : ينقصه حالاً بعد حال إلى أن يتلف المال كلّه ، أو يهلكه ويذهب ببركته ، أو يمحقه الله في الدنيا بسقوط عدالته والحكم بفسقه ، بينما يُربي الصدقات ويزيدها ويثمر المال الذي يتصدّق منه في العاجل والآجل .

« والله لا يحب كل كفّار أثيم » وهو المقيم المستمسك بأكل الربا حيث أنه كفّار لنعمته باستحلال الربا ، منهمك في غوايته ، متمادٍ في إثمه بأكله .

وروي عن النبي (ص) أنه قال : يأتي على الناس زمان لا يبقى أحدٌ إلا أكل الربا ، فمَنْ لم يأكله أصابه من غباره .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢٧٧)

هذه الآية ظاهرة المعنى ولبيان أن الجمع بين هذه الخصال أعظم أجراً من الإنفراد بواحدة منها، وفيها من الترغيب بالأعمال الصالحة والتفخيم لأمرها ما لا يخفى .

قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)﴾

روي عن أبي جعفر الباقر (ع): أن الوليد بن المغيرة كان يُرابي في الجاهلية وقد بقي له بقايا في ثقيف ، فأراد خالد بن الوليد المطالبة بها بعد أن أسلم ، فنزلت الآية . . وقيل : نزلت في بقية من الربا كانت للعباس وخالد بن الوليد ، وكانا شريكين في الجاهلية ، يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير من ثقيف ، فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا ، فأنزل الله هذه الآية . فقال النبي (ص) : على أن كل ربا من ربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبدالمطلب . وكل دم من دم الجاهلية موضوع وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث ابن عبدالمطلب ، كان مرضعاً في بني ليث فقتلته هذيل . . وقيل : نزلت هذه الآية في غير هؤلاء شبيه بحالهم في الربا وما تبقى منه بعد الإسلام . « وذروا » اي : واتركوا ما بقي من الربا فلا تأخذوه واقتصروا على رؤوس أموالكم « إن كنتم مؤمنين » بتحريم الربا ، مصدقين به وبما فيه من المفاسد التي يعلمها الله « فإن لم تفعلوا » ما تؤمرون به ، ولم تتركوا ما بقي من الربا ، فأيقنوا أنكم تستحقون القتل في الدنيا ، والنار في الآخرة ، لمخالفتكم امر الله ورسوله . ومعنى « الحرب » العداوة لله ولرسوله . وروي عن ابن عباس أن من عامل بالربا استتابه الإمام ، فإن تاب وإلا قتله . وقال الصادق عليه السلام : آكل الربا يؤدّب بعد البيّنة ، فإن عاد أُدّب ، وإن عاد قتل. « وإن تبتم » من جريمتكم باستحلال الربا ، وأقررتم بتحريمه فلكم رؤوس أموالكم دون الزيادة .

قوله تعالىٰ :

وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾

لمّا أمر سبحانه بأخذ رأس المال من الموسر ، بيّن حال المعسر ، فقال « وإن كان ذو عسرة » أي إن كان غريمكم ذو عسرة فنظرة إلى وقت اليسار . « وإن تصدقوا » على المعسر بما لكم عليه من الدين فهو « خيرٌ لكم » .

وفي الحديث : مَن أنظرَ معسراً ، أو وضع عنه ، أظلّه الله تحت ظل عَرشه يوم لا ظل إلا ظلّه .

وفي هذه الآية دلالة على أن الإنسان إن علم أن غريمه معسر حرم عليه حبسه وملازمته ومطالبته بما له عليه وإنما يجب عليه إنظاره انتظاراً لليسارة . وأن الصدقة برأس المال على المعسر خير وأفضل من انتظار يسره .

قوله تعالىٰ :

وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

هذه آخر آية نزلت من القرآن ، وقال جبرائيل : ضعها في رأس الثمانين والمائتين من البقرة .

وقال المفسرون : لمّا نزلت هذه الآية « إنك ميّت وأنهم ميّتون » قال رسول الله (ص) : ليتني أعلم متى يكون ذلك . فأنزل الله تعالىٰ سورة النصر « إذا جاء نصر الله والفتح . . . » فكان رسول الله (ص) يسكت بين التكبير والقراءة بعد

نزول هذه السورة فيقول : سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه ، فقيل له : إنك لم تكن تقوله قبل هذا !؟ فقال : أما أن نفسي نُعيت اليَّ ، ثمّ بكى بكاءً شديداً . فقيل : يا رسول الله ، أوتبكي من الموت ؟! وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر !؟ قال : فأين هول المطلع ؟ وأين ضيق القبر وظلمة اللحد ؟ وأين القيامة والأهوال ؟؟ فعاش رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد نزول هذه السورة عاماً تاماً ، ثم نزلت « لقد جاءكم رسولٌ من أنفسكم عزيزٌ عليه . . . » وهذه السورة آخر سورة كاملة نزلت من القرآن ، فعاش رسول الله (ص) بعدها ستة أشهر .

ثم لمّا خرج رسول الله (ص) إلى حجة الوداع ، نزلت عليه في الطريق « يستفتونك في النساء قل الله يُفتيكم . . . » فسمّيت آية الصيف ، ثم نزلت عليه وهو واقف بعرفة « اليوم أكملت لكم دينكم . . . » الآية ، فعاش (ص) بعدها واحداً وثمانين يوماً . ثم نزلت عليه آيات الربا ، ثم نزلت بعدها « واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله . . . » وهي آخر آية نزلت من السماء ، فعاش رسول الله (ص) بعدها واحداً وعشرين يوماً . وقيل : تسع أو سبع ليال ، ثم مات يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول حين بزغت الشمس . . وروى أصحابنا لليلتين بقيتا من صفر سنة احدى عشرة من الهجرة ، ولسنة واحدة من ملك أردشير ابن شيرويه ابن ابرويز بن هرمز بن أنوشروان .

وفي الآية تحذير للمكلفين ، فقال : « اتقوا يوماً » واحذروا واخشوا « يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ

بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّٰهُ
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ
شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ
أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ
رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ
الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا
يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى
أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ
تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ
تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾

لما أمر سبحانه بانظار المعسر وتأجيل دينه عقبه ببيان أحكام الحقوق المؤجلة وعقود المداينة ، والأجل المسمى الوقت المعلوم بالتسمية . وظاهر الآية

يقع على كل دين مؤجّل ، سَلَماً كان أو غيره . « فاكتبوه » أي اكتبوا الدين لئلا يقع فيه نسيان أو جحود « كاتب بالعدل » أي بالقسط والإنصاف والحق ، لا يزيد فيه ولا ينقص منه في صفة ولا مقدار « ولا يأب كاتب أن يكتب كما علّمه الله » أي لا يمتنع كاتب الصك أو الدين على الوجه المأمور به من الكتابة بالعدل ، وقيل : كما فضّله الله تعالى بتعلّمه ، فلا يبخل على غيره بالكتابة . واُختلف في الكتابة : هل هي فرض ؟ أم لا ؟ ، قيل : هي فرض على الكفاية كالجهاد ونحوه . والورق الذي يكتب فيه على صاحب الدين دون مَنْ عليه الدين «وليُملل الذي عليه الحق» يعني المديون يقرُّ على نفسه بلسانه « وليتق الله ربّه » أي الذي عليه الحق « ولا يبخس » أي لا ينقص من الحق الذي عليه شيء « فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » أي فليشهد رجل وامرأتان ، « ممن ترضون عدالته من الشهود ممن يرضى دينه وأمانته ومعروف بالستر والصلاح « أن تضل إحداهما » أي إذا نسيت إحدى المرأتين « فتذكّر إحداهما الأخرى » . « ولا يُضارّ كاتب ولا شهيد » بأن لا يكتب الكاتب ما لم يُملّ عليه ، ويشهد الشاهد بما لم يستشهد فيه ، أو يمتنع من اقامة الشهادة . أو لا يكلّف الكاتب الكتابة في حال عذر ولا يعنّف عليهما « وإن تفعلوه فإنه فسوقٌ بكم » أي وإن تفعلوا مضارّة الكاتب والشاهد على الوجوه المتقدمة في المضارّة فإن ذلك فسوقٌ بكم وخروج عمّا أمر الله سبحانه .

قوله تعالى :

وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَٰدَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾

ذكر سبحانه حكم الوثيقة بالرهن ، وان كنتم أيها المتداينون المتبايعون

مسافرين ولم تجدوا كاتباً للصك ولا شهوداً تُشهدونهم فرهانٌ مقبوضة ، يقوم مقام الوثيقة بالصك والشهود . والقبض شرط في صحة الرهن بالإجماع « فإن أمن بعضكم بعضاً » أي فإن أمن صاحب الحق ولم يأخذ صكاً ولا رهناً واعتمد على الأمانة فليؤدِ الذي عليه الحق وإن لم يكن صك ولا رهن ، ولا يُبخس منه شيئاً ، ولا يُماطل ولا يسوّف « وليتقِ الله ربّه » وليراقبه ويخشاه في اعطاء حقوق الناس فإن لم يكن للدائن صك أو شهود فالله هو الشاهد .

ثم حثّ تعالى الشهود على أداء الشهادة وعدم كتمانها ومَنْ يكتم الشهادة مع علمه وتمكّنه من أداء الشهادة فإنه آثم قلبه .

وروي عن النبي (ص) انه قال : لا ينقضي كلام شاهد زور من بين يدي الحاكم حتى يتبوّأ مقعده من النار .

قوله تعالى :

لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤)

أي لله تصريف السماوات والأرض وما فيهما يصرفهما كيف يشاء وإن تبدوا ما في نفوسكم من الطاعة أو المعصية أو تخفوه وتكتموه يحاسبكم به الله . . وهي عامة في جميع الأحكام والشهادات التي تقدم ذكرها في السورة .

قوله تعالى :

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

لمّا ذكر الله تعالى فرض الصلاة والزكاة وأحكام الشرع وأخبار الأنبياء ختم السورة بذكر تعظيمه وتصديق نبيّه (ص) بجميع ذلك ، فقال : « آمن الرسول » أي صدق محمّد (ص) « بما أُنزل إليه من ربّه » من الأحكام المذكورة في السورة وغيرها « والمؤمنون كلٌّ » أي كل واحدٍ منهم آمن بالله وصدّق بصفاته وتنزيهه عمّا لا يليق به . وآمنوا بملائكته وبأنهم معصومون مطهّرون وآمنوا بجميع كتبه تعالى ، بالقرآن وبجميع ما أُنزل من الكتب ، وآمنوا بجميع رسله وأنبيائه ويقول المؤمنون لا نفرّق بين أحد من رسل الله في الإيمان ، وهو ردٌّ على اليهود والنصارى الذين يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعض ، ولكن المؤمنين يؤمنون بالجميع ، ويقولون لك يا محمد : سمعنا قولك وأطعنا أمرك ، عكس قول الكفار الذين يقولون : سمعنا وعصينا . ثم يقول المؤمنون بعد إيمانهم واعترافهم : « غفرانك ربّنا » أي نسألك الغفران « واليك المصير » ومنك الجزاء .

قوله تعالى :

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

بيّن سبحانه انه فيما أمر ونهىٰ لا يكلّف إلا دون الطاقة ، ولا يأمر ولا ينهى أحداً إلا ما هو مستطيع له . وفي هذا دلالة علىٰ بطلان قول المجبرة في تجويز تكليف العبد ما لا يطيقه . «لها ما كسبت»لها ثواب ما كسبت من الطاعات، وعليها جزاء وعقاب مااكتسبت من السيئات . ثم يرشدالله عباده الىٰ الدعاء ، أو حكايةً عنهم ، فيقولون : « ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ويحسن هذا الدعاء علىٰ سبيل الانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ وإظهار الفقر إلىٰ مسألته ، والاستعانة به « ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به » من العقوبة عندما نعصي « ربّنا ولا تحمل علينا إصراً » وعملاً نعجز عن القيام به ، ولا تشدد علينا الأمر « كما حملته علىٰ الذين من قبلنا » من الأُمم الماضية ، لأنهم كانوا اذا ارتكبوا خطيئة عجلت عليهم عقوبتها ، « ربّنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به » مما ثقل علينا من التكاليف والامتحانات ، أو من العذاب العاجل والآجل والعياذ بالله .

وقد روي عن النبي (ص) إن الله سبحانه قال عند كل فصل من هذا الدعاء : فعلتُ واستجبتُ . ولهذا أُستحب الإكثار من هذا الدعاء .

ففي الحديث المشهور عن النبي (ص) انه قال : من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في كل ليلة كفتاه ـ أي كفتاه قيام ليلته .

وعن عبدالله بن مسعود ، قال : لما أُسري برسول الله (ص) أُنتهي به إلىٰ سدرة المنتهىٰ ، وأُعطي ثلاثاً ، الصلوات الخمس ، وخواتيم سورة البقرة ، وغفر لمَن لم يشرك بالله من امته إلاّ المقحمات ـ أي الذنوب العظام التي تُقحم أصحابها في النار ـ وفي ذيل حديث آخر : وخواتيم سورة البقرة ، لا يقرأهما أحد إلا أعطيته حاجته .

وروي عن عبدالله بن مسعود انه قال : كان الرجل اذا تعلّم سورة البقرة جدَّ فينا ـ أي عظم ـ .

تمت ولله الحمد سورة البقرة وتفسيرها

سورة آل عمران

كلها مدنية عن ابن عباس
وقتادة ومجاهد وجميع المفسرين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ
بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ
هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ
وَلَا فِي السَّمَآءِ ﴿٥﴾

قال الكلبي ، ومحمّد بن اسحاق والربيع بن أنس : نزلت أوائل السورة إلى نيّف وثمانين آية في وفد نجران . وكانوا ستّين راكباً ، قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وفيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم ، وجرى بينهم وبين رسول الله (ص) نقاش ومحاورة ـ تراجع في الموسّعات ـ .

« الٓمٓ » ذكرنا الاختلاف فيها في أول سورة البقرة « نزل عليك » يا محمد « الكتاب » يعني القرآن « بالحق » وفيه قولان : احدهما : بالصدق في اخباره ، والثاني : بالحق : أي بما توجبه الحكمة . « مصدقاً لما بين يديه » أي : لما قبله من كتاب ورسول « وأنزل التوراة » على موسى « والانجيل » على عيسى من قبل إنزال القرآن . « وأنزل الفرقان » يعني به القرآن ، فإن الفرقان هو الذي يفرق بين الحق والباطل فيما يحتاج إليه من أمور الدين .

وروى عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله (ع) انه قال : الفرقان هو كل آية محكمة في الكتاب .

قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾

أي يخلق صوركم في الأرحام على أي صورة شاء ، وعلى أي صفة شاء من ذكر أو أنثى ، أو صبيح أو ذميم ، أو طويل أو قصير .

قوله تعالى :

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا

يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾

قيل في المحكم والمتشابه أقوال : ـ

أحدها : المحكم ، ما عُلم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن اليه ولا دلالة تدلُّ على المراد به لوضوحه ، نحو قوله تعالى « إن الله لا يظلم الناس شيئاً » ونحو ذلك مما لا يحتاج في معرفة المراد إلى دليل . . والمتشابه ، ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترن به ما يدلُّ على المراد منه لإلتباسه نحو « وأظلّه الله على علم » .

وثانيها : أن المحكم:الناسخ،والمتشابه:المنسوخ .

وثالثها : أن المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً،والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً .

« فأما الذين في قلوبهم زيغ » أي ميل عن الحق وإنّما يحصل الزيغ بشك أو جهل « فيتّبعون ما تشابه منه » أي يحتجّون به على باطلهم لطلب الاضلال وإفساد الدين على الناس ، أو للتلبيس على ضعفاء الخلق ، أو لطلب الشرف والمال . « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم » أي الثّابتون في العلم الضابطون له المتقنون فيه . واختلف في نظمه وحكمه على قولين : أحدهما : أن الراسخون معطوف على الله بالواو على معنى أن تأويل المتشابه لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم فإنهم يعلمونه. والمروي عن أبي جعفر(ع) فإنه قال:كان رسول الله أفضل الراسخين في العلم قد علم جميع ما أنزل الله عليه من التأويل والتنزيل . وكان ابن عباس يقول : في هذه الآية أنا من الراسخين في العلم . . وثانيها : أن الواو في قوله « والراسخون » واو الإستئناف فعلى هذا القول يكون تأويل المتشابه لا يعلمه إلاّ الله تعالى ، ويبتدىء تأويله « والراسخون في العلم يقولون آمنّا به » وأن الراسخين لا يعلمون ولكن يؤمنون به .

قوله تعالى :

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾

معناه : لا تمنعنا لطفك الذي معه تستقيم القلوب . وهذا دعاء للتثبيت على الهداية . ويجري مجرى قولهم : اللّهم لا تسلّط علينا مَن لا يرحمنا ، أي : لا تخلِّ بيننا وبين مَن لا يرحمنا فيسلّط علينا . أو أن معناه : لا تكلفنا من الشدائد ما يصعب علينا فعله وتركه فتزيغ قلوبنا بعد الهداية . أو لا تزغ القلوب عن اليقين والإيمان .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾

عادة هؤلاء الكفار في التكذيب بك وبما أُنزل إليك « كدأب آل فرعون » في التكذيب برسولهم وما أُنزل اليهم .

قوله تعالى :

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾

الذين كفروا اما مشركي مكة أو اليهود . وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبيّنا (ص) فاليهود غُلبوا بوضع الجزية عليهم ، والمشركون غُلبوا بالسيف .

قوله تعالى :

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ ١٣

نزلت هذه الآية في قصة بدر وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً ، واُختلف في عدد المشركين ، فروي عن علي (ع) وابن مسعود أنهم كانوا ألفاً . والخطاب أما لليهود الذين نقضوا العهد ، أو المشركين واليهود ، أو للناس جميعاً .

قوله تعالى :

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ ١٤

القناطير : جمع قنطار ، وهو المال الكثير العظيم . والمقنطرة : المحصلة أو المنضدة بعضها فوق بعض .

وسمّيت الخيل خيلاً لإختيالها في مشيها . والمسوّمة : قيل هي الراعية ، وقيل هي الحسناء، من السيماء والوسامة ، أو المعلّمة التي عليها علامة .

والأنعام : جمع النِعَم ، وهي الإبل والبقر والغنم من الضأن والمعز . والحرث معناه الزرع .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾

لمّا صغّر تعالى الدنيا وزهد فيها في الآية السابقة عظّم الآخرة وشرفها ورغّب فيها في هذه الآية ، فقال : قل يا محمد لأمتك « أؤنبئكم » أُخبركم « بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها » مقيمين في تلك الجنات « وازواج مطهّرة » من الحيض والنفاس وجميع الأقذار والأدناس والطباع الذميمة والأخلاق اللئيمة .

قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾

ثم وصف المتّقين القائلين « ربّنا إننا آمنا » أي صدقنا الله ورسوله « فاغفر لنا ذنوبنا » أي استرها علينا ، أو تجاوز عنا « وقنا » أي ادفع عنا عذاب النار . ثم مدحهم وأثنى عليهم فقال : « الصابرين » على الطاعة وعن المعصية « والصادقين » في إيمانهم « والقانتين » المطيعين أو الدائمين على الطاعة

« والمنفقين » اموالهم في سبيل الله واجباً ومندوباً « والمستغفرين بالأسحار » المصلّين وقت السحر .

وفي المروي عن النبي (ص) أنّه قال : إن الله عز وجل يقول ، إنّي لأهمّ بأهل الأرض عذاباً ، فإذا نظرت إلى عمّار بيوتي وإلى المتهجدين وإلى المتحابين فيّ وإلى المستغفرين بالأسحار ، صرفته عنهم .

قوله تعالى :

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۗ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩﴾

تضمنت الآية الإبانة عن فضل العلم والعلماء ، لأنه تعالى قرن العلماء بالملائكة وشهادتهم بشهادة الملائكة وخصّهم بالذكر كأنه لم يعتدّ بغيرهم .

وروى أنس بن مالك عنه (ص) ، قال : تعلّموا العلم فإن تعلّمه لله حسنة ، ومدارسته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه مَنْ لا يعلمه صدقة ، وتذكره لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبيل الجنة ، والأنيس في الوحشة ، والصاحب في الغربة ، والمحدّث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والقرب عند الغرباء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة يُقتدى بهم ويُقتفى آثارهم ويُنتهى إلى رأيهم ، وترغب الملائكة في خلّتهم وبأجنحتها تمسحهم وفي صلاتهم تستغفر لهم ، وكل رطب

ويابس يستغفر لهم حتى حيتان البحار وهوامّها وسباع الأرض وانعامها والسماء ونجومها ، ألا وأن العلم حياة القلوب ونور الأبصار وقوة الأبدان ، يبلغ بالعبد منازل الأحرار ومجلس الملوك ، والفكر فيه يُعدل بالصيام ، ومدارسته بالقيام ، وبه يُعرف الحلال والحرام ، وبه تُوصل الأرحام ، والعلم أمام العمل والعلم تابعه ، يُلهم السعداء ويُحرم الأشقياء .

قوله : « إن الدين » أي الطاعة « عند الله الإسلام » بالتسليم لله وأوليائه ، « وما أُختلف الذين أُتوا الكتاب » اليهود والنصارى في صدق نبوة محمّد (ص) لما كانوا يجدونه في كتبهم بنعته وصفته ووقت خروجه . وإن اختلافهم كان « بغياً بينهم » أي حسداً .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

لمّا قدم الله سبحانه ذكر الإيمان والإسلام خاطب نبيّه «فإن حاجّوك» وخاصمك النصارى ، وهم وفد نجران ، « فقل » يا محمّد « أسلمت وجهي لله » أي انقدت لأمر الله في اخلاص التوحيد له ، أو أعرضت عن كل معبود دون الله وأخلصت قصدي بالعبادة اليه « فإن اسلموا فقد اهتدوا » إلى طريق الحق ، « وإن تولّوا » كفروا ولم يقبلوا قولك ، واعرضوا عنه فانّما عليك أن تبلغ وتُقيم الحجة ، وليس عليك ألّا يتولّوا .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ
مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٢﴾

« إن الذين يكفرون » أي يجحدون حجج الله تعالى وبيّناته « ويقتلون النبيين » قيل : هم اليهود . . وقد استدل به على جواز انكار المنكر مع خوف القتل . . . وبالخبر الذي رواه الحسن عن النبي (ص) انه قال : أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر ، يقتل عليه .

وهذا فيه نظر ، لأن من شرط حسن انكار المنكر أن لا يكون فيه مفسدة ومتى أدى إلى القتل فقد انتفى .

والوجه في الآية الكريمة وفي الأخبار التي جاءت في معناها أن يغلب على الظن أن انكار المنكر لا يؤدي إلى مفسدة فيحسن ذلك بل يجب . وحبطت أعمالهم اذا وقعت على خلاف الوجه المأمور به .

قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ
اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا

لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

« إلى الذين أُوتوا نصيباً» أي أُعطوا نصيباً أي حظاً « من الكتاب يُدعون إلى كتاب الله » فقيل : معناه التوراة دُعي إليها اليهود فأبوا لعلمهم بلزوم الحجة لهم لما فيه من الدلالات على نبوة محمّد (ص) وصدقه ، أو معناه : القرآن ، لأن ما فيه موافق لما في التوراة من أُصول الديانة وأركان الشريعة .

والسبب الذي جراهم على الجحود والإنكار ، بأنهم قالوا « لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات » وفيه قولان : أحدهما الأيام التي عبدوا فيها العجل وهي اربعون يوماً ، والثاني : معدودات : ارادوا منقطعات ومنتهيات .

قوله تعالى :

فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

« ليوم لا ريب فيه » لا شك فيه لمن نظر في الأدلة . إذ ليس فيه موضع ريبة ولا شك « وهم لا يُظلمون » لا ينقصون عما استحقوه من الثواب ولا يزادون على ما استحقوه من العقاب .

قوله تعالى :

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ

شيءٍ قديرٌ ﴿٢٦﴾ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحيَّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ وترزق من تشاء بغير حساب ﴿٢٧﴾

قيل : لما فتح رسول الله (ص) مكة ، ووعد المسلمين مُلْكَ فارس والروم ، قال المنافقون : هيهات ، من أين لمحمّد مُلك فارس والروم ؟! ألم يكفه المدينة ومكة حتى طمع في الروم وفارس ، فنزلت هذه الآية .

« تعزُّ من تشاء » بالإيمان والطاعة « وتذلّ من تشاء » بالكفر والمعاصي .

« تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل » قيل في معناه : ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار ، وينقص من النهار فيجعل ذلك النقصان زيادة في الليل . أو أن معناه : تدخل أحدهما في الآخر باتيانه بدلاً منه في مكانه « وتخرج الحيَّ من الميّت » أي من النطفة وهي ميّتة ، « وتخرج الميّت من الحيّ » أي النطفة من الحيّ ، وكذلك الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة . وقيل معناه : تخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن .

قوله تعالى :

لا يتّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيءٍ إلّا أن تتّقوا منهم تقاة ويحذّركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴿٢٨﴾

لما بيّن الله سبحانه أنه مالك الدنيا والآخرة والقادر على الإعزاز والإذلال ،

نهى المؤمنين عن موالاة مَنْ لا إعزاز عندهم ولا اذلال من اعدائه . أي لا ينبغي للمؤمنين أن يتّخذوا الكافرين أولياء لنفوسهم ، وأن يستعينوا بهم ، ويلتجئوا إليهم ، ويُظهروا المحبة لهم . « ومَنْ يفعل ذلك » أي مَنْ اتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين « فليس من الله في شيء » أي ليس هو من أولياء الله ، والله بريء منه ، إلا أن يكون الكفار غالبين والمؤمنين مغلوبين .

وفي هذه الآية دلالة على أن التقيّة جائزة في الدين عند الخوف على النفس . . قال الشيخ أبو جعفر الطوسي قدس سره : ظاهر الروايات تدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس . . وقد روي أنها رخصة في جواز الإفصاح بالحق عنده .

« ويحذّركم الله نفسه » على اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين وعلى سائر المعاصي .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢٩)

ليذكر بمعلوماته على التفصيل فيتمّ التحذير ، إذ كل مَن يعلم ما في السماوات وما في الأرض على التفصيل يعلم الضمير .

قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ

رؤوف بالعباد ﴿٣٠﴾

لمّا حذّر العقاب في الآية المتقدمة بيّن وقت العذاب ، تجد صحائف الحسنات والسيئات ، أو ترى جزاء عملها من الثواب والعقاب ، ومن تمام رأفته بهم أن حذّرهم عقابه على معاصيه .

قوله تعالى :

قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴿٣١﴾ قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴿٣٢﴾

ثم بيّن سبحانه أن الإيمان بالله لا يجدي إلا اذا قارنه بالإيمان برسوله . فقال : قل يا محمّد لوفد نصارى نجران ، أو إلى غيرهم ، إن كنتم تحبّون الله كما تدعون فأظهروا دلالة صدقكم بطاعة الله وطاعة رسوله ، فذلك امارة صدق الدعوى .

وفي هذه دلالة على بطلان مذهب المجبّرة ، لأنه اذا لم يحب الكافرين من أجل كفرهم ، ولم يردّ ثوابهم ، فلا يريدُ إذاً كفرهم .

قوله تعالى :

إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ﴿٣٣﴾ ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ﴿٣٤﴾

اصطفى : أي اختار واجتبى ، أو اختص بالفضل .

وفي هذه الآية دلالة على تفضيل الأنبياء على الملائكة لأن العالمين يعم الملائكة وغيرهم « ذريّة بعضها من بعض » في التناسل والتوالد ، فإنهم ذريّة آدم ، ثم ذريّة نوح ، ثم ذريّة ابراهيم ، والذين اصطفاهم الله بعضهم من بعض .

قوله تعالى :

إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)

واسمها [حنّة] جدّة عيسى (ع) وليس بعمران أبي موسى ، فيروى أنّ بين عيسى وموسى الف وثمانمئة سنة . . (محرّراً) أي خادماً يخدم في متعبداتنا ، أو خالصاً لطاعتك ، لا أستعمله في منافعي ولا أصرفه في الحوائج . وكان المحرّر يُجعل في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها لا يبرح حتى يبلغ الحلم ، ثم يخيّر بين المقام في الكنيسة أو الذهاب حيث شاء . فلما حملت أم مريم بمريم ، قالت : إني نذرت لك ما في بطني محرّراً ، فلمّا وضعتها وكانت ترجو أن يكون غلاماً ، فلما وضعت مريم خجلت ، وقالت باعتذار وخجل وحياء : ربّ إني وضعتها أُنثى ، لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت المقدس .

وكانت مريم (ع) أفضل النساء في وقتها وأجلّهنّ ، كما روي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، أنه قال : حسبك من نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمّد .

قوله تعالى:

﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾

«فتقبلها» أي رضي بها في النذر الذي نذرته أمها للعبادة ، كما تقدم، ولم يقبل قبلها أنثى للخدمة في بيت المقدس . وقال ابن عباس : لمّا بلغت تسع سنين صامت النهار ، وقامت الليل ، وتبتّلت حتى غلبت الأحبار «وكفّلها زكريا» ـ بالتشديد ، وزكريا كان من ولد سليمان بن داود .

وقالوا : إن أُمّ مريم أتت بها ملفوفة في خرقة إلى المسجد ، وقالت : دونكم النذيرة . فتنافس فيها الأحبار ، فقال لهم زكريا : انا أحقّ بها لأن خالتها عندي . وهذا يؤكد أن يحيى (ع) كان ابن خالة مريم ، فضمّها إلى خالتها أم يحيى ، حتى اذا شبّت وبلغت مبلغ النساء بنى لها محراباً في المسجد ، وكان يأتيها بطعامها وشرابها كل يوم .

وقوله تعالى «وجد عندها رزقاً» يعني : وجد زكريا عندها فاكهة في غير حينها .

قوله تعالى :

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا

﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٣٩)

في هذه الآية دلالة على أنّ زكريا إنّما طمع في الولد لمّا رأى تلك المعجزات ومن خرق العادة بخلق الفاكهة في غير وقتها يقدر على أن يخلق الولد من العاقر «هنالك دعا زكريا ربّه» وطلب منه «فنادته الملائكة» مبشّرين باستجابة دعائه «إن الله يبشّرك بيحيى» سمّاه الله بهذا الاسم قبل مولده «مصدّقاً بكلمة من الله» أي مصدّقاً بعيسى (ع) فكان أول من صدّقه، وشهد أنه كلمة الله وروحه، «وسيّداً» في العلم والعبادة «وحصوراً» يحصر نفسه عن الشهوات أي يمنعها «ونبيّاً من الصالحين» أي رفيع المنزلة من جملة الأنبياء. وفيها دلالة على أن الولد الصالح نعمة من الله على العبد فلذلك بشّره به.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (٤٠)

قال ابن عباس: كان زكريا يوم بُشّر بالولد ابن عشر ومائة سنة، وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة. فقال الله: «كذلك الله يفعل ما يشاء» يرزقك الله الولد منها فإنه هيّن عليه كما أنشأكما ولم تكونا شيئاً.

قوله تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ (٤١).

ثم سأل الله تعالى زكريا علامة يعرف بها وقت حمل امرأته ليزيد في العبادة

شكراً لله قال تعالى: ﴿آيتك ألاّ تكلّم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً﴾أي: إيماءً وقيل الرمز: تحريك الشفتين، وقيل: اراد به صوم ثلاثة أيام، لأنهم كانوا اذا صاموا لم يتكلّموا إلا رمزاً. والعشي: آخر النهار، والإبكار: أوله.

قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾

اصطفاك: أي اختارك، والطف لك، حتى تفرغت لعبادته واتباع مرضاته. أو اصطفاك لولادة المسيح. وطهّرك بالإيمان عن الكفر. فاسجدي واشكري له وصلّي مع المصلّين. وقيل: صلّي جماعة.

قوله تعالى:

ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾

إشارة لما تقدم من حديث مريم وتنافس القوم على كفالتها وتربيتها. وقرروا أن يقترعوا عليها. ونوع القرعة: انطلقوا وهم تسعة وعشرون رجلاً إلى نهر جارٍ فألقوا أقلامهم في الماء، فبرز قلم زكريا وارتفع فوق الماء، ورسبت أقلامهم، فكانت كفالة مريم الفائز بها زكريا.

وفي هذه الآية دلالة على أن للقرعة مدخلاً في تمييز الحقوق. قال الصادق

(ع) : ما تقارع قوم ففوضوا أمرهم إلىٰ الله تعالىٰ إلا خرج بينهم الحق . . وقال عليه السلام : أي قضية أعدل من القرعة اذا فوض الأمر إلىٰ الله تعالىٰ . . وقال الباقر (ع) : اول مَنْ سُوهم عليه مريم ابنة عمران .

قوله تعالىٰ :

إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾

إنّما سمّي المسيح كلمة الله ، لأنه كان بكلمة من الله من غير والد ، حيث قال كن فيكون . . وسمّي المسيح ، لأنه مسيح بالبركة واليمن ، وقيل:لا مسح بالتطهير من الذنوب ، وقيل:لأنه مسحه جبرائيل بجناحيه وقت ولادته ليكون عوذة من الشيطان.وقيل:غير ذلك من اسباب التسمية من مسح الأعمىٰ فيُبصر أو أنه لا يمسح ذا عاهة بيده إلا بريء .

قوله تعالىٰ « عيسىٰ بن مريم » نسبة إلى أمّه رداً علىٰ النصارىٰ لقولهم انه ابن الله . ووجه كلامه في المهد انه تبرأة لأُمّه مما قُذفت به ، وجلالة له بالمعجز « وكهلاً » أي ويكلّم كهلاً بالوحي الذي يأتيه من الله .

قوله تعالىٰ :

قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾

« أنى يكون » أي كيف يكون لي ؟ استفهاماً واستعظاماً لقدرة الله تعالى .

فكان الجواب منه تعالى : « كذلك الله يخلق ما يشاء » أي يرزقك الولد وأنت على هذه الحالة لم يمسك بشر .

قوله تعالى :

وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾

« بآية » أي بدلالة وحجة ، دالة على نبوتي ، وهذه الآية : إني أقدر أن أصور لكم من الطين مثل صورة الطير ، فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ليعلم أنه من فعل الله وليس من فعل عيسى و « الأكمه » الأعمى أو خصوص من ولد أعمى « والأبرص » الذي به وضح وإنما كان يداويهم بالدعاء . . وقال الكلبي : يُحيي الأموات بـ - ياحي يا قيوم - .

وإنما خُصَّ عيسى (ع) بهذه المعجزة لأن الغالب كان في زمانه الطب ، فأراهم الله الآيات من جنس ما هم عليه لتكون المعجزة أظهر . كما أن الغالب لما كان في زمن موسى السحر ، أتاهم من جنس ذلك ، بما أعجزهم عن الإتيان بمثله . وكان الغالب في زمان نبيّنا محمّد (ص) البيان والبلاغة والفصاحة ،

فأراهم الله تعالى المعجزة بالقرآن الذي بهرهم ما فيه من عجائب النظم وغرائب البيان .

«وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون» كان يقول للرجل : تغديت بكذا وكذا ، ورفعت إلى الليل كذا وكذا «إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين» بالله ، إذ كان لا يصح العلم بمدلول المعجزة إلا لمَن آمن بالله ، لأن العلم بالمرسِل لا بد أن يكون قبل العلم بالمرسَل .

قوله تعالى :

وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ
وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ
فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

«ومصدقاً لما بين يدي» أي لما أنزل قبلي من التوراة «ولأُحل لكم بعض الذي حرم عليكم» إن الذي أُحلّ لهم لحوم الإبل وبعض الطيور والحيتان مما كان قد حُرم على بني اسرائيل ، وقيل : أُحلّ لكم السبت .

«وجئتكم بآية» أي بحجّة . فاعبدوا الله وهذا صراطه طريقاً مستقيماً للسالكين .

قوله تعالى :

فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ
وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ

اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾

أحسَّ ، اي : وجد أنهم لا يزدادون إلا كفراً بعد ظهور الآيات والمعجزات ، اختبر المؤمنين من قومه بالسؤال : « مَنْ أنصاري إلىٰ الله » في السبيل إلى الله أو مَنْ أعواني علىٰ هؤلاء الكفار مع معونة الله ، أو مَنْ أعواني علىٰ اقامة الدين المؤدّي إلىٰ الله؟ « قال الحواريّون » الذين كانوا خاصة الانبياء ، وقيل : الحواري الناصر ، وحواري عيسىٰ أنصاره ، وكانوا اثنا عشر رَجُلاً . قالوا نحن أنصارك علىٰ الكافرين من قومك ، أو اعوان دين الله . « ومكروا » يعني كفار بني اسرائيل أي دبّروا لقتل عيسىٰ (ع) « ومكر الله » أي جازاهم علىٰ مكرهم ، لأن مكرهم ظلم ، ومكره عدل وأنصاف .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

وقد ورد في معنىٰ المكر أن ملك بني اسرائيل لما أراد قتل عيسىٰ (ع) أمر أحد أعوانه فدخل عليه غرفته لقتله ، ولكن الله رفع عيسىٰ اليه وألقىٰ شبهه علىٰ مَنْ أراد قتله ، أو الذي ارشدهم لمحلّه حينما طلبوه ، فعندها أخذ اليهود ذلك الرجل وهم يظنّون أنه عيسىٰ ولا يلتفتون لإستغاثته ، فقتلوه وصلبوه .

قوله تعالىٰ :

إِذْ قَالَ اللهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾

لما بيّن سبحانه مكر اليهود بعيسىٰ (ع) ومحاولتهم قتله عقبه بذكر ما أنعم به عليه « إذ قال الله يا عيسىٰ إني متوفّيك » أي قابضك برفعك من الأرض إلىٰ السماء

من غير موت ، إما بمعنىٰ إني رافعك اليّ وافياً لم ينالوا منك شيئاً ، أو بمعنىٰ متسلّمك ، أو معنىٰ متوفّيك وفاة نوم ، أي رافعك وأنت نائم ، او علىٰ التقديم والتأخير أي رافعك ومتوفّيك بعد ذلك ، إذ الواو لا تفيد الترتيب كما هو الحال في قوله تعالىٰ « فكيف عذابي ونُذر » مع أنّا نعلم أن النُذر تكون قبل العذاب . . وكل هذه المعاني أوردها المفسرون ليؤكدوا علىٰ أن عيسىٰ بن مريم (ع) حيٌ عند ربّه . ويؤيّده ما روي عن النبي (ص) أنه قال : عيسىٰ بن مريم لَم يمت ، وأنه راجع قبل يوم القيامة . . وقد صحّ عنه (ص) انه قال : كيف بكم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم ؟ رواه البخاري ومسلم في الصحيح . . فعلىٰ هذا يكون تقديره إني قابضك بالموت بعد نزولك من السماء ، ورافعك إلى كرامتي ، ومطهرك من الذين كفروا باخراجك من بينهم ، وانجائك منهم فإنهم أرجاس . . جعل مقامه فيما بينهم كملاقاة النجاسة .

قوله تعالىٰ :

﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ ﴾

عذاب الكافرين في الدنيا اذلالهم بالقتل والأسر والسبي والخسف والجزية . « ذلك نتلوه عليك » اشارة إلىٰ الاخبار عن عيسىٰ وزكريا ويحيىٰ وغيرهم . وذلك من آيات نبوة محمّد (ص) وصدّق دعوته ، لأنه أخبر عن أمور لم

يكن حاضرها ولم يكن قرأ كتب الأمم السالفة .

قوله تعالى :

إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قيل : نزلت في وفد نجران ، العاقب والسيد ومَنْ معهما ، قالوا : هل رأيت ولداً من غير ذكر ؟ فنزل : « إن مثل عيسىٰ عند الله كمثل آدم . . . » وذلك رداً علىٰ قولهم إن المسيح ابن الله .

«فمَنْ حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم» أي مَن خاصمك يا محمّد في قصة عيسىٰ مع وضوح البراهين ، إنّه عبدي ورسولي ، فقل يا محمّد لهؤلاء النصارىٰ الذين لا يقنعون بهذه الأدلة : تعالوا إلىٰ كلمة ، أي هلمّوا إلىٰ حجّة أُخرىٰ تميز الصادق من الكاذب « ندع ابناءنا وابناءكم » .

ذكر المفسّرون أن النبي لمّا دعاهم للمباهلة استنظروه الىٰ صبيحة غد فلمّا راجعوا رجالهم ، قال لهم الأسقف : انظروا محمّداً في غد ، فإن غدا بولده واهله فاحذروا مباهلته ، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فإنه علىٰ غير شيء . فلمّا كان الغد ، جاء النبي (ص) آخذاً بيد علي بن أبي طالب (ع) والحسن والحسين بين يديه يمشيان وفاطمة تمشي خلفه . وخرج النصارىٰ يقدمهم أُسقفهم ، فلما رأىٰ النبي

قد أقبل بمَن معه سال عنهم ، فقيل له : هؤلاء أعزُّ الناس عليه ، وأقربهم الى قلبه ، وتقدّم رسول الله (ص) فجثا على ركبتيه . قال الأسقف : جثا والله كما جثا الأنبياء للمباهلة . فرجع ولم يقدم على المباهلة .

وروي أن الأسقف قال : لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يُزيل جبلاً من مكانه لأزاله .. فلا تبتهلوا فتهلكوا . وقال النبي (ص) : والذي نفسي بيده لو لاعنوني لمُسخوا قردةً وخنازير ، ولاضطرم الوادي عليهم ناراً ، ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا كلّهم . وحينها توجّهوا لرسول الله (ص) فقال الأسقف : يا أبا القاسم إنّا لا نباهلك ، ولكن نصالحك ، فصالحهم رسول الله على اموال وحلل يؤدّونها للدولة الإسلامية . فلمّا رجع وفد نجران لم يلبث السيد والعاقب إلا يسيراً حتى رجعا الى النبي (ص) وأهدى العاقب له حلّة وعصاً وقدحاً ونعلاً . ثم أسلما على يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم .

وأي فضل يداني فضل آل محمّد (ع) ، فحسن وحسين ابنا رسول الله بنصّ القرآن ، وفاطمة سيدة نساء العالمين وعليٌّ نفس رسول الله . وهذا مما يكاد يقوم عليه إجماع المفسرين أن رسول الله بخروجه للمباهلة لم يكن معه غير اهل بيته هؤلاء : حسن وحسين وفاطمة وعلي عليهم السلام .

قوله تعالى :

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾

معناه : إنّ هذا الذي أوحينا اليك في أمر عيسى (ع) وغيره لهوَ الحديث الصدق . فمَنْ خالفه مع وضوح الأمر فهو معاند ، وما من أحد يستحق اطلاق

الإلهية إلا الله ، وإن عيسى ليس باله كما زعموا .. « فإن تولوا » أي أعرضوا عن اتباعك وتصديقك « فإنّ الله عليم بالمفسدين » .وقيل معناه : عليم بهؤلاء المجادلين بغير حق وبانهم لايقدمون على مباهلتك لمعرفتهم بنبوتك .

قوله تعالى :

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

قيل:نزلت في نصارى نجران ، أو في يهود المدينة ، وقيل:نزلت في الفريقين وهو أولى لعمومه .

قل يا محمّد لأهل الكتاب هلمّوا إلى كلمة عدل بترك العبادة لغير الله لأنها لا تحق إلا له « ولا يتّخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله » ، واُختلف فيه .

فقيل : ولا يتّخذ بعضنا عيسى ربّاً ، فإنه كان بعض الناس .

وقيل : ان لا نتّخذ الأحبار أرباباً نطيعهم طاعة الأرباب . كما روي عن أبي عبدالله انه قال : ما عبدوهم من دون الله ولكن حرّموا لهم حلالاً وأحلوا لهم حراماً .

كما روي أنه لما نزلت هذه الآية ، قال عدي بن حاتم : ما كنّا نعبدهم يا رسول الله فقال النبي (ص) : اما كانوا يحلّون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم ؟ فقال : نعم .. فقال النبي (ص) هو ذلك .

« فان تولّوا » أي أعرضوا عن الإقرار بأن أحداً لا يستحق العبادة غير الله

فقولوا يا أيها المسلمون ، تحدّياً للمشركين ، وتأكيداً على عقيدتكم ، « اشهدوا بأنّا مسلمون » مقرون بالتوحيد منقادون لما أتى به النبي والأنبياء من قِبَل الله تعالى .

وهذا تأديب من الله لعبده المؤمن وتعليم له كيف يفعل عند إعراض المخالف بعد ظهور الحجّة ليعلم المبطل أن مخالفته لا تؤثر على الحق .

قوله تعالى :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾

اجتمع أحبار اليهود ونصارى نجران عند رسول الله فتنازعوا في ابراهيم ، فقالت اليهود : ما كان إلا يهودياً ، وقالت النصارى : ما كان إلا نصرانياً . فأنزل الله هذه الآية التي نفى الله تعالى بها أن يكون ابراهيم على اليهودية أو النصرانية ، بل كان على شرعة الله حنيفاً مسلماً . وإن التوراة والإنجيل أُنزلتا من بعد ابراهيم عليه السلام .

قوله تعالى :

مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾

ردّ الله على اليهود والنصارى كذبهم بدعوى أن ابراهيم كان منهم ، ونزّه ابراهيم وبرّاه عن اليهودية والنصرانية . وهذا يدلّ على إن موسى (ع) أيضاً لم يكن يهودياً ولم يكن عيسى نصرانياً ، فإن الدين عند الله الإسلام ، واليهودية ملّة محرّفة عن شرع موسى ، والنصرانية ملّة محرّفة عن شرع عيسى .

« إن أولى الناس بابراهيم » الذين نصروه واتّبعوه في وقته وزمانه « وهذا النبي والذين آمنوا » أيضاً ، يتولّون نصرته بالحجة وتنزيهه عن كل عيب .

قوله تعالى :

وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾

« ودّت » : أي تمنّت وارادت ، طائفة : جماعة ، من اليهود والنصارى « لو يضلّونكم » : أي يهلكوكم بادخالكم في الضلال « وما يضلّون إلا أنفسهم » وسيرجع وبال ضلالهم على أنفسهم ، ولن يؤثّروا على أحد من المسلمين .

قوله تعالى :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

خطاب لليهود والنصارىٰ ، وكفرانهم بآيات القرآن مع أنهم يشهدون التوراة والإنجيل تبشّران بالنبي محمّد (ص) ، وبالدين وبالقرآن ، كما أنكم تشهدون الآيات والحجج الدالة علىٰ نبوّته (ص) .

« يا أهل الكتاب لِمَ تَلبسون الحق بالباطل » أي : تخلطوا الحق بالباطل بتحريف التوراة والإنجيل ؛ أو باظهارهم الإسلام وإبطانهم النفاق ، لأنهم تداعوا إلى إظهار الإسلام في صدر النهار والرجوع عنه في آخره ، تشكيكاً للناس ؛ أو أن تلبيس الحق بالباطل بالإيمان بموسى وعيسى والكفر بمحمّد ؛ أو أنهم يعلمون في قلوبهم صدق محمّد (ص) ويظهرون تكذيبه « وتكتمون الحق » بنبوة محمّد (ص) وما وجدتموه في كتبكم من نعته والبشارة بنبوته .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالىٰ :

وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا
وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ
دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ
يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

روي : تواطأ اثنا عشر رجلاً من أحبار يهود خيبر وقرىٰ عينه ، قالوا : أُدخلوا في دين محمّد أول النهار باللسان دون الإعتقاد واكفروا به آخر النهار ،

وقولوا : إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمّداً ليس بذلك ، وظهر لنا كذبه في بطلان دينه ، فإذا فعلتم ذلك شكّ أصحابه في دينه ، وقالوا أنهم أهل الكتاب ، وهم أعلم به منّا فيرجعون عن دينهم إلى دينكم . فنبّه الله تعالى عن تلك المكيدة وحذّر المسلمين من ضلال اليهود ، كما نبّه تعالى على إنّ هؤلاء النفر كانوا مضافاً لتلك المكائد للاسلام والمسلمين كانوا يحثّون اليهود بأن لا يؤمنوا إلا لِمَن تبع دينهم ، وإنّ هداهم هو الهدى دون غيرهم ، لذا ردّهم تعالى بقوله « قل إن الهدى هدى الله » و « قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء » قل يا محمّد لليهود إن الهدى هدى الله فلا تجحدوا أيها اليهود أن يؤتى أحدٌ مثل ما أوتيتم من النبوّة . . وقيل في ذلك وجهٌ آخر : وهو أن الكلام كلّه من الله موجّهٌ إلى المؤمنين ، أن لا تؤمنوا أيّها المؤمنون إلا لِمَن تبع دينكم وهو دين الإسلام ، ولا تصدّقوا بأن يؤتى أحد مثل ما أُوتيتم من الدين فلا نبيّ بعد نبيّكم ولا شريعة بعد شريعتكم إلى يوم القيامة .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) ﴾

قال ابن عباس : إن المعني بقوله تعالى « مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤدِّه اليك » هو عبدالله بن سلام ، أودعه رجل ألفاً ومائتي أُوقية من ذهب فأدّاه اليه ، فمدحه الله . ويعني بقوله « مَن إن تأمنه بدينار لا يؤدِّه اليك » هو فخاص ابن عازوراء ، حيث

استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه .. وقيل : إن الذي يؤدّي الإمانة هم النصارىٰ ، والذين لا يؤدّونها هم اليهود .

« ذلك بأنهم » أي اليهود « قالوا ليس علينا في الأُميين سبيل » أي قالت اليهود ليس علينا في أموال العرب سبيل ؛ وإنما سمّوهم أُميين إما لأنهم لا يقرأون وليسوا من أهل الكتاب ، أو لأنهم من مكة أُم القرىٰ .

روي عن النبي (ص) أنه لمّا قرأ هذه الآية ، قال : كذب أعداء الله ما من شيء في الجاهلية إلا وهو تحت قدميّ إلا الأمانة فإنّها مؤدّاة إلى البر والفاجر .

وعنه (ص) ، قال : ثلاث مَن كنّ فيه فهو منافق وإن صلّى وصام وزعم أنه مؤمن : مَنْ إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أُئتمن خان .

قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾

يروىٰ : أنها نزلت في جماعة من أحبار اليهود لأنهم كتموا ما في التوراة من أمر محمّد (ص) وكتبوا بأيديهم غيره ، وحلفوا أنه من عند الله ، وقيل غير ذلك ،

وروي عن ابن مسعود ، قال : سمعت رسول الله يقول : من حلف على يمين كاذبة ليقطع بها مال أخيه المسلم لقي الله تعالىٰ وهو عليه غضبان ، وتلا هذه الآية .

وروي عن أبي ذر الغفاري : أن النبي (ص) ، قال : ثلاث لا يكلّمهم الله

يوم القيامة ، ولا ينظر إليهم ، ولا يزكّيهم ، ولهم عذاب أليم : المنّان الذي لا يعطي شيئاً إلا منّة ، والمُنفق سلعة بالحلف الفاجر ، والمُسبل أزاره .

قوله تعالى :

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾

أي من أهل الكتاب يحرفون الكتاب عن جهته ويعدلون به القصد بألسنتهم أو يفسّرونه بخلاف الحق ، لتظنّوه ، أيها المسلمون ، من كتاب الله تعالى وما هو من الكتاب المنزل على موسى ، ولكنّهم يبتدعونه ويقولون هو من عند الله وهم يعلمون أن ذلك كذب . أو يعلمون ما عليهم من العقوبة .

قوله تعالى :

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾

لما تقدم ذكر أهل الكتاب وأنهم أضافوا ما يتدينون به إلى الأنبياء نزّههم الله عن ذلك ، فقال « ما كان لبشر » أي لا ينبغي لبشر أعطاه الله الكتاب والحكمة والنبوة والعلم أن يدعو الناس إلى عبادة نفسه ، وإنما بعث النبي (ص) ليدعو الناس إلى الإيمان ، لا أن يدعوهم إلى الكفر ، ولم يصدر هذا من أحد من الأنبياء وإنما كان ذلك قول الجهّال والمنافقين .

وقيل : أن رجلاً قال: يا رسول الله نسلّم عليك كما يسلّم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك ؟! قال (ص) لا ينبغي أن يُسجد لأحد من دون الله . ولكن أكرموا نبيكم ، واعرفوا الحق لأهله ، فأنزل الله هذه الآية .

قوله تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾

روي عن أمير المؤمنين (ع) وابن عباس وقتادة : أن الله أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا محمّد (ص) أن يخبروا أُممهم بمبعثه ورفعته ويبشروهم به ويأمروهم بتصديقه .

قوله تعالى « ثم جاءكم رسول مصدّق لما معكم » أي أن محمّداً (ص) مصدّق

لما أتاكم من الكتب ، ويأمركم بنصرته على أعدائه « فاشهدوا » أي فاعلموا بذلك ، «وانا معكم» وليشهد بعضكم على بعض . أو قيل للملائكة اشهدوا عليهم « فمن تولّى بعد ذلك » أي فمَن أعرض عن الإيمان بمحمّد بعد هذه الدلالات والحجج .

وقد روي عن علي (ع) أنه قال : لم يبعث الله نبياً ـ آدم ومَن بعده ـ إلا أخذ عليه العهد لئن بعث الله محمداً وهو حيّ ليؤمنن به ولينصرنّه، وأمره بأن يأخذ العهد بذلك على قومه .

قوله تعالى :

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾

عن ابن عباس ، قال : اختصم أهل الكتاب إلى رسول الله (ص) فيما اختلفوا بينهم في دين ابراهيم ، كل فرقة زعمت أنهم أولى بدينه ، فقال النبي (ص) : كِلا الفريقين بريء من دين ابراهيم ، فغضبوا وقالوا : والله ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك ، فأنزل الله « أفغير دين الله يبغون » .

وفيها من العموم والشمول ما يؤكّد انه تعالى بعد أن بيّن بطلان اليهودية وسائر الملل غير الإسلام بينّ عقيبه ، أن من يبتغ غير دينه فهو ضال لا يجوز القبول منه . . وقد أسلم المؤمن طوعاً والكافر كرهاً . وقال الحسن : الطوع لأهل السماوات خاصة ، وأما أهل الأرض فمنهم من أسلم طوعاً ومنهم من أسلم كرهاً .

« قل آمنا بالله » الخطاب لمحمّد (ص) أمر أن يقول عن نفسه وعن أمته آمنا بالله وبما أُنزل علينا ونحن له مسلمون بالطاعة والإنقياد في جميع ما أُمر به ونهي عنه .

قوله تعالى :

كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾

قيل : أنها نزلت في رجل من الأنصار ، يقال له الحارث بن سويد بن الصامت ، وكان قد قتل المجذر بن زياد البلوي غدراً ، وارتد عن الإسلام وهرب إلى مكة ثم ندم وتاب ، وقبلت توبته ، وعاد إلى المدينة ، وحسن إسلامه .

وقوله « أولئك جزاؤهم أنّ عليهم لعنة الله » وهي إبعاده من رحمته « والملائكة والناس أجمعين » حيث يدعون عليهم باللعنة ، وبأن يبعدهم الله من رحمته « ولا

هم ينظرون » أي ولا هم يمهلون ، ولا يؤخر عنهم العذاب إلا الذين تابوا . . .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾

قيل : أنها نزلت في أهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله (ص) قبل مبعثه وبشروا به قبل مبعثه ، فلما بعث تنكروا له وكفروا به . . وقيل: نزلت في اليهود الذين كفروا بعيسى والإنجيل بعد إيمانهم بأنبيائهم وكتبهم ، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد والقرآن . . وقيل: نزلت في أحد عشر من أصحاب الحارث بن سويد لما رجع الحارث عن ردته ، قالوا : نقيم بمكة على الكفر ما بدا لنا . فمتى ما أردنا الرجعة رجعنا ، فينزل فينا ما نزل في الحارث فتوعدهم الله على أمنهم من مكره بعدم قبول توبتهم ، وتعلل عدم قبول توبتهم لأنهم لم تقع منهم على وجه الإخلاص .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾

ومعناه : أن الكافر الذي يعتقد الكفر وإن يظهر الإيمان لا ينفعه الإنفاق ولا يوجب له ثواباً ، حيث أن كل عمل ليس مع الإيمان فغير مقبول في الآخرة .

ويُروى عن النبيّ (ص) : أنّه يجاء بالكافر يومْ القيامة ، فيقال له : ارأيت لو كان لك مِلأ الأرض ذهباً لكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم . فيقال له : لقد سُئلت أيسر من ذلك فلم تفعل .

قوله تعالىٰ :

لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾

« لَنْ تنالوا البر » أي لن تدركوا برَّ الله تعالىٰ بأهل طاعته ، وقيل في البر : أنه الجنّة ، أو الطاعة ، والتقوىٰ ، وقيل : لن تكونوا أبراراً صالحين أتقياء « حتىٰ تُنفقوا مما تحبّون » الذي هو المال . لأن جميع الناس يحبّون المال . وقيل معناه ، النفائس من أموالكم دون اراذلها ، وقيل:هو جميع ما ينفقه المرء في سبيل الله .

ويروىٰ عن رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلم قوله :

من آثر على نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة ، ومن أحب شيئاً فجعله لله ، قال الله تعالىٰ يوم القيامة : قد كان العباد يكافأون فيما بينهم بالمعروف ، وأنا أُكافيك اليوم بالجنة.

الجزء الرابع

من القرآن الكريم

قوله تعالىٰ :

﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾

اسرائيل : هو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام . ومعناه : أن كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل قبل أن تنزل التوراة على موسى ، فإنها تضمّنت تحريم بعض ما كان حلالاً لبني اسرائيل ، وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرّم الله عليهم طعاماً طيباً وصبَّ عليهم رجزاً ، وهو الموت .

قوله تعالىٰ :

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۗ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

«صدق الله» في أن كل الطعام كان حلاً لبني اسرائيل ، إلا ما حرّم اسرائيل علىٰ نفسه ، وأن محمداً (ص) على دين ابراهيم ، وأن دينه الاسلام ، حنيفاً : أي مستقيماً على الدين الذي أراده الله ، مائلاً عن سائر الأديان الباطلة كما برّأ الله تعالىٰ ابراهيم مما كان ينسبه اليه اليهود والنصارىٰ الذين يدّعون زوراً الإنتساب اليه . وكذلك المشركون من العرب ، فقال تعالىٰ : « وما كان من المشركين » .

والصحيح : أن نبيّنا محمّد (ص) لم يكن متعبداً بشريعة مَنْ تقدم من الأنبياء ، ولكن وافقت شريعته شريعة ابراهيم (ع) .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

تفاخر المسلمون واليهود ، فقالت اليهود : بيت المقدس أفضل وأعظم من الكعبة ، لأنه مهاجر الأنبياء والأرض المقدسة . وقال المسلمون : بل الكعبة أفضل . . فأنزل الله تعالى قوله « إن أول بيت وُضع للناس » أي بُني للناس ، وقيل : أنه أول بيت وضع للعبادة ، ولم يكن قبله بيت يحجّ إليه .

وروي أن أول شيء خلقه الله من الارض موضع الكعبة .

وبكة : قيل المسجد ، ومكة الحرم كلّه . وقيل : أن مكة هي بكة ، على مسمىً واحد ، والعرب تُبدل الباء ميماً .

مباركاً : أي كثير الخير والبركة ، أو يضاعف فيه ثواب العبادة ويغفر فيه الذنوب .

فيه آياتٌ بيّنات : أي دلالات واضحات .

وروي عن ابن عباس أنه قرأ ـ فيه آية بيّنة مقام ابراهيم ـ بما فيه من أثر قدمه في المقام . . « ومَنْ دخله كان آمناً » وجاء في معناه وجوه منها : أن الله عطف قلوب العرب في الجاهلية على ترك التعرض لمَنْ لاذ بالحرم والتجأ اليه وان كثرت جريمته . وجاء الإسلام فأكّد على ذلك وشدّد عليه في احترام البيت . وقيل : ان

مَنْ وجب عليه حدّ شرعي فلاذ بالحرم ، لا يباع ولا يشارىٰ ولا يُعامل حتىٰ يخرج من الحرم ، فيقام عليه الحدّ . وقيل : إن مَنْ دخله عارفاً بجميع ما أوجبه الله عليه كان آمناً في الآخرة من العذاب الدائم .

ثم قال تعالىٰ « ولله علىٰ الناس حجّ البيت مَنْ استطـاع اليه سبيلا » أي من وجد اليه طريقاً بنفسه وماله . وهناك شروط للاستطاعة تراجع ، « ومَنْ كفر » أي مَنْ جحد فرض الحجّ ولَمْ يرَه واجباً « فإن الله غنيّ عن العالمين » .

وقد روي عن النبيّ (ص) أنـه قال : مَنْ لم تحبسه حاجة ظاهـرة من مرض حابس ، أو سلطان جائر ، ولَم يحجّ فليمت إن شاء يهودياً وإن شاء نصرانياً .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالىٰ :

قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)

قل يا محمّد لأهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ ، أو من اليهود خاصة : « لِمَ تكفرون بآيات الله » التي آتاها محمّداً ، والعلامات التي وافقت ما تقدمت به البشارة ، وهو توبيخ لهم علىٰ كفرهم .

ثم قل يا محمّد لأهل الكتاب : « لِمَ تصدّون عن سبيل الله مَنْ آمن » أي لِمَ تمنعون المؤمنين عن الإسلام الذي هو دين الله وسبيله الموصل لرضاه ، تبغون إضلال الناس بما تلقونه من الشبه ، « وانتم شهداء » بتقديم البشارة في كتبكم

بصدق محمّد ورسالته، أو أنكم تشهدون الحق وتميّزونه عن الباطل، فكيف تحيدون عن الحق وتصدون عنه ؟

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ
عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ
صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

حذّر الله المؤمنين من مكائد اليهود ونهاهم من أن يطيعوا اليهود الذين يسعون في إثارة الشبهات والتشكيك بنبوة محمّد (ص) وأخرى بإثارة الأحقاد والضغائن التي كانت بين العرب في الجاهلية ثم وعد الله المؤمنين بأنّهم إذا اعتصموا بالله فسيهدون إلى صراط مستقيم .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم
مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا
نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم
بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

قيل : أنها نزلت في شجارٍ وقع بين الأوس والخزرج جرت فيه المفاخرة بالأنساب ، وكادت تقع فتنة ومأساة بدسيسة من اليهود ، لولا أن تداركها رسول الله وأطفأ نائرتها بحكمته .

« اتقوا الله حقّ تقاته » قيل في معناه : أن يُطاع فلا يُعصىٰ ، ويُشكر فلا يُكفر ، ويُذكر فلا يُنسىٰ . . وقيل : أنه اتّقاء جميع معاصيه ، أو المجاهدة في الله تعالىٰ ، وان لا تأخذه فيه لومة لائم ، وأن يُقام له بالقسط في الخوف والأمن .

« ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون » أي لا تتركوا الإسلام ، وكونوا عليه ثابتين إلىٰ الموت .

« واعتصموا بحبل الله » أي تمسّكوا به ، قيل : أنه القرآن ، وقيل : أنه الإسلام ، وروي عن جعفر بن محمّد (ع) قوله : نحن حبل الله الذي قال : واعتصموا بحبل الله .

« واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداءً فألّف بين قلوبكم » قيل : إن الخطاب إلى الأوس والخزرج ، كما تقدم في سبب النزول ، اشارة لما كان بين القبيلتين من العِداء ، والحرب قبل الإسلام وتطاول الى مئة وعشرين سنة ، ولم تنحسم الحرب والخصومة بين الأوس والخزرج إلا بقدوم النبيّ (ص) إلى المدينة ، وانتشار مفاهيم الإسلام الداعية للإخاء والوئام ، وتلك عليهم نعمة من الله أن ألّف بين قلوبهم فأصبحوا اخواناً ، فلا ينبغي أن يكفر بهذه النعمة وتهدم سعادة الإخاء والصفاء .

«وكنتم على شفا حفرة من النار» أي يا أصحاب محمّد (ص) كنتم قبل محمّد علىٰ حافة النار التي أُعدت للكافرين ، ولم يكن بينكم وبينها إلا لحظات الموت « فأنقذكم منها » بأن أرسل اليكم رسولاً وهداكم للإيمان ، فنجوتم باجابته .

قوله تعالى :

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾

وفي هذه الاية دلالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعظم موقعهما ومحلّهما من الدين ، لأنه تعالى علّق الفلاح بهما .. وروي عن النبيّ (ص) قوله : مَنْ أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه ، وخليفة رسول الله ، وخليفة كتابه .. وقال أبو الدرداء : لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليسلطنّ الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ، وتدعو خياركم فلا يستجاب لهم ، وتستنصرون فلا تنصرون ، وتستغيثون فلا تغاثون ، وتستغفرون فلا تغفرون .. ثم عقب تعالى بحثّ المؤمنين على الإتفاق والجماعة ، ونهى عن التشتت والفرقة ، مع ذم الذين تفرقوا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى من بعد ما جاءهم البيّنات والحجج والكتب التي أوضحت لهم الطريق .

قوله تعالى :

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

أخبر سبحانه أن وجوه المؤمنين ستكون مبيّضة ، مغتبطة ، بما أعد لهم ، جزاءً لطاعتهم وايمانهم ، وكذلك تسود وجوه الكافرين عقوبة لهم على كفرهم ، وهم الذين كفروا بعد إظهار الإيمان . . أو أنهم جميع الكفار لإعراضهم عمّا وجب عليهم الإقرار به . . أو أنهم أهل الكتاب كفروا بالنبيّ (ص) بعد إيمانهم به وبصفاته قبل مبعثه . . أو أنهم أهل البدع والأهواء من المسلمين ، كما يروى عن النبيّ (ص) انه قال : والذي نفسي بيده ليردنّ عليَّ الحوض ممّن صحبني أقوام ، حتى اذا رأيتهم ، اختلجوا دوني ، فلأقولن أصحابي أصحابي ، فيقال : انك لا تدري ما أحدثوا بعد ايمانهم ، ارتدوا على أعقابهم القهقرى .

قوله تعالى :

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾

يا محمّد تلك التي جرى ذكرها حجج الله وعلاماته نقرأها عليك بالحق والحكمة والصواب ، وما الله يريد ظلم عباده ، وحاشا الله أن يظلم عباده ، وإنما يظلم الجاهل والفقير المحتاج لينتزع ما يسدّ به حاجته ويداوي فقره ، والله غني حميد له ما في السماوات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور .

قوله تعالى :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾

تأكيداً لما تقدّم من الدعوة للأمر بالمعروف ، عقّب تعالى بمدح مَن تصدى للقيام بتلك الواجب، ومدح القائمين به ، ترغيباً للإقتداء بهم .. وقيل في معناه أيضاً : أنتم خير أمة .. ويعضده ما يروى عن النبيّ (ص) أنه قال : أنتم زيّنتم ستين أمة انتم خيرها وأكرمها على الله .. أوصرتم خير أمة لأمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر وإيمانكم بالله .. وقد روي عن بعض الصحابة أنه قال : من أراد ان يكون خير هذه الأمة فليؤدِّ شرط الله من الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

« ولو آمن أهل الكتاب » أي لو صدقوا بالنبيّ (ص) وبما جاء به لكان خيراً لهم في الدنيا والآخرة « منهم المؤمنون » المعترفون بما دلّت عليه كتبهم من البشارة بمحمّد (ص) والإعتراف بنبوته وهم قليلون ، وأكثرهم الفاسقون الخارجون عن طاعة الله .

قوله تعالى :

لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

وعد الله المؤمنين أنهم منصورون ، وأن أهل الكتاب لا يقدرون عليهم ، ولا ينالهم من أعداء الإسلام إلا أذى القول سواءً بالكذب على الله ، أو بتحريف كتب الله .

وفي هذه الآية دلالة على صحة نبوة نبيّنا محمّد (ص) لوقوع الأمر كما أخبر بالقرآن ، وإن يهود المدينة من بني قريضة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر الذين حاربوا النبي والمسلمين لم يثبتوا قط وانهزموا أمام المسلمين ، ولم ينالوا من المسلمين بغير السبّ والطعن .

« ضربت عليهم الذلّة » أي جعلت محيطة بهم ، أو بفرض الجزية عليهم ذلّة لهم .. ويقال : أنهم في أغلب أدوارهم اذلّاء يؤدون الجزية حتى أنهم قبل أن يؤدّوا الجزية للإسلام كانوا يؤدّونها للمجوس .

« وضُربت عليهم المسكنة » أي الذلة أو الفقر ، لأن اليهود أبداً يتفاقرون وإن كانوا أغنياء .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾

أي : ان أهل الكتاب ليسوا سواء ، فمنهم المؤمنون القائمون بتلاوة آيات الله كعبدالله بن سلام وأصحابه .

وفيها دلالة على عظم موقع صلاة الليل من الله تعالى ، بحيث مدح أولئك القائمين في آناء الليل بالتلاوة والسجود .. وقد صحّ عن النبيّ (ص) أنه قال : ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الأخير خير له من الدنيا وما فيها . وقال أبو

عبدالله : إن البيوت التي يصلّى فيها بالليل بتلاوة القرآن تضيء لأهل السماء ، كما تضيء نجوم السماء لأهل الأرض . وقال عليه السلام : عليكم بصلاة الليل فإنها سنّة نبيكم ، ودأب الصالحين قبلكم ، ومطردة الداء عن أجسادكم .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

وما يفعلوا من طاعة لن يمنع عنهم جزاؤه . وهذا تأكيد على أن شيئاً من أعمال الطاعة والخير لا يبطل خلافاً لمن قال بالإحباط .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾

لما تقدم ذكر ووصف المؤمنين عقبه سبحانه ببيان حال الكافرين ، وان أموالهم وأولادهم لن تدفع عنهم ما أعد لهم من العذاب الأليم ، وأن ما أنفقوه من الأموال في عداوة الرسول والوقوف بوجه الإسلام ، سواء أكانوا أبو سفيان وأصحابه ببدر وأحد ، كما قيل ، أو ما أنفقه اليهود على علمائهم لمعارضة الإسلام . وقيل : هو مثل لجميع صدقات الكفار ونفقاتهم في الدنيا كمثل ريح مهلكة فيها صرّ ؛ أي : برد شديد ، أو السموم الحارة القاتلة وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون .

قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ (١١٨)

نزلت في رجال من المسلمين كانوا يواصلون رجالاً من اليهود لمّا كان بينهم من الصداقة والقرابة والجوار ، وغير ذلك من العلائق . وقيل : نزلت في قوم من المؤمنين يصادقون المنافقين . وفيها ينهى الله المؤمنين عن موالاة الكفار ومخالطتهم خوف الفتنة ، لذا قال تعالى « لا يألونكم خبالاً » أي لا يقصرون في افساد أمركم ، ولا يدعون جهداً في مضرّتكم ، والخبال : ذهاب الشيء .

« ودّوا ما عنتّم » أي تمنوا أن يعنتوكم ويدخلوا عليكم المشقة . وقد ظهرت امارات العداوة لكم على ألسنتهم ، ومن فلتات كلامهم . وما تُخفي صدورهم من البغضاء والحقد لكم أكبر مما ظهر لكم من ألسنتهم .

قوله تعالى :

﴿ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (١١٩)

تأكيداً على ما تقدم من النهي عن اتخاذ الكفار أصدقاء وأحباء لأنهم لا يظهرون للمؤمنين الودّ ، ولا يبادلونهم الحب الحقيقي ، ولأن تظاهروا بودّكم

فإنهم يضمرون الحقد والعداء لكم، ويعضون عليكم الأنامل من الغيظ. وانكم تصدقون بكافة الكتب الإلهية والشرائع السابقة، ولكنهم لا يبادلوكم هذا الإيمان ولا يعترفون بالإسلام، وبالنبي (ص).. ثم يقول تعالى: قل يا محمد؛ لهؤلاء الكفار: موتوا بغيظكم.. وهو دعاء وإخبار منه تعالى بأن المشركين في غيض، وألم وحسرة، من انتشار الإسلام وعلو كلمته.

قوله تعالى:

إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾

ويؤكد تعالى بأن الكفار المنافقين يؤذيهم ما يسر المسلمين، ويسرهم ويفرحهم ما يؤذي المؤمنين من المحن والنكبات، وأن كيد الكافرين لن يضر المؤمنين اذا هم صبروا واتقوا واستعانوا بالله سبحانه.

قوله تعالى:

وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾

واذكر يا محمد اذ خرجت من اهلك غدوة من المدينة تهيء للمؤمنين مواطن للقتال ليقفوا فيها ولا يفارقوها، واختلف في أي يوم كان، فقيل: يوم أحد،

قيل : يوم الأحزاب ، وقيل : يوم بدر وبدت المشاورات وبدأ النكوص والجبن من بعض القبائل التي أظهرت الإسلام .

والمروي : أن الطائفتين هما بنو سلمة وبنو حارثة من الأنصار . وقيل : نزلت في طائفة من الأنصار وأخرىٰ من المهاجرين كان عبدالله ابن أبي سلول شجعها علىٰ ترك الحرب والعودة إلىٰ المدينة ، فهمّوا بذلك ولم يفعلوا .

وقيل : أنّ النبي (ص) لمّا بلغه قدوم قريش للحرب في غزوة أُحد إستشار أصحابه في التعبئة للحرب وموضعها ، فقال عبدالله ابي سلول : يا رسول الله لا نخرج من المدينة حتىٰ نقاتل في أزقتها . فقام سعيد بن معاذ وغيره من الأوس فأشاروا بالخروج من المدينة للقاء قريش . فقبل رسول الله (ص) الرأي الثاني ، وخرج مع نفر من أصحابه يتفقّد المواطن التي تصلح للحرب ولقاء قريش .

قوله تعالىٰ :

وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾
إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ
الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ
هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ
اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ
اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾

بيّن تعالى لطفه بالمؤمنين ونصرته لهم على أعدائهم رغم قلة المسلمين، وضعف عدّتهم، وكثرة خصومهم وقوة عُدّتهم .. فقد روى ابن عباس أنه قال: كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعون رجلاً، والأنصار مائتين وستة وثلاثون رجلاً، الجميع ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً. وكان المشركون نحواً من ألف رجل. وكان صاحب راية رسول الله يوم بدر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، وصاحب راية الأنصار سعد بن معاذ. ولكن الله أمدّ المسلمين بنصر منه وأنزل اليهم الملائكة مسوّمين، أي: مرسلين. وكان نزول الملائكة بشرى للمؤمنين وتطميناً لقلوبهم.

وقد أوجز المصنف أعلى الله مقامه فصلاً مختصراً سجّل فيه أهم المعلومات عن مغازي رسول الله (ص) وحروبه نورده بنصّه لما فيه من المعلومات القيّمة.

فصل
في مغازي رسول الله (ص)

قال المفسرون: جميع ما غزا رسول الله بنفسه ستة وعشرون غزاة. وأول غزاة غزاها الأبواء، ثم غزوة بواط، ثم غزوة العشيرة، ثم غزوة بدر الأولى، ثم غزوة بني سليم، ثم غزوة سويق، ثم غزوة ذي مر، ثم غزوة أحد، ثم غزوة الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع، ثم غزوة بدر الأخيرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة بني قريضة، ثم غزوة بني لحيان، ثم غزوة بني قرد، ثم غزوة بني المصطلق، ثم غزوة الحديبية، ثم غزوة الفتح فتح مكة، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم غزوة تبوك.

قاتل منها في تسع غزاة: غزوة بدر الكبرى في يوم الجمعة السابع عشر رمضان سنة اثنين من الهجرة، وأحد في شوال سنة ثلاث من الهجرة، والخندق وبني قريضة في شوال سنة أربع، وبني المصطلق وبني لحيان في شعبان سنة

خمس ، وخيبر سنة ست ، والفتح في رمضان سنة ثمان ، وخيبر والطائف في شوال سنة ثمان .

فأول غزوة غزاها بنفسه (ص) فقاتل فيها بدر ، وآخرها تبوك . وأما عدد سراياه فستة وثلاثون سريّة على ما عُدَّ في مواضعه .

قوله تعالى :

﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

أعطاكم الله النصر وخصّكم به ليقطع طائفة من الذين كفروا بالأسر والقتل ويهدم ركناً من أركان الشرك وذلك بهزيمتهم في بدر ونصرُ الله للمسلمين . وقيل : يوم أُحد ، وهو ما يصححه المصنف . وإنما قال الله ليس لك من الأمر شيء ، اما من أمر عقابهم واستئصالهم ، أو الدعاء عليهم ، أو لعنهم . وقيل في ذلك وجوه ومعانٍ كثيرة من أرادها فليطلبها .

قوله تعالى :

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾

لمّا قال تعالى « ليس لك من الأمر شيء » عقّب ذلك بأن الأمر كله لله تعالى . . وعن ابن عباس : « يغفر لمَنْ يشاء ويعذّب من يشاء » ممّنْ لم يتب .

وسُئل بعضهم : كيف يعذب الله عباده بالإجرام مع سعة رحمته ؟ فقال : رحمته لا تغلب حكمته ، اذ لا تكون رحمته برقّة القلب كما تكون الرحمة منا .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)

تحذير للمؤمنين من التلوث بآفة الربا التي كانت شائعة قبل الإسلام ، بل لعلها عماد الإقتصاد في الجزيرة العربية ، بما يقترفه كبار تجار العرب واليهود الذين جعل منهم متنفذين في مصائر الناس إلى حد تملك نواصي الرجال واسترقاقهم اذا عجزوا عن دفع ما بذممهم من الديون .

مع أن ذكر الربا تقدم في سورة البقرة ولكن التكرار تنبيه إلىٰ آفة الربا وخطره . فقال : « يا أيها الذين آمنوا » أي صدقوا بالإسلام ونبيّه أن من تمام إيمانكم أن لا تأكلوا الربا .

وقوله « أضعافاً مضاعفة » والربا قليله وكثيره محرّم وممقوت إلا أن المضاعف أقسى أنواع الربا وأشده خطراً ، ومعناه : الذي يتضاعف بالتأخير والتكرير كلما أُجّل الى أجل آخر قُلب الى ضعفه وهكذا .

« واتقوا الله » بترك معاصيه « لعلّكم تفلحون » وتنجحون بادراك ما تأملونه من نفع الدنيا وثواب الآخرة .

قوله تعالىٰ :

وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَالْكَٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾

لمّا حذّر الله تعالىٰ المؤمنين عن الأفعال الموجبة للعقاب ، عقّبه بالحث علىٰ الأفعال الموجبة للثواب ، ودعاهم للمسارعة للخيرات والطاعات المؤدية لمغفرة الله تعالىٰ ورضوانه والنعيم بالجنة وسعتها والتي أُعدت للمتقين ، مع تعقيب بذكر بعض أفعال المتقين وصفاتهم التي رفعت درجتهم فجعلتهم محل اطراء ومدح دائم . ومن أظهر صفات المتقين سخاؤهم في الله ، وبذلهم في سبيل الله ، وصفحهم عن الغيظ ، وعفوهم عن الناس المسيئين لهم .

قال علي عليه السلام : السخي قريب من الله قريب من الجنّة قريب من الناس بعيد من النار ، والبخيل بعيد من الجنّة بعيد من الناس قريب من النار .

وعن كظم الغيظ ، قال رسول الله (ص) : من كظم غيظه وهو قادر على إنفاذه ملأه الله يوم القيامة رضاً .

وفي خبر آخر : ملأه الله يوم القيامة أمناً وإيماناً .

قوله تعالىٰ :

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾

قيل في سبب النزول : أن قوماً من المؤمنين ، قالوا : يا رسول الله بنوا

اسرائيل أكرم على الله منّا ؟ كان أحدهم اذا أذنب أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه . فسكت رسول الله (ص) فنزلت هذه الآية .

فقال (ص) : الا أخبركم بخير من ذلكم ، وقرأ عليهم هذه الآية . إذ جعل الله الاستغفار كفّارةً لذنوب المؤمنين .

وقيل : نزلت في رجل أغرى امرأةً إلى داره وأراد بها سوءً ، فقالت له : اتق الله ، فتركها وندم ، وأتى النبي يعلن التوبة ، فنزلت هذه الآية .

وروي عن النبيّ (ص) أنه قال : لا صغيرةَ مع الإصرار ولا كبيرةَ مع الاستغفار .

قوله تعالى :

قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾

أي تعرفوا أخبار المكذبين وما نزل بهم من وابل العذاب لتتعظوا بذلك وتنتهوا عن مثل ما فعلوه من التكذيب والإنكار للبعث والحساب وفي مصيرهم بيان للناس وحجة . والظاهر أن الخطاب لأمة محمّد (ص) . وقيل : أنه خطاب لمَن انهزم يوم أُحد .

قوله تعالى :

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ

النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

قيل: نزلت الآية تسلية للمؤمنين لما نالهم يوم أحد من القتل والجراح وهو حث من الله تعالى للمسلمين على الثبات والنجدة ونهي لهم عن الوهن والحزن ووعد منه تعالى بأن الغلبة ستكون أخيراً لهم .

ومَن كان مؤمناً يجب أن لا يهن ولا يحزن لثقته بالله وتصديقه بوعد الله لنصر عباده المؤمنين ولو بعد حين . وقوله تعالى « إن يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله) في يوم بدر .

قال أنس بن مالك : أُتي رسول الله (ص) بعليّ (ع) يومئذٍ - يوم أحد - وفيه نيّف وستون جراحة من طعنة وضربة ورمية فجعل رسول الله (ص) يمسحها وهي تلتئم بإذن الله كأن لم تكن .

«وتلك الأيام نداولها بين الناس » أي نصرفها مرة لفرقة وثانية لأخرى . وإنما يصرّف الله الأيام بين المسلمين وبين الكفار بتخفيف المحنة عن المسلمين أحياناً وتشديدها عليهم أحياناً ، لا بنصرة الكفار على المسلمين ، وفيها إذاً امتحان واختبار لصدق المؤمنين وإن ايمانهم وإقبالهم على الإسلام ناشيء عن معرفة وإيمان لا على أساس النجاح الدائم والمغانم ، وليُعلَمَ المؤمن من المنافق .

قوله تعالى :

وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾

وهذا تأكيد على أنّ تداول الأيام بين المؤمنين والكافرين فيه مصلحة تمحيص المؤمنين من غيرهم ، أو لتمحيص ذنوب المؤمنين بما يلاقونه من قرح

وكرب وقتل . وليمحق الكافرين ويهلكهم بالذنوب .

قوله تعالى :

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾

حث من الله تعالى وترغيب بالجهاد وأن الجنة لا تُنال إلا بالإمتحان والإختيار . ولقد كنتم يا أصحاب محمّد (ص) تمنون الموت كما يروى عن قوم ممّن فاتهم حضور بدر ، كانوا يتمنّون الشهادة بعد بدر ، وقيل : أُحد ، فلما كان يوم أُحد انهزم كثير منهم ، وأنتم تنظرون إلى محمّد (ص) في ذلك الموقف .

قوله تعالى :

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

قال أهل التفسير عن سبب نزول هذه الآية : لما أُرجف بأن النبيّ (ص) قُتل يوم أُحد ، قال الناس : لو كان نبيًا لما قتل . وقال آخرون : نقاتل على ما قاتل حتى نلحق به . وارتد بعضهم . وانهزم آخرون . . فنزل قوله تعالى « **وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** » أي أن الرسل الذين قبله ادّوا رسالاتهم وماتوا ، وان محمّداً يموت كما مات من تقدمه من الرسل ، فليس الموت بمستحيل فاقتدوا

بأصحاب الأنبياء الذين لم يرتدوا عندما مات أنبياؤهم فاثبتوا على الدين «ومن ينقلب على عقبيه» ويرتد عن دينه «فلن يضر الله شيئاً» بل الضرر على المرتد نفسه «وسيجزي الله الشاكرين» الثابتين على الدين .

قوله تعالى :

وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

في الآية إخبار بأن الموت لا يكون إلا باذن الله . ومعناه : إن مات النبي فإنما يموت بإذن الله فلا عذر لأحد في ترك دينه بعد موته ، كما أن فيها حثاً على الجهاد من حيث لا يموت أحد إلا باذن الله أي لا تتركوا الجهاد خشية القتل فإن ذلك لا يؤخر أجلاً قد حضر ولا يقدم أجلاً لم يحضر ، فلا معنى للانهزام والجبن .

وإن الله سيعطي لكل امرىء ما نوى إنْ طلب خير الدنيا وغنائم الحرب فسينالها ، وإن طلب بجهاده الآخرة فينال أوفر الحظوظ . وروى أبان بن عثمان عن أبي جعفر (ع) انه أصاب علياً (ع) يوم أُحد ستون جراحة ، وأن النبي (ص) أمر أم سلمة وأُم عطية أن تداوياه . فقلن : إنا لا نعالج منه مكاناً إلا انفتق مكان آخر ، وقد خفنا عليه . فدخل رسول الله (ص) والمسلمون يعودونه وهو قرحة واحدة ، فجعل يمسحه ويقول إن رجلاً لقي هذا في الله فقد ابلى وأُعذر . وكان القرح الذي يمسحه رسول الله (ص) يلتئم ، فقال علي(ع) الحمد لله اذ لم أفر ولم أُولي الدُبر . فشكر الله له ذلك في القرآن .

قوله تعالى :

وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾

أي ، وكم من رسول قاتل معه ربيّون أي علماء فقهاء ، أو جموع كثيرة منسوبون إلى الرب ، وهم المتمسكون بعبادة الرب . وقُتل ذلك النبي فما وهن أصحابه ولا استكانوا ولا جبنوا عن قتال عدوّهم والله يحب الصابرين في الجهاد الذين يدعون الله بأن يثبّت أقدامهم في جهاد عدوهم وأن ينصرهم على القوم الكافرين ، فأثابهم الله وأتاهم ثواب الدنيا بالنصر والمدد من السماء ، وحسن ثواب الاخرة بما أعدّه للمؤمنين .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

روي عن علي (ع) انها نزلت في المنافقين يوم أُحد يوم الهزيمة اذ قالوا للمؤمنين ارجعوا الى اخوانكم وإلى دينكم فقد مات محمّد . . . وقيل : هم اليهود

والنصارى . وفيه تحذير للمؤمنين بأن لا يصغوا لأقوال المنافقين فإنهم يردوكم على أعقابكم كفاراً وذلك هو الخسران المبين .

قوله تعالى :

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾

بيّن سبحانه أن من جملة نصرته تعالى للمؤمنين القائه الرعب في قلوب المشركين فإن أبا سفيان والمشركون لما ارتحلوا يوم أحد متوجهين إلى مكة قالوا بئس ما صنعنا ، قتلناهم حتى اذا لم يبقَ منهم إلا الشريد تركناهم ، ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك القى الله في قلوبهم الرعب فكفوا عن العودة .

وروي أن الكفار دخلوا مكة كالمنهزمين مخافة أن يكون لرسول الله وأصحابه الكرة عليهم . وقال رسول الله (ص) نصرت بالرعب مسيرة شهر .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

ذكر أنها نزلت في أحد لأن المسلمين كانوا يقتلون المشركين وكان النصر لهم على

المشركين حتى اذا أخلّ الرماة بمكانهم الذي أمرهم الرسول بالمقام عنده ، أتاهم خالد بن الوليد من ورائهم في جماعة من المشركين وقتل عبدالله بن جبير ، وقتل من المسلمين سبعون رجلاً ونادى منادٍ : قُتل محمّد . ثم منّ الله على المسلمين فرجعوا وطردوا المشركين .

وأشار تعالى لمن أراد الدنيا ممّن أخلّوا بأمر رسول الله (ص) وتركوه الجبل رغبة في الغنائم ، ومنكم من يريد الآخرة وهم عبدالله بن جبير ومن ثبت معه ، الذين صبروا وثبتوا كما أمرهم رسول الله حتى قتلوا في سبيل الله .

قوله تعالى :

إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ

لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾

تذكير منه تعالى للمنهزمين يوم أحد وأنهم يصعدون ويمعنون في الهزيمة لا تلتفتون إلى مَن تركتم في أُحد والرسول محمّد (ص) يدعوكم في أخراكم يقول : ارجعوا اليَّ عباد الله أنا رسول الله .

فأثابكم غماً بغم ، غم بالهزيمة وظفر المشركين مضافاً لغمّكم برسول الله اذ صيتموه وضيّعتم أمره . أو الغم الأول القتل والجراحات التي لحقتكم والغم ثاني خبر مقتل محمّد (ص) . او أثابكم غمّاً يوم أُحد بغمّ لحق المشركين يوم بدر . ثم يطمئن المؤمنين بأن لا يحزنوا لما فاتهم من النصر وما أصابهم من شدائد والكروب يوم أُحد في سبيل الله . أو اخبار للمؤمنين بأن الله قد عفى عنهم لا يحزنوا ، فأنزل النعاس عليهم في تلك الحالة حتى كانوا يسقطون على لأرض . ويقابل هذا أن المنافقين لا يستقرون، طائرةً عقولهم . والنعاس كان يغشى المؤمنين فيريحهم من عناء التفكير بعودة قريش اليهم دون المنافقين الذين ساءوا الظنّ بالله وصاروا يفكرون في مصيرهم مع قريش التي يوشك أن تعاود حرب وتأتي عليهم . وإن أُولئك المنافقين كانوا يظنّون بالله غير الحق ظن لجاهلية ويتوهمون أن الله لا ينصر محمّداً وأصحابه ، ويتساءلون : هل لنا من لأمر - أي هل نطمع بالغلبة والنصر - ؟ وكان القائل عبدالله بن أُبي ومنافقون معه يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ، من الوعد بالنصر « ما قتلنا ها هنا » وهو شك منهم وتكذيب للنبيّ (ص) . لذا خاطب تعالى رسوله الكريم بقوله « قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم القتل الى مضاجعهم » أي : لو لزمتم منازلكم أيها المنافقون المرتابون وتخلّفتم عن القتال لخرج للحرب المؤمنون الصادقون الذين فرض عليهم القتال صابرين محتسبين . وقيل أن معناها : لو كنتم في منازلكم لخرج الذي كُتب عليه القتل وجاء أجله وحان موته ولم ينجه أخَرَجَ أم لَم يخرج

للحرب . وفي ذلك امتحان واختبار لحقائق الإيمان في الصدور .

قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ ﴾

ذكر الله المنهزمين يوم أُحد ، يوم التقى الجمعان ، جمع الأسلام وجمع الكفر ، إنما كانت تلك الهزيمة التي استزلّهم الشيطان فيها ببعض ما كسبوا من المعاصي السالفة أو بمحبّتهم للغنيمة لحقتهم الهزيمة وان الله عفا عنهم بعدما تابوا وأصلحوا .

وقيل : إنه لم يبق مع النبيّ (ص) يوم أُحد مَن لم ينهزم إلا ثلاثةعشر نفراً خمسة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار . فأمّا المهاجرون : فعلي (ع) وأبو بكر وطلحة وعبدالرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وقد أُختلف في الجميع إلا في علي (ع) وطلحة . . وقد روي عن عمر بن الخطاب أنه قال ورأيتني أصعد في الجبل كأنّي أروى . . ولم يرجع عثمان من الهزيمة ألا بعد ثلاثة ، فقال له النبيّ (ص) : ذهبت فيها عريضة .

قوله تعالىٰ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾

نهي منه سبحانه للمؤمنين عن الاقتداء بالمنافقين في أقوالهم وأفعالهم، فقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا» قيل يريد بالكافرين عبدالله بن أبي سلول وأصحابه.. وقيل: هو عام لكل الكافرين المنافقين الذين يثبّطون المؤمنين عن الجهاد؛ ولكن المؤمنين لم يقبلوا أقوال الكافرين ولم يصغوا لدسائسهم فخرجوا في سبيل الله ونالوا العز والغنيمة، فجعل الله ذلك العز والغنيمة حسرة في قلوب الكافرين.. وعلى فرض انكم تقتلون أيّها المؤمنون في سبيل الله أو متّم في طريقكم للجهاد فإن ذلك يستوجب لكم من الله المغفرة والرحمة، وهو خير مما يجمع المنافقون والكفار من الأموال والمقاصد الدنيوية.

قوله تعالى:

فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾

ثم بيّن سبحانه أن تساهل النبيّ (ص) وتجاوزه عن مساوىء القوم كان ذلك برحمة من الله. وان لين النبيّ وسماحة اخلاقه مما يوجب دخولهم في الدين. ولو كنت يا محمّد فظاً غليظ القلب قاسي الفؤاد غير ذي رحمة ولا رأفة لانفضوا من

حولك . فأعف عن اساءتهم إليك واستغفر الله لهم من ذنب فرارهم يوم أُحد أو غيره . وشاورهم في الأمر واستعلم ما عندهم من الآراء . وفائدة المشورة هنا هو تأليف قلوبهم والرفع من أقدارهم ولتقتدي به أُمته في التشاور فيما بينهم وليمتحن بالمشاورة الناصح من الغاش .

والظاهر أنّ تلك المشاورة في أُمور الدنيا ومكائد الحرب ولقاء العدو ، وفي مثل ذلك يجوز أن يستعين بآرائهم دون سواها من أُمور العقيدة وقواعد التشريع والأحكام والفرائض فانّها تنزل من ربٍّ رحيم . فإذا عزمت وعقدت قلبك على الفعل فتوكل على الله وفوّض أمرك اليه ، إنّ الله يحب المتوكلين الواثقين المعتمدين عليه والمنقطعين اليه .

وفي هذه الآيةدلالةعلى سمو أخلاق رسول الله وحميد سجاياه. كما أنّ فيها ترغيب للمؤمنين في العفوعن المسيء والتوكل عليهوتفويضالأمر إليه سبحانه.

قوله تعالى :

إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾

لما حثّ سبحانه في التوكل عليه بيّن نتائج التوكل « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم » أي يمنعكم معونته ويخلّ بينكم وبين أعدائكم بسبب معاصيكم فمَنْ ذا الذي يستطيع نصركم .

وفي الآية ترغيب في طاعة الله التي يستحق بهاالنصرة،والتحذير من معصية الله التي يستحق بها الخذلان .

قوله تعالىٰ :

وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾

الغِل : الحسد أو الخيانة ، وقد قيل في أسباب النزول : أنها نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر . فقال بعضهم لعلّ النبيّ (ص) اخذها . وقيل : نزلت حين ترك الرماة يوم أُحد مراكزهم طلباً للغنيمة ، وقالوا : نخشى أن يقول رسول الله : من أخذ شيئاً فهو له فقال رسول الله أظننتم أنّا نغل ولا نقسم لكم .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالىٰ :

أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾

لمّا أمر الله رسوله بالخروج الىٰ أُحد قعد عنه جماعة من المنافقين واتّبعه المؤمنون فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية . . ودرجات عند الله مثلما هم بالطاعة والمعصيةوبالجهاد والقعود كذلك هم بالعقاب والثواب واختلاف مراتب كل من الفريقين فإن الجنة طبقات بعضها أعلىٰ من بعض ، والنار دركات بعضها أسفل من بعض . والله بصير بما يعملون لا يضيع عمل عامل اذ لا يخفىٰ عليه شيء .

قوله تعالىٰ :

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾

ذكر سبحانه عظيم نعمته على الخلق ببعثه محمّداً نبيّاً اليهم ، وإنما خصّ المؤمنين بالنعمة مع انّ النبيّ (ص) مبعوث للخلق أجمعين ، لأن النعمة على المؤمنين أعظم لإهتدائهم به وانتفاعهم ببيانه.

« من أنفسهم » بشر مثلهم ومن جنسهم ولم يبعث ملكاً بل ومن قومهم يعرفون صدقه وأمانته وكونه أمياً لم يكتب كتاباً وكونه بلسانهم ليسهل عليهم أخذ الأحكام منه وأنّهم كانوا قبل بعثه في ضلال مبين فأنقذهم الله بمحمّد (ص) .

قوله تعالى :

أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

عودةٌ إلى الحديث عن الجهاد فإنّكم حين أصبتم في أُحد بالقتل والجرح ، وقُتل منكم سبعون فإنّكم أصبتم من الكفار ببدر مثلها حيث قُتل من الكفار سبعون وأسر سبعون . وان اسباب الهزيمة في أُحد كانت من عند أنفسكم بخلافكم أمر ربكم وترككم طاعة الرسول .

قوله تعالى :

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا

قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ﴿١٦٧﴾

يوم التقى الجمعان ، جمع المسلمين وجمع المشركين في يوم أُحد والنكبة التي حلّت بكم بقتل مَنْ قتل منكم بعلم الله ، وليميز المؤمنين من المنافقين . وقيل للمنافقين تعالوا قاتلوا في سبيل الله ، قيل : إن المعنيين عبدالله بن أبي سلول والمنافقين من أصحابه انخذلوا يوم أُحد نحواً من ثلثمائة رجل ، وقالوا : علامَ نقتل أنفسنا ، لو علمنا قتالاً لقاتلناهم . وبإظهارهم هذا القول والنكوص عن الجهاد صاروا للكفر أقرب منهم للإيمان ، يقولون بأفواههم من التقرب إلى الرسول واظهار الإيمان ما ليس في قلوبهم فإنّ في قلوبهم الكفر والنفاق .

قوله تعالىٰ :

الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴿١٦٨﴾

المنافقون يقولون لإخوانهم الذين قتلوا في أُحد لو اطاعونا ولم يخرجوا للحرب ما قُتلوا . فقُل لهم يا محمّد ادفعوا عن انفسكم الموت إن كنتم صادقين وفيها ترغيب في الجهاد ، وبيان أن كل أحد يموت بأجله فلا ينبغي أن يجعل ذلك عذراً في القعود عن الجهاد لأن المجاهد ربّما يسلم والقاعد ربّما يموت .

قوله تعالىٰ :

ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم

يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ
لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ
بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾

قيل : أنها نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر رجلاً ، ثمانية من الأنصار وستة من المهاجرين . . وقيل : أنها نزلت في شهداء أُحد وهم سبعون . . وقال الباقر عليه السلام وكثير من المفسرين : انّها تتناول شهداء الموقعتين ، بدر وأُحد ، . . وقيل : نزلت في شهداء بئر معونة ، حين بعث رسول الله (ص) المنذر ابن عمرو أخا بني ساعدة في سبعين رجلاً من خيار المسلمين ليبلّغوا أهل نجد رسالة رسول الله ويدعونهم للإيمان ، فعدا عليهم عامر بن الطفل مع مَنْ معه ، وأحاطوا بهم ، فاستُشهد المسلمون جميعاً ولم ينج منهم إلا واحد كان جريحاً بين الجرحى ثم برىء فشقّ ذلك على النبيّ (ص) والمسلمين .

وجملة القول : إن الله لمّا حكى قول المنافقين في الشهداء تثبيطاً للمؤمنين عقّبه بذكر ما أعدّه للشهداء وما خصّهم به من النعيم ، وانّهم فرحون بما آتاهم الله من فضله .

قوله تعالى :

الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ
أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ

النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾

لمّا انصرف أبو سفيان وأصحابه من أُحد ندموا على انصرافهم دون أن يستأصلوا المسلمين ، وتلاوموا ، وقرروا العودة لحرب المسلمين ، واستئصالهم . فبلغ ذلك رسول الله (ص) فأراد أن يرهب العدو ، ويريهم أن المسلمين قوةً لا تقهر . فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من القراح والجراح الذي أصابهم يوم أُحد ، ونادى منادي رسول الله : ألا لا يخرجن أحد إلا مَنْ حضر يومنا بالأمس .

وهنا عاود النفاق موقفه المخزي بتخذيل المسلمين وتهويل أمر الكفر والكافرين . وكان رأس المنافقين اليهود يشيعون بين المسلمين التخذيل ولكن ذلك النفاق وتثبيط العزائم زاد المؤمنين إيماناً وتصميماً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

وكانت النتيجة لصالح المسلمين ، فانّ المشركين وقع الرعب في قلوبهم وخافوا من المسلمين ، فولّوا إلى مكة لا يلوون . وعاد المسلمون رافعي الرأس مطمئنين ـ مطمئنةً نفوسهم ـ

وقد تضمّنت الآية الحث في التوكل على الله في الملمّات . وقد روي عن الصادق عليه السلام ، قال : عجبت لمَن خاف كيف لا يفزع إلى قوله : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . . وروي عن ابن عباس ، قال : آخر كلام ابراهيم (ع) حين أُلقي في النار : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . وقال نبيّكم مثلها .

قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾

ذلك التخويف ، وتثبيط عزائم المؤمنين من عمل الشيطان يخوّف أولياءه ، والمسلمون لا يخافونه لأنهم يثقون بالنصر الموعود .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ ﴾

ولا يحزنك يا محمّد ارتداد المنافقين ومسارعتهم في الكفر وإن أولئك المنافقين بارتدادهم لن يضروا الله شيئاً . . ثم أكّد سبحانه بأن مَن اشترى الكفر بالإيمان لن يضر الله شيئاً .

قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾

نزلت في مشركي مكة،وقيل: في بني قريظة والنضير . . وبيّن سبحانه أن

إمهال الكفار لا ينفعهم وأن اطالة اعمارهم ستزيد لهم العقوبة بما يزدادون فيها من الجرائم والآثام .

قوله تعالىٰ :

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾

قيل : انّ المشركين قالوا لأبي طالب : إن كان محمّد صادقاً فليخبرنا من يؤمن منّا ومَن يكفر ، فإن طابق إخباره الواقع آمنّا به . فذكر ذلك للنبيّ (ص) فأنزل الله هذه الآية ؛ وبيّن تعالىٰ انه سيميز الخبيث من الطيب ؛ الكافر من المؤمن . والتمييز بالإمتحان والتكاليف والجهاد فيثبت المؤمنون ويتخلّف المنافقون .

كما أنه تعالىٰ لن يُطلع علىٰ غيبه إلا مَن اجتباه من رسله ، ولا معنىٰ لتعليق ايمانكم أيّها الكفار بهذه الأُمور . وإن تؤمنوا وتتقوا وتتركوا المغالطة والاشتطاط بالشروط فلكم أجر عظيم .

قوله تعالىٰ :

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ

السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

ولا تحسبنّ يا محمّد ويا أيها السامع بأنّ بخل الباخلين خيراً لهم بل هو شر لهم لأنهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة .

وقد جاء قول اكثر المفسرين : انها نزلت في ما نعي الزكاة . . . وقد روي عن النبيّ (ص) أنه قال : ما من رجل لا يؤدي الزكاة إلا جعل في عنقه شجاع يوم القيامة - والشجاع نوع مهول من الأفاعي كثير السم - .

وقد تضمّنت الآية الحثّ على الانفاق والمنع من الإمساك والبخل لأن الأموال عرضة للزوال إما بالموت أو بالآفات الأخرى . فالأجدر بالعاقل أن لا يبخل بانفاقه في مواضعه ، ويجمع المال وعليه وزره ولغيره نفعه .

أموالنا لذوي الوراث نجمعها ودورنا لخراب الدهر نبنيها

قوله تعالىٰ :

لَقَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾

لمّا نزلت « مَن يُقرض الله قرضاً حسناً » قالت اليهود : إن الله فقير يستقرض منّا ونحن أغنياء. وينسب القول إلىٰ حييّ بن اخطب، أو منخاص بن عازورا وكلاهما من كبار اليهود . . وقد أشار القرآن الىٰ خبثهم وتمرّدهم واستمرارهم على النفاق والكفر ، وستضاف تلك الجرائم إلىٰ جرائمهم السابقة من قتلهم الأنبياء . .

قوله تعالىٰ :

الَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ
تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ
فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ
رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾

قيل : أنّها نزلت في جماعة من اليهود ، قالوا : يا محمّد إنّ الله عهد الينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، فإن زعمت أن الله بعثك الينا فجئنا به نصدّقك . فعندها نزل قوله تعالىٰ : قل يا محمّد لهؤلاء اليهود قد جاءكم رسل من قبلي بالبيّنات وبالحجج الدالة علىٰ صدقهم ، وحققوا لكم حتىٰ طلب القربان فلِمَ قتلتموهم وهم زكريا ويحيىٰ وجميع من قتلهم اليهود من الأنبياء . . فلِمَ قتلتموهم إن كنتم صادقين فيما عهد اليكم ربكم . . فإن كذبوك يا محمّد فلك أُسوة بمَنْ قبلك من الرسل ، وانّك لست اول رسول يكذبه الكفار ، بل كُذبَ الرسل من قبلك ، رغم أنهم جاءوا بالبيّنات . والزبر الكتب التي فيها الحكم والزواجر . والكتاب المنير التوراة والإنجيل . لأن اليهود كما كذبوا عيسىٰ وانجيله ، كذبوا موسىٰ وتوراته ، وكذلك بتحريفهم التوراة وخاصة ما جاء فيها من صفات النبيّ محمّد صلّىٰ الله عليه وآله وسلم .

قوله تعالىٰ :

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ

عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَـٰعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾

وفيها دلالة على أنّ كل حيّ سيموت ؛ وأن الوفاء والجزاء عن أعمال الدنيا يوم القيامة ، وأحسن الناس حالاً من زحزح هناك عن النار ، أي أبعد عنها ، وأدخل الجنة ، فذلك هو الفوز العظيم . ولا ينبغي للإنسان إهمال الآخرة والإعتناء بملاذ الدنيا فحسب ، فإن ملاذها ومتاعها متاع الغرور زائل .

قوله تعالى :

لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾

قيل : إن الآية نزلت في كعب بن الأشرف وكان يهجو النبيّ والمؤمنين ويحرض المشركين ويشبب بنساء المسلمين . . وفي ذلك امتحان واختبار للمسلمين بما يلحقهم من الأذى من القتل والسبّ والهجاء والتشهير من اليهود والنصارى ومن مشركي العرب وكفار مكة . . وهنا يوصي تعالى المؤمنين بالصبر وعزم الأمور والتعقل فإن ذلك أحرى وأجدر من الجزع الذي قد يبلغ بالإنسان الإثم .

قوله تعالى :

وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَـٰقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا

تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾

قيل : اراد به اليهود أو النصارىٰ ، وقيل : كل من أُوتي علماً بشيء من الكتب . لتبيننّه ، اي : ما في الكتب بما في ذلك أمر محمّد (ص) وإن الدين ـ عند الله ـ هو الإسلام ، ولا تخفونه عند الحاجة . ولكنهم نقضوا الميثاق واخلفوا العهد وتركوه وراء ظهورهم ولم يبيّنوا للناس ما في الكتاب ، كل ذلك من أجل ثمن قليل ومغانم يخشون زوالها .

وروىٰ الثعلبي حديثاً طويلاً عن الحسن بن عمارة عن نجم الجزار ، قال : سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول : ما أخذ الله علىٰ أهل الجهل أن يتعلّموا حتىٰ أخذ علىٰ أهل العلم أن يعلّموا .

قوله تعالىٰ :

لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾

نزلت في اليهود حيث كانوا فرحين باجلال الناس لهم ونسبتهم إياهم الىٰ العلم . وقيل : نزلت في أهل النفاق لأنّهم كانوا يفرحون بالنفاق والتخلّف عن الجهاد مع رسول الله (ص) وبيان أمره وصفاته التي اطّلعوا عليها فكتموها . فلا تحسبنّهم بمفازةٍ وبمنجىً من النار والعذاب الأليم .

قوله تعالىٰ :

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾

أي : مالك تدبير السماوات والارض وليس لغيره الإعتراض .. والله على كل شيء قدير ، وأنه قادر على اهلاك من اراد اهلاكه فكيف يطمع أحد في الخلاص من حكمه والتمرّد على دينه .

قوله تعالى :

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

روى الثعلبي في تفسيره عن محمّد بن الحنفية عن علي بن أبي طالب ع : أن رسول الله (ص) كان اذا قام من الليل استاك ثم ينظر إلى السماء ، ثم يقول « إنّ في خلق السماوات والأرض . . . الى قوله فقنا عذاب النار » . كما اشتهرت الراوية عن النبيّ (ص) : انه لمّا نزلت هذه الآيات قال : ويل لمَن لاكها بين فكّيه ولم يتأمل ما فيها .

ومعنى الآيات ـ والله العالم ـ : أنه سبحانه لما بيّن أن له ملك السماوات والأرض ، عقبه ببيان الدلالات على ذلك فقال : « إن في خلق السماوات والأرض » وايجادها بما فيها من العجائب والبدائع واختلاف الليل والنهار ومجيء كل واحد منهما خلف الآخر لآيات ودلالات على توحيد الله . وتلك الآيات والبراهين بادية لأولي الألباب وذوي البصائر والعقول الذين يدركون ببصائرهم وجه الدلالة في خلق السماوات والأرض يدلان على أن لهما محدثاً قادراً ، كما يدل ابداعهما وما فيهما من الأمور الجارية على غاية في الدقة والإنتظام على أن مبدعهما عالم لأن الفعل المحكم المنتظم لا يصح إلا من عالم ، كما أن الإيجاد لا يصح إلا من قادر إلى آخر ما في السماوات والأرض من أدلة وبراهين على عظمة خالقها .

ثم وصف سبحانه أولي الألباب بأنّهم الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، أي انّهم يذكرون الله ويصلّون في سائر الأحوال ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ، أي : يعاودون التفكر فيهما ليستدلوا على وحدانيته تعالى ، وكمال قدرته وحكمته . وينتهون الى نتيجة قولهم « ربّنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك » أي : ما خلقت هذا الخلق عبثاً بل لغرض صحيح وحكمة ثم ينزّهونه عن كل ما لا يليق بقدسه من الصفات ، فيقولون : سبحانك ؛ أي : ـ تنزيهاً لك عمّا لا يليق بك من الصفات . « فقِنا عذاب النار » التي ستكون مصير كل جاحد كافر « ربّنا انك مَن تُدخل النار فقد أخزيته » أي فضحته وأهنته ، أو : أهلكته ، أو : أوقفته موقفاً يستحيي منه « وما للظالمين من أنصار » يدفعون عنهم عذاب الله . . وهذا لا ينافي الشفاعة فإن الشفيع ليس نصيراً للظالم وانّما مسترجياً وداعياً من الله بالشفاعة . وفيها من الأخبار ما يؤكّده الخاصة والعامة مما لا يمكن انكارها « ربّنا اننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا » قيل : إن المنادي هو النبي (ص) ، أو : القرآن ، لأنه يبلغ من حضر النبي ومَن لم يحضر في كل عصر ومصر . . وأنهم يؤكدون ايمانهم بالآيات والرسل بقولهم : « ربّنا وآتنا ما وعدتنا

على رسلك » من الثواب ولا تخزنا ولا تفضحنا يوم القيامة .

قوله تعالى :

فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

روي : أن أمّ سلمة قالت : يا رسول الله ما بال الرجال يُذكرون في الهجرة دون النساء ؟ فأنزل الله هذه الآية . . . وهو تعقيب منه سبحانه على دعوة المؤمنين فاستجاب لهم ربهم وأنه لا يضيع عمل عامل منهم من ذكر أو أنثى لأن بعضكم من بعض في النصرة ، فحكم الجميع واحد في الإيمان والمثوبة . فالذين هاجروا وأُخرجوا من ديارهم ، أخرجهم المشركون من مكة ، وأُوذوا في سبيل الله ، وقاتلوا في سبيل الله وقُتلوا لأكفرنّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحت أبنيتها وأشجارها الأنهار .

قوله تعالى :

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ

تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾

نزلت في مشركي العرب . وكانوا يتجرون ويتمتعون بها . فقال بعض المسلمين : إن أعداء الله في العيش الرخي وقد هلكنا من الجوع . . وقيل : انها نزلت في اليهود الذين كانوا يعملون في الأرض فيصيبون الأموال .

لا يغرّنك يا محمّد ، أو : يا أيّها السامع ، تقلّب الذين كفروا في البلاد سالمين غانمين غير مؤآخذين باجرامهم فإنّ ذلك مما لا ينبغي أن يغبطوا عليه ، لأن مأواهم ومصيرهم النار . ولا نعيم بعده النار بنعيم . وانّما العاقبة للمؤمنين الذين اتقوا ربّهم ، فإن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله في النعيم المقيم المعدّ للأبرار .

قوله تعالىٰ :

وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾

قيل : نزلت في النجاشي ، ملك الحبشة ، واسمه أصحمة ، وذلك أنه لمّا مات نعاه جبرائيل لرسول الله في اليوم الذي مات فيه ، فقال رسول الله : أُخرجوا فصلّوا على أخ لكم مات بغير أرضكم ، قالوا مَن ؟ قال : النجاشي . فخرج رسول الله الىٰ البقيع وكشف له من المدينة الىٰ الحبشة ، فأبصر سرير النجاشي وصلّىٰ عليه . فقال المنافقون : انظروا الىٰ هذا يصلّي علىٰ علج نصراني حبشي ،

لم يره قط ، وليس على دينه ، فأنزل الله هذه الآية ... وقيل : نزلت في جماعة من اليهود أسلموا ومنهم عبدالله بن سلام ومن معه ... وقيل : نزلت في كافة المؤمنين من أهل الكتاب .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

لمّا حكى الله تعالى أقوال المؤمنين والكافرين فيما تقدم حث بعد ذلك على الصبر والطاعة ولزوم الدين والجهاد في سبيل الله . وهذه الآية تتضمن جميع ما يتناوله المكلف لأن قوله اصبروا يتناول لزوم العبادات واجتناب المحرمات . وصابروا فيما يتعلّق بالجهاد للنفس وجهاد الأعداء في الله والمرابطة في الدفاع عن الإسلام والمسلمين والذب عن الدين . واتقوا الله : يتناول الانتهاء عن جميع المناهي والزواجر ، والائتمار بجميع الأوامر . وان ذلك مفتاح كل فلاح .

تمّت ولله الحمد سورة آل عمران وتفسيرها

سورة النساء

مدنية ـ وقيل : مدنية إلا قوله تعالى « أن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها .. الآية » « ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم ... الى آخر الآية » فإن الآيتين نزلتا بمكة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)

ابتدأ الله سبحانه هذه السورة بالموعظة والأمر بالتقوى فقال : « يا أيها الناس » وهو خطاب للمكلفين من جميع البشر .. وللمفسرين رأي بلحن هذه الخطابات فيقولون أن جميع ما نزل من القرآن بمكة كان بخطاب العموم بـ « يا أيها

الناس » وأما ما نزل من القرآن في المدينة فتارة بـ « يا أيها الناس » وأخرى بـ « يا أيها الذين آمنوا » .

« اتقوا ربكم » أي معصية ربكم . او : عقابه « الذي خلقكم من نفس واحدة » وهو آدم (ع) « وخلق منها زوجها » حواء (ع) « وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء » ثم حث تعالى على مزيد من التقوى ونهى عن قطع الأرحام وأمر بصلة الأرحام وما لها من مكانة في الدين الإسلامي واجبها ومستحبها .

قوله تعالى :

وَءَاتُوا الْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوٓا أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

لما أمر تعالى بالتقوى وصلة الأرحام عقبه بباب آخر من التقوى وهو : توفير حق اليتامى والمحافظة على أموالهم في كافة أطوار حياتهم ، ولا تأخذوا الجيّد من أموالهم وتتركون لهم الخبيث الرديْ ، ولا تضيفوا أموالهم الى اموالكم فتأكلوها بالباطل « انه كان حوباً » أي اثماً . وهذا لا يعني الدعوة الى مقاطعة اليتامى وعدم مخالطتهم بالبيع والشراء وانواع المعاملات المشروعة ، فقد ورد قوله تعالى : « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم في الدين » .

قوله تعالى :

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَٰمَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾

قيل : في اسباب النزول انّها نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها أو جمالها ، ويتزوّجها بدون صداق مثيلاتها .

وقيل : انه تحذير للمؤمنين من الجور وأنهم كما يُلزمون أنفسهم في القسط والعدل في اليتامىٰ يلزمهم العدل بين الزوجات ، وأن لا تتزوجوا منهنّ إلا من تؤمنون معها العدل

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقيل : غير ذلك من اسباب النزول .

« وإن خفتم ألا تقسطوا » أي لا تنصفوا ولا تعدلوا « فانكحوا ما طاب لكم » اي : ما حلَّ لكم « فان خفتم الا تعدلوا » بين الأربع أو الثلاث في أي وجه من وجوه التسوية ، فتزوجوا واحدة « أو ما ملكت أيمانكم » أي : اقتصروا واكتفوا بما ملكت أيمانكم « ذلك أدنىٰ ألا تعولوا » أي : أقرب الا تميلوا وتجوروا .

واستبعد المصنف أن معنىٰ قوله « ألا تعولوا » اي أن لا تكثر عيالكم لأن مَن يملك الإماء لا يوصف بالعجز عن الإنفاق علىٰ كثرة العائلة . « وآتوا النساء صدقاتهنّ نحلة » أي أعطوهنّ مهورهنّ . وقيل : إن الخطاب للأزواج يجب اعطاء أزواجهم مهورهنّ والإبتعاد عن أكل ما فرضوا لهنّ واتفقوا عليه ؛ وقيل : ان الخطاب لأولياء النساء ونهيهم عن أكل مهور بناتهم وأخواتهم ومَنْ تحت ايديهم « فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً » ويذهب المفسرون الىٰ أن اباحة الأكل الاخيرة متوجهة لخصوص الأزواج الذين تهب زوجاتهم بعض مهورهنّ أو يتنازلن لهم عنه .

قوله تعالى :

وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٥﴾

أي : لا تُعطوا السفهاء أموالكم ، قيل هم : النساء والصبيان وقيل : النساء خاصة ، وقيل : انه عام في كل سفيه . « أموالكم التي جعل الله لكم قياماً » أي قواماً لمعاشكم ومعادكم . . وقيل في معناه : ما تُعطي ولدك السفيه من مالك الذي جعله الله قواماً لمعاشك فيفسد عليك وتضطر اليه فيصير رباً عليك ينفق مالك عليك .

« وارزقوهم فيها واكسوهم » أي انكم حينما نُهيتم عن تسليم أموالكم للسفهاء لا يعني انكم تهملون مَنْ وجب عليكم الإنفاق عليه منهم بل ارزقوهم واكسوهم « وقولوا لهم قولاً معروفاً » أي تلطفوا معهم بالقول ولا تخاشنوهم .

قوله تعالى :

وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

خطاب لأولياء اليتامى أن يختبروا عقول اليتامى في اصلاحهم في أُمور

دينهم ودنياهم «حتى اذا بلغوا النكاح» أي بلغوا الإحتلام أو سن الرشد الذي يعرف بنظر فقهائنا بأحد ثلاث امارات، إما اكمال خمس عشرة سنة أو بلوغ النكاح ـ الإحتلام ـ، أو انبات الشعر. «فان آنستم منهم رشداً» بالعقل والدين والصلاح وحسن التصرف بالمال «فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافاً» أي بغير ما أباحه الله لكم. «وبداراً أن يكبروا» أي لا تبادروا لأكل اموالهم قبل أن يكبروا، حذراً من أن يكبروا فيلزموكم بدفع أموالهم. «ومن كان غنياً فليستعفف» أي مَنْ كان من أولياء اليتامى غنياً فليستعفف عن الأخذ من اموال اليتامى «ومَنْ كان فقيراً فلياكل بالمعروف» ومعناه: مَنْ كان فقيراً من أولياء اليتامى له الحق في أخذ ما يحتاج اليه، إما على سبيل القرض أو على سبيل أجرة المثل، مقابل ما يقوم به من حفظ وادارة اموال اليتامى.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ثم يؤكد تعالى على الولي إذا أراد دفع مال اليتيم بعد بلوغه وصلاحه فليحتط لنفسه بالإشهاد على قبض اليتيم حقه ليكون بذلك بعيداً عن جحود اليتيم وتهمه، وليتقي الله في أداء كافة ما لليتيم لأنه تعالى هو المحاسب والرقيب.

قوله تعالى:

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ﴿٧﴾

قيل: كان العرب في الجاهلية يورّثون الذكور دون الإناث...

وقيل: انهم كانوا لا يورّثون إلا مَنْ طعن برمح وذاد عن الحريم والمال، فنزلت الآية تؤكد حصة النساء وحصة الرجال من جميع ما ترك الميّت قليلاً كان

المال أو كثيراً ، مفروضاً من الله .

وهذه الآية تدل على بطلان القول بالعصبة ، لأن الله تعالى فرض الميراث للرجال والنساء ، فلو جاز منع النساء من الميراث في موضوع لجاز أن يجري الرجال مجراهنّ في المنع من الميراث . . . وتدل أيضاً على أن ذوي الأرحام يرثون لأنهم من جملة الرجال والنساء الذين مات عنهم الأقربون على ما ذهبنا اليه ، وهو مذهب أبي حنيفة أيضاً ، ويدخل في عموم اللفظ الأنبياء وغير الأنبياء ، فدل على أن الأنبياء يورّثون كغيرهم على ما ذهبت اليه الفرقة المحقة .

قوله تعالى :

وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾

لما بيّن سبحانه فيما تقدم حال مَنْ يرث ، بيّن حال مَنْ لا يرث . . واختلفوا هل أنها محكمة أو منسوخة بآية المواريث ، وهل أن هذا الإعطاء واجب أم مندوب .

« حضر القسمة » أي شهد قسمة الميراث الفقراء من قرابة الميّت ويتاماهم ومساكينهم طلباً لشيء من المال مما تركه الميّت « فارزقوهم » أي اعطوهم من التركة شيئاً قبل القسمة . . قيل : الخطاب لمَن حضرته الوفاة وأراد الوصية ، فقد أمر بأن يوصي لهؤلاء الأصناف ممّن لا يرثون شرعاً ويخصص لهم شيئاً من تركته .

قوله تعالى :

وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ

فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

قيل في معناه وجوه منها: إنه كان الرجل اذا حضرته الوفاة قعد عنده أصحاب رسول الله (ص)، فقالوا: انظر لنفسك فإن ولدك لا يغنون عنك من الله شيئاً؛ فيقدّم جل ماله، ويدع ذريّته عالةً فقراء.. ونهى رسول الله (ص) أن يوصى بأكثر من الثلث، وقال: والثلث كثير. وقال (ص) لسعد: لإن تدع ورثتك أغنياء أحبّ اليّ من أن تدعهم عالةً يتكففون الناس.. وفي هذا نهيٌ عن الوصية بما يجحف بالورثة وأمر لمَن حضر الميّت عند الوصية أن يأمره بأن يبقي لورثته ولا يزيد وصيته على الثلث. وليحب لورثة غيره مثلما يحبّ أن يكون عليه ورثته بعده. لذلك يجب على الجالسين عند المحتضر أن يقولوا قولاً سديداً مصيباً موافقاً للشرع والحق..

ومنها ما قيل: هو دعوةٌ لولي مال اليتيم بأمره بأداء الأمانة والقيام بحفظ مال اليتيم كما لو خاف على ذريته لو كان ضعيفاً.

وقيل: إن الآية وردت في حرمان ذوي القربى بأن الحضّار عند المحتضر يقولون له لا توصي لأقربائك ووفّر تركتك لورثتك فجاءت الآية ناهيةً لهم عن مثل هذا القول، فليتّقوا الله ولا يسعوا في قطع الرحم وحرمان الفقراء مما ندب الله لرزقهم.

ثم توعّد سبحانه آكلي مال اليتيم ظلماً وبغير حق، إنما يأكلون في بطونهم ناراً.

قوله تعالى:

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ ۚ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً

فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ
لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ
وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ
مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ
أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

بيّن سبحانه ما أجمله من قبل من قوله « للرجال نصيب مماترك الوالدان والأقربون » ففصله في هذه الآية ، فقال : يوصيكم أي : يأمركم ويفرض عليكم . . وهذا من الفرض المحكم علينا .

ثم ختم تعالى الآية بقوله : « آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً » أي : لا تدرون أيّ هؤلاء أنفع لكم في الدنيا فتعطونه من الميراث ما يستحق ولكن الله قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة ومصلحة إنّ الله كان عليماً حكيماً . . وقيل:فيها غير ذلك من المعاني . . وهذه من آيات الأحكام التي يعتمد عليها الفقهاء في المواريث .

قوله تعالى :

وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ
فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ

الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ
مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ
كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ
فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ
يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

خاطب سبحانه الأزواج وبيّن ميراث بعضهم من بعض في حالات شتى . .
وقوله تعالى « يورَث كلالة » أختلف في معنى الكلالة ، إلا أن المروي عن أئمتنا (ع) أن الكلالة : الأخوة والأخوات .

ثم حثَّ تعالى على النهي عن الضرر والإضرار بالورثة في الوصية . . وقيل غير ذلك . . والله عليم بمصالح عباده يحكم ما توجب الحكمة في قسمة المواريث والوصايا وغيرها . . وفي هذه الآية أيضاً دلالة على تقدير سهام أصحاب المواريث .

قوله تعالى :

تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾

لمّا فرض الله الفرائض في المواريث عقّبها بذكر الوعد بالجنة ونعيمها لمَن يأتمر ويلتزم بتلك الفرائض والوعيد بالنار وعذابها الخالد المهين لمَن يتعدّ حدود الله وخاصة مَن تعدّىٰ حدود الله وعصاه مستحلاً لمعصيته فإنّ ذلك كفر ومرتكبه في عداد الكافرين ، يستحق الخلود في العذاب المهين .

قوله تعالىٰ :

﴿وَالَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾﴾

لما بيّن سبحانه حكم الرجال والنساء في باب النكاح والميراث بيّن حكم الحدود فيهنّ اذا ارتكبن الحرام « يأتينَ الفاحشة » أي الزنا « فاستشهدوا عليهنّ اربعةً منكم » أي شهوداً مسلمين ، ذلك مع علم اقرارها بالزنا . فإن تمّت الشهادة عليهنّ بالزنا « فامسكوهنّ » أي احبسوهنّ في البيوت حتىٰ يأتيهنّ الموت .

وكان في مبدأ الإسلام اذا فجرت المرأة وقام عليها أربعة شهود حُبست في البيت ابداً حتىٰ تموت ، ثم نسخ ذلك بالرجم في المحصنين والجلد في البكرين . والزاني يؤذىٰ ويعنّف علىٰ فعله ويذم به إلا أن يتوبا ويُصلحا فاعرضوا عن إيذائهما وامتهانهما « إن الله كان توّاباً رحيماً » .

وهذا لا يعني اسقاط الحدود الشرعية وانما لغرض الكفّ عن ايذائهما الذي أمر الناس به مضافاً للحد الشرعي .

قوله تعالىٰ :

إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ
فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ
وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾

لمّا وصف سبحانه نفسه بالتواب الرحيم بيّن شرائط التوبة النافعة وأن لا توبة مقبولةً عند الله إلا للذين يعملون السوء بجهالة .

قيل : إن كل معصية يفعلها العبد جهالةً وإن كان على سبيل العمد لأنه يدعو اليها الجهل ويزيّنها للعبد كما هو المروي عن أبي عبدالله (ع) ، فإنه قال : كل ذنب عمله العبد وإن كان عالماً فهو جاهل حين خاطر بنفسه في معصية ربه .

وقيل : معنى الجهالة انّهم لا يعلمون كنه ما فيه من العقوبة .

وقيل : في معنى الجهالة معان أُخر .

فأُولئك اذا تابوا وأصلحوا ، وعد الله تعالىٰ ، ووعده الحق ، بأنه يتوب عليهم ويقبل توبتهم . وليست التوبة مقبولة ومنتفع بها من الذين يعملون السيئات ويصرّون عليها ، ويسوّفون التوبة الى أن يحضرهم الموت ، ولا توبة كذلك مقبولة للذين يموتون وهم كفار ، ثم يندمون بعد موتهم .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ۖ وَلَا

تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

قيل : نزلت هذه الآية فيمَن تكون تحته امرأة يكره صُحْبتها ، ولها عليه مهر ، فيطول عليه وعليها ويظاهرها لتفتدي بالمهر .

وقيل : نزلت فيمَن يحبس المرأة عنده لا حاجة له اليها وينتظر موتها حتى يرثها .

وقيل : كان أهل الجاهلية اذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها أو وليّه فورث امرأته كما يرث ماله وألقى عليها ثوباً فإن شاء تزوجها بالصداق الأول ، وإن شاء زوّجها غيره وأخذ صداقها . فنهى الله المؤمنين عن الاستنان بسنّتهم في النساء .

« ولا تعضلوهنّ » أي لا تحبسوهن أو تمنعوهن من الزواج ، إلا أن يأتين بفاحشة . وقيل في معنى الفاحشة : الزنا ، أو النشوز ، والأولى حمل الآية على كل معصية .

كما أمر الله الرجال بمعاشرة النساء بالمعروف من المصاحبة وأداء الحقوق والإنصاف في القسمة والنفقة ، ولا يسيء اليها ، ويكون منبسط الوجه معها .

« فإن كرهتموهنّ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » فلا تسارعوا للفراق والطلاق لعل الله يجعل فيهنّ لكم خيراً من الولد ورفع ما يسيئكم منهنّ .

قوله تعالى :

وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا

تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً ﴿٢٠﴾ وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً ﴿٢١﴾

لمّا حثَّ سبحانه على حسن مصاحبة النساء ومعاملتهنّ بالمعروف عقّبه ببيان حال الإستبدال ، والخطاب للأزواج ، « وإن أردتم » أيها الازواج « استبدال زوج مكان زوج » أي امرأة مقام امرأة « وآتيتم إحداهن قنطاراً » أي مالاً كثيراً ، فلا يحلّ لكم أن تأخذوا منه شيئاً ، أي لا ترجعوا وتأخذوا ما أعطيتموهنّ من المهر ، وإن اخذه بهتاناً بالظلم والإنكار والكذب . وكيف يحق لكم أن تأخذوه « وقد أفضى بعضكم إلى بعض » أي خلا بعضكم إلى بعض ، وقيل : بالجماع خاصة يثبت المهر للزوجة . « وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً » ، وقيل في الميثاق : هو العهد المأخوذ على الزوج حالة العقد من « امساك بمعروف أو تسريح باحسان » ، أو كلمة العقد التي يستحلّ بها الفرج . وقد قيل في الآيتين ثلاث وجوه : ـ

الأول : أنّهما محكمتان غير منسوختين لكن للزوج أن يأخذ الفدية من المختلعة لأن النشوز حصل من جهتها .

الثاني : أنّهما محكمتان وليس للزوج أن يأخذ شيئاً من المختلعة ولا من غيرها لظاهر الآية .

الثالث : أن حكمهما منسوخ بقوله تعالى « فإن خفتم ألاّ يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به » .

قوله تعالى :

ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان

﴿فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ۝٢٢﴾

قيل: نزلت فيما كان يفعله اهل الجاهلية من نكاح بنساء الأب ـ كما تقدم ـ وذكر جملة ممّن أدركهم الإسلام وهم متزوّجون لنساء آبائهم غير أمهاتهم . وهو نهي أن يطأ المرء ما وطأ أبوه إلا ما قد سلف فإنكم لا تؤاخذون عليه . وان ذلك فاحشة ويورث مقتاً وبغضاً ، وإن ذلك معصية قبيحة وتكون السلامة بالخلاص مما سلف في الاقلاع عنه بالتوبة والإنابة « وساء سبيلاً » أي بئس الطريق في التناكح ذلك الطريق .

وفي هذه الآية حكم : بأنّ من عقد عليها الأب من النساء تحرم على الابن سواء أكان الأب قد دخل بها أم لم يدخل .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ الَّٰتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ الرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ الَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ الَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٢٣﴾

بيان للمحرمات من النساء والتقدير : حرم عليكم نكاح أُمهاتكم ثم محرمات السبب بالرضاعة كالمرضعات وأخوات الرضاعة ، وبالمصاهرة كأُمهات نسائكم ، وأن تجمعوا بين الأختين ، كما يحرم نكاح الربيبة وهي بنت نسائكم من غيركم اذا دخلتم بهم ، وكذلك زوجات ابنائكم الصلبيين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الخامس

من القرآن الكريم

قوله تعالى :

وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ النِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ كِتَٰبَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)

أي : وحرمت عليكم المحصنات من النساء ، قيل : هنّ ذوات الأزواج من السبايا ، أو المحصنات العفائف . « إلا ما ملكت أيمانكم » بالنكاح . « كتاب الله عليكم » يعني كتب الله عليكم تحريم ما حرم وتحليل ما حلل عليكم فلا تخالفوه . وأحلّ لكم ما عدا من ذكرنا من المحرمات . أحلّ لكم أن تبتغوا بأموالكم « فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة » قيل : المراد بالاستمتاع عموم الزواج . وقيل المراد به : نكاح المتعة ، وهو النكاح المنقطع بمهر معيّن الى أجل معلوم ، كما عن ابن عباس والسدي وابن سعيد وجماعة من التابعين . وهو مذهب الإمامية . فعن شعبة بن الحكم بن عيينة ، قال : سألته ـ يعني سعيد بن جبير ـ عن هذه الآية « فما استمتعتم به منهنّ » أمنسوخة هي ؟ قال : قال الحكم ، قال : قال علي بن أبي طالب : لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي . . وعن عمران بن حصين ، قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله ولم تنزل آية بعدها تنسخها ، فأمرنا رسول الله وتمتّعنا مع رسول الله (ص) ومات ولم ينهنا عنها فقال بعدُ رجل برأيه ما شاء . . « ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة » ولا حرج ولا إثم فيما تراضيتم من زيادة مهر أو نقصانه أو حط أو إبراء ، وقال السدي : معناه لا جناح عليكم فيما تراضيتم به من استئناف عقد آخر بعد انقضاء مدة الأجل

المضروب في عقد المتعة يزيدها الرجل في الأجر وتزيده في المدة . . وهذا هو قول الإمامية وتظاهرت به الروايات عن أئمتهم . .

قوله تعالى :

وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مَّا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُم بَعْضُكُم
مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ
بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ
الْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٥)

ومَن لم يستطع منكم زواج الحرائر المؤمنات بسبب قلة ما يملك على المهر والنفقة فلينكح الإماء من المملوكات لأن مهور الإماء أقل ومؤنتهن أخف عادة ، شريطة أن تكون الأمة مؤمنة ، ولا يجوز الكافرة ، وحتى الكتابية من الإماء . ولا ينبغي أن يستنكف المؤمن من نكاح الإماء لأنهن من جنسكم ، وكلكم لآدم ، وكلكم مؤمنون ، ودينكم واحد . وقد نهى الله عن عادات الجاهلية في الطعن والتعيير بالإماء فتزوجوهن باذن أهلهن ومواليهن . . « فإذا أحصن » أي الاماء ، أما بمعنى تزوجن او أسلمن فصرن محصنات بالزواج أو بالاسلام « فإن أتين بفاحشة » أي : زنين « فعليهن نصف ما على المحصنات » من الحرائر وهو : خمسون جلدة ، اذ جلد الحرة المحصنة مئة جلدة . « ذلك لمَن خشي العنت

منكم » اشارة لنكاح الأمة ، والعنت : الزنا ، أو : تبعات الزنا من الجلد وعذاب الآخرة .

قوله تعالىٰ :

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

بعدما تقدم من ذكر ما حل وما حرم ، يريد الله أن يبيّن لكم أحكام دينكم ودنياكم وأمور معاشكم ومعادكم ، ويهديكم إلى طريق الذين من قبلكم ويطلعكم علىٰ سننهم لتكونوا علىٰ بصيرة فيما تفعلون وما تجتنبون . « ويريد الذين يتبعون الشهوات » قيل : هم جميع المبطلين ، وقيل الزناة خاصة أو اليهود والنصارى ، أو اليهود خاصة ، الذين قالوا باباحة زواج الأُخت من الأب ، يريدونكم أن تميلوا عن الاستقامة وتنحرفوا إلىٰ المعاصي . وهذا ديدن أغلب العصاة يأنسون بجر الناس نحو المعاصي كما يأنس المطيع بالمطيع . « يريد الله أن يخفف عنكم » في أمر النساء ، فأباح لكم نكاح الاماء . ويقبل توبة التائبين « وخلق الإنسان ضعيفاً » في أمر النساء يستميله هواه وشهوته .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ

تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾

لما بيّن سبحانه تحريم النساء على غير الوجوه المشروعة ، عقّبه بتحريم الأموال من الوجوه الباطلة ، فقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل» . والباطل : قيل هو الربا والقمار والنجش والظلم ، وقيل : غير ذلك . والأول أولى . . وقيل : إنّ الأكل بالباطل : الأخذ من غير وجهه وصرفه فيما لا يحل له « إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » والتراضي بالتجارة إما بامضاء البيع بالتفرق أو التخاير بعد العقد ، أو أن التراضي المطلوب في صحة التجارة هو البيع بالعقد « ولا تقتلوا أنفسكم » أي لا يقتل بعضكم بعضاً ، وقيل: أنه نهي عن قتل المرء لنفسه في حالة الغضب أو الضجر وهو الإنتحار ، وقيل : معناه لا تقتلوا أنفسكم بارتكاب الأثام وأكل المال بالباطل ، وقيل : معناه لا تخاطروا بأنفسكم فتقاتلوا مَن لا تطيقونه .

قوله تعالى :

إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾

لما قدم ذكر السيئات عقبه بالترغيب في اجتنابها . . واختلف في الكبيرة ، فقيل : كلما أوعد تعالى عليه في الآخرة عقاباً وأوجب عليه في الدنيا حداً فهو كبيرة ، وقيل : كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ـ عن ابن عباس ـ والى هذا ذهب

أصحابنا ، فانهم قالوا : المعاصي كلها كبيرة من حيث كانت قبائح لكن بعضها أكبر من بعض ، وليس في الذنوب صغيرة ، وانما تكون صغيرة بالاضافة الى ما هو اكبر منها ، ويُستحق العقاب عليها اكثر . . . وروي عن ابن عباس في آخر حديث طويل قوله : لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة مع اصرار .

قوله تعالى :

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

لما بيّن سبحانه حكم الميراث وفضل بعضهم على بعض ، ذكر تحريم التمني الذي هو سبب التباغض . ولا يقل أحدكم : ليت ما أُعطي فلأن من المال والنعمة والمرأة الحسناء كان لي ، فان ذلك يكون حسداً ، ولكن يجوز أن يقول : اللهم اعطني مثله . .

وقيل : لا يجوز أن يتمنى الرجل أن لو كان امرأة ، والمرأة أن لو كانت رجلاً ، لأن الله لا يفعل إلا ما هو الأصلح وأن الله عليم بكل شيء ولم يزل كذلك ، فيعلم ما تظهرون وما تضمرون من الحسد ، ويقسم الأرزاق بين العباد على ما يعلم فيه من الصلاح والرشاد فلا يتمنَّ أحدكم ما قسم لغيره فإنه لا يحصل من تمنيه إلا الغم والإثم .

قوله تعالى :

وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ

أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

أي : لكل واحد من الرجال والنساء جعلنا موالي يرثونه وهم أولى بميراثه كما جاء بقوله تعالى « فهب لي من لدنك ولياً يرثني » فآتوا كلاً نصيبه من الميراث . . وقد اختلف في الذين عقدت ايمانكم ، فمنهم من قال : هم الحلفاء ، وان الرجل كان في الجاهلية يعاقد الرجل فيقول دمي دمك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وأرثك وتعقل عني وأعقل عنك ، فيكون للحليف السدس من ميراث حليفه ، ثم نسخ بقوله تعالى « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض » . وقيل : لم تنسخ لأن العقد أصلاً لم يشمل الميراث . وقيل : المراد بهم قوم آخى بينهم رسول الله (ص) من المهاجرين والأنصار حتى قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة ، ثم نسخ الله ذلك بالفرائض . .

وقيل : هم الأبناء بالتبني فأمروا في الإسلام أن يوصوا لهم عند الموت بشيء .

قوله تعالى :

ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾

بيان لفضل الرجال على النساء في القيام بأمرهنّ وأنهم مسلّطون عليهن في التدبير والتأديب والرياضة والتعليم . . وبيّن تعالى سبب تولية الرجال عليهنّ لما لهم من زيادة الفضل عليهن بالعلم والعقل وحسن التدبير مضافاً لما أنفقوا من أموالهم عليهنّ من المهور والنفقات . . ثم بيّن سبحانه وسائل الردع التي يلتجىء اليها الرجل عندما تبدو له زوجته معاكسة ناشزة فعظوهن أولاً بالقول والنصيحة ، فإن لم ينفع القول والموعظة ولم يؤثر النصح فاهجروهنّ في الفراش والمبيت لأن ذلك يكشف عن كوامنها وهل أنها تحب زوجها وتريد معاشرته فعند مقاطعته إياها سترتدع أم لا ، « فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهنّ سبيلا » .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

وإنْ توسعت الخصومة ولم يستطع الزوجان التفاهم بينهما وحل مشاكلهما وأصبح يؤدي إلى الشقاق والعداوة لزم العمل بقوله تعالى « فابعثوا حكماً من أهله » أي الزوج « وحكماً من أهلها » أي الزوجة ، لينظرا في أسباب الخلاف . وقيل : أن الخطاب في بعث الحكمين إلى السلطان الذي يترافع الزوجان اليه . وقيل : أهل الزوجين . واذا كانت نوايا الحكمين صالحة يوفق الله بينهما للحكم بما فيه الصلاح .

قوله تعالى :

وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾

ثم أمر سبحانه بمكارم الأخلاق في امر اليتامى والأزواج والعيال عطف على ذلك بهذه الخلال المشتملة على معاني الأمور ومحاسن الأفعال مبتدءاً بالأمر بعبادته تعالى والدعوة إلى توحيده وتعظيمه ونفي الشركاء عنه وأن العبادة لا تجوز لغيره ثم عطف تعالى على الحث للإحسان بالوالدين وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار من ذوي القربى أو من غيرهم ، وقيل ان الوصية تشمل من قرب منك بالإسلام من الجيران ومن بعد من المشركين فقد روي عن النبي (ص) أنه قال : الجيران ثلاثة جار له ثلاث حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام ، وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق الجوار المشرك من أهل الكتاب .

كما أوصى تعالى بالإحسان للصاحب بالجنب الذي قيل أنه رفيق السفر ، أو أنه الزوجة أو أنه المنقطع إليك يرجو نفعك ، أو أنه الخادم الذي يحترمك ، وكل هؤلاء الأصناف المسلم مأمور برعايتهم وكذلك ابن السبيل الذي قيل هو المسافر والضيف ، كما نهى سبحانه عن التكبر والاختيال والتفاخر بغير التقوى والإسلام .

وهذه الآية جامعة تضمنت بيان اركان الإسلام والحثّ على مكارم الأخلاق ومن تدبرها حق التدبر أغنته عن كثير من مواعظ البلغاء وهدته الى جم غفير من علوم العلماء .

قوله تعالى :

الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٣٧﴾

الذين يبخلون أي يمنعون ما أوجب الله عليهم من الزكاة وغيرها ، وقيل يبخلون باظهار ما عرفوه من صفاة النبي محمّد (ص) ، وقد ورد في الحديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن يرى أثرها عليه ، واعتدنا للكافرين الجاحدين لما انعم الله به عليهم عذاباً مهيناً .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾

عطف على ذم المنافقين الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس لا عن إيمان بالله ، واجمعت الأمة على أن الإنفاق من الحرام محظور ، وإن الإنفاق وكل عمل لا يصح ولا يقبل إلا إذا كان في اطار الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل وفق ما جاء بالشريعة الإسلامية السمحاء .

قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ

أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾

مثقال ذرة أي زنة ذرة وهي النملة الحمراء الصغيرة التي لا تكاد ترىٰ ، وإن تك زنة الذرة حسنة يقبلها تعالىٰ ويجعلها أضعافاً كثيرة أو ضعفين .

قوله تعالىٰ :

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

لما ذكر اليوم الآخر ذكر سبحانه حال المنكرين فكيف حالهم ، ومعنىٰ الآية أنَّ الله يستشهد يوم القيامة كل نبي علىٰ أُمته فيشهد لهم وعليهم ، ويستشهد نبينا محمّداً (ص) علىٰ أُمته ويود الكافرون يوم القيامة أن تسوىٰ بهم الأرض وأنهم لم يبعثوا لأنهم لا يقدرون علىٰ كتمان شيء من أفعالهم علىٰ الله ، وأنىٰ لهم الكتمان وجوارحهم تشهد عليهم والزمان والمكان والملائكة والأنبياء .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾

أي لا تصلّوا وأنتم سكارىٰ ، أو لا تقربوا أماكن الصلاة والمساجد وانتم سكارىٰ ثم نسخها تحريم الخمر .

ولا جنباً إلا عابري سبيل إلا أن تكونوا مسافرين فيجوز لكم ذلك مع التيمم وقيل معنىٰ عابري سبيل: أي مجتازين في المساجد فقد أُبيح ذلك للجنب بشروط ، والتيمم ضربة للوجه وضربة لليدين ، إذا كان التيمم بدل الغسل ، وضربة واحدة للوجه واليدين إن كان بدل الوضوء .

قوله تعالىٰ :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾

لما ذكر سبحانه الأحكام التي أوجب العمل بها ، وصلها بالتحذير الم ترَ إلىٰ الذين أُوتوا نصيباً من الكتاب . . يعني التوراة وهم اليهود والنصارىٰ ، يشترون الضلالة ، ويكذبون النبي ويريد هؤلاء اليهود أن تضلوا أيها المؤمنون عن طريق الحق وهو الدين الإسلامي فتكذبوا بمحمّد (ص) وفي ذلك تحذير للمؤمنين من أن يستنصحوا احداً من أعداء الدين في شيء من أُمور دينهم ودنياهم فإنهم يجتهدون في اضلال المؤمنين .

قوله تعالىٰ :

مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا

وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾

تأكيد على أن اليهود محرفون لكلام الله ومبدلون ويكتمون ما عرفوه من صفة النبي محمّد (ص) ويقول هؤلاء اليهود بألسنتهم سمعنا ولكن في قلوبهم يقولون عصينا ، واسمع غير مسمع كما يقول القائل لغيره إذا سبّه بالقبيح إسمع لا اسمعك الله ، أو اسمع غير مجاب لك ، وهذا إخبار منه تعالى عن اليهود الذين كانوا حوالي المدينة في عصر النبي (ص) لأنهم كانوا يسبّونه ويؤذونه بالسيء من القول (وراعنا) انه كان سباً للنبي (ص) تعارفوا عليه ، أو كانوا يقولونه استهزاء وسخرية أو على وجه التجبر منهم على النبي (ص) تحريكاً منهم لألسنتهم بتحريف معنى الكلمة إلى معنى مكروه .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾

خطاب لأهل الكتاب بضرورة المسارعة للإيمان بالقرآن وبمحمّد (ص) وتحذير لهم من مغبة معاندة الحق وتكذيبه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها في ضلالتها ولا تفلح ابداً ، ونمحوا آثارهم بطردهم من مجاورة المدينة

وتنالهم اللعنة كما نالت اليهود الذين اعتدوا في السبت فكان منهم القردة والخنازير .

قوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾

قيل:نزلت في المشركين وحشيّ وأصحابه بعد أن نكثت قريش في عهدها له بالعتق إن قتل حمزة ، فندم حينها وبعث الى رسول الله (ص) يعتذر ويريد الدخول في الإسلام فنزلت الآية وأسلم وحشي وأصحابه ، وقيل:نزلت في عموم المؤمنين ومعناها ان الله لا يغفر ذنب الشرك لأحد والإصرار عليه ، وقال المحققون هذه الآية أرجى آية في القرآن لأن فيها ادخال ما دون الشرك من جميع المعاصي في مشيئة الغفران ، وأوقف الله المؤمنين الموحدين بهذه الآية بين الخوف والرجاء ، وبين العدل والفضل وتلك صفة المؤمن ،

قال الإمام الصادق (ع) : لو وُزن رجاء المؤمن وخوفه لإعتدلا . (ومن يشرك بالله) مدّعياً أن غير الله يستحق العبادة فقد افترى وجاء بإثم عظيم - (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) انه سبحانه يغفر ما دون الشرك من الذنوب لمَن يشاء من المذنبين غير الكفار (ومَن يشرك بالله فقد افترى) فقد كذب .

وعن علي أمير المؤمنين(ع)أنه قال : ما في القرآن آيةٌ أرجى عندي من هذه الآية

قوله تعالى :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ﴾

فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾

الذين يزكون انفسهم أي يمدحونها ويصفونها بالزكاة والطهارة ، أو يزكي بعضهم بعضاً ، ردّ الله ذلك عليهم وبيّن سبحانه انه هو يزكي مَن يشاء ويقبل عمله وانه تعالى لا يزكي اليهود ولا يقبل لهم عملاً وليس في ذلك ظلماً لهم ولا يظلمون فتيلاً، والفتيل قيل:هو ما يكون في شق النواة أو ما في بطن النّواة ، والنقير ما على ظهرها ، والقطمير قشرها ، وقيل الفتيل ما بين اصبعيك من الوسخ لأن هؤلاء يفترون على الله الكذب في تحريفهم الكتابة وتزكيتهم لأنفسهم وقولهم نحن ابناء الله وأحباؤه ولن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى ، وكفى بتلك الدعوى والتزيفات اثماً مبيناً .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾

قيل في أسباب النزول:أن كعب بن الأشرف خرج في سبعين راكباً من اليهود إلى مكة وعاهد قريشاً على حرب محمّد (ص) واخذوا منه العهود وسجد لأصنامهم وكذب على الله مدّعياً بالكتاب في تأييده لكفر قريش ومدّعياً أنهم أهدى سبيلاً من محمّد .

والجبت والطاغوت كلّما عبد من دون الله من حجر او صورة أو شيطان ، وقيل الجبت:الأصنام،والطاغوت:تراجمة الأصنام الذين يتكلمون بالكذب عنها .

وقيل الجبت:الساحر،والطاغوت:الكاهن ، وقيل غير ذلك .

الذين يلعنهم الله يبعدهم من رحمته ويخزيهم ومَن يلعن الله فلَن تجد له نصيراً يدفع عنه عقاب الله ، أو لا تجد له نصيراً في الدنيا والآخرة ولا نصر له مع خذلان الله إياه .

قوله تعالى :

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾
أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ
وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾

لما بيّن سبحانه حكم اليهود في الإحتكام إلىٰ الجبت والطاغوت وقولهم:إن ذلك اهدىٰ من سبيل المؤمنين عقبه تعالىٰ باستنكار هذا الحق عليهم لأنه ليس لهم نصيب من الملك والنبوة وأورد علىٰ ما تدعيه اليهود من أن الملك يعود اليهم في آخر الزمان ووصفهم بما اشتهروا به من البخل بأنهم لو أُعطوا الدنيا وملكها لما أعطوا للناس من الحقوق قليلاً ولا كثيراً والنقير ما علىٰ ظهر النواة ، وأن ذلك حسداً للعرب أو لمحمّد وآل محمّد علىٰ النبوة التي هي فضل من الله ، وفيها ذم لحسدهم ولجميع الحسد علىٰ مَن آتاهم الله من فضله .

وآتيناهم ملكاً عظيماً:أي آتينا العرب أو محمّداً وآله والمسلمين ، والملك: النبوة فمنهم مَن آمن بمحمّد ومنهم مَن أعرض عنه .

وقيل: مَن آمن بابراهيم ومنهم من أعرض عنه، كما صنعتم أيها اليهود وقسم منكم آمن بمحمّد وقسم أعرض ولكن إعراضهم كما أنه لم يوهن أمر ابراهيم كذلك لا يؤثر المتأخرون عليك يا محمّد وكفى لهؤلاء المعارضين بجهنم سعيراً .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾

لمّا تقدم ذكر المؤمن والكافر عقبه بذكر الوعد والوعيد على الإيمان والكفر « كفروا بآياتنا » أي جحدوا حججنا وكذّبوا أنبياءنا (بدّلناهم جلوداً غيرها) قد يعني أن الله يبدل لهم جلوداً غير التي احترقت ، أو بمعنى أن الله يجدد جلودهم بأن يردها إلى حالتها قبل الإحراق . وقيل: إن التبديل انما هو للسرابيل التي ذكرها الله تعالى (سرابيلهم من قطران . .) لمجاورتها للجلود ، وروى الكلبي عن الحسن قال بلغنا أن جلودهم تنضج كل يوم سبعين الف مرة ، (وازواج مطهّرة) أي من الحيض والنفاس ومن جميع المعائب والأدناس ، والأخلاق الدنيئة والطبائع الرديئة .

« وظلاً ظليلاً » أي كنيناً ليس فيه حر ولا برد بخلاف ظل الدنيا المعيب .

قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

أمر سبحانه بأداء الامانة والمحافظة عليها وهي عامة في امانات الناس وامانات الله التي هي أوامره ونواهيه ، أو أنه خطاب منه تعالى لولاة الأمر أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة . وقيل انه موجه منه تعالى إلى النبي محمّد (ص) برد مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة حين قبض منه المفتاح يوم فتح مكة ، ولكن ظاهر الآية يفيد العموم ، ثم امر الله سبحانه الولاة والحكام أن يحكموا بالعدل والإنصاف فقال « واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل . . . » وقد روي عن النبي (ص) انه قال لعلي (ع) : سوي بين الخصمين في لحظك ولفظك . إن الله نعمّا يعضكم به أي نعم الشيء الذي يعظكم به رد الأمانة والنهي عن الخيانة والحكم بالعدل .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

لما بيّن سبحانه في الآية المتقدمة من حثّ الولاة على تأدية حقوق الرعية

والإنصاف والتسوية بين البشر عقبه بحث الرعية على طاعتهم والإقتداء بهم وذلك طاعة لله تعالى ولزوماً لأوامره « وأطيعوا الرسول » وفيه اشعار بضرورة طاعة الرسول وقبول اقواله ، وإن طاعة الرسول طاعة لله تعالى .

« وأولي الأمر منكم » قيل:إنهم عموم الحكام والولاة،وقيل:هم العلماء ، ولكن الذي صح عن أئمتنا وهم أولى بفهم الكتاب وأعرف فيمن ورد فقد قالوا:ان أولي الأمر هم الأئمة من آل محمد (ص) أوجب الله طاعتهم كما أوجب طاعته وطاعة رسوله .

ولا يجوز أن يوجب الله طاعة احد على الإطلاق إلا من ثبتت عصمته وعلم أن باطنه كظاهره وأمن منه الغلط والأمر القبيح . ولا يتوفر ذلك بعموم الحكام والأمراء والعلماء « فإن تنازعتم في شيء فردوه .. » أي الى كتاب الله وسنة رسوله وإلى الأئمة القائمين مقام الرسول بعد وفاته ، وإن الرد إلى الله والرسول أحسن من التعويل على تأويلكم وأقرب لخيركم في الدنيا والآخرة .

قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾

قيل:انه كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي أحاكم إلى محمد لأنه علم أن محمداً لا يقبل الرشوة ولا يجور في الحكم ، فقال

المنافق لا بل بيني وبينك كعب بن الأشرف لعلمه بأنه يأخذ الرشوة ، فنزلت الآية . وفيها تأكيد على ما مر من الله تعالى لأولي الأمر بأن يحكموا بالعدل ، وأمر للمسلمين بطاعتهم ، وتأكيد على أن المنافقين لا يرضون بحكم الله ورسوله ، مع أنهم يزعمون الإيمان بما أنزل اليك من القرآن وبما أنزل من قبلك من التوراة والإنجيل ولكنهم يرغبون عما في كتب الله ويتحاكمون إلى الطاغوت الذي هو كعب ابن الاشرف . كما جاء بسبب النزول ، وقيل:إن الطاغوت كاهن من جهينة اراد المنافق التحاكم اليه.وقيل:الطاغوت هي الأوثان التي كان المشركون يتحاكمون اليها بضرب القداح .

ولكن المروي عن أئمتنا كما عن الباقر والصادق (ع) أن الطاغوت كل مَن يتحاكم اليه ممَن يحكم بغير الحق « وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله » من الأحكام في القرآن وإلى الرسول في حكمه رأيت ـ يا محمّد ـ ان هؤلاء المنافقين يصدون عنك ويعرضون عن المصير إليك .

قوله تعالى :

فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا (٦٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا (٦٣)

عطفاً لبيان سوء تصرف المناقفين في تحاكمهم للطاغوت وإعراضهم عن النبي وحكمه وإذا اصابتهم مصيبة أو نالتهم عقوبة من الله بفضحهم بما قدمت أيديهم من النفاق جاؤك يا محمّد يحلفون إن أردنا إلا إحساناً ، وإنما احتكمنا

لغيرك للتخفيف عنك ولأننا نحتشمك،وقيل:أن المعني بالآية عبدالله بن أُبي ، والمصيبة التي أصابته هي الذل والخزي الذي لحقه بعد رجوعهم من غزوة المصطلق وهي غزوة المريسع حين نزلت سورة المنافقين التي نبّأت بنفاقه ونفاق أصحابه ، ومصيبة الموت لما تضرع إلى رسول الله (ص) في الاستغفار والإقالة واستوهب من النبي ثوبه ليتقي به النار .

وفي الآية دلالة على فضل البلاغة وحث على الاعتماد عليها حين التبليغ والموعظة لما فيها من بلوغ المرام باللفظ الوجيز من حسن الترتيب .

قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾

بيان لغرضه سبحانه في بعثه الرسل ودعوة الناس للطاعة لهم بأمر الله تعالى ولو أن المنافقين حينما ظلموا أنفسهم بالكفر والنفاق لو أنهم جاؤوك تائبين مؤمنين بك فاستغفروا الله من ذنوبهم وأقلعوا عنها واستغفر لهم الرسول أي:واستغفرت لهم يا محمّد وسألت الله أن يغفر لهم ذنوبهم لوجدوا الله تواباً قابلاً لتوبتهم رحيماً بهم في التجاوز عمّا سلف منهم ، وقيل:انّها نزلت في قوم اضمروا مكيدة لرسول الله وهم اثنا عشر رجلاً من المنافقين فأطلع الله رسوله على ما بيّتوا.

وفي الآية دلالة على أن مرتكب الكبيرة يجب عليه الاستغفار فإن الله يقبل توبته ولكن مجرد الاستغفار لا يكفي مع كونه مصرّاً على المعصية بل ينبغي أن يتوب ويندم على ما فعله ويعزم في القلب على أن لا يعود ابداً الى مثله ثم يستغفر

الله باللسان طالباً عفو الله ومغفرته .

قوله تعالى :

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

قيل: إنها نزلت في الزبير ورجل من الأنصار خاصمه إلى النبي (ص) فقضى للزبير فبدت من الأنصاري الذي قيل أنه حاطب ابن ابي بلتعه بدت عليه علامات إتهام النبي في الإنحياز للزبير وعدم الرضا من حكم النبي عليه .

وقيل: نزلت في غيرهما. وفيها بيان منه تعالى بأن الإيمان: هو الالتزام بحكم رسول الله والرضا بقضائه ، وقد اقسم بقوله «فلا وربك لا يؤمنون . . . » هؤلاء المنافقين وغيرهم حتى يجعلوك حكماً وحاكماً فيما يقع بينهم من الخصومة والشجار وما يلتبس عليهم من احكام الشريعة ولا يشكون فيما قلته ولا يتضايقون مما تقضي به وينقادون لحكمك إذعاناً وتسليماً.

وروي عن الصادق (ع) انه قال : لو أن قوماً عبدوا الله واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاموا شهر رمضان وحجّوا البيت ثم قالوا لشيء صنعه رسول الله ألا صنع خلاف ما صنع ، أو وجدوا من ذلك حرجاً في انفسهم لكانوا مشركين،ثم تلى هذه الآية .

قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ

خيراً لهم وأشد تثبيتاً (٦٦) وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً (٦٧)
ولهديناهم صراطاً مستقيماً (٦٨)

إخبار منه تعالى عن سرائر القوم فقال: ولو أنا كتبنا أي أوجبنا على هؤلاء الذين تقدم ذكرهم أن أقتلوا انفسكم ... كما أوجبنا على قوم موسى لما استجاب اليه إلا قليل ، ولو أنهم فعلوا ما يؤمرون به لكان ذلك خيراً لهم في التبصر بأمر الدين وأشد تثبيتاً لهم على الحق والصواب ، وأبعد لهم عن الشبهات ولنالوا بذلك أجراً عظيماً . ولهديناهم صراطاً مستقيماً أي لثبتناهم على الطريق المستقيم المؤدي الى الجنة .

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً (٦٩)
ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً (٧٠)

قيل: نزلت في ثوبان مولى رسول الله (ص) وكان شديد الحب لرسول الله وهو بيان منه تعالى لحال المطيعين المتبعين لله ورسوله فسيبعثون ويحشرون مع النبيين والصديقين .

وروى أبو بصير عن أبي عبدالله (ع) أنه قال : يا أبا محمد لقد ذكركم الله في كتابه ثم تلا هذه الآية وقال : فالنبيّ رسول الله (ص) ونحن الصديقون والشهداء، وأنتم الصالحون فتسمّوا بالصلاح كما سمّاكم الله تعالى .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾

أمر منه سبحانه للمؤمنين بمجاهدة الكفار والتأهب لقتالهم ولزوم الحذر من الأعداء ومكائدهم ومباغتاتهم ، ولزوم النفر والخروج لجهاد الأعداء و (ثبات) أي جماعات وفرق متعددة من جهات متعددة إذا لزم الأمر ذلك ، أو انفروا مجتمعين في جهة واحدة كما هو المروي عن أبي جعفر (ع) أن المراد بالثبات السرايا،وبالجميع العساكر .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قوله تعالىٰ :

وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾

قيل:نزلت في المؤمنين لأنه خاطبهم وإن منكم . . ، وقال اكثر المفسرين انها نزلت في المنافقين .

وأنه تعالىٰ لما حثّ علىٰ الجهاد بيّن حال المتخلفين عن الجهاد والخروج مع النبي (ص) فإن أصابتكم مصيبة من قتل أو هزيمة قال قول الشامت المسرور بتخلّفه : قد أنعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيداً ولم أحضر تلك المشاهد والحروب ولو كنت حاضراً لأصابني ما أصابهم ، ولأن أصابكم فضل من الله من

فتح أو غنيمة يقول متحسراً يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً أي أصيب غنيمة وأخذ حظاً وافراً منها .

قوله تعالى :

﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٧٤)

لما أخبر سبحانه في الآية الأولى أن قوماً يتأخرون عن القتال ، حث في هذه الآية على القتال وظاهر الأمر الوجوب أي وليجاهد في سبيل الله في طريق دين الله ويشرون: أي يبيعون الحياة الفانية بالحياة الباقية فيبذلون انفسهم وأموالهم في سبيل الله بتوطين انفسهم على الجهاد في طاعة الله . « فسوف نؤتيه اجراً عظيماً » أي نعطيه أعلى أثمان العمل ثواباً دائماً .

قوله تعالى :

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾ (٧٥)

حث سبحانه على تخليص المستضعفين بالذب عنهم ونصرتهم . قيل: يريد تعالى

بذلك قوماً من المسلمين بقوا بمكة ولم يستطيعوا الهجرة من مكة ، ويقولون في دعائهم ربنا سهّل لنا الخروج من هذه القرية يعني مكة واجعل لنا بتأييدك من لدنك اي من عندك ولياً ينقذنا من أيدي الظلمة ، ونصيراً ينصرنا على من ظلمنا فاستجاب الله لهم دعاءهم بفتح مكة على يد رسول الله (ص) وفي هذه الآية دلالة على عظم موقع الدعاء لأن الله تعالى حكى انهم دعوا فأجابهم وأتاهم سؤلهم .

قوله تعالى :

الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾

شجّع الله المجاهدين ورغّبهم في الجهاد « في سبيل الله » أي في طاعة الله وفي نصرة دينه وإعلاء كلمته وابتغاء مرضاته بلا عجب ولا صلف ولا طمع في غنيمة . وأولياء الشيطان : يعني جميع الكفار والمعاندين للحق المطيعين للشيطان .

قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا

إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾

قال الكبي : نزلت في عبدالرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مضعون الجمحي وسعد بن أبي وقاص ، كانوا يلقون من المشركين اذىً شديداً وهم بمكة قبل أن يهاجروا إلى المدينة ، فيشكون إلى رسول الله (ص) ويقولون : يا رسول الله ،إءذن لنا في قتال هؤلاء فإنهم قد آذونا ، فلما أمروا بالقتال وبالمسير إلى بدر شق على بعضهم فنزلت الآية « يخشون الناس » ويخافون منهم كما يخافون من الله وأشد خوفاً من الله ويتمنون أن الله لم يكتب عليهم القتال ويقولون هلا أخرتنا الى أجل قريب إلى أن نموت بآجالنا دون أن نقتل،فكان بمثابة الجواب منه تعالى أن قال لهم - يا محمد قل - متاع الدنيا هذا الذي تحرصون عليه وتهربون من الجهاد والقتل محافظةً عليه فإن ذلك المتاع قليل وانه لا يبقى ، والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلاً : أي ولا تبخسون،والفتيل ما تفتله بيدك من الوسخ ثم تلقيه كما عن ابن عباس ، وقيل:ما في شق النواة لأنه كالخيط المفتول .

قوله تعالى :

أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا

يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾

اينما تكونوا من الأماكن والمواضع ينزل بكم الموت ويلحقكم . واُختلف فيمَن حكىٰ عنهم تعالىٰ بقوله : وإن تصبهم حسنةٌ يقولوا . . . . فقيل:هم اليهود حيث قالوا ما زلنا نعرف النقص في أثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل يعنون محمّداً (ص) ، وقيل:هم المنافقون عبدالله بن أُبي واصحابه الذين تخلّفوا عن القتال يوم أُحد وقالوا للذين قتلوا في الجهاد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ، أو هو عام في اليهود والمنافقين وهو الأصح .

والحسنة والسيئة:السراء والضراء،والبؤس والرخاء،والنعم والمصيبة والخصب والجدب . .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾

قيل:هذا الخطاب للنبي والمراد به الأُمة ، أو لعموم الإنسان .

وقيل:عني بالحسنة ما أصابهم يوم بدر من الغنيمة ، وبالسيئة ما أصابهم يوم أُحد بالهزيمة ،قال أبو مسلم:معناه لما جدوا في القتال يوم بدر وأطاعوا الله أتاهم النصر ، ولما خالفوا يوم أُحد خلىٰ بينهم فهزموا ، وقيل:الحسنة الطاعة والسيئة المعصية .

قوله تعالىٰ :

مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ
مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾

رغّب سبحانه في طاعة الرسول وبيّن أن طاعته طاعة لله ومَن تولى أي أعرض ولم يطع فما أرسلناك عليهم حفيظاً حافظاً من التولي . وفيها تسلية للنبي (ص) لتولي الناس عنه .

ثم بيّن سبحانه أن المنافقين اظهروا طاعته وأظمروا خلافه ، والله يكتب ما يبيّتون ويضمرون من الباطل يكتب ذلك في اللوح المحفوظ ويخبرك بأمرهم ويجازيهم به ، ثم دعى الله تعالى نبيّه للإعراض عنهم وعدم تسميتهم بأعيانهم الى أن يستقر امر الإسلام .

قوله تعالى :

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ
يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾

التدبر:النظر في عواقب الأمور ، والتدابر التقاطع .

« أفلا يتدبرون القرآن » أي أفلا يتفكر اليهود والمنافقون في القرآن وأن ليس فيه خلل ولا تناقض وبذلك يعلموا أنه حجة من الله ، وكيف أنه اشتمل على أنواع الحِكم من أمر بحسن ونهي عن قبيح ، ولو كان من عند غير الله أو أنه كلام محمّد لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً وتناقضاً بارزاً .

وإذا جاء هؤلاء المنافقين أو من ضِعاف المسلمين أمر من الأمن أو الخوف وهو ما كان يرجف به من الأخبار في المدينة اذاعوا به وتحدثوا وأفشوه قبل التأكد من صحته ولا يخفى ما في ذلك من الضرر ، والأجدر بهم حين يسمعون تلك الأخبار والأراجيف الانتظار والسكوت وعدم اذاعة تلك الأخبار الى أن يظهرها الرسول ويعطي رأيه فيها ، وقيل في أولي الأمر منهم: انهم الائمة المعصومون ، وقيل:هم امراء السرايا والولاة ، وقيل:هم أهل العلم والفقه الملازمون للنبي لأنهم اخبر برأي الرسول في الأخبار والاحداث .

« ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً » : وقد قيل فيها أقوال،منها:إن فضل الله هو الاسلام الذي نجّاهم من اتباع الشيطان .

وقيل:لولا فضل الله عليكم بالنصرة والفتح لاتبعتم الشيطان فيما يُلقي اليكم من الوساوس الفاسدة المؤدية إلى الجبن والفشل وضعف النية إلا قليلاً من أفاضل أصحاب رسول الله(ص) من أهل البصائر النافذة والعزائم الثابتة الذين لا ييأسون من رحمة الله ولا يشكّون في نصرته لهم وانجاز وعده وإن ابطأ بعض الإبطاء .

قوله تعالى :

فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ

أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلاً (٨٤)

عاد سبحانه الىٰ الأمر بالقتال ، والخطاب للنبي (ص) خاصة أمره أن يقاتل في سبيل الله وحده بنفسه وأن لا ضرر عليك من فعل غيرك فلا تهتم بتخلف المنافقين عن الجهاد وحرض المؤمنين وحثهم علىٰ القتال .

قال الكعبي : إن أبا سفيان لما رجع الىٰ مكة يوم أحد وأعد رسول الله موسم بدر الصغرىٰ وهو سوق تقوم في ذي القعدة فلما بلغ النبي الميعاد . قال للناس أخرجوا إلىٰ الميعاد فتثاقلوا وكرهوا ذلك . فأنزل الله هذه الآية،فحرض النبي المؤمنين فتثاقلوا عنه ولم يخرجوا . فخرج رسول الله في سبعين راكباً حتىٰ أتىٰ موسم بدر فكفاهم الله بأس العدو ولم يوافيهم أبو سفيان وانصرف رسول الله بمن معه سالمين .

قوله تعالىٰ :

من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله علىٰ كل شيء مقيتا (٨٥)

أصل الشفاعة:من الشفع الذي هو ضد الوتر فإن الرجل إذا شفع بصاحبه فقد شفعه أي صار ثانيه ، ومنه الشفيع في الملك لأنه يضم ملك غيره الىٰ ملك نفسه واختلفت الأمة في كيفية شفاعة النبي (ص) يوم القيامة .

فقالت المعتزلة ومن تابعهم : يشفع لأهل الجنة ليزيد الله في درجاتهم ، وقال غيرهم من فرق الأمة : بل يشفع لمذنبي الأمة ممن ارتضىٰ الله دينهم ليسقط عقابهم بشفاعته ، والكفل في اللغة:النصيب والحصة .

والشفاعة الحسنة،قيل:من يصلح بين اثنين يكن له اجر منها ، ومن يشفع

شفاعة سيئة:أي يمشي بالنميمة ينال من اثمها ، أو هي شفاعة الناس بعضهم لبعض ويؤيّد هذا قوله : اشفعوا تؤجروا ، وقوله من حالت شفاعته دون حدّ من حدود الله فقد ضادّ الله في ملكه ، ومَن أعان علىٰ خصومة بغير علم كان في سخط الله حتىٰ ينزع .

وقيل في الشفاعة الحسنة:الدعاء للمؤمنين ، والسيئة:الدعاء عليهم ، وقيل غير ذلك .

قوله تعالىٰ :

وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أمر الله المسلمين برد السلام علىٰ المسلم بأحسن مما سلّم إن كان مؤمناً ، وإلا فليقل وعليكم ولا يزيد علىٰ ذلك ، فإذا قال المسلم:السلام عليكم،فقل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته،وروي عن النبي (ص) أنه قال : إذا سلّم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم .

وذكر علي ابن ابراهيم في تفسيره عن الصادقين عليهم السلام:أنّ المراد بالتحية في الآية السلام وغيره من البر . ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها أن المراد بالسلام المسالمة التي هي ضد الحرب فلما أمر سبحانه بقتال المشركين عقّبه بأن قال مَن مال إلى السلم وأعطىٰ ذلك من نفسه وحيّا المؤمنين بتحية فاقبلوا منه .

قوله تعالىٰ :

اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾

ليجمعنّكم:أي ليبعثنّكم من بعد مماتكم ويحشرنّكم جميعاً إلىٰ موقف الحساب ، ولا ريب فيه أي لا شك ، وانّما سمّي يوم القيامة لأن الناس يقومون فيه من قبورهم .

قوله تعالىٰ :

﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (٨٨)

اختلفوا فيمَن نزلت هذه الآية فيه،فقيل:نزلت في قوم قدموا المدينة من مكة فأظهروا للمسلمين الإسلام ثم رجعوا إلى مكة لأنهم إستوخموا المدينة فاظهروا الشرك ثم سافروا ببضايع المشركين إلىٰ اليمامة فأراد المسلمون أن يغزوهم فاختلفوا فقال بعضهم:لا نفعل فإنهم مؤمنون ، وقال آخرون:إنهم مشركون فأنزل الله فيهم الآية . . . وهو المروي عن أبي جعفر (ع) .

وقيل:نزلت في الذين تخلّفوا عن أُحد .والإركاس:الرد،أي أنهم بنفاقهم وترددهم في الكفر ردّهم الله الىٰ حكم الكفار وأهلكهم بكفرهم .

قوله تعالىٰ :

﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٨٩)

بيّن تعالىٰ حال المنافقين وأنهم تمنّوا لو تكفرون أنتم بالله ورسوله كما

كفروا . ونهى سبحانه المؤمنين أن يوادّوهم ، وأمر المؤمنين أن لا يستنصروا الكفار ولا يستنصحوهم ولا يستعينوا بهم في كافة الأمور حتى يخرجوا من دار الشرك ويفارقوا المشركين ابتغاء دينه فإن تولوا وأعرضوا عن الهجرة في سبيل الله فخذوهم واقتلوهم أينما وجدتموهم من أرض الله تعالى .

قوله تعالى :

إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (٩٠)

لما أمر الله تعالى المؤمنين بقتال الذين لا يهاجرون عن بلاد الشرك، استثنى منهم مَن وصل من هؤلاء الى قوم بينكم وبينهم موادعة وعهد فدخلوا فيهم بالحلف أو اللجوء فأولئك تحقن دماؤهم ، وقيل:نزلت في هلال بن عويمر السلمي حين أخذ من رسول الله ميثاقاً لقومه واشترط أن لا تحيف يا محمد مَن أتانا ولا نحيف مَن أتاك ، وقيل:هم بنو مدلج ، أو جاؤكم حصرت صدورهم: أي ضاقت قلوبهم من قتال أي من الفئتين .

فلا للمسلمين ولا عليهم ، وذكر علي بن ابراهيم أن المعني بني اشجع فإنهم قدموا المدينة في سبعمائة يقودهم مسعود بن دخيلة فأخرج اليهم النبي (ص) احمال التمر ضيافة ، وقال:نعم الشيء الهدية أمام الحاجة ، وقال لهم:ما ج[اء] بكم ؟ قال:لقرب دارنا منك وكرهنا حربك وحرب قومنا يعنون بني ضم[رة]

بيننا وبينهم عهد لقلتنا فيهم فجئنا لنوادعك .

فقبل النبي ذلك منهم ووادعهم فرجعوا الىٰ بلادهم .

وقال الحسن وعكرمة : نسخت هذه الآية والتي بعدها والآيتان في سورة الممتحنة : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين . . . الىٰ قوله:الظالمون الآيات الأربع نسخت بقوله : فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم .

قوله تعالىٰ :

﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾

أُختلف فيمَن عُني بهذه الآية :

فقيل:نزلت في أُناس يأتون النبي فيسلمون رئاء ، ثم يرجعون إلىٰ قريش فيرتكسوا في الأوثان يبتغون بذلك أن يأمنوا قومهم ويأمنوا نبي الله ، فأبىٰ الله ذلك عليهم . وقيل:نزلت في نعيم بن مسعود الأشجعي كان ينقل الحديث بين النبي وبين المشركين . وقيل:نزلت في أسد وغطفان ، وقيل:نزلت في عيينة بن حصن الفزاري وذلك أنه أجدبت بلادهم فجاء إلىٰ رسول الله ووادعه علىٰ أن يقيم ببطن نخل ولا يتعرض له ، وكان منافقاً ملعوناً .

وفي الآية بيان لصفاة أُولئك المنافقين ، والفتنة هنا:بمعنىٰ الشرك أي كلما

دُعوا إلىٰ الكفر أجابوا ورجعوا اليه ، فإن لم يعتزلوكم ويُلقوا اليكم السّلم ولم يستسلموا لكم أو يصالحوكم ولم يكفوا أيديهم عن قتالكم فخذوهم:أي فاسروهم واقتلوهم حيث وجدتموهم .

قوله تعالى :

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَن يَصَّدَّقُوا فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾

نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي أخي أبي جهل لأمه لأنه كان أسلم وقتل رجلاً بعد إسلامه مسلماً وهو لا يعلم إسلامه والمقتول الحارث بن زيد وكان يعذب عيّاشاً مع أبي جهل .

وقيل:نزلت في رجل قتله أبو الدرداء وكان أبو الدرداء في سرية فعدل إلىٰ شعب يريد حاجة،فوجد رجلاً من القوم في غنم له فحمل عليه بالسيف فقال الرجل لا إله إلا الله ، ولكن أبا الدرداء بادره بالسيف فقتله ، ثم جاء بغنمه إلىٰ القوم ، فوجد في نفسه شيئاً فأتىٰ رسول الله فذكر ذلك له ، فقال رسول الله : الا شققت

عن قلبه ؟ وقد أخبرك بلسانه فلم تصدقه ، وهو استنكار من رسول الله لفعل أبي الدرداء وتوبيخ له على قتل رجل مسلم اظهر ايمانه ، كما أن فيها تأكيد على قبول ظاهر أقوال الناس بالإيمان ومعاملتهم بمؤداه .

فقال أبو الدرداء كيف بي يا رسول الله ؟ فقال (ص) : فكيف بلا إله إلا الله ؟ قال أبو الدرداء : فتمنيت أن ذلك اليوم مبتدأ ايماني .

فنزلت الآية : وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً ـ أي ما أذن الله ولا اباح لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا أن يقتله خطأ أي يقع منه خطأ وحينها فعلى القاتل خطأ ، اعتاق رقبة مؤمنة كفارة لوجه الله ، والرقبة المؤمنة البالغة التي آمنت وصلّت وصامت ، وعليه أيضاً دية عليه وعلى عاقلته ، مسلّمة الى اهل القتيل حسب المواريث إلا أن يصدّق أهل المقتول بدية قتيلهم ، فإن كان القتيل من قوم هم أعداء لكم يناصبونكم الحرب والقتيل في نفسه مؤمن فقتل بظن أنه مشرك فعلى قاتله تحرير رقبة مؤمنة وليس عليه دية لأن الدية ميراث وأهله كفار لا يرثونه ، وإن كان من قوم بينكم ميثاق ومعاهدة وليسوا محاربين لكم فدية مسلّمة الى أهله مضافاً للكفارة بتحرير رقبة ، فمَن لم يجد ولم يقدر على عتق الرقبة فصيام شهرين متتابعين توبةً من الله ليتوب الله عليه ، وكان الله عليماً بكل شيء حكيماً فيما يأمر به وينهى عنه .

وأما الدية الواجبة في قتل الخطأ فمائة من الإبل . فأما اذا كانت من الذهب فالدية ألف دينار ذهبي ، وإذا كانت من الورق فعشرة آلاف درهم .

والمعلوم من سنّة الرسول والاجماع أن الدية في الخطأ على العاقلة وهم الأخوة وبنو الأخوة وبنو الأعمام وأعمام الأب وأبناؤهم والموالي . وليس الزام الدية للعاقلة على سبيل مؤاخذة البريء بالسقيم لأن ذلك ليس بعقوبة بل هو حكم شرعي تابع للمصلحة ، وقد قيل:إن ذلك على سبيل المواساة والمعاونة .

قوله تعالىٰ :

وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾

نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وجد أخاه هشاماً قتيلاً في بني النجار فذكر ذلك لرسول الله (ص) فأرسل معه قيس بن هلال الفهري وقال له : قل لبني النجار إن علمتم قاتل هشام فادفعوه إلىٰ أخيه ليقتص منه وإن لم تعلموا فادفعوا اليه ديته ، فبلّغ الفهري الرسالة فأعطوه الدية ، فلما انصرف ومعه الفهري وسوس له الشيطان فقال: ما صنعت شيئاً أخذت دية أخيك فيكون سبة عليك اقتل الذي معك لتكون نفس بنفس والدية فضل فرماه بصخرة فقتله وركب بعيره ورجع إلىٰ مكة كافراً وأنشد في ذلك شعراً يعلن به قتل الفهري والرجوع للأوثان . فقال النبي (ص): لا أؤمنه في حل ولا في حرم فقتل يوم الفتح .

ولما تقدم حكم قتل الخطأ عقّبه بذكر قتل العمد وحكمه فقال : ومَن يقتل مؤمناً متعمداً . . أي قاصداً الىٰ قتله عالماً بايمانه وحرمة قتله وعصمة دمه ، أو مستحلاً لقتله وقيل: معنىٰ أن يقتله علىٰ دينه فجزاؤه جهنم خالداً فيها مقيماً وغضب الله عليه وأبعده من الخير وطرده . والآية مخصوصة بمَن لا يتوب وان التائب خارج عن عمومها .

قوله تعالىٰ :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ

اللهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

قيل: نزلت في أُسامة بن زيد وأصحابه بعثهم النبي (ص) في سرية فلقوا رجلاً قد انحاز بغنم له الى جبل وكان قد أسلم فقال لهم: السلام عليكم لا إله إلا الله محمّد رسول الله ، فبدر اليه أُسامة فقتله واستاقوا غنمه .

وروي عن ابن عباس أنه لما نزلت الآية حلف أُسامة أن لا يقتل رجلاً قال لا إله إلا الله ، وبهذا اعتذر الى علي لما تخلّف عنه ، وعذره هذا غير مقبول لأنه قد دل الدليل على وجوب طاعة الإمام في محاربة من حاربه من البغاة لا سيما وقد سمع النبي (ص) يقول حربك يا علي حربي وسلمك سلمي . وقيل: نزلت في غير زيد .

ولما بيّن سبحانه احكام القتل وأنواعه عقّب ذلك بالأمر بالتثبت والتأنّي حتى لا يفعل ما يعقب الندامة ، فقال : يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم ـ أي سافرتم ـ في سبيل الله للغزو والجهاد فتبيّنوا وميّزوا بين الكافر والمؤمن ولا تعجلوا في القتل لمن اظهر الإسلام ظناً منكم بأنه لا حقيقة لذلك ، ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام وحيّاكم بتحية أهل الإسلام ، أو استسلم اليكم ولم يقاتلكم مظهراً أنه من أهل ملّتكم فلا تقولوا له لست مؤمناً وأن ايمانك ليس حقيقياً وإنما أسلمت خوفاً من القتل تبتغون وتطلبون عرض الحياة الدنيا من الغنيمة والمال والمتاع فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل مستخفين بأديانكم من قومكم حذراً على أنفسكم . أو كما كان هذا المقتول كافراً فهداه الله كذلك كنتم كفاراً فهداكم الله فمنّ الله عليكم باظهار دينه واعزاز اهله ، وقيل: معناه فتاب الله عليكم فتبيّنوا هذه الأحكام والفوائد .

قوله تعالىٰ :

﴿لَا يَسْتَوِي الْقَٰعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَٰهِدِينَ عَلَى الْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٩٥ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٩٦﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

نزلت الآية في كعب بن مالك من بني سلمة ومرارة بن ربيع من بني عمرو بن عوف وهلال بن أُمية من بني واقف تخلفوا عن رسول الله (ص) يوم تبوك وعذر الله أُولي الضرر وهو عبدالله بن أُم كلثوم فإن الله سبحانه لما حثّ على الجهاد عقّبه بما فيه من الفضل والثواب وغير أُولي الضرر ، اي إلا اهل الضرر من ذوي العلل التي لا سبيل لأهلها الى الجهاد لما بهم من الضرر لا يستوي هؤلاء مع المجاهدين في سبيل الله ومنهاج دينه لتكون كلمة الله هي العليا والمستفرغون جهدهم ووسعهم في قتال اعداء الله واعداء دينه .

وكلاً وعد الله الحسنىٰ:أي أن كلاً من الفريقين المجاهدين والقاعدين وعد الله الجنة .

وفي هذه الآية دلالة علىٰ أن الجهاد فرض كفاية مع أن للمجاهدين منازل اعلىٰ ومغفرة ورحمة .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا
مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا
فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ
سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا
غَفُورًا ﴿٩٩﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قال أبو حمزة الثمالي : بلغنا أن المشركين يوم بدر لم يخلفوا إذا خرجوا احداً إلا صبياً أو شيخاً كبيراً أو مريضاً فخرج معهم أناس ممن تكلم بالإسلام فلما التقى المشركون ورسول الله نظر الذين كانوا قد تكلموا بالإسلام إلى قلة المسلمين فارتابوا وأصيبوا فيمن أصيب من المشركين فنزلت فيهم الآية .

وروي عن أبي جعفر (ع) قال ابن عباس : كنت أنا من المستضعفين وكنت غلاماً صغيراً ، وذكر عنه أيضاً انه قال : كان أبي من المستضعفين من الرجال وأمي كانت من المستضعفات من النساء . وكنت أنا من المستضعفين من الولدان وفي الآية اخبر تعالى عن حال من قعد عن نصرة النبي (ص) بعد الوفاة وأن مأواهم جهنم وساءت مصيراً ثم استثنى من ذلك إلا المستضعفين الذين استضعفهم المشركون من الرجال والنساء والولدان وهم الذين يعجزون عن الهجرة لإعسارهم وقلة حيلتهم فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم .

قوله تعالىٰ :

وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾

قيل: لما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين وهو جندع أو جندب ابن ضمرة وكان بمكة فقال : والله ما أنا مما استثنى الله إني لأجد قوة واني لعالم بالطريق ، وكان مريضاً شديد المرض فقال لبنيه : والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها فإني أخاف أن أموت فيها ، فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم مات ، فنزلت الآية .

ومَن يهاجر : يعني يفارق أهل الشرك ويهرب بدينه من وطنه إلى أرض الإسلام يجد في الأرض مراغماً . . . اي متحولاً من الأرض وسعة في الرزق ، كما روي عن النبي (ص) أنه قال : مَن فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمّد .

قوله تعالىٰ :

وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾

وإذا ضربتم في الأرض أي سرتم وسافرتم فليس عليكم جناح أن تقصروا

من الصلاة أي من عدد الصلاة فتصلّوا الرباعيات ركعتين ، وهو قول أكثر الفقهاء ، ومذهب أهل البيت (ع) ، وظاهر الآية يقتضي أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف لكنّا علمنا جواز القصر عند الأمن ببيان النبي (ص) . ويحتمل أن يكون ذكر الخوف في الآية قد خرج مخرج الأعم ، وفي الأغلب عليهم في اسفارهم كانوا يخافون الأعداء ومثله في القرآن كثير . وقد إختلف الفقهاء في قصر الصلاة، فقال الشافعي:هي رخصة .

واختاره الجبائي : وقال أبو حنيفة : هو عزيمة وفرض . وهذا مذهب أهل البيت؛قال زرارة ومحمّد بن مسلم : قلنا لأبي جعفر ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي وكم هي ؟ قال : إن الله يقول « وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة » فصار التقصير واجباً في السفر كوجوب التمام في الحضر قالا قلنا : إنه قال لا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة ، ولم يقل إفعل فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام ؟

قال : أوليس قال تعالىٰ في الصفا والمروة فمَن حجّ البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوّف بهما . . . ألا ترىٰ أن الطواف واجب مفروض لأنه تعالىٰ ذكرهما في كتابه وصنعهما نبيّه ، وكذا التقصير في السفر شيء صنعه رسول الله وذكره الله في الكتاب .

قال : قلت ، فمَن صلّىٰ في السفر أربعاً أيعيد أم لا ؟ قال إن كان قرئت عليه آية التقصير وفسّرت له فصلّىٰ أربعاً أعاد ، وإن لم يكن قرئت عليه ولم يعلمها فلا اعادة عليه ، والصلاة في السفر كل فريضة ركعتان إلا المغرب فإنها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله في السفر والحضر ثلاث ركعات .

وفي هذا الخبر دلالة علىٰ أن فرض المسافر مخالف لفرض المقيم ، وقد أجمعت الطائفة علىٰ ذلك ، وعندهم أن الخوف بانفراده موجب للقصر وفيه

خلاف بين الفقهاء وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الله عنى بالقصر في الآية قصر صلاة الخوف من صلاة السفر لا من صلاة الإقامة ، لأن صلاة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر .

وأما حد السفر الذي يجب عنده القصر فعندنا ثمانية فراسخ ، وقيل: مسيرة ثلاثة ايام بلياليها وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه .

وقيل: ستة عشر فرسخاً ثمانية وأربعين ميلاً وهو مذهب الشافعي .

قوله تعالى :

وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (١٠٢)

بيان منه تعالى لصلاة الخوف جماعة فقال : وإذا كنت يا محمّد في اصحابك الخائفين عدوهم أن يغزوهم وأردت أن تؤمهم بصلاة كاملة فلتقم طائفة من اصحابك معك في الصلاة تجاه العدو وليتقلدوا بأسلحتهم ، أو أن أخذ

الأسلحة أمر للطائفة التي لم تقم للصلاة فتبقىٰ للمحافظة علىٰ المسلمين من هجوم اعدائهم حين الصلاة وعندنا أن كيفية الصلاة أنهم اذا رفعت الطائفة الأولىٰ رؤوسهم من السجود يصلّون ركعة ثانية ويتشهدون ويسلمون والإمام قائم في الثانية ثم ينصرفون الىٰ مواقف أصحابهم في الحراسة والذب عن المسلمين ، ويجيء الأخرون فيستفتحون الصلاة ويصلّي بهم الإمام الركعة الثانية فقط ويطيل تشهده حتىٰ يقوموا فيصلّوا بقية صلاتهم ثم يسلمَ بهم الإمام فيكون للطائفة الأولى تكبيرة الإفتتاح وللثانية التسليم ، وهو مذهب الشافعي أيضاً ، وقيل:غير ذلك من الصور . وفي الآية دلالة علىٰ صدق النبي (ص) وصحة نبوته وذلك أنها نزلت والنبي بعسفان والمشركون بضجنان فتواقفوا فصلّىٰ النبي وأصحابه صلاة الظهر بتمام الركوع والسجود ، فهمَّ المشركون بأن يغيروا عليهم فقال بعضهم إن لهم صلاةً أخرىٰ أحب اليهم من هذه ، يعنون صلاة العصر ، فأنزل الله عليه هذه الآية فصلّىٰ بهم العصر صلاة الخوف .

وذكر أبو حمزة في تفسيره أن النبي غزا محارباً بني انمار فهزمهم الله واحرزوا الذراري والمال فنزل رسول الله والمسلمون ولا يرون من العدو واحداً فوضعوا اسلحتهم وخرج رسول الله ليقضي حاجته وقد وضع سلاحه فجعل بينه وبين أصحابه الوادي . . . فحال الوادي بين رسول الله وبين اصحابه فجلس في ظل شجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال له اصحابه يا غورث هذا محمّد قد انقلع من اصحابه فقال:قتلني الله إن لم اقتله وانحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله إلا وهو قائم علىٰ رأسه ومعه السيف قد سلّه من غمده وقال:يا محمّد مَن يعصمك منّي الآن ؟ فقال الرسول : الله . فانكب عدو الله لوجهه فقام رسول الله فأخذ سيفه،وقال:يا غورث مَن يمنعك منّي الآن ؟ قال:لا أحد ، قال:اتشهد أن لا إله إلا الله وأني عبدالله ورسوله ؟ قال:لا ولكني أعهد أن لا اُقاتلك ابداً ولا اُعين عليك عدواً ، فأعطاه رسول الله سيفه ، فقال له غورث:والله

لأنت خير مني . قال (ص):إني أحق بذلك .

وخرج غورث الى أصحابه فقالوا:يا غورث لقد رأيناك قائماً على رأسه بالسيف فمامنعك منه؟قال: والله أهويت له بالسيف لأضربه فما أدري مَن زلجني بين كتفي فخررت لوجهي وخر سيفي وسبقني اليه محمّد وأخذه ، ولم يلبث الوادي أن سكن فقطع رسول الله إلى أصحابه فأخبرهم الخبر وقرأ عليهم : إن كان بكم أذىً من مطر . . . إلى آخر الآية .

قوله تعالى :

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّ الصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ۝١٠٣﴾

فاذا فرغتم من صلاتكم أيها المؤمنون وأنتم مواقفوا أعداءكم فاذكروا الله في حال قيامكم وقعودكم وعلى جنوبكم أي مضطجعين ، أي ادعوا الله في هذه الأحوال لعله ينصركم على عدوكم ويظفركم بهم .

وقيل:معناه فاذا أردتم الصلاة فصلّوا قياماً اذا كنتم أصحاء ، وقعوداً إذا كنتم مرضى لا تقدرون على القيام ، وعلى جنوبكم إذا لم تقدروا على القعود فإذا اطمأننتم واستقررتم في أوطانكم وأقمتم في أمصاركم فأتمّوا الصلاة التي أذن لكم في قصرها . وقيل:معناه إذا استقررتم بزوال خوفكم فأتموا حدود الصلاة . إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً:أي واجبة مفروضة .

قوله تعالى :

﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا

تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليماً حكيماً (١٠٤)

قيل : نزلت في الذهاب إلى بدر الصغرى لموعد أبي سفيان يوم أحد .

وقيل : نزلت في يوم أحد في الذهاب خلف أبي سفيان وعسكره إلى حمراء الأسد . وفيها حث على الجهاد ، ولا تهنوا : أي ولا تضعفوا في طلب القوم المشركين أعداء الله وأعداء المؤمنين إن كنتم تألمون من الجراح فإن المشركين أيضاً يألمون لما نالهم منكم من الجراح والأذى ولكن المؤمنين يمتازون على المشركين بأنهم يرجون من الله الظفر عاجلاً والثواب آجلاً فأنتم أولى وأحرى أن تصبروا على الحرب .

قال ابن عباس وعكرمة : لما أصاب المسلمين ما أصابهم يوم أحد وصعد النبي الجبل قال أبو سفيان : يا محمد لنا يوم ولكم يوم ، فقال (ص) أجيبوه .

فقال المسلمون : لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار .

فقال أبو سفيان : لنا عزى ولا عزى لكم . فقال النبي : قولوا الله مولانا ولا مولى لكم .

فقال أبو سفيان : هبل أعلى . فقال النبي : قولوا الله أعلى وأجل .

فقال أبو سفيان : موعدنا وموعدكم يوم بدر الصغرى .

ونام المسلمون وبهم الكلوم . وفيهم نزلت : إن يمسسكم قرح فقد مس القوم . . .

وفيهم نزلت : إن تكونوا تألمون . . . لأن الله أمرهم على ما بهم من الجراح أن يتبعوهم وأراد بذلك إرهاب المشركين ، وخرجوا إلى حمراء الأسد وبلغ المشركين ذلك فأسرعوا حتى دخلوا مكة .

قوله تعالى :

إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله

﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥ وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٦﴾

روي أنها نزلت في بني أُبيرق وكانوا ثلاثة أُخوة بشر وبشير ومبشر وكان أحدهم يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ، ثم إن بشيراً أحد الثلاثة سرق طعاماً وسيفاً ودرعاً لرفاعة ابن لبيد والقصة طويلة .

وقيل : إن بني أُبيرق اتهموا بما سرقوه يهودياً يقال له زيد بن السهين فجاء اليهودي الى رسول الله وجاء بنوا أُبيرق اليه وكلّموه أن يجادل عنهم . فهمَّ رسول الله أن يفعل وأن يعاقب اليهودي فنزلت الآية .

وقيل : نزلت في رجل من الأنصار استُودع درعاً فجحد صاحبها فخوّنه رجال من أصحاب النبي فغضب له قومه فقالوا : يا نبي الله خوّن صاحبنا وهو مسلم أمين فعذره النبي وكذب عنه وهو يرىٰ أنه بريء مكذوب عليه ، فأنزل الله فيه الآيات ، واختار الطبري هذا الوجه .

والخطاب وإن توجه إلىٰ النبي من حيث خاصم عمّن رآه علىٰ ظاهر الإيمان والعدالة وكان الباطل بخلافه ، فالمراد به أُمته ، وإنما ذكر ذلك علىٰ وجه التنبيه له في أن لا يبادر بالخصام والدفاع عن خصم إلا بعد أن يتبين وجه الحق فيه . ونجلُّ وننزّه نبي الله عن جميع المعاصي والقبائح .

قوله تعالىٰ :

﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ

مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن
يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾

نزلت الآيات في القصة التي ذكرناها قبلاً .

والمجادلة : هي المنازعة فيما وقع فيه خلاف بين اثنين .

والمخاصمة : المنازعة بالمخالفة بين اثنين على وجه الغلظة .

والمناظرة : فيما وقع بين النظيرين .

والمحاجّة : مجادلة لأظهار الحجّة ، وأصل المجادلة من الجدل وهو شدة الفتل .

والتبييت : التدبير للشيء بالليل لأنه يكون وقت رواح الناس لبيوتهم . وفي الآية نهي عن المجادلة والدفاع عن أهل الخيانة ، ويختانون أي يخونون أنفسهم ويظلمونها .

قوله تعالى :

وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ
بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾

بيّن سبحانه طريق التلافي والتوبة عمّا سبق منهم من المعصية ،

وقيل : المراد بالسوء الشرك ، وبالظلم ما دون الشرك ، وقيل غير ذلك،وفي هذه الآيات دلالة على أنه تعالى لا يجوز أن يخلق أفعال خلقه ثم يعذبهم عليها لأنه ، إذا كان الخالق لها فهم براء منها ، فلو قيل:إن الكسب مضاف الى العبد . فجوابه أن الكسب لو كان مفهوماً وله معنى لم يخرج العبد بذلك من أن يكون بريئاً لأنه إذا قيل:ان الله أوجد الفعل وإحدثه وأوجد الاختيار في القلب ، والفعل لا يتجزأ فقد انتفى عن العبد من جميع جهاته .

قوله تعالى :

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾

قيل : نزلت في بني أبيرق وقد مضت قصتهم ، وقيل:نزلت في وفد من ثقيف قدموا على رسول الله (ص) وقالوا : يا محمّد جئناك نبايعك على أن لا نكسر أصنامنا وعلى أن نمتّع بالعزى سنة فلم يجبهم إلى ذلك وعصمه الله منهم .

وفي الآيتين بيان لطفه سبحانه برسوله وفضله عليه اذ صرف كيدهم عنه وعصمه من الميل اليهم .

فهمّت طائفة منهم أن يضلوك : أي الذين شهدوا ببراءة الخائنين من بني أبيرق أو أنهم وفد ثقيف كما تقدم حيث التمسوا من رسول الله ما لا يجوز من الإقامة على الأصنام ، أو أنهم المنافقون الذين همّوا باهلاك النبي ، والمراد بالإضلال القتل والإهلاك ، وأنزل الله عليك الكتاب ويوحي اليك بالأحكام .

لا خير في كثير من نجواهم : إي اسرارهم ، والنجوىٰ لا يتم إلا بيْن اثنين فصاعداً، إلا من أمر بصدقة . . . أو اصلاح بين الناس أي تأليف بينهم بالمودة .

ويروىٰ عن علي أمير المؤمنين (ع) أنه قال : إن الله فرض عليكم زكاة جاهكم كما فرض عليكم زكاة ما ملكت ايديكم .

وفي الآية دلالة علىٰ أن فاعل المعصية هو الذي يضر بنفسه لما يعود عليه من وبال فعله ، وفيها دلالة أيضاً علىٰ أن الذي يدعو إلىٰ الضلال هو المظل وعلى أن فاعل الضلال مظل لنفسه ، وعلىٰ أن الدعاء إلىٰ الضلال يسمّى اضلالاً .

قوله تعالىٰ :

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ (١١٥)

قيل : نزلت في شأن ابن أبي أبيرق سارق الدرع كما تقدم من قصته ولما انزل الله في تقريعه وتقريع قومه الآيات كفر وارتد ولحق بالمشركين من أهل مكة ، ثم نقب حائطاً للسرقة فوقع عليه الحائط فقتله .

وقيل: أنه خرج من مكة نحو الشام فنزل منزلاً وسرق بعض المتاع وهرب فأخذ ورُمي بالحجارة حتىٰ قتل .

وفي الآية بيان للاصرار على الجريمة وعدم التوبة ، ومن يشاقق أي يخالف محمداً ويعاديه من بعد ما تبيّن له الهدى وظهر له الحق والإسلام مع ذلك كله يصر ويتبع طريقاً غير طريق المؤمنين نولّه ما تولى ونكله إلى من انتصر به واتكل عليه من الأوثان .

قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ
بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾

قد مر تفسيره فيما تقدم ، وقوله قد ضل ضلالاً بعيداً : اي ذهب عن طريق الحق والغرض المطلوب وهو النعيم المقيم في الجنة ذهاباً بعيداً لأن الذهاب عن نعيم الجنة يكون على مراتب ابعدها الشرك بالله .

قوله تعالى :

إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا
مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾
وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ
وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ
اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ
إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾

لما ذكر في الآية المتقدمة أهل الشرك وضلالهم ، ذكر هنا حالهم وفعالهم .

إلا إناثاً : فيه أقوال منها بمعنى إلا اوثاناً ، وكانوا يسمّون الأوثان باسم الإناث كاللات والعزىٰ ومناة وأساف ونائلة ، وقيل: اللات كان اسماً لصخرة والعزىٰ كان اسماً لشجرة إلا أنهم نقلوهما إلىٰ الوثن ، وقيل: العزىٰ تأنيث الأعز واللات تأنيث لفظ (الله) .

وقال الحسن : كان لكل حي من العرب وثن يسمونه باسم الأنثىٰ .

أو أن المعنىٰ : إلا ملائكة لأنهم كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله وكانوا يعبدون الملائكة ، والحقيقة إنهم لم يعبدوا إلا الشيطان .

ولعنه الله : أي أبعده الله بخلوده في نار جهنم .

وقال : أي الشيطان لمّا لعنه الله قال لأتخذن من عبادك نصيباً وحظاً مفروضاً معلوماً ، أو مقداراً محدوداً ، ولأضلّنهم عن الحق والصواب . ولأمنينّهم طول البقاء في الدنيا فيؤثرونها علىٰ الآخرة، أو أن الشيطان يقول لهم ليس وراءكم بعث ولا نشر ولا جنة ولا نار فافعلوا ما شئتم، ولآمرنّهم فليبتّكنّ آذان الأنعام : أي ليشققنّ آذانها ، أو ليقطعن الآذان من أصولها وهو ما كان المشركون من العرب يفعلونه بالبحيرة والسائبة .

ولآمرنّهم فليغيرنّ خلق الله : أي ليغيرنّ دين الله بتحريم الحلال وتحليل الحرام، وقيل: غير ذلك في معنىٰ التغيير ، ومَن يتّخذ الشيطان ولياً وناصراً ويطيعه من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً .

قوله تعالىٰ :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا (١٢٢)

قد مر تفسير صدر الآية في هذه السورة ، ومن أصدق من الله قيلاً أي حديثاً ، والاستفهام هنا بمعنى النفي أي لا أحد أصدق من الله قولاً فيما أخبر به .

قوله تعالى :

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا (١٢٤)﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الأماني: جمع أمنية ، والنقير: النكتة في ظهر النواة .

قيل : تفاخر المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب : نبيّنا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم ونحن أولىٰ بالله منكم ، فقال المسلمون : نبيّنا خاتم النبيين وكتابنا يقضي علىٰ الكتب وديننا الإسلام ، فنزلت الآية .

فقال : أهل الكتاب نحن وأنتم سواء ، فأنزل الله الآية التي بعدها .

وقيل : لما قالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه ، وقال أهل الكتاب لن يدخل الجنة إلا مَن كان هوداً أو نصارىٰ ، نزلت الآية : ومَن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن . . . يبيّن تعالىٰ أن الطاعة لا تنفع من دون الإيمان فأُولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً ، وعد الله بهذه الآية جميع المكلفين من الرجال والنساء أذا عملوا الأعمال الصالحة والطاعات الخالصة وهم مؤمنون موحّدون مصدقون نبيه وعدهم بأن يدخلهم الجنة ولا يبخسهم شيئاً مما يستحقونه من الثواب وإن كان مقدار نقير في الصغر .

قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا (١٢٦) ﴾

بيّن سبحانه مَن يستحق الوعد الذي ذكره قبلاً ، ومَن أحسن ديناً : أي لا احد أصوب طريقاً واهدى سبيلاً وأحسن اعتقاداً ممّن اسلم وجهه لله أي ذاته ونفسه وانقاد بالطاعة لله ولرسوله بالتصديق . أو أسلم وجهه أي قصده بالعبادة وهو محسن أي فاعل للحسن في جميع أقواله وأفعاله.

روي أن النبي (ص) سُئل عن الإحسان ؟ فقال : أن تعبد الله تعالىٰ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك واتبع ملة ابراهيم أي : اقتدي بدينه وسيرته من الإقرار بتوحيد الله وعدله وتنزيهه عمّا لا يليق به والصلاة إلىٰ الكعبة والطواف حولها حنيفاً أي مستقيماً على منهاجه وطريقته .

واتخذ الله ابراهيم خليلاً: أي محبّاً لا خلل في مودته لكمال خلّته وأنه موالياً لأولياء الله معادياً لأعدائه ، وخلّة الله له نصرته علىٰ مَن اراده بسوء كما أنقذه من نار نمرود وغيرها وجعله قدوة للناس وإماماً . كما خصّ محمّداً بأنه حبيب الله .

وروي في التفاسير أن ابراهيم (ع) كان يضيف الضيف ويطعم المساكين ، وأن الناس أصابهم جدب فارتحل ابراهيم الىٰ خليل له بمصر يلتمس منه طعاماً لأهله فلم يصب ذلك عنده فلما قرب أهله بمفازة ذات رمل لينة ملأ غرائره من ذلك الرمل لئلّا يغم أهله لرجوعه من غير ميرة فحول الله ما في غرائره دقيقاً ، فلما وصل إلىٰ أهله دخل البيت ونام استحياءً منهم ، ففتحوا الغرائر وعجنوا من الدقيق

وخبزوا وقدموا اليه طعاماً طيباً ، فسألهم من أين خبزوا ؟ قالوا:من الدقيق الذي جئت به من عند خليلك المصري ، فقال أما أنه من خليلي وليس بمصري فسماه الله سبحانه خليلاً .

ثم بيّن سبحانه أنّه إنّما اتخذ ابراهيم خليلاً لطاعته ومسارعته الى رضاه لا لحاجة منه سبحانه إلى خلّته فقال: ولله ما في السماوات وما في الأرض،وهو مستغن عن جميع خلقه ، والخلق محتاجون إليه وكان الله بكل شيء محيطاً .

قوله تعالى :

وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

عاد تعالى إلى ذكر النساء والأيتام وقد جرى ذكرهم في أول السورة .

ويستفتونك أي يسألونك ، والفتوى تبيين المشكل من الأحكام .

ويستخبرونك يا محمّد عن الحكم فيهنّ وعمّا يجب لهنّ وعليهنّ قل الله يُفتيكم ويبيّن لكم ما سألتم في شأنهنّ فيما يتلى عليكم في الكتاب أي القرآن ، ويبين لكم الفرائض في يتامى النساء أي الصغار اللاتي لم يبلغن من اللاتي لا تعطونهن ما كتب وفرض لهنّ وكان أهل الجاهلية لا يورثون المولود حتى يكبر ولا يورثون المرأة وكانوا يقولون لا يورث إلا من قاتل عن الحريم .

وقيل : معناه أنهم لا يؤتون اليتامى اللواتي تحت ولايتهم صداقهنّ الذي

فرض لهنّ ، أو أن معناه الولي والرحم لا يتزوجها لدمامتها ، أو لعدم رغبته فيها ولا يزوجها للغير خوفاً أن يرث الغير أموالها ، وترغبون أن تنكحوهنّ : أي تعرضون عن نكاحهنّ لدمامتهنّ ، ولا تعطوهنّ حقوقهنّ من المواريث ليرغب الغير في زواجهنّ .

ويفتيكم في المستضعفين من الولدان الصّبيان الصغار بأن تعطوهم حقوقهم، وكانوا كما أسلفنا لا يورثون الغلمان ولا الجواري . وأن تقوموا لليتامى بالقسط أي ويفتيكم في اليتامى بالعدل والقسط في انفسهم وأموالهم وإعطاء كل ذي حق حقه .

قوله تعالى :

وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾

كانت بنت محمّد بن مسلمة عند رافع بن حديج وكانت كبيرة السن وكانت عنده امرأة شابة سواها فطلّقها تطليقة حتى إذا بقي من أجلها يسير قال : إن شئتِ راجعتك وصبرت على الإثرة وإن شئت تركتك. قالت: بلى راجعني وأصبر على الإثرة فراجعها ، فذلك الصلح الذي بلغنا أن الله تعالى أنزل فيه هذه الاية .

وقيل: خشيت سودة بنت زمعة أن يطلّقها رسول الله فقالت لا تطلّقني واجلسني مع نسائك ولا تقسم لي واجعل يومي لعائشة فنزلت الآية، ولما تقدم حكم نشوز المرأة بيّن سبحانه نشوز الرجل الذي يكون استعلاءً وارتفاعاً منه اما لبغضه وأما لكراهته منها شيئاً لدمامة أو لكبر سن أو غير ذلك، أو اعراضاً عنها وانصرافاً

بوجهه وهجرانه لها وميله الى غيرها، فلا جناح عليهما ولا إثم. على كل من الزوج والزوجة إذا تصالحا على ذلك بأن تترك المرأة له بعض حقوقها وواجباتها كيومها أو نفقتها لتستعطفه وتستديم المقام معه . والصلح بترك بعض الحقوق خير من طلب الفرقة بعد طول الألفة ، «وأحضرت الأنفس الشّح» أي أنفس النساء في الشّح على حقوقها من زوجها ، أو شحّ كل واحد من الرجل والمرأة بحقه قبل صاحبه ، وإن تحسنوا : خطاب للرجال أي إن تفعلوا الجميل بالصبر على ما تكرهون من النساء وتتقوا من الظلم والجور عليهنّ في النفقة والكسوة والعشرة بالمعروف ، أو تحسنوا بأفعالكم وأقوالكم وتتقوا المعاصي .

قوله تعالى :

وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾

لما تقدم ذكر النشوز والصلح بين الزوجين عقّبه سبحانه بأنه لا يكلف من ذلك ما لا يستطاع .

« ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم» : أي لن تقدروا أن تسووا بين النساء في المحبة والمودة بالقلب فإن ذلك ليس اليكم فلا تكلفونه ولا تؤاخذون به ، فلا تميلوا كل الميل : أي ، فلا تعدلوا بأهوائكم عمّن لم تملكوا محبة منهنّ ويجركم ميلكم على ترك الواجب فتذروا مَن لا ترغبون كالمعلقة فلا هي ذات زوج ولا هي أيم .

وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره أنه سأل رجلٌ من الزنادقة أبا جعفر الأحول عن

قوله سبحانه : فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، ثم قال:ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، وبين القولين فرق ؟

قال : فلم يكن عندي جواب في ذلك حتى قدمت المدينة فدخلت على أبي عبدالله (ع) فسألته عن ذلك .

فقال : أما قوله فإن خفتم ألا تعدلوا فإنه عنىٰ في النفقة ، وأما قوله ولن تستطيعوا أن تعدلوا : فإنه عنىٰ في المودّة فإنه لا يقدر أحد أن يعدل بين امرأتين في المودّة .

قال : فرجعت إلى الرجل فأخبرته ، فقال : هذا ما حملته من الحجاز .

وروي عن جعفر الصادق (ع) عن آبائه أن النبي (ص) كان يقسم بين نسائه مرضه فيطاف به بينهنّ .

وروي أن علياً (ع) كان له امرأتان فكان إذا كان يوم واحدة لا يتوضأ في بيت الأخرى . وإن يتفرقا يغني الله كلّا من سعته : أي اذا أبىٰ كل واحد من الزوجين مصلحة الآخر بأن تطالب المرأة بنصيبها من القسمة والنفقة والكسوة وحسن المعاشرة ويمتنع الرجل من اجابتها إلىٰ ذلك يتفرقا بالطلاق فإنه سبحانه يغني كل واحد منهما من سعة فضله ورزقه .

قوله تعالىٰ :

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ

وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾

إخبار عن كمال قدرته وسعة ملكه ، وإن من يملك ما في السموات وما في الأرض لا يتعذر عليه الإغناء بعد الفرقة والإيناس بعد الوحشة .

ولقد وصّينا الذين أُوتوا الكتاب : من اليهود والنصارى وغيرهم .

وإياكم : أي وأوصيناكم أيها المسلمون بأن اتقوا الله باتقاء عاقبة المعاصي ولا تخالفوا أمره ونهيه .

قوله تعالى :

إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾
مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

لما ذكر سبحانه غناه عن الخلق بأن له ملك السموات والأرض ، عقّب ذلك بذكر كمال قدرته على خلقه وأن له الإهلاك والإنجاء والإستبدال بعد الإفناء وأخبر سبحانه عمّن اظهر الإيمان بمحمّد (ص) من أهل النفاق يريد عرض الحياة الدنيا باظهار الإيمان بلسانه .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ
أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا

تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾

لما ذكر سبحانه أن عنده ثواب الدنيا والآخرة ، عقبه بالأمر بالقسط والقيام بالحق وترك الميل والجور ، والشهداء جمع شهيد ، وفيها حث على الثبات والدوام على الحق والشهادة بالصدق ، تقرباً اليه وطلباً لمرضاته ، والشهادة على القريب والبعيد ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين .

وفي هذه الاية دلالة على جواز شهادة الوالدة والوالد لولده وشهادة كل ذي قرابة لقرابته وعليه .

إن يكن غنياً أو فقيراً : إن يكن المشهود له أو عليه غنياً أو فقيراً فلا يمنعكم ذلك عن قول الحق فالله أولى بهما فلا تمتنعوا عن اقامة الشهادة على أحد وراعوا أمر الله فيما أمركم من اداء الشهادة ، والله أعلم بمصالح العباد منكم فلا تتبعوا الهوى في إقامة الشهادة فتشهدوا أو تكتموا الشهادة بغير حق .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾

يا أيُّها الذين آمنوا في الظاهر بالإقرار بالله ورسوله هلمّوا وآمنوا في الباطن ليوافق باطنكم ظاهركم ، وهو خطاب للمنافقين الذين كانوا يظهرون خلاف ما

يطنون ، والكتاب الـذي نزله علىٰ رسوله هو القرآن الكريم .

والكتاب الذي أُنزل من قبل هو التوراة والإنجيل ، ومَن كفر بالله : بأن جحده أو شبّه به أحداً من خلقه ، أو نفىٰ نزول ملائكته علىٰ الرسل ، أو جحد كتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالاً بعيداً .

وفيها تهديد لأهل الكتاب ، والإعلام لهم أن اقرارهم بالله ووحدانيته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر لا ينفعهم مع جحدهم بنبوة محمّد (ص) ويكون إيمانهم بما سوىٰ محمّد وعدمه سواء بعد جحدهم بمحمّد (ص) وعلم إيمانهم بنبوته وبما جاء به .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالىٰ :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ
اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ
أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾

قيل :أنه عنى بالذين آمنوا : الذين آمنوا بموسىٰ (ع) ثم كفروا بعبادة العجل وغير ذلك ، ثم آمنوا يعني النصارىٰ حين آمنوا بعيسىٰ (ع) ثم كفروا به ثم ازدادوا كفراً بانكارهم وكفرهم بنبوة محمّد (ص) .

أو أنه تعالىٰ عنىٰ المنافقين الذين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا ثم ماتوا علىٰ كفرهم .

وقال ابن عباس : دخل في هذه الآية كل منافق كان في عهد النبي (ص) في البحر والبر . لم يكن الله ليغفر لهم باظهارهم الإيمان فلو كانت بواطنهم كظواهرهم في الإيمان لما كفروا فيما بعد .

بشّر المنافقين وأخبرهم يا محمّد بأن لهم في الآخرة عذاباً أليماً .

ثم ذم سبحانه الذين يتّخذون الكافرين من مشركي العرب أو اليهود يتخذونهم أولياء أي ناصرين ومعينين وأخلاء من دون المؤمنين يبتغون عندهم العزة والقوة والمنعة من دون الإيمان بالله تعالى . ثم اخبر سبحانه بأن العزة والمنعة له تعالى فلو أنهم آمنوا مخلصين وطلبوا الإعتزاز بالله تعالى وبدينه وبرسوله وبالمؤمنين لكان اولى بهم من الإعتزاز بالمشركين .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

كان المنافقون يجلسون إلى أحبار اليهود فيسخرون من القرآن فنهاهم الله عن ذلك ، كما عن ابن عباس .

ولما تقدم ذكر المنافقين وموالاتهم الكفار عقّب ذلك بالنهي عن مجالستهم ومخالطتهم فلا تقعدوا معهم : أي مع المستهزئين والكافرين ، حتىٰ يخوضوا في حديث غيره: أي حتىٰ يأخذوا في حديث غير الاستهزاء بالدين ، وقيل: حتىٰ يرجعوا إلىٰ الإيمان ويتركوا الكفر والاستهزاء .

وفي هذا دلالة على تحريم مجالسة الكفار عند كفرهم بآيات الله واستهزائهم بها وعلى إباحة مجالستهم عند خوضهم في حديث غيره .

وفي الآية دلالة على وجوب انكار المنكر مع القدرة وزوال العذر ، وأن من ترك ذلك مع القدرة عليه فهو مخطىء آثم .

وفيها دلالة على تحريم مجالسة الفساق والمبتدعين من أيّ جنس كانوا ، وروى العياشي باسناده عن علي بن موسى الرضا (ع) في تفسير هذه الآية قال : إذا سمعت لرجل يجحد الحق ويكذب به ويقع في أهله فقم من عنده ولا تقاعده .

إن الله جامع المنافقين والكافرين . . . أي ان الله يجمع الفريقين من أهل الكفر والنفاق في القيامة في النار والعقوبة فيها كما اتفقوا في الدنيا على عداوة المؤمنين والمظاهرة عليهم .

قوله تعالى :

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (١٤١)

قد وصف الله سبحانه المنافقين والكافرين فقال : الذين يتربصون بكم وينتظرون حين يقولون سيهلك محمّد (ص) وأصحابه فنستريح منهم ويظهر قومنا وديننا ، فإن كان النصر للمؤمنين قالوا ألم نكن معكم نجاهد عدوكم ونغزوهم

معكم فاعطونا نصيبنا من الغنيمة ، وإن كان للكافرين قال المنافقون للكافرين ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من الدخول في جملة المؤمنين ، ألم نطلعكم على أسرار محمّد وأصحابه ونكتب لكم بأخبارهم ، فالله يحكم بينكم يوم القيامة ، ويفصل بالحق ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً من النصر والظهور ، أولن يجعل للكافرين سبيلاً بالحجّة على المؤمنين وإن غلبوهم بالقهوة لكن المؤمنين منصورون بالدلالة والحجة ، أولن يجعل لهم في الآخرة سبيلاً .

قوله تعالى :

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾

بيّن سبحانه أفعال المنافقين القبيحة ، وخداع المنافقين لله: إظهارهم الإيمان الذي حقنوا به دماءهم وأموالهم ، وقيل معناه : يخادعون النبي . ومعنى خداع الله إياهم أن يجازيهم على خداعهم وريائهم ، وعن ابي عبدالله عن آبائه أن رسول الله سئل فيم النجاة غداً ؟ قال: النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم فإنه من يخادع الله يخدعه ونفسه يخدع لو شعر . فقيل له : فكيف يخادع الله ؟ قال : يعمل بما أمره الله ثم يريد به غيره ، فاتقوا الرياء فإنه شرك بالله ، إن المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر حبط عملك وبطل أجرك ولا خلاق لك اليوم فالتمس اجرك ممّن كنت تعمل له . مذبذين بين ذلك : أي

مرددين بين الكفر والايمان ، أو مطوردين من هؤلاء ومن هؤلاء من الذب الذي هو الطرد .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾

بيّن سبحانه حال موالاة المنافقين ، ونهى المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء وأنصاراً من دون المؤمنين ، ثم وصف الله تعالى شدة عذاب المنافقين وأنهم في الدرك الأسفل من النار ، وكما أن للجنة درجات للنار درجات ، وقيل: أن المنافقين في توابيت من حديد مغلقة عليهم في النار ، ولن تجد يا محمّد لهؤلاء المنافقين ناصراً ينصرهم فينقذهم من عذاب الله إذ جعلهم في أسفل طبقة من النار .

ثم استثنى سبحانه فقال : إلا الذين تابوا ـ من نفاقهم ـ وأصلحوا ـ نياتهم وثبتوا على التوبة في المستقبل واعتصموا بالله وصدقوا رسله وكتبه وتبرأوا من الآلهة والأنداد فاولئك مع المؤمنين .

قوله تعالى :

مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

خاطب سبحانه بهذه الآية المنافقين الذين تابوا وآمنوا وأصلحوا أعمالهم وأن لا حاجة بالله إلى عذابكم وجعلكم في الدرك الأسفل إن شكرتم وآمنتم به وبرسوله واقررتم بما جاء به من عنده ،

وكان الله شاكراً ومجازياً لكم على الشكر .

قوله تعالى :

﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (١٤٨) إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا (١٤٩)﴾

لا يحب الله الشتم في الإنتصار ، أو لا يحب الله الجهر بالدعاء على أحد ، أو لا يحب أن يذم أحدٌ أحداً أو يشكوه أو يذكره بالسوء ، إلا من يظلم فلا بأس عليه أن ينتصر ممّن ظلمه بما يجوز الإنتصار به في الدين .

وفي هذه الآية دلالة على أن الرجل إذا هتك ستره وأظهر فسقه جاز إظهار ما فيه ، وقد جاء في الحديث : قولوا في الفاسق ما فيه يعرفه الناس . ولا غيبة لفاسق .

وفيها ترغيب في مكارم الأخلاق ونهي عن كشف عيوب الخلق .

ثم قال تعالى : إن تبدوا خيراً : أي حسناً جميلاً من القول بمَن أحسن اليكم ، أو تخفوه : أي تتركوا اظهاره ، وقيل: يريد بالخير المال بأن تظهروا الصدقة أو تخفوها ، أو تعفوا وتصفحوا عمّن أساء اليكم مع القدرة على الإنتقام فإن الله كان عفواً قديراً .

وهذا حث منه سبحانه لخلقه على العفو عن المسيء مع القدرة على الإنتقام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجُزءُ السَّادِسُ
مِنَ القرآن الكَريم

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٥٢﴾

لما قدم سبحانه ذكر المنافقين عقبه بذكر أهل الكتاب والمؤمنين أي هؤلاء أخبرنا عنهم بأنهم يؤمنون ببعض ! حين صدق اليهود بموسى وكذبوا بعيسى ومحمد ، وكما فعلت النصارى حين صدقوا بعيسى ومَن تقدمه من الأنبياء وكذبوا بمحمد ، ويكفرون ببعض ؛ وأنهم لو كانوا صادقين في ذلك لصدقوا جميع رسل الله ، فلا يتوهم متوهم أن قولهم : نؤمن ببعض يخرجهم من جنس الكفار ويلحقهم بالمؤمنين .

والذين آمنوا بالله ورسله : أي صدقوا الله ووحدوه وأقروا برسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ، أولئك سوف نؤتيهم أجورهم ، وكان الله غفوراً رحيماً لمن هذه صفتهم ، متفضلاً عليهم هادياً لهم الى دار السلام .

قوله تعالى :

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ

ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَٰلِكَ
وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا
لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ
مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

روي أن كعب بن الأشرف وجماعة من اليهود قالوا: يا محمّد إن كنت نبياً فأتنا بكتاب من السماء جملة ، أي كما أتى موسى بالتوراة جملة . فنزلت هذه الآية ولما أنكر الله التفريق بين الرسل في الإيمان عقبه بالإنكار عليهم في طلبهم المحالات مع ظهور الآيات والمعجزات .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

واُختلف في معنى ما طلبوه فقيل: إنّهم سألوا أن ينزل عليهم كتاب من السماء مكتوباً لما كانت التوراة مكتوبة من عند الله في الألواح .

وقيل : أنّهم سألوا أن ينزل عليهم كتاباً خاصاً لهم .

فلا يعظمنّ عليك يا محمّد مسألتهم فإنهم ـ أي اليهود ـ سألوا موسى اعظم من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة ، ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عنهم مع عظم جريمتهم وخيانتهم .

قوله تعالى :

فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ
وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا

قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾

ذكر سبحانه أفعال اليهود القبيحة ومجازاته إياهم بها، فبما نقضهم ميثاقهم وعهودهم التي عاهدوا الله عليها أن يعملوا بما في التوراة وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف، فلا يؤمنون إلا قليلاً : أي لا يصدقوا إلا تصديقاً قليلاً وبكفرهم بجحود هؤلاء لعيسى (ع) وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً .

قال الكلبي : مر عيسى برهط فقال بعضهم لبعض قد جاءكم الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه بأمه ، فسمع ذلك عيسى فقال : اللّهم أنت ربي خلقتني ولم أتهم من تلقاء نفسي ، اللّهم العن من سبّني وسبّ والدتي فاستجاب الله دعوته فمسخهم خنازير .

وقول اليهود : إنّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم وما قتلوه . . . اختلفوا في التشبيه فروي عن ابن عباس أنه قال: لما مسخ الله تعالى الذين سبّوا عيسى وأمه بدعائه ، بلغ ذلك يهوذا وهو رأس اليهود فخاف أن يدعو عليه فجمع اليهود فاتفقوا على قتله فبعث الله تعالى جبرائيل يمنعه منهم ويعينه عليهم . وذلك معنى قوله وأيّدناه بروح القدس ، فاجتمع اليهود حول عيسى فجعلوا يسألونه فيقول لهم يا معشر اليهود إن الله تعالى يبغضكم فساروا إليه ليقتلوه فأدخله جبرائيل في خوخة البيت الداخل لها روزنة في سقفها فرفعه جبرائيل الى السماء فبعث يهوذا رأس اليهود رجلاً من أصحابه اسمه طيطانوس ليدخل عليه الخوخة فيقتله فدخل فلم يره

فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله في الخوخة فألقىٰ الله عليه شبه وجه عيسىٰ ولم يلق عليه شبه جسده فقال بعض القوم إن الوجه وجه عيسىٰ والجسد جسد طيطانوس ، وقال بعضهم إن كان هذا طيطانوس فأين عيسىٰ وإن كان هذا عيسىٰ فأين طيطانوس ، فاشتبه الأمر عليهم ، وقيل:أن شبهه أُلقي علىٰ الحواريين السبعة الذين معه .

وقال أبو علي الجبائي : ان رؤساء اليهود أخذوا انساناً فقتلوه وصلبوه على موضع عالٍ ولم يمكّنوا أحداً من الدنو إليه فتغيرت حليته وقالوا قد قتلنا عيسى ليوهموا بذلك على عوامهم لأنهم كانوا أحاطوا بالبيت الذي فيه عيسىٰ فلما دخلوا كان عيسىٰ قد رفع من بينهم فخافوا أن يكون ذلك سبباً لإيمان اليهود به ففعلوا ذلك .

قوله تعالىٰ :

وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾

أُختلف في عود الضميرين بقوله : به قبل موته ؟ قيل:يعودان إلىٰ المسيح أي : ليس يبقىٰ أحد من أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ إلا ويؤمن بالمسيح إذا أنزله الله علىٰ الأرض وقت خروج المهدي في آخر الزمان لقتال الدجال فتصير الملل كلها ملةً واحدةً وهي ملة الإسلام الحنيفية ، والآية خاصة لمَن يكون منهم في ذلك الزمان .

وقيل : إن الضمير في به يعود إلىٰ المسيح ، والضمير في موته يعود إلىٰ الكتابي ، ومعناه : لا يكون أحد من أهل الكتاب يخرج من دار الدنيا إلا ويؤمن بعيسىٰ قبل موته ولكن لا ينفعه الإيمان حينئذٍ .

وإنما ذكر اليهود والنصارى لأن جميعهم مبطلون : اليهود بالكفر به والنصارى بالغلو في أمره .

وقيل إن المعنى : ليؤمن بمحمّد (ص) قبل موت الكتابي ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً : يعني عيسى (ع) يشهد عليهم بأنه قد بلغ رسالات ربه وأقر على نفسه بالعبودية .

وفي هذه الآية دلالة على أن كل كافر يؤمن عند المعاينة ، وعلى أن إيمانه ذلك غير مقبول كما لم يقبل إيمان فرعون في حال اليأس عند زوال التكليف .

قوله تعالى :

﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١) ﴾

عطف سبحانه على ما تقدم فقال : فبظلم من الذين هادوا : أي من اليهود فيما ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي التي تقدم ذكرها حرمنا عليهم طيبات من المآكل وغيرها ، أحلت لهم : أي كانت حلالاً لهم قبل ذلك فلما فعلوا ما فعلوا من الجرائم اقتضت المصلحة تحريم هذه الأشياء على الظالمين منهم عقوبةً لهم على ظلمهم ، وهي ما بيّن في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر . . . وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ، ومنعهم عباد الله عن دينه وشريعته بقولهم الباطل وتبديلهم كتاب الله وجحدهم نبوة محمّد (ص) وأخذهم وأكلهم أموال الناس بالباطل من الرشى في الأحكام ، وما كانوا يأخذونه من أثمان الكتب التي كانوا يكتبونها بأيديهم ويقولون هذا من عند الله ، وأكلهم الربا : أي

تعاملهم بالربا وأكل فوائد الأموال بالربا .

قوله تعالىٰ :

لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَوٰةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾

ذكر سبحانه مؤمني أهل التوراة وذلك أن عبدالله بن سلام وأصحابه قالوا للنبي (ص) إن اليهود لتعلم أن الذي جئت به حق وأنك لعندهم مكتوب في التوراة فقالت اليهود ليس كما يقولون أنهم لا يعلمون شيئاً ، وأنهم يغرونكم ويحدثونكم بالباطل ، فقال الله تعالىٰ : لكن الراسخون، الثابتون المبالغون في العلم المدارسون بالتوراة منهم أي من اليهود يعني ابن سلام وأصحابه من علماء اليهود ، والمؤمنون يعني بهم أصحاب النبي من غير أهل الكتاب يؤمنون بما أنزل اليك يا محمّد من القرآن والشرايع ، وبما أنزل من قبلك من الكتب على الأنبياء والرسل ، والمقيمين الصلاة،وقيل:أن المراد بهم الأنبياء ، أي ويؤمنون بالأنبياء المقيمين الصلاة ، وقيل:المراد بهم الملائكة ، وقيل:المراد بهم الأئمة المعصومون مع تمام الصفاة الباقية في الآية .

قوله تعالىٰ :

إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ

وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾

خاطب سبحانه نبيّه بأنا أوحينا إليك يا محمّد كما أوحينا إلىٰ نوح وقد قدم علىٰ باق الأنبياء لأنه أبو البشر ، أو لأنه أطول الأنبياء عمراً لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً لم يسقط له سن ولم تنقص قوته ولم يشب شعره ، وقيل لأنه لم يبالغ أحد منهم في الدعوة مثل ما بالغ وهو أول من عذبت أمته بسبب ردها لدعوته .

والنبيين من بعده : أي وأوحينا الىٰ النبيين من بعد نوح .

والأسباط هم أولاد يعقوب ، وقيل أن الأسباط في ولد اسحق كالقبائل في ولد اسماعيل ، وقد بعث منهم عدة رسل كيوسف وداود وسليمان وموسىٰ وعيسىٰ ، وقدم في الآية عيسىٰ على أنبياء كانوا قبله لشدة العناية به وآتينا داود زبوراً أي كتاباً يسمى زبوراً واشتهر به كما اشتهر كتاب موسىٰ بالتوراة وكتاب عيسىٰ بالإنجيل .

قوله تعالىٰ :

وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾

أجمل سبحانه ذكر الرسل بعد تسمية بعضهم ، وهذا يدل علىٰ أن الله سبحانه أرسل رسلاً كثيرة لم يذكرهم في القرآن وانما قصّ بعضهم علىٰ النبي لفضيلتهم على مَن لم يقص عليه .

ثم عقّبه بذكر مهمة الرسل فقال سبحانه : رسلاً مبشرين . بالجنة والثواب

لمن آمن وأطاع ، ومنذرين بالنار والعقاب لِمَن كفر وعصى لئلّا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل فيقولوا لم ترسل إلينا رسولاً ولو أرسلت لامنا بك .

قوله تعالى :

لَٰكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾

قيل : إنّ جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله (ص) فقال النبي لهم إني أعلم أنكم تعلمون أني رسول الله ، فقالوا لا نعلم ذلك ولا نشهد به . فأنزل الله هذه الآية ومعناها إن لم يشهد هؤلاء لك بالنبوة فالله يشهد لك بذلك ، والملائكة يشهدون بأنك رسول الله .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾

إن الذين كفروا وصدوا غيرهم عن الدين الذي بعثك الله به إلى خلقه قد ضلّوا ضلالاً بعيداً : أي جاوزوا الطريق جوازاً شديداً وزالوا عن الحجّة وجحدوا رسالة محمّد وظلموا محمّداً بتكذيبهم إياه . لم يكن الله ليغفر لهم . . .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن

تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾

عاد سبحانه إلى العظة لعموم الخلق حيث خاطب جميع المكلفين . وقيل هو خطاب للكفار . قد جاءكم رسول : يعني محمّداً (ص) فآمنوا به وصدقوه خيراً لكم مما أنتم عليه من الكفر والجحود ، وإن تكفروا وتكذبوه فيما جاءكم به فإن ضرر ذلك يعود عليكم دون الله ، فإن الله يملك ما في السموات والأرض ولا ينقص كفركم فيما كذبتم به نبيه شيئاً من ملكه وسلطانه . « وكان الله عليماً » : فيما أنتم صائرون إليه من طاعته أو معصيته « حكيماً » : في أمره ونهيه .

قوله تعالى :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾

« الغلو » مجاوزة الحد ، وأصل المسيح الممسوح سمّاه الله بذلك لتطهيره إياه من الذنوب والأدناس ، وقيل:أنه سرياني وأصله (مشيحا) فعربت كما عربت أسماء الأنبياء .

وفي الآية عاد سبحانه إلى محاججة أهل الكتاب وهم النصارى أو اليهود والنصارى،لا تغلو في دينكم : أي لا تفرطوا في دينكم وتجاوزوا الحق أي قولوا أنه

جل جلاله واحد لا شريك له ولا صاحبة له ولا ولد ، ولا تقولوا في عيسى أنه ابن الله أو شبهه ، إنما المسيح عيسى ابن مريم لا ابن الله كما يزعمه النصارى ، ولا ابن أب كما تزعمه اليهود ، وأنه رسول الله وكلمته حيث صار بكلمته التي هي قوله كن فيكون . وقيل معناه : أنه يهتدي به الخلق كما اهتدوا بكلام الله ووحيه وروح منه إنما سماه روحاً لأنه حدث عن نفخة جبرائيل في درع مريم . أو لأنه يحي به الناس في دينهم كما يحيون بالأرواح ، أو معنى روح منه أي رحمة منه فجعل عيسى رحمة على من آمن به واتبعه . أو أن معنى الروح ها هنا جبرائيل (ع) عطفاً على ما في ـ القاها ـ من ضمير ذكر الله ، وتقديره ألقاها الله إلى مريم ، وروح منه أي من الله .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قوله تعالى :

لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾

الإستنكاف : الأنفة من الشيء .

روي أن وفد نجران قالوا لنبيّنا محمّد (ص) : لم تعيب صاحبنا ؟

قال : ومن صاحبكم ؟ قالوا عيسى (ع) . قال : وأي شيء أقول فيه ؟

قالوا : تقول أنه عبدالله ورسوله . فنزلت الآية : لن يستنكف المسيح . . . .
وبعدما تقدم ذكر النصارى والحكاية عنهم في أمر المسيح ، عقّبه سبحانه بالرد عليهم ، وأن المسيح لن يأنف ولم يمتنع من أن يكون عبداً لله ، ولا الملائكة المقربون يأنفون ويستكبرون عن الإقرار بعبوديته والإذعان له بذلك .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (١٧٥)

البرهان : الشاهد بالحق ، وقيل:البرهان البيان .
لما فصل الله ذكر الأحكام التي يجب العمل بها ذكر البرهان بعد ذلك ليكون الإنسان على ثقة ويقين : أي أتاكم حجّة من الله يبرهن لكم على صحة ما أمركم به وهو محمّد (ص) لما معه من المعجزات الشاهدة بصدقه .

وقيل:هو القرآن ، والنور:هو القرآن الكريم ، وقيل النور: ولاية علي (ع) .

قوله تعالى :

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ

كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾

الكلالة الإحاطة ، فالكلالة تحيط بأصل النسب الذي هو الولد والوالد . والإستفتاء : السؤال عن الحكم .

واُختلف في سبب نزول الآية فروي عن جابر بن عبد الله أنه قال :

اشتكيت وعندي تسعة أخوات لي أو سبع فدخل عليَّ النبي (ص) فنفخ في وجهي فأفقت فقلت:يا رسول الله الا أوصي لأخواتي بالثلثين ؟ قال : أحسن . قلت الشطر ؟ قال حسن . ثم خرج وتركني . ورجع اليَّ فقال (ص) : يا جابر إني لا أراك ميتاً من وجعك هذا ، وإن الله تعالىٰ قد أنزل في الذي لأخواتك فجعل لهنّ الثلثين ، قالوا : وكان جابر يقول : أنزلت هذه الآية فيَّ .

وقيل:كان الصحابة همّهم شأن الكلالة فأنزل الله فيها هذه الآية . وأنه سبحانه لما بيّن في أول السورة بعض سهام الفرائض ختم السورة ببيان ما بقي من ذلك فقال : يستفتونك يا محمّد أي يطلبون منك الفتيا في ميراث الكلالة وهم الأُخوة والأخوات كما هو المروي عن أئمتنا ، وقيل:هم ما عدا الوالد والولد .

والخلاف بين الفقهاء في هذه المسائل وفروعها مذكور في كتب الفقه .

تمت ولله الحمد سورة النساء وتفسيرها

سورة المائدة

مدنية في قول ابن عباس ، وقال الشعبي وغيره هي مدنية كلها إلا قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم..» فإنه نزل والنبي (ص) واقف على راحلته في حجة الوداع .

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)

الفرق بين العقد والعهد،أن العقد:فيه معنى الإستيثاق والشد ولا يكون إلا بين متعاقدين ، والعهد:قد ينفرد به الواحد ، فكل عهد عقد ولا عكس .

وفي الآية خطاب منه تعالى للمؤمنين وحث لهم على الوفاء بالعقود والعهود . واختلف في العهود فقيل : أن المراد بها العهود التي كان أهل الجاهلية عاهد عليه بعضهم بعضاً ، والمعنى الثاني : أن العهود هي التي أخذ الله سبحانه على عباده بالإيمان به وطاعته فيما أحل لهم وحرم عليهم ، أو التي يتعاقد الناس عليها فيما بينهم من البيوعات والمعاملات ، وكلها معان متقاربة ، وأن المؤمن مطالب بالوفاء بالعهود والعقود إلا ما خالف الشريعة .

ثم أشار سبحانه إلى ما أحل لعباده من بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليهم حيث

أشار سبحانه إلى أمور محرمة بقوله حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير . . . . مضافاً للنهي عن صيد تلك البهائم حال الاحرام .

ثم ختم سبحانه بدعوة المؤمنين في قبول هذه الأحكام وغيرها مما يأمر به سبحانه والتسليم لأوامر الحكيم الخبير بما يصلح عباده فقال : إن الله يحكم ما يريد .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

الشعائر : جمع شعيرة وهي أعلام الحجّ وأعماله ، والهدي:ما يُهدىٰ إلى الحرم من النعم ، والقلائد:جمع قلادة وهي ما يقلد به الهدي ، والتقليد في البدن أن يعلّق في عنقها شيء ليعلم أنه هدي ، والآمّ القصد ، وأمين البيت قاصدين البيت ، والشنآن البغض .

قال أبو جعفر (ع) : نزلت هذه الآية في رجل من بني ربيعة يُقال له الحُطم .

وقال السدي : أقبل الحطم بن هند البكري حتىٰ أتىٰ النبي (ص) وحده

وخلف خيله خارج المدينة فقال : الىٰ ما تدعو ؟ وقد كان النبي (ص) قال لأصحابه يدخل رجل من بني ربيعة يتكلم بلسان شيطان ، فلما أجابه النبي (ص) قال : انظرني لعلّي أسلم ولي مَن أشاوره فخرج من عنده . فقال رسول الله (ص) : لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر . فمرّ بسرح من سروح المدينة فساقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول :

قد لفها الليل بسواق حُطم ليس براعي إبل ولا غنم . . .

ثم أقبل من عام حاجاً فأراد رسول الله (ص) أن يبعث إليه فنزلت هذه الآية« ولا آمين البيت الحرام » . . .

وقيل : نزلت يوم الفتح في أناس يأمّون البيت من المشركين يهلون بعمرة فقال المسلمون:يا رسول الله إن هؤلاء مشركون مثل هؤلاء دعنا نغير عليهم فأنزل الله الآية . . .

ثم عقّب سبحانه بذكر احكام الحجّ فقال : « وإذا حللتم فاصطادوا » : أي اذا حللتم من احرامكم يباح لكم من الصيد ما حرم عليكم بالإحرام فاصطادوا إذا شئتم ولا يجرمنكم اي يحملنكم شنآن قوم : أي بغضاء قوم لأنهم صدّوكم عام الحديبية عن دخول المسجد الحرام ، فلا يكون بغضكم لهم بسبب موقفهم السابق منكم دافعاً لكم على الإعتداء عليهم والثأر منهم .

وحثّ سبحانه على التعاون على البر والتقوىٰ ، وحذّر من مغبة الاعتداء وذكرهم بأنه سبحانه شديد العقاب لمَن تعدىٰ حدوده وتجاوز أوامره .

قوله تعالىٰ :

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا

مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ
يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ
اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾

الإهلال : رفع الصوت ، وما أهلّ لغير الله به : أي ذُبح علىٰ اسم غير الله ونودي عليه باسم غير الله ، والوقذ:شدة الضرب حتى تموت ، والمتردية:مأخوذ من الردىٰ وهو الهلاك ، والنطيحة : هي المنطوحة .

والتذكية : فري الأوداج والحلقوم لحيوان حي ليس بحكم الميّت .

والنصب : الحجارة التي كانوا يعبدونها ، والأزلام : جمع زلم وهو القدح الذي يُعتمد في الإقتراع وتقسيم الحصص ، والمخمصة شدة ضمور البطن من الجوع .

والمتجانف : المائل للأثم المنحرف اليه .

وفي الآية بيان لما استثناه في الآية السابقة حيث قال تعالىٰ : إلا ما يتلىٰ عليكم حرمت عليكم الميتة : أي حرم عليكم أكل الميتة والإنتفاع بها ، والميتة كل ما له نفس سائلة ـ التي يخرج دمها من عرق ـ من دواب البر وطيره مما أباح الله أكله أهليها ووحشيها إذا فارقته الحياة من غير تذكية ، وكل ميتة حتىٰ ما لم تكن له نفس سائلة ، وحرم عليكم أكل الدم المسفوح ، بخلاف المتصل باللحم فإنه كاللحم ، وكذلك الكبد فإنه مباح ، وأما الطحال فقد أجمعت الإمامية علىٰ أنه حرام ، وذهب بقية المذاهب الى أنه مباح ،كما حرم سبحانه لحم الخنزير ذكيّ أم لم يذكِ فإنه نجس العين كالكلب .

وما أهلّ لغير الله به ، وفيه دلالة على أن ذبائح مَن خالف الإسلام لا يجوز أكلها ،والمنخنقة : وهي التي يدخل رأسها بين شعبتين من شجرة أو غيرها فتختنق وتموت ، أو التي تختنق بحبل الصائد فتموت . وقيل : أن الجاهلية كانوا يخنقونها ويأكلونها فحرم الله ذلك . والمتردّية : هي التي تقع من جبل أو مكان عالٍ أو تقع في بئر فتموت . وما أكل السبع : أي وحرم عليكم أكل ما قتله السبع وافترسه حتى مات وتركه أو ترك بعضه ، وروي عن الباقر والصادق عليهما السلام أن أدنى ما يدرك به الذكاة ـ أي ما تصح ذكاته ـ يتحرك اذنه أو ذنبه أو تطرف عينه. وما ذُبح على النصب : أي وحرم عليكم أكل ما ذبح على الأصنام والأوثان وكانوا يذبحون عندها الذبائح ويلطخون الأصنام بدماء الذبائح .

وحُرم عليكم الإستقسام بالأزلام : وهو طلب قسم الأرزاق بالقداح التي كانوا يتفاءلون بها في أسفارهم وابتداء أمورهم وهي سهام كانت للجاهلية مكتوب على بعضها أمرني ربي ، وعلى بعضها نهاني ربي ، وبعضها لم يكتب عليه شيء ، فإذا أرادوا سفراً أو أمراً مهماً ضربوا بتلك القداح فإن خرج الأمر أو النهي عملوا به وإن خرج الذي ليس عليه أمر أو نهي أعادوها .

وفي المروي عن الصادق (ع) : أن الأزلام عشرة ولها أسماء وحصص وهو نوع من القمار ، وقيل:هو الشطرنج . « ذلكم فسق » : أي أن جميع ما سبق ذكره فسق وذنب عظيم وخروج من طاعة الله إلى معصيته .

ثم أشار سبحانه إلى ثبات الدين الإسلامي ويأس الكفار من بطلان دينكم ، أو يئس الكفار منكم بالرجوع عن دينكم فلا تخشوهم ولا تخافوا من الكفار أن يظهروا على دين الإسلام ، وليكن بعدها خوفكم وخشيتكم من الله بعدم مخالفة أوامره أو التقرب لمعاصيه .

« اليوم أكملت لكم دينكم » : قيل فيه أقوال ؛ وأهمّها كما ذكره جل

المفسرين وذهب إليه جمع من العلماء وعموم الإمامية وهو المروي عن أهل البيت عليهم السلام . فقد روي عن الإمامين أبي جعفر وأبي عبدالله (ع) أنه إنّما أنزل بعد أن نصب النبي (ص) علياً (ع) علماً للأنام يوم غدير خم عند رجوعه من حجّة الوداع وهو آخر فريضة أنزلها الله تعالىٰ ولم ينزل بعدها فريضة .

وروي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله (ص) لما نزلت هذه الآية قال (ص) : الله أكبر علىٰ إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي . وقال (ص) : مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه اللهم والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه وانصر مَن نصره واخذل مَن خذله . « وأتممت عليكم نعمتي » : بأنه تعالىٰ أتمّ النعمة علىٰ المسلمين باظهارهم علىٰ المشركين ، أو انه تعالىٰ أعطاهم من العلم والحكمة ما لم يعط قبلهم . « ورضيت لكم الإسلام دينا » : أي رضيت لكم التسليم لأمري والانقياد لطاعتي علىٰ ما شرعت من حدودٍ وفرائض . « فمَن أضطر في مخمصة » : أي فمَن دعته الضرورة في مجاعة إلىٰ أكل الميتة ومن عموم ما عدد الله سبحانه دون استحلال لأحكام الله فقد أُبيح له تناول ما يمسك به رمقه بلا زيادة عليه ، فإن الله غفور لذنوبه ساتراً عليه أكله ولا يؤاخذ به ما دام غير متعدٍ ولا مستحلٍ ولا مختار .

قوله تعالىٰ :

يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤﴾

لما قدم سبحانه ذكر المحرمات عقبه بذكر ما احل فقال : يسألونك : يا

محمّد أي شيء يحل لهم من المطاعم والمآكل ، أو من الصيد والذبائح فقل لهم : أحل لكم الطيبات وهي الحلال من المأكولات ، أو أكل ما لم يرد فيه تحريم في الكتاب والسنة ، لأن أصل الأشياء الإباحة حتى يرد الشرع بالتحريم . « وما علّمتم من الجوارح » : أي وأحل لكم صيد ما علّمتم من الجوارح من سباع الطير والبهائم ، وقيل الجوارح : هي الكلاب فقط كما عن ابن عمر والضحاك ، وهو المروي عن أئمتنا (ع) قالوا : هي الكلاب المعلّمة خاصة أحل صيدها إذا قتله قبل أن يدركه صاحبه لقوله تعالى : « فكلوا مما أمسكن عليكم » ، وروى علي ابن ابراهيم في تفسيره بسنده عن أبي عبدالله (ع) قال : سألته عن صيد البزاة والصقور والفهود والكلاب فقال : لا تأكل إلا ما ذكيت إلا الكلاب ، فقلت: فإن قتله ـ أي الكلب ـ قال (ع) كل ، فإن الله يقول: ما علّمتم من الجوارح مكلبين . وقال (ع) : إذا أرسلت الكلب المعلّم فاذكر اسم الله عليه فهو ذكاته وهو أن تقول : بسم الله والله أكبر ، مكلبين أي أصحاب التعليم للكلاب والكلب المعلّم : هو أن يُستشلى لطلب الصيد إذا أرسله صاحبه ويمسك عليه إذا أخذه ، ويستجيب إذا دعاه ولا يفر منه ، وحد التعليم : أن يفعل ذلك ثلاث مرات ، وقيل لا حد للتعليم وإنما يدور مدار التعليم واطلاق العرف عليه أنه معلم . « واذكروا اسم الله عليه » : أي قبل ارساله ، أو اذكروا اسم الله على جميع ما تذبحونه وهذا صريح في وجوب التسمية . « واتقوا الله » : أي اجتنبوا ما نهاكم الله عنه واحذروا معاصيه التي منها أكل صيد الكلب غير المعلم ، أو أكل ما لم يذكر اسم الله عليه من الصيد والذبائح .

قوله تعالى :

ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

الكتب من قبلكم إذا ءاتيتموهن أجورهن محصنين غير مسفحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمن فقد حبط عمله وهو في الأخرة من الخسرين ۝

بيّن سبحانه في هذه الآية ما يحل من الأطعمة والانكحة ، وتحليل الطيبات يقتضي تحليل كل مستطاب من الأطعمة إلا ما قام الدليل على تحريمه ، « وطعام الذين أُوتوا الكتاب حل لكم » : أُختلف في الطعام المذكور في الآية فقيل : المراد به ذبائح أهل الكتاب ، أو ذبائح خصوص من انزل عليه التوراة والإنجيل ، وقيل أنه مختص بالحبوب وما لا يحتاج فيه إلى تذكية وهو المروي عن أبي عبدالله (ع) ، وطعامكم حل لهم : أي يحل لكم أن تطعموهم من طعامكم . « والمحصنات من المؤمنات » : أي وأحل لكم العقد على المحصنات العفائف المؤمنات والمحصنات من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم : وهم اليهود والنصارى .

واُختلف في زواج الكتابية ، قال اصحابنا : لا يجوز عقد النكاح الدائم على الكتابية لقوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمنّ » : حيث جوزوا نكاحهنّ بنكاح المتعة وملك اليمين .

« إذا آتيتموهنّ أجورهنّ » : أي مهورهنّ وهو عوض الإستمتاع . « محصنين غير مسافحين » : اعفاء غير زانين ولا ملاحقين للفاجرات . « ولا متخذي أخدان » : متفردين ببغيّة واحدة ، وخادنها: اتخذها لنفسه خاصة ليفجر بها . ومن يكفر بالإيمان : ويجحد ما امر الله بالاقرار به . فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين : أي الهالكين .

قوله تعالىٰ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾

لما تقدم الأمر بالوفاء بالعقود ومن جملتها إقامة الصلاة ومن شرائطها الطهارة بيّن سبحانه ذلك ومعناه إذا أردتم القيام إلىٰ الصلاة وأنتم علىٰ غير طهر فاغسلوا . . . واختلف في حد الوجه فالمروي عن ائمتنا عليهم السلام: أنه من قصاص شعر الرأس إلىٰ محادر شعر الذقن طولاً ، وما دخل بين الإبهام والوسطىٰ عرضاً .وأيديكم إلىٰ المرافق : أي واغسلوا أيديكم الىٰ المرافق ، والمرفق: هو المكان الذي يتكأ عليه من اليد ، وأجمعت الأمة على أن مَن بدأ من المرفقين في غسل اليدين صحّ وضوؤه ، واختلفوا في صحة وضوء مَن بدأ من الأصابع إلىٰ المرفق ، أما عن معنىٰ (إلىٰ) التي في قوله تعالىٰ : « وأيديكم إلىٰ المرافق» . . . إلىٰ: هنا عند أكثر النحويين والمفسرين بمعنىٰ مع واغسلوا أيديكم مع المرافق .

وقد جاء في القرآن الكريم أمثلةً كثيرةً علىٰ ورود (إلىٰ) بمعنىٰ مع كقوله تعالىٰ: مَن أنصاري إلىٰ الله : أي مع الله ، وقوله : « ولا تأكلوا أموالهم الىٰ

أموالكم » أي مع أموالكم . وامسحوا برؤوسكم : وفيها أوجب مسح الرأس ويكفي مسح بعضه . « وأرجلكم الىٰ الكعبين » : اختلف في ذلك ، قالت الإمامية فرضهما المسح ولا يصح الغسل ، فقد روي عن ابن عباس :أنه وصف وضوء رسول الله (ص) فمسح علىٰ رجليه ، وروي عنه أنه قال : إن في كتاب الله المسح ويأبىٰ الناس إلا الغسل .

وأما الكعبان : فقد أُختلف في معناهما ، وعند الإمامية هما العظمان الناتئان في ظهر القدم ، وقيل:هما عظما الساق .

وإن كنتم جنباً فاطّهروا : وهو أن تغسلوا جميع البدن ، والجنابة إنما تكون بإنزال الماء الدافق ، أو بالتقاء الختانين بمقدار غيبوبة الحشفة سواء أنزل ماءً أم لم ينزل .وإن كنتم مرضىٰ . . : قد مر تفسيره في الآية ٤٣ من سورة النساء .

ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج : معناه يريد الله بما فرض عليكم من الوضوء والغسل من الجنابة والتيمم عند عدم الماء أو تعذر استعماله أن لا يلزمكم في دينكم حرج أو ضيق ، ولا يريد بذلك ليعنتكم ويتعبكم ، ولكن يريد ليطهّركم : بما فرض عليكم من الوضوء والغسل وينظف أبدانكم بذلك من الذنوب ، وليتمّ نعمته عليكم : بما فرض من الغسل والوضوء أو التيمم ، لعلكم تشكرون : نعمته بطاعتكم اياه فيما أمركم به ونهاكم، عنه وتضمّنت هذه الآية أحكام الوضوء وصفته وأحكام الغسل والتيمم .

قوله تعالىٰ :

وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

لما قدم سبحانه ذكر بيان الشرايع عقّبه بالتذكير بنعمه،والميثاق الذي واثقه سبحانه فيه أقوال : منها متابعتهم للنبي (ص) يوم بيعة العقبة وبيعة الرضوان ومنها : أن الميثاق الذي أخذه عليهم رسول الله (ص) عند إسلامهم بأن يطيعوا الله في كل ما يفرضه عليهم مما ساءهم أو سرهم ، كما عن ابن عباس ، أو ما بيّنه لهم في حجّة الوداع من الاحكام وفرض الولاية لعليّ امير المؤمنين (ع) كما هو المروي عن ابي جعفر (ع) .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾

لا يجرمنّكم : أي لا يدخلنكم في الجرم . لما ذكر سبحانه الوفاء بالعهود بين الأمور التي يلزم الوفاء بها : « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين . . . » أي قائمين لله بالحق في أنفسكم بالعمل الصالح وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . « شهداء لله بالقسط » : أي بالعدل وكونوا من أهل العدل ، ولا يحملنّكم بغضكم لقوم على أن لا تعدلوا في حكمكم وسيرتكم فيهم وتجورون عليهم . ثم يؤكد سبحانه دعوته للعدل فيقول : « اعدلوا » : أي اعملوا بالعدل أيُها المؤمنون فيمَن تحبون وفيمَن لا تحبون ، هو أقرب للتقوىٰ واتقوا الله : أي خافوا عقابه .

قوله تعالىٰ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

الذكر:هو حضور المعنىٰ للنفس ، والتذكر:طلب المعنىٰ لا طلب القول .

« إذ همّ قوم » أي قصدوا وحدثوا أنفسهم بأن يمدوا أيديهم إليكم بالسوء والأذىٰ واختلف فيمَن عنتهم الآية الكريمة ، فقيل:أنهم اليهود حيث همّوا أن يفتكوا بالنبي (ص) وهم بنو النضير حين دخل رسول الله (ص) مع جماعة من أصحابه عليهم بعد أن عاهدوا رسول الله علىٰ ترك القتال فأضمروا النفاق وبيّتوا الغدر برسول الله ومَن معه من المؤمنين فأخبر الله رسوله بذلك فأخبر به أصحابه وخرجوا قبل أن يتمكّن اليهود من غدرهم ومؤامرتهم .

وقيل:أن قريشاً بعثوا رجلاً ليقتل النبي (ص) واسم الرجل عمرو بن وهب الجمحي وقد بعثه صفوان بن أُمية ليغتال رسول الله وذلك بعد موقعة بدر وقد تمكّن علىٰ غرة من الدخول علىٰ النبي .

ويروي المفسرون أن سيفاً كان بيد النبي (ص) فطلبه الجمحي من رسول الله قائلاً أرنيه فأعطاه فلما صار السيف بيده قال عمرو لرسول الله : ما الذي يمنعني من قتلك ؟ قال (ص) : الله يمنعك . فرمىٰ عمرو السيف من يده بعد أن أوقع الله الرعب في قلبه وأسلم ساعته لما رأىٰ من تأييد الله لرسوله .

وقيل:هي عموم لطف الله بالمسلمين حين كفّ أعداءهم عنهم .

وروى الواقدي : أن رسول الله (ص) غزا جمعاً من بني ذبيان

ومحارب بذي أمر فتحصّنوا برؤوس الجبال ، ونزل رسول الله (ص) بحيث يراهم فذهب لحاجته ، فأصابه مطر فبلّ ثوبه فنشره على شجرة واضطجع تحته والأعراب ينظرون اليه فجاء سيّدهم دعثور بن الحرث فقال: يا محمّد مَن يمنعك منّي اليوم ؟ فقال (ص): الله . ودفع جبرائيل في صدر دعثور ووقع السيف من يده فأخذه رسول الله (ص) وقام على رأسه وقال : مَن يمنعك اليوم منّي ؟ قال : لا أحد ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فنزلت الآية .

قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٢)

الميثاق: اليمين المؤكدة ونقيب القوم كالكفيل والضمين . لما بيّن سبحانه خيانة اليهود وتآمرهم على حياة الرسول (ص) عقّبه بذكر احوال اليهود وخبث سرائرهم في خيانة الرسول والأنبياء . « وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً » : أي أمرنا موسى بأن يبعث من الأسباط الأثنتي عشر أي القبائل يختار من كل قبيلة رجلاً ليكون هؤلاء المختارون عيناً لموسى ومراقبين على بني اسرائيل ، كما يأتون بني اسرائيل باخبار ارض الشام وأهلها الجبارين . ويحذرون بني اسرائيل من

المعاصي والمهالك ، وقال البلخي:يجوز أن يكونوا رسلاً ويجوز أن يكونوا قادة ، وقال أبو مسلم:بُعثوا أنبياء ليقيموا الدين ويعلموا الأسباط التوراة ويأمروهم بما فرض الله عليهم وأمرهم به .

وقال الله إني معكم : يا بني اسرائيل وحدهم أو مع النقباء ، ولكن الله معهم مشروط باستقامتهم على السبيل والتزامهم بأوامر الله ونواهيه كما حذرهم سبحانه من الوقوع في الكفر الذي وقعوا فيه .

قوله تعالى :

فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

في الآية تسلية للنبي محمّد (ص) فلا تعجب يا محمّد من هؤلاء اليهود الذين هموا أن يبسطوا أيديهم اليك وإلى أصحابك وينكثوا العهد الذي بينك وبينهم ويغدروا بك فانّ ذلك دأبهم وعادة أسلافهم إلى زمن موسى (ع) حيث نقضوا عهدي وميثاقي فلعنتهم بذلك أي طردتهم وأبعدتهم من رحمتي . وقيل معناه : مسخناهم قردة وخنازير . وقيل:عذّبناهم بالجزية وكان من نقضهم الميثاق أنهم كذبوا الرسل وقتلوا الأنبياء ونبذوا الكتاب وضيّعوا حدود الله وفرائضه ، كما انهم كتموا صفة النبي محمّداً (ص) . « وجعلنا قلوبهم قاسية » : أي سلبناهم التوفيق واللطف الذي يوصلهم إلى قبول الحق وذلك بسبب كثرة معاصيهم فران

علىٰ قلوبهم ما كانوا يكسبون من الآثام فحال بينهم وبين اتباع الحق ، وصاروا يحرفون الكلم عن مواضعه ويفسرونه علىٰ غير ما أنزل به ، ويغيّرون صفة النبي (ص) . « ونسوا حظاً مما ذكروا به » : ولا زالوا مصرين علىٰ خياناتهم وتنكرهم للحق ولا تزال تطلّع علىٰ خائنة منهم من الكذب والزور والبهتان ومعاونة المشركين والتواطىء مع المتآمرين ، وإذا قالوا قولاً خالفوه ، وإذا عاهدوا عهداً نقضوه ـ إلىٰ يومنا هذا ـ فتلك الصفات الذميمة من شعارهم إلا قليلاً منهم لم يخونوا ، وتبصروا واهتدوا إلىٰ الإسلام وتركوا قومهم « فاعف عنهم » : ما داموا علىٰ عهدك ولم يخونوك .

قوله تعالىٰ :

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

الإغراء : تسليط بعضهم علىٰ بعض . وفيها بيّن سبحانه حال النصارىٰ في نقضهم ميثاق عيسىٰ (ع) أي ومن الذين ذكروا أنهم نصارىٰ أخذنا الميثاق بالتوحيد والإقرار بالنبوة لعيسىٰ وجميع الأنبياء (ع) وأنهم عبيد الله تعالىٰ . ولكن النصارىٰ ابتدعوا النصرانية التي هم عليها . « فاغرينا بينهم العداوة » : أي سلطنا بعضهم على بعض بين اليهود والنصارىٰ أو بيّن ادعياء النصرانية أنفسهم ، من اليعقوبية والنسطورية بقولهم أن عيسىٰ ابن الله ، وقالت اليعقوبية أن الله هو المسيح بن مريم ، وقالت الملكائية وهم الروم إن الله ثالث ثلاثة،الله وعيسىٰ ومريم وأن ذلك الخلاف بينهم والعداوة ستبقىٰ إلىٰ يوم القيامة .

قوله تعالى :

يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم
تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين (١٥) يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم
من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط
مستقيم (١٦)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

لما ذكر سبحانه أن اليهود والنصارى نقضوا العهد وتركوا ما أمروا به ، عقب ذلك بدعائهم إلى الإيمان بمحمّد (ص) وذكرهم ما أتاهم به من أسرار كتبهم حجة عليهم ، وقوله : يا أهل الكتاب . . خطاب لليهود والنصارى يبيّن لكم كثيراً مما تخفون عليّ مما جاء بكتبكم من رجم الزانين وأشياء أُخر يحرفونها من كتبهم بسوء لتأويل مما فيه دلالة على نبوة نبيّنا محمّد (ص) وصفاته ونعته والبشارة به . . قد جاءكم من الله نور . . وهو محمّد (ص) ، أو القرآن أو كلاهما .

قوله تعالى :

لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله
شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا
ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ
فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ
مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ
الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

لقد حكم الله سبحانه على النصارى القائلين بأن الله هو المسيح بن مريم ، حكم عليهم وعلى مَن يقول ويؤمن بمقالتهم بالكفر الصريح ، وكذّبهم في دعواهم إذ لو كان المسيح إنهاً لقدر على دفع أمر الله عنه إذا أراد إهلاكه او إهلاك غيره وليس بقادر على ذلك ، كما أنه سبحانه كذّب اليهود والنصارى حين قالوا نحن أبناء الله وأحبّاؤه وذلك حين قال اليهود : نحن في القرب من الله بمنزلة الأبن من ابيه ، والنصارى لما قالوا للمسيح ابن الله جعلوا نفوسهم أبناء الله واحبّاؤه ثم قال تعالى لنبيه محمّد (ص) قل لهؤلاء المفترين على ربهم إن كنتم كما تدعون أبناء الله واحباؤه فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ ، وقد اقرّت اليهود بأنهم يعذبون أربعين يوماً عدد الأيام التي عبدوا فيها العجل ، وحين جعل منهم القردة والخنازير وخلى بينهم وبين بخت نصر حتى فعل بهم ما فعل ، ثم زجر سبحانه أُولئك المدعين بأنهم فوق البشر واستعلوا عليه وادعوا أن لهم خاصة على غيرهم فردّعهم سبحانه عن دعواهم بقوله : « بل انتم بشر ممّن خلق يغفر لمَن يشاء ويعذب مَن يشاء » .

قوله تعالى :

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ

أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

الفترة: انقطاع بين نبيين. وقد عاد سبحانه إلى خطاب اهل الكتاب ومحاجتهم برسول الله محمد (ص). على فترة من الرسل: أي انقطاع من الرسل بين عيسى (ع) ومحمد (ص) وكانت النبوة قبل ذلك متصلة في بني اسرائيل.

وقد اختلفوا في مدة الفترة بين عيسى ومحمد (ص) فقيل: هي ستمائة سنة. وقيل: خمسمائة وستون سنة، وقيل: اربعمائة وبضع وستون سنة، وقيل: خمسمائة وشيء، وقيل: كان بين ميلاد عيسى ومحمد (ص) خمسمائة وتسع وستون سنة كما قيل أن بعد عيسى أربعة من الرسل، وهو قوله تعالى إذ ارسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث.

قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ
أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾
يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ
أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾

التقديس: التطهير والتنزيه، وتقديس الله تعالى تنزيهه عما لا يجوز عليه من الصاحبة والولد والظلم والكذب. وفي الآية تسلية منه سبحانه لنبينا محمد (ص) بأن اليهود كذبوا وعدوا ولم يشكروا نعم الله عليهم حين جعل فيهم انبياء

وجعلهم ملوكاً وسخر لهم كل شيء وملكوا الدور والخدم، وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين، من كثرة الأنبياء فيهم ، والآيات التي جاءتهم ، وإنزال المنّ والسلوىٰ عليهم ، وأباح لهم وأمرهم دخول الأرض المقدسة : وهي بيت المقدس خاصة ، وقيل هي عموم دمشق وفلسطين وبعض الاردن ، والأرض المقدسة : أي المطهرة من الشرك إذ جعلت مكاناً وقراراً للانبياء والمؤمنين .

قال المفسرون في ذكر القصة التي أشار لها القرآن : لما عبر موسىٰ وبنو اسرائيل بدخول الأرض المقدسة فلما انزلوا على نهر الأردن خافوا من الدخول ، فبعث موسى من كل سبط ـ قبيلة ـ رجلاً فرأوا ما أذهلهم من قوة عدوهم فرجعوا الى بني أسرائيل فأخبروا موسى (ع) بذلك فأمرهم أن يكتموا ذلك عن بني اسرائيل لئلا يحدث الخوف والتردد فيهم ، فوفى منهم اثنان وهم يوشع بن نون من سبط بنيامين ، وكالب بن يوقنا من سبط يهوذا ، وعصى العشرة الباقون ، وافشوا ما أمرهم موسى بكتمانه ، وكان ذلك سبباً لتفرق بني اسرائيل وتخاذلهم ، واغتاظ لذلك موسى (ع) وقال : (ربّ إني لا املك إلا نفسي وأخي) فأوحى الله اليه أنهم يتيهون في الأرض أربعين سنة في ستة عشر فرسخاً ، وقيل:اقل من ذلك . ويروى إن وفات موسى وهارون (ع) كانت في التيه .

قوله تعالى :

قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ

غَٰلِبُونَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا
لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا
قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾

ذكر سبحانه جواب بني اسرائيل لموسىٰ (ع) أنهم لا يدخلون الىٰ الأرض المقدسة محتجين بأن فيها قوماً جبارين ، وقد ذكر من صفات الجبارين وكبر أجسامهم وقوة بطشهم ما يذهل السامع ، كما ذكر عن رجل من أُولئك الجبارين الذين هابهم بنو اسرائيل ، وكان يدعىٰ عوج بن عنق وانه كان طويلاً كبيراً يأخذ جملة من الرجال بين يديه .

قال رجلان : ممّن أنعم الله عليهما بالإسلام وقد ذكر أنهما كانا من بين نقباء بني اسرائيل ، كما روي عن سعيد بن جبير أن الرجلين المؤمنين الذين عنتهما الآية الكريمة هما من مدينة الجبارين ومن جملة العمالقة إلا أنهما لمّا بلغهما خبر موسىٰ ونبوته آمنا بدين الله وجاءا الىٰ موسىٰ (ع) فاتبعاه . فأشارا علىٰ موسىٰ ومن معه بالدخول على الجبارين من باب مدينتهم « أُدخلوا عليهم الباب . . . » وقد علل ذلك بأن الرجلين المؤمنين لشدة وثوقهما بقول موسىٰ ووعد الله له بالنصر ، ولما عرفاه من أنباء أبناء المدينة للرعب الذي ألقاه الله في قلوب الجبارين عندما بلغهم نبأ توجه موسىٰ (ع) وبنو اسرائيل معه قالا قولهما ذلك وتنبّئا بالنصر لبني اسرائيل علىٰ الجبارين من اهل المدينة المقدسة لتلك المقدمات حتىٰ لو دخلوا عليهم جهاراً نهاراً ومن باب مدينتهم ، وهذا دليل علىٰ أن القوة البدنية لا تكفي وحدها لتحقيق النصر والغلبة ، ثم حثّ الرجلان المؤمنان بني اسرائيل علىٰ الإقدام والوثوق بوعد الله : وعلىٰ الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . إلا أن الخور

والجبن واللجاجة والعناد سيطر على بني اسرائيل وفوت فرصة النصر عليهم ، واوجبت غضب الله عليهم .

قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾

التيه : التحير ، والأسى : الحزن . هنا ذكر سبحانه دعاء موسى عليه السلام على قومه جزاء مخالفتهم وعنادهم ، والفسق هنا الخروج من الطاعة الى المعصية . واستجاب الله دعاء موسى فيهم وحكم عليهم بالتيه والعذاب وأنهم حُرموا من فوائد دخول المدينة المقدسة أربعين سنة يتيهون في الارض وقد مات موسى (ع) خلال تلك المدة ، وفتح المدينة يوشع وصي موسى بعده وكان يوشع ابن أخت موسى ووصيه والنبي في قومه من بعده .

قوله تعالى :

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾

القربان : ما يُقصد به القرب من الله من اعمال البر . واتل : أي واقرأ يا محمد لقومك نبأ ابني آدم إذ قرّبا قربانا قالوا : وكانت علامة القبول في ذلك الزمان أن ناراً تأتي فتأكل القربان المقبول وتذر سواه ، وقيل

أن النار تأكل القربان المردود، وقد أثار قبول قربان احدهما حنق المردود قربانه وغضبه وحسده فقال لأقتلنّك : وهو سبيل كل جبار متمرد . ولكن جواب الأخ المؤمن درساً لن ينسىٰ حينما قال له إنما يتقبل الله من المتقين ، وأن الله أراد أن يبين أن حال اليهود في نقض العهد وارتكاب الفواحش كحال ابن آدم في قتل أخيه ، وما عاد عليه من الندم والوبال .

قوله تعالىٰ :

لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾

تبوء:ترجع ، وبـؤا بغضب من الله : اي رجعوا .

وقد ذكر سبحانه عن هابيل أنه قال لأخيه قابيل حين هدده بالقتل لما تقبل الله قربان هابيل فكان جواب الأخ الذي ملأ الايمان قلبه بالعطف والشفقة والدعوة إلى الخير والتحذير من مساويء البغي لئن بسطت اليّ يدك لتقتلني فلن أقابلك بالمثل لأنني لا أُحب الظلم لأني اخاف الله رب العالمين . فطوّعت له نفسه قتل أخيه ، بأن شجّعته نفسه علىٰ عدم الإصغاء لمواعظ أخيه ونصائحه وزيّنت له فعل القبيح وساعدته على قتل أخيه فقتله ، كل ذلك بداعي الغيرة والحسد والإنصياع لشهوات النفس وعدم تحكيم العقل ، ولم يفق قابيل ولم يتبين قباحة فعله بقتله لأخيه إلا بعد أن رأىٰ أخاه بين يديه جثةً هامدةً ، فأصبح من الخاسرين .

قوله تعالى :

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١)

البحث : طلب الشيء في التراب ، والسوءة:ما يكره ، والويل:كلمة تقال عند الهلكة قالوا كان هابيل أول ميت من الناس فلذلك لم يدرِ قابيل كيف يواريه حتى بعث الله غرابين احدهما قتل الآخر ثم بحث في الأرض ودفنه فتنبه قابيل وفعل في مواراة أخيه كما فعل الغراب ، وقيل:أن الغراب جاء وصار يبحث الارض ويرمي التراب على جثمان القتيل هابيل فلما رأى قابيل فعل الغراب في موارات أخيه عد ذلك من اكرام الله لأخيه هابيل فاصبح من النادمين على قتل اخيه ، ولكن ذلك الندم لم يحمله على التوبة الصادقة ، وقيل لما قُتل هابيل مكث آدم (ع) حزيناً عليه ، وبعد ذلك ولدت حواء لآدم مولوداً جديداً سمي هبة الله شيث وكان هو وصي آدم (ع) وولي عهده ، وكان من ذرّيته الأنبياء والصلحاء ، كما أن قابيل بعد جريمته طرده ابوه وكان نواة الشر والفساد في الأرض .

قوله تعالى :

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ

﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ (٣٢)

بيّن سبحانه التكليف الشرعي الواجب اتباعه في حالة القتل ، وأن القتل إما أن يكون قصاص نفس بنفس ، أو يكون القتل للمفسد في الأرض والذي يشيع الخراب والخوف والفساد ويقطع الطرق بغرض الإفساد وما عدا ذلك فلا يصح القتل ، ومن قتل نفساً بغير قصاص ولا لدفع فساد فسيكون القتل عدوانا واعتداء على الناس جميعاً ، والناس جميعاً خصماؤه فهو باعتدائه يكون قد اعتدى عليهم جميعاً وعرض حياتهم جميعاً للقتل .

وقيل في معناه:أن مَن قتل نبياً أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعاً ويناله من العذاب بمثل ما لو قتل الناس جميعاً لأن فوت مصلحة الجميع بقتل النبي أو الإمام أو المصلح ، وكذلك العكس من الدفاع عن النبي والإمام والمصلح ومؤازرته وحفظ حياته فكأنما أحيا الناس جميعاً .

وقيل : ان من قتل نفساً بغير حق فعليه إثم كل قاتل في الناس لأنه سنّ القتل ظلماً ومهّد الطريق لغيره بالقتل وذلك تهديد لحياة الجميع وسلب لأمنهم فهو كمَن قتلهم ، وكذلك العكس .

وقيل : ان القاتل ظلماً شخصاً واحداً عليه من القصاص كما لو قتل الناس جميعاً ولا فرق في ذلك . ولقد جاءتهم رسلنا بالبيّنات : يعني بني اسرائيل ومع تلك البينات والمعاجز الدالة على صدق انبيائهم فكثير من بني اسرائيل مسرفون متجاوزون الحق بالإصرار على الشرك وقتلهم الأنبياء .

قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ

يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ
مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣٤﴾

اُختلف في سبب النزول فقيل : نزلت في قوم كان بينهم وبين النبي (ص) موادعةٌ فنقضوا العهد وأفسدوا في الارض ، وقيل: نزلت في عموم الشرك ، وقيل نزلت في جماعة جاؤوا الى المدينة وأسلموا فلم تستقم ابدانهم لمناخ المدينة واصفرّت وجوههم فأمرهم النبي (ص) أن يخرجوا الى إبل الصدقة فيشربوا من البانها ففعلوا ذلك وصحت أجسامهم إلا أنهم بيّتوا الغدر والسرقة فمالوا الى الرعاة فقتلوهم واستاقوا الإبل وارتدوا عن الإسلام فأخذهم النبي (ص) وقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف وسمل أعينهم .

وقيل: نزلت في قطاع الطرق ، وجميع المعاني متقاربة . والمروي عن اهل البيت (ع) أن المحارب لله هو كل من شهر السلاح واخاف الطريق سواء كان في المصر أو خارجه ، وعلى هذا رأي أغلب الفقهاء من العامة والخاصة ، وقال أبو جعفر وأبو عبدالله عليهما السلام، انما جزاء المحارب على قدر استحقاقه فإن قتل فجزاؤه أن يُقتل ، وان قتل وأخذ المال فجزاؤه أن يُقتل ويُصلب ، وإن أخذ المال ولم يُقتل فجزاؤه أن تُقطع يده ورجله من خلاف وإن أخاف الطريق فقط فإنما عليه النفي لا غير .

وبذلك قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة والسدي والربيع و(أو) الواردة في الآية ليست بمعنى إباحة الجميع وإنما هي مرتبة للحكم باختلاف الجناية .

وفصّل الشافعي : بأن من وجب عليه القتل والصلب قُتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ثم يُصلب ثلاثة أيام ثم يُنزل ، وقيل:يصلب حياً ثم يطعن بالرماح حتى يقتل وهو رأي أبي حنيفة فقيل له هذه مُثلة قال : المُثلة يُراد به . وقيل:إنّ (أو) هنا للاباحة والتخيير أي إن شاء الإمام قتل وإن شاء صلب وإن شاء نفى .

ومن خلاف :معناه اليد اليمنى والرجل اليسرى ، والنفي أن يُنفى من بلد إلى بلد حتى يتوب ويرجع ، وقال أبو حنيفة وأصحابه : النفي هو الحبس والسجن إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم : لما بيّن سبحانه حكم المحارب استثنى من جملتهم من يتوب مما ارتكبه قبل أن يؤخذ ويُقدر عليه لأن توبته بعد قيام البيّنة عليه ووقوعه في يد الإمام لا تنفعه في دفع الحد عنه بل يجب إقامة الحد عليه حتى مع توبته .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾

لما تقدم ذكر القتل والمحاربين ، عقّبه سبحانه بالموعظة والأمر بالتقوى وطلب الوسيلة والقربة اليه بما يرضيه من الافعال ، وجاهدوا في سبيله :والجهاد في سبيل الله قد يكون باليد وباللسان والقلب والقول والكتاب . لعلكم تفلحون وتظفرون برضا الله والفوز بنعيمه .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا

بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٣٦)
يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ
مُقِيمٌ (٣٧)

توعّدَ سبحانه الكفار وأنهم لن يستطيعوا أن يفتدوا من عذاب يوم القيامة حتى ولو كان لهم ما في الارض جميعاً وبذلوه في سبيل خلاصهم من عذاب الله ما تُقبل منهم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالىٰ :

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا
نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨) فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ
فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ
مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠)

لا فرق بين أن يكون السارق رجلاً أو امرأة ، وهنا ملاحظة نوّه عنها المصنف وهي أن السرقة الغالب صدورها من الرجال فقدّم ذكر الرجال ، وفي موطن الزنا لما كان الغالب وجود الزنا في النساء قال تعالىٰ « الزانية والزاني . . . » والآية مجملة في وجوب قطع يد السارق ، وبيان ذلك من السنة النبوية الشريفة

فهي المتكفلة لتحديد السرقة التي يجب عليها قطع اليد ، وتحديد موضع القطع من اليد ، وطريقة القطع .

فقال الإمامية : تقطع يد السارق إذا بلغت السرقة ربع دينار فما فوق[١] واختلف باقي الفقهاء في المبلغ الذي يجب القطع معه ، كما اختلفوا في اليد التي تقطع ومن اين تقطع ، قال الإمامية:أنها تقطع من أصول الأصابع وتترك الأبهام والكف ، واذا سرق ثانية تقطع رجله اليسرى من اصل الساق ويترك عقبه يعتمد عليها في الصلاة ، فان سرق بعد ذلك خلد في السجن ، وقال اغلب العامة بأن القطع من الرسغ وهو مفصل بين الكف والساعد .

فمن تاب من بعد ظلمه وندم واقلع عن السرقة فإن الله يتوب عليه أي يقبل توبته باسقاط عقاب الآخرة عن المعصية التي تاب عنها .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا
بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا ۛ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ
سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ۖ يَقُولُونَ

---

(١) وينسب لأبي العلاء المعري قوله :

يد بخمس مئين عسجد وديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار
تناقض ما لنا إلا السكوت له ... وأن نعوذ بمولانا من النار

ويروى أن الشريف الرضي رحمه الله اجابه بقوله :

عز الأمانة اغلاها وارخصها ... ذل الخيانة فافهم حكمة الباري

إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا ۚ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾

سماعون للكذب:أي قابلون له فيقال لا تسمع قول فلان أي لا تقبله ولما تقدم ذكر اليهود والنصارى عقبه سبحانه بتسلية النبي (ص) ووعده بحمايته من كيدهم .

يحرفون الكلم من بعد مواضعه : أي يحرفون كلام الله في حلاله وحرامه وما غيروه من حكم الله في الزنا حين نقلوه من الرجم الى أربعين جلدة، وقيل:بما نقلوه من حكم القتل من القود الى الدية حتى كثر القتل فيهم ، وقيل:بتحريفهم عموم التوراة وبتحريمهم الحلال وتحليلهم الحرام ، وكذبهم على النبي بما كان يسمعون منه ويفترون عليه بالزيادة والنقصان .

قال الإمام الباقر (ع) وجماعة من المفسرين:ان امرأةً من خيبر ذات شرف بينهم زنت مع رجل من اشرافهم وهما محصنان فكرهوا رجمهما فأرسلوا إلى يهود المدينة وكتبوا اليهم أن يسألوا النبي محمّداً (ص) عن ذلك طمعاً في أن يأتي لهم برخصة فانطلق جماعة من أشرافهم وقالوا : يا محمّد اخبرنا عن الزاني والزانية إذا أُحصنا ما حدهما ؟

فقال النبي (ص):وهل ترضون بقضائي في ذلك ؟ قالوا : نعم .

فنزل جبرئيل بالرجم ، فاخبرهم بذلك فأبوا أن يأخذوا به . فقال جبرئيل : اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له . فقال النبي :

هل تعرفون شاباً أمرد ابيض اعور يسكن فدكاً يُقال له ابن صوريا ؟

قالوا : نعم . قال (ص) فأيّ رجل هو فيكم ؟ قالوا : اعلم يهودي بقي على

ظهر الارض بما أنزل الله على موسى .

قال : فأرسلوا اليه ، ففعلوا فأتاهم عبدالله بن صوريا فقال له النبي إني أنشدك الله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون ، وظلل عليكم الغمام ، وأنزل عليكم المنّ والسلوى هل تجدون في كتابكم الرجم على من أُحصن ؟ قال ابن صوريا : نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن يحرقني رب التوراة إنْ كذبتُ أو غيّرتُ ما اعترفت لك ، ولكن إخبرني كيف هي في كتابك يا محمّد ؟ قال (ص) : إذا شهد أربعة رهط عدول أنه قد أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم . قال ابن صوريا : هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال النبي (ص) : فماذا كان أول ما ترخصتم به أمر الله ؟ قال : كنّا إذا زنى الشريف تركناه ، وإذا زنى الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر فأراد الملك رجمه فقال له قومه:لا حتى ترجم فلاناً ـ يعنون ابن عمّه ـ فقلنا : تعالوا نجتمع فلنضع شيئاً دون الرجم يكون على الشريف والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم ، وهو أن يجلدا أربعين جلدةً ثم يُسوّد وجههما ثم يُحملان على حمارين ويجعل وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما ، فجعلوا هذا مكان الرجم ، فقالت اليهود لابن صوريا : ما أسرع ما أخبرته به ، فقال انه أنشدني بالتوراة،ولولا ذلك لما أخبرته به . فأمر بهما النبي (ص) فرجما عند باب مسجده وقال (ص) :انا أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأنزل الله تعالى قوله : يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم كثيراً مما كنتم تخفون . . . فقام ابن صوريا فوضع يده على ركبتي رسول الله (ص) ثم قال : هذا مقام العائذ بالله وبك أن تذكر لنا الكثير الذي أمرت أن تعفو عنه ، فأعرض النبي (ص) عن ذلك . ثم سأله ابن صوريا عن نومه فقال (ص) : تنام عيناي ولا ينام قلبي . فقال صدقت ، وأخبرني عن شبه الولد بأبيه ليس فيه من شبه أمه شيء أو بأمه ليس فيه من شبه أبيه شيء ؟ فقال

(ص) : أيهما علا وسبق ماء صاحبه كان الشبه له . قال:صدقت،ثم سأل ابن صوريا عن أشياء أخرىٰ والنبي يجيبه عنها فقال بعدها أشهد أنه في التوارة كما قلت ، وأنك رسول الله حقاً فشتمه اليهود وعابوه ولم يسمعوا قوله .

ثم قال سبحانه : « ومَن يُرد الله فتنته » . . . وقد ورد تفسير الفتنة هنا بمعانٍ منها:أن الفتنة بمعنى العذاب ، وبمعنى من يُرد الله هلاكه ، وبمعنى من يُرد الله خزيه وفضيحته باظهار ماينطوي عليه من الخبث وسوء السريرة . وقد تكون بمعنى الإختبار والإمتحان بما يبتليه من القيام بحدود الله فيدع ذلك ويحرف احكام الله .

« لهم في الدنيا خزي » : بما لحقهم من الذل والفضيحة بالزامهم بالجزية ، واظهار كذبهم في كتمان الرجم ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

مركز تحقيقات كامپيوتری علوم اسلامی

قوله تعالىٰ :

سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾

عطفاً على ما تقدم من صفات اليهود أضاف سبحانه ذكر بقية صفاتهم الذميمة وأنهم سمّاعون للكذب: أي مقبلون عليه راغبون في سماعه ، أكالون للسحت: وهو الحرام من كل مكسب ، ومن اظهرها الرشوة . فإن جاؤوك واحتكموا عندك فاحكم بينهم أو اعرض عنهم ، والظاهر من روايات اصحابنا أن هذا التخيير

ثابت في الشرع للأئمة والحكام ، وقيل انه منسوخ بقوله تعالى : « وأن احكم بينهم بما أنزل الله » .

ثم بيّن سبحانه أن الحكم بينهم لا بد وأن يكون بالقسط وهو العدل ، إن الله يحب المقسطين : أي العادلين . وكيف يحكّموك : يا محمّد كيف يرضى هؤلاء اليهود بك حكماً وعندهم التوراة ويقرؤون فيها حكم الله ثم يتولون بعد ذلك يتركون حكم الله ويعرضون عنه ، وفي هذا تقريع لليهود الذين نزلت الآية فيهم كيف تقرون أيها اليهود بحكم النبي محمّد مع انكاركم نبوته وتكذيبكم اياه برسالته ويؤكد سبحانه أن مجيئهم الى النبي لا لطلب الحق وانما طلباً للتخلص من حكم الرجم وما أولئك بالمؤمنين .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَـٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾

الربانيون : هم العلماء البصراء بسياسة الأمور وتدبير الناس . والأحبار : جمع حبر وهو العالم مشتق من التحبير وهو التحسين فالعالم يحسن الحسن ويقبح القبيح ، والأكثر على نطقه بكسر الحاء . ولما بيّن سبحانه حال اليهود في الإعراض عن أحكام التوراة عقبه بذكر وصف التوراة وأنها هدىً ونور يحكم بها النبيّون ، ثم حذر سبحانه علماء اليهود وأحبارهم ودعاهم للجهر بالحق والواقع

وبيانه للناس « فلا تخشوا الناس واخشون » : في إظهار صفة النبي محمّد (ص) وفي حرمة كتمان ذلك وغيره مما جاء في التوراة ، واقامة الحدود وامضائها على أهلها كائناً مَن كان« ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » من الجاحدين لاحكام الله ومنهم من خصه بالكفار ، ومنهم من عممه لعموم الجاحدين والحاكمين بغير ما انزل الله من اليهود والكفار وغيرهم .

قوله تعالىٰ :

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

كتبنا عليهم أي فرضنا عليهم علىٰ اليهود حيث بين سبحانه حكم التوراة في القصاص ومعناه عام ، وهو حكم الشريعة الاسلامية في القصاص ، اذا قتل انسان انساناً عمداً وجب قتل القاتل إذا كان القاتل عاقلاً مميزاً ، وكان المقتول مكافئاً للقاتل بأن يكونا مسلمين حرين ،أوكافرين أو مملوكين،اما اذا كان القاتل حراً مسلماً والمقتول كافراً أو مملوكاً ففي وجوب القصاص خلاف بين القهاء وعندنا لا يجب القصاص وكذلك قال الشافعي .

والجروح قصاص : عام في كل ما يمكن أن يقتص فيه مثل الشفتين والذكر والأُنثيين واليدين والرجلين وغيرها . وأما ما لا يمكن القصاص فيه من رضمة لحم أو فكة عظم ففيه أُروش مقدرة . فمَن تصدق : بالقصاص الذي وجب له علىٰ

صاحبه فعفى عنه فهذا العفو كفارة لذنب الجاني ، وقيل: هي مغفرة للعافي عند الله جزاء عفوه. «ومَن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»: لأنفسهم بارتكاب المعاصي، قيل: هو في اليهود ، وقيل: هو عام في كل من حكم بخلاف ما أنزل الله وهذا الوجه يوجب أن يكون ما تقدم من الأحكام يجب العمل به في شريعتنا وإن كان مكتوباً في التوراة .

قوله تعالى:

وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾

لما قدم سبحانه ذكر اليهود اتبعه بذكر النصارى حيث بعث فيهم عيسى ابن مريم (ع) رسولاً مصدقاً لما مضى من التوراة التي أُنزلت على موسى (ع) كما أن الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى جاء نوراً وهدى ومصدقاً للتوراة ، وأنها حق . وليحكم اهل الانجيل : وهذا امر لهم ، وقيل: معناه أن تقديره وقلنا ليحكم أهل الانجيل ، أو أنه تعالى استأنف وذكر أهل الانجيل لأن احكامه موافقة لأحكام القرآن بما أنزل الله فيه . «ومَن لم يحكم بما أنزل الله ...» قيل: انه خبر عن قوم معروفين من اليهود وهم الذين تقدم ذكرهم، وقيل: هو عام لمَن لم يحكم من المكلفين بما أنزل الله فهو فاسق ، فيكون معنى الفاسقين الخارجين عن الدين ، وجعلوا الكفر والظلم والفسق صفة لموصوف واحد . وقيل : أن الأوّل في

الجاحد ، والثاني والثالث في المقر التارك .

قوله تعالى :

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾

هيمن الرجل :إذا ارتقب وحفظ وشهد فهو مهيمن . والشرعة والشريعة واحدة وهي الطريقة الظاهرة . ولما بيّن تعالى نبوة موسى وعيسى عليهما السلام عقب ذلك ببيان نبوة محمّد (ص) احتجاجاً على اليهود والنصارى بأن طريقته كطريقتهم في الوحي والمعجز . وما في كتابه ـ القرآن ـ مصدقاً للتوراة والإنجيل وما فيهما من توحيد الله وعدله والدلالة على نبوة محمّد (ص) والحكم بالرجم والقود وما تقدم ذكره من جميع الأحكام . ووجوب تصديق القرآن في جميع ذلك ، فاحكم بينهم بما أنزل الله : أي بين اليهود والنصارى بأحكام القرآن ، ولا تتبع اهواءهم : فيما حرفوا وبدلوا من احكام الله . لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً : والخطاب للأمم الثلاث،أمة موسى وأمة عيسى وأمة محمّد ، ومعناه لو شاء الله لجمعكم ملة واحدة لا تبدل ولا تنسخ ، ولكن ليبلوكم : أي ليمتحنكم ويختبركم فيما فرض عليكم فاستبقوا الخيرات : أي بادروا بالتقدم في الخير قبل فوات الفرص بالموت

والعجز . وفي هذا دلالة على وجوب المبادرة الى افعال الخيرات الواجبة ، أو هوعلى الندب على المسارعة لجميع الطاعات واجبها ومندوبها .

قوله تعالى :

إِنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥٠)

واحذر أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ، أو يجروك إلى ما يهوون من الأحكام ، أو بما يكذبون عليك من نقل أحكام التوراة .

وفي هذه الآية دلالة على وجوب مجانبة اهل البدع والضلال وذوي الأهواء وترك مخالطتهم . أفحكم الجاهلية يبغون : قيل المراد هم اليهود لأنهم كانوا إذا وجب الحكم على ضعفائهم ألزموه إياه ، وإذا وجب على أقويائهم وأشرافهم لم يؤاخذوهم به ،فقيل لهم أفحكم الجاهلية تطلبون ، وأنتم اهل كتاب احكامه عامة شاملة . وقيل المراد به : كل من طلب غير حكم الله فإنه يخرج منه إلى حكم الجاهلية .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ
نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا
عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ
الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ
فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أُختلف في سبب نزوله : وإن كان حكمه عاماً لجميع المؤمنين . فبعضهم قال : لما انهزم أهل بدر قال المسلمون لأوليائهم من اليهود : آمنوا قبل أن يصيبكم الله بيوم مثل يوم بدر ، فقال مالك ابن ضيف أغركم أن اصبتم رهطاً من قريش لا علم لهم بالقتال ، أما لو أمرونا العزيمة أن نستجمع عليكم لم يكن لكم يدان بقتالنا ، فجاء عبادة بن الصامت الخزرجي الى رسول الله (ص) فقال يا رسول الله إن لي أولياء من اليهود كثيراً عددهم قوية انفسهم شديدة شوكتهم وإني أبرأ الى الله ورسوله من ولايتهم ولا مولى لي إلا الله ورسوله . فقال عبدالله ابن أُبي : لكني لا ابرأ من ولاية اليهود لأني اخاف الدوائر ولا بد لي منهم .

فقال رسول الله (ص) : يا أبا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه . قال إذاً أقبل . فنزلت الآية .

وقيل: لما كانت وقعة أُحد اشتدت على طائفة من الناس فقال رجل من المسلمين أنا الحق بفلان اليهودي وآخذ منه أماناً، وقال آخر : أنا الحق بفلان

النصراني ببعض أرض الشام فأخذ منه أماناً . فنزلت الآية ، وقيل:نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين قال لبني قريظة:إذا رضوا بحكم سعد انه الذبح .

ولما تقدم ذكر اليهود والنصارىٰ وأمر حكمهم بغير ما أنزل الله ، عقب سبحانه ذلك بقطع موالاتهم والتبرىء منهم وعدم الإعتماد عليهم، وفي هذا دلالة علىٰ ان الكفر ملة واحدة في احكام المواريث ، ومن يتولهم ويستنصر بهم ويتخذهم انصاراً فإنه منهم وهو كافر مثلهم ومحكوم بحكمهم في وجوب لعنه والبراءة منه ، وأنه من اهل النار فترىٰ يا محمّد الذين في قلوبهم مرض أي شك ونفاق كعبدالله بن أُبي يسارعون فيهم أي في موالاتهم أو معاونتهم علىٰ المسلمين متذرعين لذلك بحجة يقولون نخشىٰ أن تصيبنا دائرة فنحتاج الىٰ نصرتهم فعسىٰ الله أن يأتي بالفتح : يعني فتح مكة أو بما يفتح الله لمحمّد (ص) علىٰ جميع خلقه وأمر من عنده فيه إعزازٍ للمؤمنين وإذلالٍ للمشركين ، أو كشفٍ واظهارٍ لنفاق المنافقين .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

لما بيّن تعالىٰ حال المنافقين وأنهم يتربصون الدوائر بالمؤمنين ، وعلم الله قوماً منهم يرتدون بعدوفاته (ص)،بين سبحانه أن ذلك كائن وأنهم لا ينالون

أمانيهم والله ينصر دينه بقوم لهم صفات حميدة تؤهّلهم لذلك ، كما أن لهم صفات يعرفون بها .

ومَن يرتد : أي يرجع الىٰ الكفر بعد إظهار الإيمان . أذلة علىٰ المؤمنين اعزة علىٰ الكافرين : أي رحماء على المؤمنين ، غلاظ علىٰ الكافرين ، والذلة هنا بمعنىٰ اللين لا بمعنى المذلة والهوان .

قال ابن عباس : تراهم للمؤمنين كالولد لوالده وكالعبد لسيده ، وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع علىٰ فريسته . وقد اختلف المفسرون في المعنيين بهذه الآية فمن قائل أنها خاصة ، وروي في ذلك روايات عن رسول الله (ص) بأنه ذكر الموصوفين هم أهل اليمن،وقيل:الفرس ، وقيل:هم أمير المؤمنين علي (ع) وأصحابه حين قاتل مَن قاتله من الناكثين والقاسطين والمارقين ، كما روي ذلك عن عمار وحذيفة وابن عباس ويؤكد ذلك أن النبي (ص) وصف علياً بمثل هذه الصفات كما هو معروف في قصة خيبر : لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . . . ولا ينكر احد أن علياً (ع) من ابرز مَن تنطبق عليه هذه الصفات من الصحابة ، وقيل:في الآية اشارة للمهدي (ع) . وقيل : إن الآية عامة في كل مَن استجمع هذه الخصال إلىٰ يوم القيامة .

وروى الثعلبي في تفسيره باسناده عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن رسول الله (ص) قال يرد عنيَّ قوم من أصحابي يوم القيامة فيحلون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي أصحابي ، فيقال إنك لا علم لك بما احدثوا من بعدك إنهم ارتدوا على ادبارهم القهقرى

قوله تعالىٰ :

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ

يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

ذكر بسند متصل عن الأعمش قال: بينما عبدالله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله(ص)...: إذ أقبل رجل متعمم بعمامة فجعل بن عباس لا يقول قال رسول الله إلا قال الرجل قال رسول الله فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيها الناس مَن عرفني فقد عرفني ومَن لم يعرفني فأنا أعرِّفه بنفسي أنا جندب بن جنادة البدري - أبو ذر الغفاري - سمعت رسول الله (ص) بهاتين وإلا صُمتا ورأيته بهاتين وإلا عُميتا يقول: عليٌ قائد البررة وقاتل الكفرة ومنصور مَن نصره ومخذول مَن خذله، أما أني صلّيت مع رسول الله (ص) يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً فرفع السائل يده الى السماء، وقال:اللهم اشهد أني سألت في مسجد رسول الله فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي راكعاً فأومأ بخنصره اليمنى اليه وكان يتختم فيها فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره وذلك بعين رسول الله (ص) فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه الى السماء،وقال:اللهم إنّ أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من اهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما. اللهم وأنا محمّد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به ظهري.

قال أبو ذر: فوالله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله فقال: يا محمّد إقرأ، قال وما اقرأ؟ قال:اقرأ «إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا .....» وروى هذا الخبر أبو اسحاق الثعلبي في تفسير بهذا :

الإسناد بعينه ، وروى أبو بكر الرازي في كتاب احكام القرآن على ما حكاه المغربي والرماني والطبري أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه وهو راكع ، وهو قول مجاهد والسدي . والمروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله (ع) وجميع علماء اهل البيت ، ورويت بأشكال أخرى ، وروي أن حسان بن ثابت قال في ذلك شعراً :

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي وكل بطيء في الهدى ومسارع
أيذهب مدحيك المحبر ضائعاً وما المدح في جنب الإله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً زكاة فدتك النفس يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية وبيّنها مثنى كتاب الشرائع

وفيها بيّن سبحانه من له الولاية على الخلق والقيام بامورهم وتجب طاعته عليهم والذي يدل على أن المعني بالذين آمنوا هو علي (ع) الرواية الواردة من طريق العامة والخاصة بنزول الآية فيه لما تصدق بخاتمه في حال الركوع كما تقدم كما استدل أيضاً بهذه الآية على أن العمل القليل لا يقطع الصلاة وأن دفع الزكاة الى السائل في الصلاة جائز مع نية الزكاة . وحزب الله : بمعنى جند الله ، وقيل انصار الله .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

قيل : في أسباب النزول : كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحرث

.. اظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت الآية حيث
.. كد سبحانه في النهي عن موالاة الكفار والمنافقين الذين يظهرون الإيمان باللسان
يخفون الكفر من اليهود والنصارى وعموم الكافرين، وأكد سبحانه أن من علائم
.. وى المؤمنين وصدق إيمانهم ابتعادهم عن موالاة المنافقين المستهزئين بالدين .
.. ان المنافقين اكثر ضرراً على الإيمان وأهله من عموم الكفار .

قوله تعالى :

﴿ .. إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا .. عْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

.. كد سبحانه صفة الكفار والمنافقين الذين نهى الله المؤمنين عن موالاتهم
.. ن المؤمنين إذا نادوا إلى الصلاة ودعوا إليها اتخذ المنافقون الصلاة هزواً ولعباً
.. قيل : أنهم إذا سمعوا المؤذن يؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا سخرية
.. مجوناً وتسخيفاً لأهلها وتنفيراً للناس عنها وعن الداعي اليها .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ .. لَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾

قيل : إن نفراً من اليهود أتوا رسول الله (ص) فسألوه عمّن يؤمن به من
.. لرسل فقال : أؤمن بالله وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق .. إلى قوله
.. ونحن له مسلمون . فلما ذكر عيسى جحدوا بنبوته وقالوا : والله ما نعلم أهل دين
.. قل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ، ولا ديناً شراً من دينكم . فأنزل الله هذه الآية
:

ومابعدها . ومعنى فاسقون : خارجون عن أمر الله طلباً للرئاسة وحسداً على منزلة النبوة .

قوله تعالى :

قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ
وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ
أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾

أمر سبحانه نبيّه (ص) أن يخاطبهم فقال:(قل) يا محمّد لهؤلاء المستهزئين من الكفار واليهود « هل أنبئكم » أُخبركم بشر مما نقمتم من ايماننا جزاءً وعاقبة « مَن لعنه الله » أي أبعده من رحمته وغضب عليه بفسقه وكفره حيث مسخ بعضهم قردةً وخنازير ، كما يروى عن ابن عباس أن الممسوخين من أصحاب السبت لأن شبّانهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير . قالوا يا اخوان القردة والخنازير فنكسوا رؤوسهم وافتضحوا .

قوله تعالى :

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ
وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ
الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا

كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾

الفرق بين الإثم والعدوان أن الإثم الجرم كائناً ما كان ، والعدوان الظلم وقد أخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين بقوله « وإذا جاؤكم » يا أيها المؤمنون « قالوا آمنّا » أي صدقنا « وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به » قيل في معناه أنهم دخلوا على النبي (ص) وخرجوا كافرين والكفر معهم في كلتا حالتيهم . وقيل: انهم يدخلون بلون من الكفر ويخرجون منه . « وترى » يا محمّد « كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان » قيل: الإثم الكفر والعدوان مجاوزة حدود الله وتعدّيها ، وقيل إن الإثم كل معصية . « وأكلهم السحت » والسحت هنا الرشوة في الحكم . والربّانيون: العلماء بالدين من قِبل الرب ، وقيل: الربانيون علماء أهل الإنجيل ، والأحبار علماء أهل التوراة . وفي هذه الآية دلالة على أن تارك النهي عن المنكر بمنزلة مرتكبه وفيه وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قوله تعالى :

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾

اليد تذكر في اللغة على خمسة أوجه : الجارحة ، والنعمة ، والقوة ،

والملك ، وتحقيق الفعل . وقد أخبر سبحانه بعظيم كذبهم وافترائهم حين قالوا : يد الله مغلولة : أي ممسكة عن العطاء والرزق ، ونسبوه جلت الأؤه الى البخل ، وقيل معناه : يد الله مكفوفة عن عذابنا غلّت أيديهم : في جهنم جزاء افترائهم على الله ، أو بمعنى جعلوا بخلاء والزموا البخل حتى عُرفوا أنهم أبخل قوم فلا تجد يهودياً غير بخيل لئيم . ولعنوا بما قالوا : أي ابعدوا من رحمة الله وثوابه بسبب مقالتهم ، أو عذبوا في الدنيا بالجزية عليهم ، وفي الآخرة بالعذاب . وليزيدنّ كثيراً . . .) أي سيزدادون عند انزال القرآن اليك طغياناً وكفراً لعنادهم واصرارهم على الكفر والباطل . وهذا شأن كافة المعاندين للحق المصرين على الجهل والباطل ، والطغيان والتمادي في الباطل والمجاوزة للحق . وألقينا بينهم العداوة . . . : أي بين اليهود والنصارى ، وقيل بين اليهود أنفسهم . وفي هذا دلالة ومعجزة لأن الله أخبر رسوله (ص) فوافق خبره المخبر . وما قاموا بحرب ضد رسول الله (ص) إلا وهزمهم وأطفأ نارهم ، فقد كانت اليهود أشد أهل الحجاز بأساً ومنعة حتى أن قريشاً كانت تعتز بهم ، والأوس والخزرج تستبق إلى محالفتهم وتتكثر بنصرتهم فأباد الله جمعهم واستأصل شأفتهم ، فأجلى النبي (ص) بني النضير وبني قينقاع ، وقتل بني قريضة وشرد أهل خيبر ، وغلب على فدك ودان له أهل وادي القرى . وقيل إن الله اذلهم لا يعزون أبداً .

قوله تعالى :

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ

مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾

ولو أن أهل الكتاب . . : يعني اليهود والنصارىٰ . آمنوا بمحمّد (ص) واتقوا الكفر والفواحش لكفرّنا عنهم سيئاتهم : أي سترناها عليهم وغفرناها لهم ، ولو أنهم اقاموا التوراة والإنجيل : أي عملوا بما فيهما ولم يحرفوا شيئاً منهما ، أو أقاموهما نصب أعينهم لئلّا يزلّوا في شيء من حدود الله واحكامه ، لأكلوا من فوقهم : بما ترسله السماء عليهم ، ومن تحت ارجلهم : بخيرات الأرض وبركاتها . وقيل:لأكلوا ثمار النخيل والاشجار من فوق رؤوسهم ، والزرع من تحت أرجلهم ، والمعنى لا طمأنوا بديارهم وسعدت حياتهم وتمنعوا باموالهم وزروعهم(منهمأمة مقتصدة) أي من هؤلاء قوم معتدلون في العمل من غير غلو ولا تقصير وهم الذين اسلموا وتابعوا النبي محمّداً (ص) ، وقيل:يراد به النجاشي وأصحابه ، وقيل:يراد به من يقر منهم بأن المسيح عبدالله ولا يدعي له الالوهية .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾

قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر عن عاصم : رسالاته . على الجمع ، والباقون رسالته على التوحيد ، أمر سبحانه نبيه على التبليغ ووعده بالعصمة والحماية والنصرة . وروىٰ العياشي في تفسيره باسناده عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبدالله قالا : أمر الله محمّداً (ص) أن ينصب علياً (ع) للناس فيخبرهم بولايته ، فتخوّف رسول الله (ص) أن يقولوا حابى ابن عمه وأن يطعنوا في ذلك عليه فأوحىٰ الله اليه هذه الآية فقام بولايته يوم

غدير خم . وفيه أيضاً بالاسناد المرفوع الى حيان بن علي العلوي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في علي (ع) فأخذ رسول الله (ص) بيده فقال : مَن كنت مولاه فعلي مولاه اللهمَّ والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه ، وقد أورد هذا الخبر بعينه أبو اسحاق احمد بن محمّد بن ابراهيم الثعلبي في تفسيره باسناده مرفوعاً الى ابن عباس . . .

وقد اشتهرت الرواية عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام . « والله يعصمك من الناس » : أي يمنعك ويحميك من أن ينالوك بسوء .

قوله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾

قال ابن عباس : جاء جماعة من اليهود الى رسول الله (ص) فقالوا له : ألست تقر بأن التوراة من عند الله ؟ قال : بلى . قالوا : فأنا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها .فنزلت الآية (قل يا أهل . . .) حيث أمر سبحانه النبي (ص) أن يخاطب اليهود وأنهم ليسوا على شيء من الدين الصحيح حتى يقروا بالتوراة والإنجيل والقرآن المنزل الى جميع الخلق ويصدقون بما في التوراة والإنجيل من البشارة بالنبي محمّد (ص) والعمل بما يوجب ذلك فيهما ، ثم خاطب سبحانه رسوله بأن لا تحزن على اصرارهم على تكذيبك ، أو لا تحزن على إصرارهم المؤدي الى هلاكهم وعذابهم .

قوله تعالىٰ :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾﴾

مضىٰ تفسير هذه الآية في سورة البقرة ، وأن مجرد الانتساب الىٰ دين أو ملة من هذه الملل غير كافٍ في النجاة ، وإنّما النجاة مقرونة بالإيمان الصحيح بالله سبحانه وباليوم الآخر ، وأن يقرن ذلك بالعمل الصالح ، ولا يتم ذلك إلا في اطار الإسلام والإيمان .

قوله تعالىٰ :

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ ۚ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

ميثاق بني اسرائيل : أي الأيمان المؤكدة التي أخذها انبياؤهم عليهم في الإيمان بمحمّد والإقرار به والتصديق بما جاء به من عند الله ، وحذّر سبحانه المتأخرين من بني اسرائيل من مغبة اعمال آبائهم الذين وصفهم سبحانه : كلما جاءهم رسول . . . . وحسبوا أن لا تكون فتنة : أي عقوبة علىٰ قتلهم الأنبياء والرسل وتكذيبهم ، وترددهم في الضلال ، وتشبيه الضال المصر علىٰ الباطل

الذي لا ينتفع بالهدىٰ بالأعمىٰ والأصم كما لا يهتدي هذا لطريقه في الدنيا بسبب عماه وصممه كذلك الذي لا يهتدي لرشده ولا يتبع الحق.

قوله تعالىٰ :

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) ﴾

عاد سبحانه إلىٰ ذكر النصارىٰ فقال : « لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح . . . » وهذا مذهب اليعقوبية من النصارىٰ لأنهم قالوا : إن الله اتحد بالمسيح اتحاد الذات فصار شيئاً واحداً ولكن المسيح رد عليهم مؤكداً عبوديته لله :أعبدوا الله ربي وربكم . وأن من يشرك بالله ويعتقد أن غير الله يستحق العبادة فقد حرم الله عليه الجنة أي يمنعه من دخول الجنة ، ثم أكد سبحانه أن القول بالتثليث كفر لأنهم يقولون جوهر واحد أب وابن وروح القدس متحدون إله واحد ، وهم لا يقولون بثلاثة آلهة . وتوعد سبحانه مَن لم ينتهِ منهم عن هذه المقالة بعذاب أليم ، وأن لا فرق في الكفر بين من يقول أن المسيح هو الله والذي يقول إن الله ثالث ثلاثة . ثم عقّب سبحانه بالحث علىٰ التوبة والاستغفار والإقلاع

عن الكفر فقال : « افلا يتوبون إلىٰ الله ويستغفرونه » . وهو أمر منه سبحانه بالتوبة والاستغفار . والفرق بين التوبة والاستغفار : إن الإستغفار طلب المغفرة بالدعاء وغيره من الطاعات . والتوبة:هي الندم علىٰ المعصية مع العزم علىٰ أن لا يعود لمثلها في القبح . والاستغفار مع الإصرار علىٰ القبيح لا يصح .

قوله تعالىٰ :

مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

الصديقة : المبالغة في الصدق ، والإفك الكذب .

لما قدم سبحانه ذكر مقالات النصارىٰ وعقائدهم عقّبه في الرد عليهم ، وأن المسيح ليس باله وإنّما هو رسول الله شأنه شأن الأنبياء الذين اتوا بالمعجزات الباهرات فكذلك المسيح ، وأُمه صديقة تصدق بآيات ربها وتصدق ولدها فيما أخبر به عن الله سبحانه . وكدلالة علىٰ أن المسيح وأُمه بشرين أنهما كانا يأكلان الطعام شأنهما في البشرية شأن باقي البشر من الجوع والشبع والحاجة والإفتقار .

ثم أكد سبحانه علىٰ رسوله فقال : قل يا محمّد حين تحاجج هؤلاء

النصارى قل لهم : اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً ، والحق أن المستحق للعبادة هو القادر على النفع والضر والخلق والأحياء والرزق ولا يقدر على ذلك أحد غير الله فلا يستحق العبادة سواه ، وهو السميع لأقوالكم العليم بضمائركم . وقل لهم يا محمّد : يا أهل الكتاب لاتغلوا في دينكم : أي لا تتجاوزوا الحد الذي حدده الله لكم ولا تتجاوزوا الحق ، فغلو النصارى في المسيح نسبته للربوبية ، وغلو اليهود فيه تكذيبهم له ، وظاهر الآية خطاب للذين كانوا في عصر النبي محمّد (ص) حيث نُهوا أن يتبعوا اسلافهم فيما ابتدعوا ، والأهواء هنا المذاهب التي تدعو اليها الشهوة دون حجة وبرهان .

قوله تعالى :

لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾

لا يتناهون : أي لا ينهى بعضهم بعضاً ، أو لا يكفون عن المنكرات . وفي الآية أكد سبحانه الصفات الذميمة التي سار عليها أسلاف أهل الكتاب والتي بسببها استحقوا اللعن والطرد والمسخ والعذاب والذم المتواصل على لسان كافة الأنبياء وفي كافة الكتب الألهية ، وفي ذلك دفع للدعوى التي يرفعها دوماً أهل الكتاب بأن فيهم ولد وبعث أكثر الانبياء والرسل فقدأزال الله بذلك مفخرتهم وأنهم

لعنوا على ألسنة أُولئك الأنبياء الذين ولدوا وبعثوا منهم وفيهم بما عصوا وكانوا يعتدون .

وعن ابن عباس كان بنو اسرائيل ثلاث فرق : فرقة اعتدوا في السبت ، وفرقة نهوهم ولكن لم يدعوا مجالستهم ولا مواكلتهم ، وفرقة لما رأوهم يعتدون ارتحلوا عنهم . ولذلك قال رسول الله (ص) لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر ولتأخذنّ على يد السفيه ولتأطرنّه على الحق أطراً أو ليضر بن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم .

وقيل:إن المنكر الذي فعله بنو اسرائيل واستحقوا عليه هذا الذم والبلاء هو صيدهم السمك يوم السبت ، وقيل:أخذهم الرشى في الأحكام ، وقيل:اكلهم الربا وأثمان الشحوم وكلها منكرات ويمكن أن يكون المعنى عاماً . ثم ذم سبحانه المتأخرين من أهل الكتاب الذين يتولون كفار مكة مثل كعب بن الأشرف وأصحابه حين حثوا المشركين ووالوهم على حرب رسول الله والوقوف بوجه دعوته . ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم . .

قوله تعالى :

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨١﴾

ولو كانوا يؤمنون بالله : أي لو كان هؤلاء المنافقين من أهل الكتاب يصدقون بالله والنبي ويعتقدون ذلك على الحقيقة كما يظهرون ما اتخذوا الكافرين أولياء ، وقيل:أن المراد بالنبي هو النبي موسى (ع) وبما أنزل عليه في التوراة من الحثّ على موالاة اولياء الله والاعتراف بنبوة نبينا محمّد (ص) .

الجزء السابع
من القرآن الكريم

قوله تعالى :

لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾

القسيس والقس : من رؤساء النصارى ، ويجمع على قساوسة . والرهبان : جمع راهب ، والترهّب التعبد في صومعة وأصله من الرهبة والمخافة . وقد روي أنها نزلت في النجاشي وأصحابه حين تآمرت قريش على الفتك بالمؤمنين ممّن آمنوا بمحمّد (ص) فوثبت كل قبيلة على مَن فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فلما رأى رسول الله (ص) ما حل بأصحابه من المحن والبلاء ولم يقدر على حمايتهم ولم يؤمر بالجهاد ، أمرهم (ص) بالخروج الى ارض الحبشة وقال: إن بها ملكاً صالحاً لا يَظلمُ ولا يُظلم عنده أحد فأخرجوا اليه حتى يجعل الله عز وجل للمسلمين فرجاً ، وأراد به النجاشي واسمه اصحمه وهو بالحبشية:عطية . والنجاشي:اسم الملك وليس الاسم الشخصي ، فخرج اليها سراً جمع من المسلمين من الرجال والنساء وكان من أمرهم ما كان ، وأقام المسلمون هناك بخير دار وأحسن جوار إلى أن هاجر رسول الله (ص) إلى المدينة وعلا أمره وفتح خيبر ، فوافى جعفر ابن أبي طالب الى رسول الله بجميع

من كانوا معه ومعهم جملة من الأحباش ممّن اسلموا على يد المهاجرين وجماعة من اهل الشام فيهم بحيرا الراهب . وفي الآية أكد سبحانه معاداة اليهود للمسلمين ، وأنهم والمشركون سواء في شدة العداء للمؤمنين ، بخلاف النصارى من المسلمين المهاجرين .

وبيّن سبحانه أن علة عطف النصارى بأن فيهم قسيسين أي عبّاداً وعلماء ورهباناً ، وأنهم لا يستكبرون عن إتباع الحق والإنقياد له كما استكبر اليهود والكفار ، وأن من مودة النصارى للمؤمنين « وإذا سمعوا ما أنزل الى الرسول » من القرآن « ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » وأن المتلو عليهم هو كلام الله حقاً « يقولون ربنا آمنا » أي صدقنا بنبيك وكلامك «فاكتبنا مع الشاهدين» مع محمّد وأُمته الذين يشهدون بالحق ، أو بتصديق نبيك وكتابك .

قوله تعالى :

فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾

فأثابهم أي جازاهم الله بما قالوا بتوحيد الله تعالى والتصديق برسله وكتبه . ثم عقب سبحانه على ذلك بذكر الوعيد لمن كفر منهم وكذب بآيات الله ورسله .

قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾

قال المفسرون : جلس رسول الله (ص) يوماً فذكر الناس ووصف القيامة ، فرق الناس وبكوا ، وعزم جماعة من المسلمين على التفرغ للعبادة وصيام الدهر وترك متع الحياة وملاذها ، فبلغ النبي خبرهم فقال لهم رسول الله (ص) : إني لم أؤمر بذلك ، إنَّ لأنفسكم عليكم حقاً فصوموا وافطروا ، وقوموا وناموا ، فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وأكل اللحم والدسم وآتي النساء ، ومن رغب عن سنتي فليس منّي ، ثم جمع الناس وخطبهم وقال : ما بال أقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا ، أما إنّي لست آمركم أن تكونوا قسيسين ورهباناً ، فإنه ليس في ديني ترك اللحم ولا النساء ، ولا اتخاذ الصوامع ، وأن سياحة أُمتي الصوم ورهبانيّتهم الجهاد اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وحجّوا واعتمروا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وصوموا رمضان ، واستقيموا يستقم لكم فإنّما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع . فأنزل الله هذه الآية ، وفيها نهى الله المؤمنين عن تلك المسالك الوعرة . والطيبات : اللذاذات التي تشتهيها النفوس وتميل إليها القلوب مع لحاظ أن الله أحلها لهم . ولا تعتدوا : لا تتعدوا حدود الله وأحكامه .

وفي الآيتين دلالة على كراهة التخلي والتفرد والخروج عما عليه جمهور البشر في التأهل وطلب الولد وعمارة الأرض ، وهو ما حثّ عليه رسول الله (ص) في مواطن عديدة .

قوله تعالى :

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ﴾

الأيمن فكفارته إطعام عشرة مسكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة أيام ذلك كفرة أيمنكم إذا حلفتم واحفظوا أيمنكم كذلك يبين الله لكم ءايته لعلكم تشكرون ﴿٨٩﴾

قيل لما نزلت : لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم . . . قالوا : يا رسول الله فكيف نصنع بأيماننا ؟ فأنزل الله هذه الآية . وقيل : نزلت في عبدالله بن رواحة كان عنده ضيف فأخرت زوجته عشاءه فحلف لا يأكل من الطعام وحلفت المرأة لا تأكل إن لم يأكل ، وحلف الضيف لا يأكل إن لم يأكلا ، فأكل عبدالله بن رواحة وأكلا معه فأخبر النبي (ص) بذلك فقال له أحسنت ، ولغو اليمين لا كفارة فيه عند أكثر المفسرين والفقهاء .

ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان : أي ان يضمر الأمر ويقصده ثم يحلف بالله فيعقد عليه اليمين (فكفارته) أي كفارة ما عقدتم إذا حنثتم ، ولا تجب الكفارة إلا بعد المخالفة والحنث ، إطعام عشرة مساكين : واختلف في مقدار ما يُعطى كل مسكين فعند الشافعي مد من طعام ، وأبو حنيفة نصف صاع من شعير أو تمر وقال الإمامية : لكل مسكين مدان او مداً واحداً ، ويجوز أن يجمع المساكين على طعام بهذا المقدار ليأكلوه ، ولا فرق في المساكين بين الذكور والإناث . ونوع الطعام « من أوسط ما تطعمون اهليكم » وبعضهم عيّنه من خبز ولحم وسمن وغير ذلك وعن ابن عباس : تعطيهم ما تعطي اهلك في العسر واليسر « أو كسوتهم » وهو ما يقع عليه اسم الكسوة « أو تحرير رقبة » أي عتق رقبة عبدٍ أو أمة ، واعتاق العبد المؤمن أفضل ، وهذه الثلاثة واجبة على التخيير . « فمن لم يجد

فصيام ثلاثة ايام » أي من لم يجد الخصال السابقة من اطعام أو اعتاق فكفارة حنث يمينه صيام ثلاثة أيام ، ويجب التتابع في صيام هذه الأيام .

واليمين على ثلاثة اقسام : أولها ما يكون عقدها طاعة وحلها معصية ، وتتعلق بحنثها الكفارة ، كما لو قال : والله لا شربت خمراً . والثانية : أن تكون اليمين عقدها معصية وحلها طاعة ، كما لو قال : والله لا صليت ، وهذا لا كفارة في حنثه ولا يجوز الالتزام بمضمون اليمين وخالف سائر الفقهاء، إذ قالوا بالكفارة في حنثه . والثالثة: أن يكون عقدها مباحاً وحلها مباحاً كأن يقول : والله لا لبست هذا الثوب ، وهذا تتعلق بحنثه الكفارة بلا خلاف . واحفظوا ايمانكم : أي لا تحلفوا ، أو بمعنى إذا حلفتم لا تحنثوا ، والحلف مباح إلا ما كان في معصية كالحلف بترك واجب أو ارتكاب محرم وحينها لا تنعقد اليمين ولا يلزم فيها الكفارة .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿٩١﴾

الخمر : عصير العنب المشتد وهو الذي يُسكر كثيره ، وسمّيت خمراً لأنها بالسكر تغطي العقل كما يغطي الخمار من اختمر به .

والميسر : القمار بأصنافه ، والأنصاب: الاصنام وواحدها نصب وسمّيت بذلك لأنها كانت تنصب للعبادة لها ، والأزلام القداح وهي سهام كانوا يجيلونها

للقمار . والرجز : بالزاء هو العذاب ، وفي اللغة الرجز:اسم لكل ما استقذر من عمل . وفي الآية يريد سبحانه بالخمر جميع الأشربة التي تسكر .

وروي عن النبي (ص) : الخمر من تسع ، من التبع وهو العسل ، ومن العنب ، ومن الزبيب ، ومن التمر ، ومن الحنطة ، ومن الذرة ، ومن الشعير ، ومن السلت[١] وقد قرن الله سبحانه الخمر بعبادة الأوثان تغليظاً في تحريمها . ولذلك قال الباقر (ع): مدمن الخمر كعابد الوثن . وفي هذا دلالة على تحريم سائر التصرفات في الخمر من الشرب والبيع والشراء والإستعمال على جميع الوجوه . ثم بين سبحانه أنه إنما نهى عن الخمر لما يعلم في اجتنابه من الصلاح والخير في الدارين فقال « إنما يريد الشيطان أن يوقع . . . » حتى إذا سكرتم زالت عقولكم وأقدمتم على ما كان تمنعه عقولكم من القبائح .

قال قتادة : إن الرجل كان يقامر في ماله وأهله فيقمر - أي يُغلب - ويبقى حزيناً سليباً فيكسبه ذلك العداوة والبغضاء ويصده عن ذكر الله وطاعته وعن الصلاة . « فهل أنتم منتهون » صيغة الاستفهام ومعناه النهي ، وإنّما جاز في صيغة الإستفهام لأن الله ذم هذه الافعال وأظهر قبحها فكأنه قيل للمكلفين اتفعلونه بعد ما سمعتم من قبحه ، وكان هذا أبلغ في النهي من أن يقال انتهوا ولا تشربوا .

قوله تعالىٰ :

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾

---

(١) عند الحساب نجد الاصناف المذكورة ثمانية وقد رويت الرواية وذكرت بهذا الشكل حتى في الطبعة القديمة الحجرية لمجمع البيان ، مع أن كتب الفقه قلّ من يتعرض لها .

لما أمر الله تعالىٰ باجتناب الخمر وما بعدها، عقّبه بالأمر بالطاعة فيه وفي غيره، والطاعة هي امتثال الأمر والانتهاء عن المنهي عنه، وأمر سبحانه بالحذر من المعاصي والمحارم التي هي مدعاة لسخط الله وغضبه. « فإن توليتم » أي أعرضتم ولم تعملوا بما أمركم الله به « فاعلموا أنَّما علىٰ رسولنا البلاغ المبين » وفيه وعيد وتهديد بأن المتولين المعرضين عن أوامر الله ونواهيه فإنهم يستحقون العذاب العظيم خاصة بعد إبلاغ الرسول وبيانه للناس أوامر الله ونواهيه.

قوله تعالىٰ :

لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾

لما نزل تحريم الخمر والميسر قال الصحابة : يارسول الله ما تقول في اخواننا الذين مضوا وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر؟ فأنزل الله هذه الآية. وقيل: نزلت في القوم الذين ترهّبوا وحرموا علىٰ انفسهم اللحوم والذين تقدم ذكرهم فبيّن سبحانه أنه لا جناح في تناول المباح مع اجتناب المحرمات. والجناح : بمعنىٰ الإثم « ، « إذا ما اتقوا » شربها بعد نزول التحريم ، ثم اتقوا أي داوموا على الإتقاء والإيمان ، ثم اتقوا بفعل الفرائض واحسنوا بفعل النوافل.

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ

وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

البلاء : الإختبار والإمتحان ، والنعم في اللغة:هي الإبل والبقر والغنم ، والعدل بفتح العين:ما عادل الشيء من غير جنسه ، والعِدل بالكسر:المِثل ، والوبال:ثقل الشيء في المكروه .

ولما تقدم في أولَ السورة تحريم الصيد علىٰ المُحرم مجملاً ، بيّن سبحانه ذلك هنا ليبلونكم الله أي ليختبرنّ الله طاعتكم من معصيتكم بتحريم شيء من الصيد ، واختلف في المعني بالصيد فقيل هو كل الوحوش أُكل أو لم يؤكل وهو مذهب أصحابنا . وقال الشافعي:خصوص ما يؤكل لحمه ، وانتم حرم : أيِ محرمون بحجّ أو عمرة ، أو وأنتم في الحرم ، والآية تدل على تحريم قتل الصيد علىٰ الوجهين معاً فجزاء مثل ما قتل من النعم :واختلف في هذه المماثلة أهي في القيمة أو الخلقة فالذي عليه معظم أهل العلم وهو المروي عن اهل البيت (ع) المماثلة معتبرة في الخلقة ففي النعامة بدنة ، وفي حمار الوحش وشبهه بقرة . وفي الضبي والأرنب شاة ، يحكم به ذوا عدلٍ منكم : قال ابن عباس:يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان منكم أي من اهل ملتكم ودينكم فقيهان عدلان فينظران

الى شبه الأشياء به من النعم فيحكمان به .

« هدياً بالغ الكعبة » أي إذا أتى مكة ذبحه وتصدق به ، والذي عليه اصحابنا إن كان أصاب الصيد وهو محرم بالعمرة ذبح جزاءه او نحره بمكة قبالة الكعبة وإن كان محرماً بالحج ذبحه أو نحره بمنى . أو كفارة طعام مساكين : بأن يقوّم الصيد المقتول حياً ثم يجعل طعاماً ويتصدق به . أو عدل ذلك صياماً : بأن يصوم عن كل مدّ من طعام الكفارة يوماً ، او أن يصوم عن كل مدين يوماً وهو المروي عن أئمتنا (ع) ليذوق وبال امره : بما ليزمه من الجزاء . عفا الله عما سلف : مما وقع أيام الجاهلية أو مما كان من المسلمين الأولين قبل نزول التحريم .

قوله تعالى :

أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾

البحر : جميع المياه بحاراً أو انهاراً ، والسيارة:هم المسافرون . بيّن سبحانه ما يحل من الصيد ومالا يحل . وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً : وهذا يقتضي تحريم الإصطياد في حال الاحرام ، وتحريم اكل ما صاده الغير .

قوله تعالى :

جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

﴿الأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

لما ذكر سبحانه حرمة الحرم عقّبه بذكر البيت الحرام والشهر الحرام . والأشهر الحرم أربعة : واحد فرد وهو رجب ، وثلاثة متصلة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، وكان أهل الجاهلية لا يغزون في الاشهر الحرم ، ويتفرغ الناس فيها إلىٰ معايشهم ، قياماً للناس : أيْ لمعاش الناس ومكاسبهم ، ولما يحصل للناس من حجّ البيت من التجارة وأنواع البركات . والهدي والقلائد : حيث كان الرجل يقلّد بعيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يُخاف ، وكانوا قد توارثوه من دين اسماعيل (ع) فبقوا عليه الىٰ أن قام الاسلام فحجزهم عن البغي والظلم .

قوله تعالىٰ :

﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

لما تقدم بيان الأحكام عقّبه سبحانه بذكر الوعد والوعيد فقال : واعلموا أن الله شديد العقاب : لمَن عصاه ، وأن الله غفور رحيم : لمَن تاب واطاع الله ، وليس علىٰ الرسول إلا أداء الرسالة وبيان الشريعة فأما القبول والإمتثال فهو متعلق بالمكلفين . وفي الآية دلالة على وجوب معرفة العقاب والثواب لكونهما من متعلقات التكاليف .

قوله تعالىٰ :

﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

الخبيث : هو الرديء مأخوذ من خبث الحديد رديئه ، والإعجاب سرور بما يتعجب منه ، والعجب والإعجاب والتعجب من أصل واحد ، والعُجب مذموم . قل : يا محمّد لا يتساوىٰ الحرام والحلال ، أو الكافر والمؤمن . ولو اعجبك أيها السامع كثرة ما تراه من الحرام لأنه لا بركة فيه ، وفي القليل من الحلال بركة . فاتقوا الله : أي اجتنبوا ما حرم الله عليكم يا أُولي الالباب : يا ذوي العقول . لعلكم تفلحون : وتفوزوا بثواب الله العظيم ونعيمه الدائم .

قوله تعالىٰ :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١٠١)

اختلف في سبب نزولها : فقيل سأل الناسُ رسول الله (ص) حتىٰ الحفوا بالمسألة . وقيل :كان قوم يسألون رسول الله (ص) استهزاءً مرة ، وامتحاناً مرة فيقول له بعضهم من أبي ؟ ويقول الآخر اين أبي ؟ ويقول آخر إذا ضلّت ناقته،أين ناقتي فأنزل الله الآية . .

وقيل : خطب رسول الله (ص) فقال : إن الله كتب عليكم الحجّ . فقام عكاشة بن محصن ، وقيل:سراقة بن مالك فقال : أفي كل عام يا رسول الله ؟ فأعرض عنه حتىٰ عاد مرتين أو ثلاثاً ، فقال رسول الله (ص) ويحك وما يؤمنك أن أقول نعم ، والله لو قلت نعم لوجبت ، ولو وجبت ما استطعتم ، ولو تركتم لكفرتم ، فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم ،

واختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه .

وفي الآية خاطب الله المؤمنين ونهاهم عن المسألة عن أشياء لا يحتاجون اليها في الدين ، وإذا أبديت وظهرت ساءتهم وأحزنتهم ، وإلى هذا المعنى أشار امير المؤمنين (ع) في قوله: إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيّعوها وحدد لكمْ حدوداً فلا تعتدوها ، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسياناً فلا تتكلفوها .

قوله تعالى :

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢) مَا جَعَلَ اللَّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣)﴾

البحر : الشق ، وبحرت اذن الناقة إذا شققتها شقاً واسعاً . والسائبة : المتروكة ، سيّبت الدابة ، إذا تركتها تسيّب حيث شاءت والوصيلة الموصولة ، والواصلة:هي التي تصل شعر المرأة بشعر آخر . وفي الآية أخبر سبحانه أن قوماً سألوا مثل سؤالهم فلما اجيبوا إلى ما سألوا كفروا ، وفيها اقوال :

أولها : انهم قوم عيسى (ع) سألوه انزال المائدة ثم كفروا بها .

ثانيها : انهم قوم صالح (ع) سألوه الناقة ثم عقروها وكفروا بها .

ثالثها : انهم قريش حين سألوا النبي محمّداً (ص) ان يحول الصفا ذهباً .

رابعها : انهم كانوا سألوا النبي (ص) عن مثل هذه الأشياء كقولهم : مَن أبي ؟ وأين أبي ؟ فلما أخبرهم بذلك قالوا ليس الأمر كذلك فكفروا به . فان قيل:ما

الذي يجوز أن يُسأل عنه وما الذي لا يجوز ؟ فالجواب : إن الذي يجوز السؤال عنه هو ما يجوز العمل عليه في الأُمور الدينية ، وما لا يجوز العمل عليه في أُمور الدين والدنيا لا يجوز السؤال عنه ، فعلىٰ هذا لا يجوز أن يسأل الإنسان من أبي .

ما جعل الله من بحيرةٍ : يريد ما حرمها الله كما حرمها اهل الجاهلية ، والبحيرة عندهم هي الناقة إذا أنتجت خمسة ابطن وكان آخرها ذكر ، بحروا أُذنها وامتنعوا عن ركوبها ونحرها ، ولا تطرد عن ماء ولا تمنع من مرعىٰ . وقيل في وصف البحيرة غير ذلك .

ولا سائبةٍ : فإن الرجل اذا أراد النذر للقدوم من السفر أو البرء من العلة أو ما شابه ذلك قال : ناقتي سائبة . فكانت كالبحيرة لا ينتفع بها . وقيل هي التي تسيب للأصنام وتعتق لها، وقيل في السائبة غير ذلك .

ولا وصيلةٍ : وهي في الغنم وكانت الشاة عندهم إذا ولدت أُنثىٰ فهي لهم وإذا ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم فإن ولدت ذكراً وأُنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم ، وقيل في الوصيلة غير ذلك .

ولا حامٍ : وهو الذكر من الإبل وكانت العرب إذا انتجت من صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمىٰ ظهره ، فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعىٰ وقيل في معناه غير ذلك . وفي الآية بيّن سبحانه أنه لم يحرم من هذه الأشياء شيئاً . كما أخبر سبحانه بأن الكفار يكذبون علىٰ الله بادعائهم أن هذه الأشياء من أمر الله .

قوله تعالىٰ :

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾

أخبر سبحانه عن الكفار الذين التزموا بالبحيرة والسائبة وغيرها ، ويفترون على الله الكذب من كفار قريش وغيرهم . وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله : من أحكام القرآن واتباع ما فيه ، وتصديق الرسول والإقتداء به ، قالوا حسبنا ـ اي يكفينا ـ ما وجدنا عليه آباءنا . وفي الآية دلالة على وجوب المعرفة وطلب الحق بالحجّة والبرهان لا بالميراث والتقليد .

قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥)

لما بيّن سبحانه حكم الكفار الذين قلدوا آباءهم وأسلافهم وركنوا الى أديانهم عقبه بالأمر بالطاعة وبيان أن المطيع لا يؤاخذ بذنوب العاصي . عليكم انفسكم : أي احفظوا انفسكم والزموا انفسكم بما ألزمكم الله به ولا يضركم ضلال من ضل من آبائكم وغيرهم إذا كنتم مهتدين . والآية لا تدل على جواز ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بل تؤكد أن المطيع لربه لا يؤاخذ بذنوب العاصي ، وهي أيضاً تؤكد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد يستفاد منها الإقتصار على اهتداء النفس في حال التقية ، وفي حال وجود مفسدة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أومع العلم بعدم تأثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وفي الآية دلالة على فساد قول من قال : إن الله يعذب الأطفال بذنوب الآباء ، ويعذب الميّت ببكاء الحي .

قوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ

اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي
الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ
فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ
وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾

لما قدم الأمر بالرجوع الىٰ ما أنزل سبحانه ، عقبه بذكر هذا الحكم ، شهادة بينكم : الشهادة الشرعية التي تقام بها الحقوق عند الحكام ، وقيل في معنى الشهادة معان أخر ، والأول أولىٰ وأليق بالآية . ذوا عدل منكم : أي من أهل دينكم ، أو آخران من غيركم : من غير اهل دينكم إن لم تجدوا شاهدين منكم ، وذلك إذا بدت عندكم امارات الموت وأنتم في السفر ولم تجدوا من يشهد علىٰ وصيتكم من المسلمين فلا بأس بشهادة الذميين وقد اختلف الفقهاء في ذلك فمنهم من منعها مطلقاً ، ومنهم من جوزها مطلقاً ومنهم من منعها في الحضر وجوزها في السفر .

تحبسونهما من بعد الصلاة : أي توقفون الشاهدين لأداء الشهادة . والخطاب هنا للورثة أو للقاضي ، فإن أرتبتم في شهادتهما أو شككتم أو خشيتم أن يكونا قد غيّرا أو بدّلا أو خانا فيحلفان بالله لا نشتري بتحريف الشهادة ثمناً ولو كان المشهود له ذا قربى ، ولا نكتم شهادة الله ، أي شهادة ألزمنا الله بأدائها ، ولئن كتمنا وفعلنا ذلك ؛ إنا إذاً لمن الآثمين .

قوله تعالىٰ :

فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ

اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

ثم بيَّن سبحانه الحكم الشرعي بعد ظهور الخيانة من الوصيين أو الشاهدين اذا استوجبا إثماً بايمانهما الكاذبة وخيانتهما **فآخران يقومان مقامهما** : أي مقام الشاهدين أو مقام الوصيين ، فيقسمان : أي الشاهدين الآخرين ويقولان في قسمهما : لشهادتنا في وصية صاحبنا أحق بالقبول والصدق من شهادتهما ، وما اعتدينا : أي ما جاوزنا الحق فيما طلبنا وقلنا وإن اعتدينا،إنا إذاً لظالمين .

ثم بيَّن سبحانه وجه الحكمة في استحلاف اليهود والذميين **فقال** (ذلك) أي تحليفهم أدنىٰ وأقرب الى : أن يأتوا بالشهادة علىٰ وجهها ولا يكتمون منها شيئاً ولأنهم يخافون أن تُرد اليمين الى أولياء الميّت بعد أيمانهم فتثبت خيانتهم وكذبهم فيفتضحون ، واتقوا الله : أن تحلفوا ايماناً كاذبة ، أو تخونوا أمانة .

قوله تعالىٰ :

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾

والمعنىٰ اتقوا عقاب يوم يجمع الله فيه الرسل ويشهد الرسل فيه علىٰ قومهم لمَن اجابهم وعلىٰ مَن رد عليهم وفي هذه الآية دلالة علىٰ اثبات المعاد والحشر والنشر .

قوله تعالىٰ :

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾

إذ قال الله : معناه إذ يقول الله في الآخرة ، وروح القدس هو جبرائيل (ع) وإذ علّمتك الكتاب : قيل الكتابة يعني الخط ، والحكمة : العلم والشريعة والتوراة والإنجيل واذكر إذ تصور الطين كهيئة الطير باذني وأمري وإنه إذا نفخ المسيح فيها قلبها الله لحماً ودماً وخلق فيها الحياة فصارت طائراً بإذن الله وإرادته لا بفعل المسيح ، وتبريء : أي تصحح الأكمه الذي وُلد اعمىٰ والأبرص الذي استحكم به البرص ، واذكر إذ تدعوني فأحيي الموتىٰ عند دعائك ، وأخرجهم من القبور حتىٰ يشاهدهم الناس احياءً ، وإذ كففت بني اسرائيل عنك : أي عن قتلك وإيذائك مع كفرهم وعنادهم .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓا ءَامَنَّا وَاشْهَدْ

بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾

الوحي القاء المعنى الى النفس على وجه خفي ، وقد يكون بواسطة ملك ينقل الوحي وقد يكون بمعنى الإلهام ، وفي الآية بيَّن سبحانه تمام نعمه على عيسى (ع) . وإذ أوحيت : أي واذكر إذ الهمت الحواريين ، وقيل بمعنى: القيت اليهم بالآيات والحواريون هم وزراء عيسى وانصاره ، فأوحيت لهم أن صدقوا بي وبصفاتي وبعيسى انه عبدي ونبيّي ، قال الحواريون آمنا وصدقنا وأشهد يا ربنا بأننا مسلمون .

قوله تعالى :

إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

أخبر سبحانه عن الحواريين وسؤالهم ، وليس في قولهم : هل يستطيع ربك . . . شك في قدرة الله ، وإنما هو بمعنى هل يفعل ربك إذا سألته ذلك ليكون شاهداً على صدقك مؤيداً لدعوتك ، وقيل: إن ذلك كان من الحواريين قبل أن يستكمل إيمانهم وتستحكم معرفتهم بالله سبحانه ، أو أنهم أرادوا أن يزدادوا إيماناً ويقيناً ، ولذلك حكى عنهم سبحانه : وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا : بأنك رسول الله .

قوله تعالىٰ :

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾

العيد : اسم لما عاد اليك من شيء في وقت معلوم . وفي الآية أخبر سبحانه عن سؤال عيسىٰ (ع) إياه ، لأولنا وآخرنا : أي يأكل من المائدة آخر الناس كما يأكل أولهم ، أو بمعنىٰ لأهل زماننا ولمَن يجيء بعدنا . وآيةً منك : دلالة منك عظيمة تشد قلوب العباد الىٰ الإقرار بالحق والإعتراف بتوحيدك وصدق نبيك .

واختلف العلماء في المائدة هل نزلت أم لا ؟ والصحيح أنها نزلت وأنها نزلت يوم الأحد ولذلك اتخذه النصارىٰ عيداً واختلفوا في كيفية نزولها وما عليها فروي عن عمار بن ياسر عن النبي (ص) قال : نزلت المائدة خبزاً ولحماً . وقيل كان عليها ثمر من الجنة ، وفي تفسير أهل البيت (ع) كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها ويأكلون منها ثم ترتفع ، فقال كبراؤهم ومترفوهم لا ندع سفلتنا يأكلون منها معنا ، فرفع الله المائدة ببغيهم ومسخوا قردة وخنازير .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ

إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ
أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ
أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ
فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

عطف سبحانه على ما تقدم من أمر المسيح فقال : وإذ قال الله : والمعنى إذ يقول الله يوم القيامة لعيسى : يا عيسى بن مريم .... وإن خرج مخرج الإستفهام فهو تقريع وتهديد لمَن ادعى ذلك عليه من النصارى ، وفيه معنى أن يكون تعالى أراد تعريف عيسى أن قوماً اعتقدوا فيه وفي أمه أنهما إلهان ، أو أنهم لما عظموهما تعظيم الآلهة اطلق اسم الآلهة عليهما كما اطلق اسم الرب على الرهبان والأحبار في قوله : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله ، (قال) يعني عيسى (ع) قال سبحانك : أي جل جلالك وتنزيهاً لك وبراءة من كل قول لا يجوز عليك . ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق : وأنا عبد مثل باقي عبيدك ، وانما تحق العبادة لك وحدك ، فلما توفيتني : أي قبضتني اليك ، أو بمعنى الرفع الى السماء . والتوفي : لا يستفاد من اطلاقه الموت بل يأتي بمعنى الموت وبمعنى الإستيفاء والأخذ ، والمعنى الأخير هو المعوّل عليه .

قوله تعالى :

قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن

تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

لما بيّن سبحانه بطلان ما عليه النصارى قال : هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم يعني ما صدقوا فيه في دار الدنيا لأن يوم القيامة لا تكليف فيه على احد ولا يخبر فيه إلا بالصدق ولا ينفع الكفار صدقهم في يوم القيامة إذا أقروا على أنفسهم بسوء أعمالهم ، وقيل: بتصديقهم لرسل الله تعالى وكتبه ، رضي الله عنهم : بما فعلوا ، ورضوا عنه بما اعطاهم من الجزاء والثواب ثم نزّه سبحانه نفسه مما قالت النصارى أن معه إلها فقال : لله ملك السموات والأرض وما فيهنّ .

تمت ولله الحمد سورة المائدة وتفسيرها

سورة الأنعام

مكية : عن ابن عباس غير ست
آيات (وما قدروا الله حق قدره. . .) إلى
آخر ثلاث آيات . و (قل تعالوا اتل ما
حرم ربكم عليكم . . .) الى آخر ثلاث
آيات .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ
ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ
ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢)

بدأ الله تعالى هذه السورة بالحمد لنفسه إعلاماً بأنه المستحق لجميع المحامد. الحمد لله الذي خلق السموات والارض : يعني اخترعهما بما اشتملا عليه من عجائب الصنعة وبدائع الحكمة ، وجعل الظلمات والنور : يعني الليل والنهار ، وقيل الجنة والنار . ثم الذين كفروا بربهم يعدلون : أي الذين جحدوا الحق يسوون بالله غيره ، أو يعدلون أي يشركون ، هو الذي خلقكم من طين : انشأ أباكم آدم واخترعه من طين وانتم من ذريته ، ثم قضى أجلاً ، أي كتب وقدر أجلاً . والقضاء يكون بمعنى الحكم ، وبمعنى الأمر ، وبمعنى الخلق ، وبمعنى الإتمام والإكمال . واجل مسمى : فيه اقوال منها : أنه تعالى يعني بالأجلين اجل

الحياة الى الموت وأجل الموت الىٰ البعث وقيام الساعة . أو بمعنىٰ أن قوله قضىٰ أجلاً عنى به النوم يقبض الروح فيه ثم يرجع الى صاحبه عند اليقظة ، وأجل مسمى عنده هو أجل موت الإنسان . ثم انتم تمترون : خطاب للكفار الذين شكّوا في البعث والنشور ، ومن قدر علىٰ ابتداء الخلق فلا ينبغي أن يشك في أنه يصح منه اعادتهم وبعثهم .

قوله تعالىٰ :

وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

والمعنى : وهو المتفرد بالإلهية في السماوات والأرض لا إله فيهما غيره ولا مدبر لهما سواه ويعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون أي يعلم نيّاتكم وأحوالكم وأعمالكم .

قوله تعالىٰ :

وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾

أخبر سبحانه عن الكفار المذكورين في أول الآية بأنهم لا تأتيهم حجّة من حجج ربهم وبيناته كآيات القرآن وغير ذلك من المعجزات إلا كانوا عنها معرضين : لا يقبلونها ولا يستدلون بها علىٰ توحيد الله وصدق رسوله . فقد كذبوا بالحق لما جاءهم : به محمّد (ص) من القرآن وسائر أحكام الدين وتعالميه .

قوله تعالىٰ :

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾

حذَّر سبحانه الكفار ما نزل بالأُمم قبلهم حين مكَّن لهم الله وجعل منهم ملوكاً وأغنياء ، وأطال أعمارهم وأنزل عليهم الغيث من السماء مدراراً وجعل الأنهار تجري من تحتهم ، فلما طغوا واجترأوا علىٰ الله لم تغن عنهم كل تلك الأمور شيئاً فأهلكناهم بذنوبهم . وفي هذه الآية دلالة علىٰ وجوب التفكر والتدبر ، واحتجاج علىٰ منكري البعث بأن من أهلك من قبلهم وانشأ قوماً آخرين قادر علىٰ أن يفني العالم وينشيء عالماً آخر .

قوله تعالىٰ :

وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾

روي أنها نزلت في نضر بن الحرث وعبدالله بن أبي أُمية ونوفل بن خويلد قالوا : يا محمّد لن نؤمن لك حتىٰ تأتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من عند الله وأنك رسوله . وفيها أخبر سبحانه عن عناد الكفار والمنافقين : ولو نزلنا عليك ـ يا محمّد ـ كتاباً في قرطاس : أي في صحيفة أوكتاباً معلقاً من السماء الىٰ الأرض فلمسوه بأيديهم : ورأوه معاينة لقال الذين كفروا إن

هذا إلا سحر مبين : أي أنهم حتى لو جاءهم الدليل المدرك بالحس لجرهم عنادهم إلى الإنكار ولقالوا ذلك سحر .

قوله تعالى :

وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا
يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم
مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا
مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

لبست الأمر على القوم إذا شبّهته عليهم وجعلته مشكلاً ، وفيها أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار وأنهم قالوا (لولا) أي هلاّ (أنزل عليه ملك)أي على محمّد نشاهده فنصدقه وأكد سبحانه عن عظيم عنادهم ، ولو أنزلنا ملكاً : على ما طلبوا واقترحوا لما آمنوا به ، ولاقتضت الحكمة استئصالهم وأن لا ينظرهم ولا يمهلهم .

ولو جعلناه ملكاً : أي لو جعلنا الرسول ملكاً لجعلناه رجلاً ، لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته ، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الأنس وكذلك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب واتيانهم ابراهيم ولوطاً في صورة الضيوف ، ولقد أُستهزىء برسل من قبلك : تسليةٌ لنبيه من تكذيب المشركين إياه واستهزائهم به ، فحاق بهم العذاب الذي كانوا يسخرون من وقوعه .

قوله تعالى :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾

خاطب سبحانه نبيّه (ص) قل ـ يا محمّد لهؤلاء الكفار ـ سيروا في الأرض : وتبصّروا وتفكروا ، كيف كان عاقبة المكذبين : من الأمم السابقة وما أصابهم من الخسف والهلاك ، ثم قل يا محمّد لهؤلاء الكفار عمّا في السماوات والأرض : الله خلقهما أم الأصنام ؟ فإن أجابوك واعترفوا بأن الذي خلقهما هو الله ، وإلا فقل لهم انت : ان الذي خلقهما هو الله الذي كتب على نفسه الرحمة وأوجبها لجميع خلقه حيث منحهم فرصة التدبر والتفكر وتدارك ما فرطوا فيه أو بمعنى أوجب على نفسه الرحمة لأمة محمّد (ص) بأن لا يعذبهم مباشرة عند التكذيب كما عذب من قبلهم من الأمم الماضية ، بل يؤخرهم الى يوم القيامة ، وفي ذلك فسحة لهم إلى التوبة والرجوع . الذين خسروا انفسهم : أي اهلكوها بارتكاب الكفر والعناد .

قوله تعالى :

قُلْ أَغَيْرَ اللّٰهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾

الفطرة إبتداء الخلقة ، قيل:أن أهل مكة قالوا لرسول الله (ص) يا محمّد تركتَ ملة قومك وقد علمنا أنه لا يحملك على ذلك إلا الفقر ، فانا نجمع لك من أموالنا حتى تكون من أغنانا ، فنزلت الآية (قل) يا محمّد لهؤلاء المشركين لا

أتخذ غير الله ولياً ، فاطر السماوات والأرض : أي خالقهما ومنشئهما من غير احتذاء على مثال ، وهو يُطعِم ولا يُطعَم : أي يرزقُ الخلق ولا يرزقه أحد . قل : يا محمّد أمرني ربي أن أكون أول من أسلم ، واستسلم لأمر الله وأخلص العبادة له .

قوله تعالىٰ :

مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾

من يصرف عنه : العذاب فقد رحمه الله ، وقد يكون المعنى أنه لا يصرف العذاب عن أحدٍ إلا برحمة الله ، كما روي أن النبي (ص) قال والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنة بعمله . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل ، ووضع يده على رأسه . وطوّل به صوته . أي ما من أحد يستغني بعمله عن رحمة الله تعالىٰ فلا بد مع العمل من لطف الله ورحمته ، والعمل الصالح هو الموصل لرحمة الله .

قوله تعالىٰ :

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

بيّن سبحانه أنه لا يملك النفع والضرر إلا هو من فقر أو مرض أو مكروه لا مزيل له ولا مفرج عنه إلا هو . وهو القاهر فوق عباده : بما تقتضيه الحكمة وهو الخبير العالم بكل شيء .

قوله تعالى :

قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)

قال الكلبي : أتى أهل مكة إلى رسول الله (ص) فقالوا : أما وجد الله رسولاً غيرك ؟ ما نرى أحداً يصدقك فيما تقول ، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ، فأرِنا مَن يشهد أنك رسول الله كما تزعم . فأنزل الله تعالى هذه الآية . (قل) يا محمّد لهؤلاء الكفار « أي شيء أكبر شهادة » وأصدق حتى آتيكم به ليشهد لي بالبلاغ وعليكم بالتكذيب ، فإن أذعنوا وقالوا الله ، فقل لهم « الله شهيد بيني وبينكم » أي يشهد لي بالرسالة والنبوة، ويشهد لي بالتبليغ وعليكم بالتكذيب « لأنذركم به ومَن بلغ » أي لأخوفكم من عذاب الله وانذر جميع من بلغه القرآن الى يوم القيامة ، وقد روي أن من بلغه القرآن فكأنما رأى محمّداً وسمع منه . قل لهم يا محمّد على سبيل الإستنكار عليهم : أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهةً أُخرى : وتقديره كيف تشهدون مع الله آلهة أُخرى بعد وضوح الأدلة على وحدانية الله ، وقل لهم يا محمّد لا اشهد بمثل ما تشهدون بأن لله شريكاً إنّما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون .

قال أبو حمزة الثمالي لما قدم النبي (ص) المدينة قال عمر لعبدالله بن

سلام : إن الله تعالىٰ أنزل علىٰ نبيّه (ص) أن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم كيف هذه المعرفة ؟ قال عبدالله بن سلام:نعرف نبي الله بالنعت الذي نعته الله إذا رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه بين الغلمان وأيم الله الذي يحلف به ابن سلام لأنا بمحمّد أشد معرفة منّي بأبني . فقال له كيف ؟ قال عبدالله : عرفته بما نعته الله لنا في كتابنا فأشهد أنه هو ،فأما إبنـي فاني لا ادري ما احدثت أمه. فقال : قد وفّقت وصدقت وأصبت .

قوله تعالىٰ :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾

بيّن سبحانه ما يلزم الكفار والمشركين من التوبيخ والإستهجان لأفعالهم وأنه لا أحد أظلم ممّن كذب علىٰ الله وادعىٰ علىٰ الله ان له شريكاً والظالم ههنا هو الكافر المكذب بنبـوة محمّد (ص) .

قيل:إن المشركين كانوا يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم عند الله ، فقيل لهم يوم القيامة:اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون أنها تشفع لكم توبيخاً لهم بما كانوا يدّعون . ومعنىٰ تزعمون تكذبون ، قال ابن عباس: وكلُّ زعم في كتاب الله كذب .

قوله تعالىٰ :

ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انْظُرْ

﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾

بيّن سبحانه جواب الكافرين والمشركين عند توجه التوبيخ اليهم ، والفتنة ههنا بمعنى الشرك والافتتان بالأوثان ، وجواب القوم وحلفهم ما كنا مشركين لأن المشركين في الدنيا يعتقدون كونهم مصيبين فيحلفون على هذا في الآخرة . وضل عنهم ما كانوا يفترون : أي ضلت عنهم أوثانهم فذهبت عنهم في الآخرة ولم ينتفعوا بها كما كانوا يكذبون .

قوله تعالى :

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

الأكنّة: جمع كنان وهو ما وقى شيئاً وستره ، والوقر: الثقل في الآذان وأساطير : واحدتها اسطورة مأخوذ من سطر الكتاب .

قيل: إن نفراً من مشركي مكة منهم النضر بن الحارث وأبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة واخوه شيبة وغيرهم جلسوا الى رسول الله (ص) وهو يقرأ القرآن ، فقالوا للنضر ما يقول محمّد ؟ فقال: اساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية فأنزل الله هذه الآية ، حيث وصف فيها حال الكفار والمشركين عند استماعهم القرآن ، وجعلنا على قلوبهم اكنّة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً .

فقد روي أن النبي (ص) كان يصلّي بالليل ويقرأ القرآن في الصلاة جهراً

رجاءً أن يستمع الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويؤمن به ، فكان المشركون إذا سمعوه أذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة فكان الله تعالى يلقي عليهم النوم ، أو يجعل في قلوبهم أكنّة ليقطعهم عن مرادهم ، وذلك بعد ما بلّغهم وأقام عليهم الحجّة وبعدما علم الله أنهم لا ينتفعون بسماعه ولا يؤمنون ، وكان همّهم الوقوف بوجه الدعوة الإسلامية .

يقول الذين كفروا إن هذا إلا اساطير الأولين : أي إن هذا القرآن ما هو إلا أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها ، وقيل معنى الأساطير:الترهات وكان من جملة اعتراضاتهم ومجادلاتهم قولهم: أتأكلون ما تقتلونه بأيديكم ولا تأكلون ما قتله الله ؟ أي تأكلون ما تذكونه وتذبحونه بأيديكم من الأنعام ولا تأكلون ما يموت منها وقد أماته الله ، غير ملتفتين الى ما في تشريع التذكية من فوائد وما في الميتة من مضار .

قوله تعالى :

وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾

النأي : البعد . وفي الآية بيّن سبحانه حال الكفار في بعدهم عن الحق وإصرارهم على حرب الله ورسوله، فهم ينهون الناس عن اتباع النبي(ص) ويتباعدون عنه لئلا يقع أثر القرآن وأقوال الرسول في قلوب الناس وقلوبهم .

قوله تعالى :

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ

﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢٨)

بين سبحانه ما ينال هؤلاء الكفار يوم القيامة من الحسرة وتمني الرجعة فقال : ولو ترى ـ يا محمّد أو يا أيها السامع ـ إذ وُقفوا على النار : أي حين عاينوا النار أو حين دخلوها جزاء كفرهم ، وحينها عرفوا مقدار عذابها فندموا على كفرهم بالله ، فقالوا يا ليتنا نرد الى الدنيا ، ولا نكذب بآيات ربنا ، أي بكتب ربنا ورسله ، ونكون من المؤمنين : بآيات الله . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل : أي ما كان يخفيه علماؤهم ، أو ما كان يخفيه الكفار من اعمالهم فاظهره الله وشهدت به جوارحهم فظهرت فضيحتهم وتهتكت استارهم : ولو رُدّوا لعادوا لما نُهوا عنه : أي لو رُدوا الى الدنيا وإلى حال التكليف لعادوا الى الكفر وتكذيب الرسول .

قوله تعالى :

﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ (٢٩) ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (٣٠)

أخبر سبحانه عن الكفار وانكارهم للبعث والنشور والحساب . ثم خاطب سبحانه النبي ، « ولو ترى . . . » يا محمّد « إذ وقفوا على ربهم » أي إذ عرفوا ربهم بداهة وأوقفوا على ما وعدهم ربهم من عذاب الكفار وثواب المؤمنين ، وعرفوا صحة ما أخبر به من الحشر والحساب ، والله أو ملائكته بأمر من الله يخاطب الكفار . أليس هذا بالحق : من الجزاء والحشر والحساب فيكون جواب

الكفار ، بلى وربنا : فقد اكّدوا اعترافهم بالقسم بالله ، قال ـ الله تعالىٰ ـ « فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » .

قوله تعالىٰ :

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

البغتة ما جاء فجأة ، والحسرة شدة الندم ، والتفريط التقصير بخلاف الإفراط فهو التقديم ومجاوزة الحدّ والاعتدال ، والعقل والنهىٰ والحجىٰ متقاربة المعنىٰ . وفي الآية أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار : حتىٰ إذا جاءتهم الساعة ـ أي القيامة ـ جاءتهم فجأة من غير أن يعلموا وقتها .

وبعد معاينة ذلك اليوم وأهواله وتباين أحوال أهل الثواب والعقاب ، (قالوا يا حسرتنا علىٰ ما فرطنا فيها) أي علىٰ ما تركنا وضيعنا في الدنيا بتركنا تقديم أعمال الآخرة ، وهم يحملون أوزارهم علىٰ ظهورهم : اي أثقال ذنوبهم وآثامهم وخطاياهم .

روي : أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورةً وأطيبه ريحاً فيقول : أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني أنت اليوم . فذلك قوله : « يوم نحشر المتقين الىٰ الرحمٰن وفدا » . أي ركباناً ، وأن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شيء صورة وأخبثه ريحاً فيقول : أنا عملك السيّء طالما

ركبتني في الدنيا فانا أركبك اليوم وذلك قوله : « وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم » . ألا ساء ما يزرون : أي بئس الحمل حملهم ، ثم رد سبحانه عليهم قولهم : ما هي إلا حياتنا الدنيا . . . فقال تعالى : « وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو » . . . أي باطل وغرور إذا لم تجعل طريقاً للآخرة . وفي هذه الآية تسلية للفقراء بما حرموا من متاع الدنيا ، وتقريع للأغنياء إذا ركنوا إلى الدنيا ونسوا الله وأمر الآخرة .

قوله تعالى :

قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾

تسلية منه سبحانه لنبيه (ص) على تكذيب الكفار إياه ، وقولهم إنه شاعر مجنون وغير ذلك من افتراءات الكفار وأقوالهم على رسول الله (ص) . ثم أكد سبحانه أن الكفار لا يكذبون النبي بقلوبهم ولكنهم يظهرون التكذيب عناداً .

قال السّدي : التقى أخنس ابن شريق وأبو جهل ابن هشام فقال له يا أبا الحكم : أخبرني عن محمّد أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ههنا أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا . فقال أبو جهل : ويحك والله إن محمّداً لصادق ، وما كذب قط ، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش ؟ . وقيل في معناه : لا يكذبونك . . بحجّة وبرهان ولا يتمكنون من

ابطال ما جئت به من أدلة وبراهين . وأمر الله نبيه بالصبر على كفار قومه كما صبر الأنبياء والرسل من قبله حين كُذبوا وأوذوا وعُذّبوا ، وأنه سبحانه اخبر رسوله (ص) ببعض اخبار الرسل وأحوال أممهم معهم .

قوله تعالىٰ :

وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾

كبر : أي عظم واشتد عليك اعراضهم : أي انصرافهم عن الإيمان ، فإن استطعت أي قدرت وتهيأ لك أن تتخذ نفقاً في الأرض ، أو مصعداً في السماء ، فتأتيهم بآية : أي حجّة تلجئهم الى الإيمان وتجمعهم على ترك الكفر فافعل ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدىٰ ، بالإلجاء والإجبار ، ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك لأنه ينافي التكليف ويسقط استحقاق الثواب الذي هو الغرض من التكليف ، ولأنه سبحانه يريد أن يكون ايمانهم على الوجه الذي يستحقون به الثواب .

فلا تكونن من الجاهلين : وهذا نفي للجهل عنه أي لا تكن جاهلاً بعد أن أتاك العلم بأحوالهم ، وأنهم لا يؤمنون ، ولا تجزع ولا تتحسر لكفرهم وإعراضهم عن الإيمان ، إنّما يستجيب الذين يسمعون : إنما يستجيب الىٰ

الإيمان بالله وما أنزل اليك من يسمع كلامك ويصغي اليك والى ما تقرأه من القرآن وان مَن لم يتفكر ولم يستدل بالآيات فهو بمنزلة مَن لم يسمع . والموتىٰ يبعثهم الله : وإن هؤلاء الذين لا يصغون اليك ولا يتدبرون ما تقرأه عليهم بمنزلة الموتىٰ ، فكما أيست أن تسمع الموتىٰ كلامك إلىٰ أن يبعثهم الله فكذلك فأيس من هؤلاء أن يستجيبوا لك ، وقالوا لولا نزّل عليه آية من ربه : هذا إخبار عن رؤساء قريش لما عجزوا عن معارضته اقترحوا عليه مثل آيات الأولين كعصا موسىٰ وناقة ثمود ، وقد أنزل الايات الدالة علىٰ نبوته من القرآن ، والمعجزات الباهرات التي شاهدوها ولو تدبروا وحققوا النظر لعرفوا صدقه وصحة نبوته .

قوله تعالىٰ :

وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾

الدابة:كل ما يدب من الحيوان ، وهو المشي المتقارب:الخطو ، وفي الآية ذكر سبحانه ما يدل على كمال قدرته وحسن تدبيره وحكمته ، وأن جميع دواب الأرض وأطيار السماء ما هي إلا أُمم امثالكم ، في إبداع الله لها ودلالتها علىٰ أن لها صانعاً ، وحاجة الجميع الى مدبر يدبر امورها، وبيّن سبحانه انه لا يجوز للعباد أن يتعدوا في ظلم شيء منها فإن الله خالقها والمنتصف لها .

ما فرطنا في الكتاب من شيء : لأنه سبحانه ذكر في القرآن جميع ما يحتاج

اليه الناس من أمور الدنيا والدين، إما مجملاً أو مفصلاً، وقيل: المراد بالكتاب ههنا الكتاب الذي هو من عند الله المشتمل على ما كان ويكون، وهو اللوح المحفوظ وفيه الآجال والأرزاق.

والذين كذبوا بآياتنا صمّ وبكمٌ في الظلمات: في ظلمات الكفر والجهل لا يهتدون الى شيء من منافع الدين. مَن يشأ الله يضلله: هذا مجمل قد بيّنه سبحانه في قوله وما يضل به إلا الفاسقين ويضل الله الظالمين. ومن يشأ يجعله على صراطٍ مستقيم: أي ومَن يشأ أن يرحمه ويهديه الى الجنة يجعله على الصراط الذي يسلكه المؤمنون الى الجنة.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قولـه تعالىٰ:

قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾

أمر سبحانه نبيّه بمحاجة الكفار، قل: يا محمّد لهؤلاء الكفار ان آلهتهم وأوثانهم لا يدفعون عنهم الضر، وإن أولئك الكفار إذا لحقتهم الشدائد يتضرعون اليه، فيكشف ما تدعون اليه إن شاء: أي يكشف الضر، وتنسون ما تشركون: أي تتركون دعاء ما تشركون من دون الله.

قولـه تعالىٰ:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ

لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن
قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟
مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟
أَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ
ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾

البأساء : البأس والخوف ، والضراء : من الضرر ، والتضرع : التذلل ، والمبلس ، الشديد الحسرة ، وقيل: المبلس المنقطع الحجة .

أعلم الله سبحانه نبيّه بحال الأمم الماضية في مخالفة رسله ، وبيّن أن حال المتأخرين إذا سلكوا طريق المخالفة كحالهم في نزول العذاب بهم ، فأخذناهم بالبأساء والضراء ، من الفقر والبؤس والأسقام والأوجاع ، لعلّهم يتضرعون : أي لكي يتضرعوا ويتوبوا الى الله من كفرهم ، فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا : أي فلم يتضرعوا حينما جاءهم بأسنا ، ولكن قست قلوبهم : فأقاموا على كفرهم فلم تنفع فيهم العظة ، فلما نسوا ما ذكروا به : أي تركوا ماوعظوابه وتركوا ما دعاهم اليه رسلهم ، فتحنا عليهم أبواب كل شيء : أي كل نعمة وبركة من السماء والأرض وذلك أنه سبحانه امتحنهم بالشدائد لكي يتضرعوا أو يتوبوا فلما تركوا ذلك فتح عليهم ابواب النعم والتوسعة في الرزق ، وأن الدعاء الى الطاعة يكون تارة بالعنف وتارة باللطف ، وحين لم يشكروا نعم الله ولم يعترفوا بأن تلك النعم منه سبحانه . أخذناهم بغتة : أي أحللنا بهم العقوبة مفاجأة من حيث لا يشعرون . فإذا هم مبلسون : أيسون من النجاة والرحمة أذلة خاضعين ، وروي

عن النبي (ص) أنه قال : إذا رأيت الله تعالى يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج منه ، ثم تلا هذه الآية ، وروي عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه قال : يا ابن آدم إذا رأيت ربك يتابع عليك نعمه فاحذره ، فقُطع دابر القوم الذين ظلموا : أي استؤصل الذين ظلموا بالعذاب فلم يبقَ لهم عقب ولا نسل ، والحمد لله رب العالمين : على إهلاك اعدائه وإعلاء كلمة رسله .

قوله تعالى :

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾

وفيها أكد سبحانه في الإحتجاج على الكفار فقال : قل ـ يا محمد لهؤلاء الكفار ـ أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم : أي ذهب بها فصرتم عُمياً ، وختم على قلوبكم : أي طبع عليها ، وقيل: ذهب بعقولكم وسلب عنها التميز ، وإنما خص هذه الأشياء بالذكر لأن بها تتم النعمة دنياً وديناً .

قوله تعالى :

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

الخزائن جمع الخزانة : وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء . وفي الآية أمر الله النبيّ (ص) أن يقول لهم بعد اقتراحهم الآيات منه إني لا أدّعي الربوبية وإنما أدّعي النبوة ، ولا أقول لكم إني ملك : لأني انسان تعرفون نسبي . إن اتبع إلا ما يوحىٰ اليَّ : أي لا أُخبركم إلا بما أنزل الله اليّ . قل ـ يا محمّد لهؤلاء الكفار ـ هل يستوي الأعمىٰ والبصير : أي هل يستوي العارف بالله سبحانه العالم بدينه مع الجاهل بالله وبدينه ، فجعل الأعمىٰ مثلاً للجاهل، والبصير مثلاً للعارف بالله وبرسله .

قوله تعالى :

وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾

وبعد تقديم البيّنات أمر سبحانه بالإنذار ، وأنذر به : أي عِظ وخوّف بالقرآن وبالله سبحانه ، الذين يخافون الحشر ، دون غيرهم ، وهو ينذر جميع الخلق لأن الذين يخافون الحشر الحجّة عليهم أوجب لإعترافهم بالمعاد . ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع: أعلم الله عز اسمه اهل الكفر أنه ليس لهم من دون الله ولي. ولا شفيع

لأن شفاعة الأنبياء وغيرهم للمؤمنين إنما تكون باذن الله لقوله سبحانه : مَن ذا الذي يشفع عنده إلا باذنه .

قوله تعالىٰ :

وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٥٣﴾

روي عن ابن مسعود قال : مر الملأ من قريش على رسول الله (ص) وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمّد : أرضيت بهؤلاء من قومك ؟ أفنحن نكون تبعاً لهم ؟ أهؤلاء الذين منَّ الله عليهم ؟ إطردهم عنك فلعلك إن طردتهم إتبعناك ، فأنزل الله تعالىٰ ولا تطرد . . . فأعلم الله رسوله أن ذلك غير جائز ، ثم أخبر سبحانه أنه يمتحن الفقراء بالأغنياء والأغنياء بالفقراء فقال : وكذلك فتنّا بعضهم ببعض . . وفتنّا: شدَّدنا التكليف علىٰ اشراف العرب بأن أمرناهم بالإيمان وبتقديمهم هؤلاء الضعفاء علىٰ نفوسهم لتقدمهم عليهم بالإيمان ، وهذا امر شاق عليهم فلذالك سمّاه الله فتنةً:أي امتحاناً .

قوله تعالىٰ :

وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ

وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾

أختلف فيمَن نزلت فيه هذه الآية،فقيل:نزلت في الذين نهىٰ الله نبيّه عن طردهم وكان النبي (ص) إذا رآهم بدأهم بالسلام ، وقيل:نزلت في جماعة من الصحابة منهم حمزة وجعفر ومصعب بن عمير وعمار وغيرهم ، وقيل:نزلت في التائبين،وفي الآية أمر سبحانه بتعظيم المؤمنين المصدقين بآيات الله وحججه ، وبشّرهم بأن : كتب ربكم على نفسه الرحمة : أي أوجبها ، وأنه مَن عمل منكم سوءً بجهالة : أي جاهلاً لما فعله من مكروه ولم يعلم ان عاقبته مكروها ، ثم تاب من بعده وأصلح أي رجع عن جهله وعن ذنبه ولم يُصر علىٰ ما فعل وأصلح عمله ، فإنه غفور رحيم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾

عطف علىٰ الآيات التي احتجّ بها سبحانه علىٰ مشركي مكة وغيرهم . نفصل الآيات : وهي الحجج والدلالات ونبيّنها ونشرحها ، ولتستبين سبيل المجرمين : أي ليظهر ويتضح طريق المجرمين فيبتعد المؤمنون عن المجرمين وسبيلهم ويسلكوا غير طريق المجرمين .

قوله تعالى :

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾

وهنا أمر سبحانه نبيّه بأن يُظهر البراءة مما يعبد المشركون ولا يتبع أهواءهم

في طرد المؤمنين الضعفاء ، وانّ سلوك المهتدين النبيين هو مجانبة الكفار والمشركين ومصاحبة الأبرار المؤمنين .

قوله تعالىٰ :

﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۝٥٧ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ۝٥٨﴾

لما أمر الله نبيّه (ص) بأن يتبرأ مما يعبدون عقب ذلك بذكر حجّة الرسول وأنه على بينة ، وأن الكفار لا حجّة لهم ولا بيّنة ، وأن مع الرسول حجج وبيّنات ومعاجز ، (قل) يا محمّد لهؤلاء الكفار إني على بينة من ربي. وكذبتم به، ما عندي ما تستعجلون به : من العذاب الذي تطلبونه ، وقيل:هي الآيات التي اقترحوها عليه ، يقص الحق : أي يفصل الحق من الباطل ويقص الحق أي يقوله ويخبر به ، وفي الآية دلالة على أنه سبحانه إنّما يؤخر العقوبة لمصالح براها إما لإتاحة الفرصة للكفار والعصاة بأن يؤمنوا أو غير ذلك .

قوله تعالىٰ :

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٥٩ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم

بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾

التوفي : قبض الشيء على التمام ، الإجتراح : الإكتساب . ولما ذكر سبحانه انه أعلم بالظالمين ، بين عقيبه أنه لا يخفى عليه شيء من الغيب ويعلم اسرار العالمين ، وأن الله تعالى عالم بكل شيء من مبتدآت الأمور وعواقبها ، فهو سبحانه يعجل ما تعجيله أصوب وأصلح ويؤخر ما تأخيره أصوب وأصلح .

وفي الآية دلالة على البعث والإعادة ونبه سبحانه على ذلك بالنوم واليقظة وغيرها من الأمور التي لا يقدر عليها غيره سبحانه

قوله تعالى :

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾

زاد سبحانه في بيان كمال قدرته ،وهو القاهر فوق عباده : معناه الله المقتدر المستعلي على عباده ، والحفظة الملائكة الذين يحفظون اعمال العباد ويحصونها عليهم ، وهم لا يفرطون : أي لا يضيعون ، أولا يغفلون ، ولا يتوانون ، ثم ردّوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم : سُئل أمير المؤمنين علي (ع) كيف يحاسب الله الخلق ولا يرونه ؟ قال : كما يرزقهم ولا يرونه .

قوله تعالىٰ :

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾

عاد سبحانه لمحاججة الكفار ، فقال : قل ـ يا محمّد لهؤلاء الكفار ـ من ينجيكم من ظلمات البر والبحر: وشدائدهما وأهوالهما ، تدعونه تضرعاً وخفية ، أي تدعون الله علانية وسراً ، وتعدون إن أنجاكم الله من تلك الشدائد لنكونن من الشاكرين لأنعام الله . وهذا يدل على أن السنة في الدعاء التضرع والإخفاء ، وقد روي عن النبي (ص) أنه قال : خير الدعاء الخفي ، وخير الرزق ما يكفي . ومر (ص) بقوم رفعوا أصواتهم بالدعاء فقال:انكم لا تدعون أصمّاً ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً قريباً .

قوله تعالىٰ :

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

اللّبس: اختلاط الأمر ، واختلاط الكلام ، والشيع:الفرق وكل فرقة شيعة علىٰ حدة ، وشيّعت فلاناً أتبعته ، والتشيّع هو الإتباع علىٰ وجه التدين والولاء للمتبوع . وفي الآية نبّه سبحانه علىٰ الإعذار والإنذار ، قل ـ يا محمّد لهؤلاء

الكفار ـ هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً . . . وفيها التهديد بانزال العذاب والخسف وهو يتناول الكفار . وقوله تعالىٰ « أويلبسكم شيعاً . . . » يتناول المسلمين .

قوله تعالىٰ :

وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾

وكذب به قومك : يعني قريشاً والعرب حين كذبوا بالقرآن ، وهو الحق يعني القرآن وتصريف الآيات . وفي الآية وعيد وتهديد للكفار بعذاب الآخرة ، أو بالحرب وسوف تعلمون ما يحل بكم .

قوله تعالىٰ :

وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾

قال أبو جعفر (ع) : لما نزلت : « فلا تقعد بعد الذكرىٰ . . . » قال المسلمون كيف نصنع إن كان كلما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم فلا ندخل إذاً المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام ، فأنزل الله سبحانه : وما على

الذين يتّقون من حسابهم من شيء . . . حيث امرهم سبحانه بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا .

وفي الآية أمر سبحانه بترك مجالسة الكفار والمنافقين عند استهزائهم بالقرآن ويخوضون يكذبون بآياتنا ، فأعرض عنهم أي اتركهم ولا تجالسهم ، حتىٰ يخوضوا في حديث غيره ، واما ينسينّك الشيطان : نهياً عن الجلوس معهم ، فلا تقعد بعد الذكرىٰ ، وبعد بيان نهينا عن مجالستهم ، وقيل:بعد الذكرىٰ أي بعد أن تذكرهم بدعائك إياهم الىٰ الدين ، فكأنه قال سبحانه : اعرض في حال اليأس من هدايتهم واصلاحهم ، وذكر في حال الطمع والأمل بهدايتهم وإصلاحهم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالىٰ :

وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

تُبسل: أي تجازىٰ ، وقيل:تبسل اي ترهن ، وفي الآية عاد سبحانه الىٰ وصف من تقدم ذكرهم من الكفار ، وذكر به : أي عِظ بالقرآن ، أو ذُكر بيوم الدين والحساب وأنه :ليس لها من دون الله ولي ، يناصرها وينجيها من العذاب ولا شفيع يشفع لها وإن تعدل كل عدل : أي وإن تفدِ بكل فداء، لا يقبل منها ولا يؤخذ منها واختلف في الآية فقيل:هي منسوخة بآية السيف،وقيل:ليست بمنسوخة وإنما هي تهديد ووعيد ، وفيها دلالة علىٰ الوعيد العظيم لمَن كانت هذه سبيله من الإستهزاء بالقرآن وبآيات

الله وتحذير عن سلوك طريقهم .

قوله تعالى :

قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدينا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين ﴿٧١﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ثم أمر سبحانه نبيّه (ص) والمؤمنين بخطاب الكفار فقال : قل ـ يا محمّد لهؤلاء الكفار الذين يدعون الى عبادة الأصنام ـ أندعو من دون الله ما لا ينفعنا . إن عبدناه ولا يضرنا إن تركنا عبادته ، ونرد على أعقابنا : القهقرى في مشينا ونرجع عن ديننا الذي هو خير الأديان ونكون : كالذي استهوته الشياطين . . . : وأغرته حتى جعلته لا يهتدي الى الطريق المستقيم .

قوله تعالى :

وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون ﴿٧٢﴾ وهو الذي خلق السماوات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴿٧٣﴾

وأن اقيموا الصلاة : موصول بما قبله ، أي وقيل لنا:أقيموا الصلاة واتقوا الله وتجنبوا معاصيه لأنكم ستجدون ما وعد حقاً من ثواب وعقاب كما وعد ووعده الحق ، عالم الغيب : مما لا يشاهده الخلق ، والشهادة ، وهو ما يشاهدونه ويعلمونه ، وهو الحكيم في أفعاله ، الخبير بعباده .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

الأصنام : جمع صنم والصنم ما كان صورة ، والوثن ما كان غير مصور واذكر : إذ قال ابراهيم لأبيه آزر . . . وفيه أقوال منها أنه اسم أبي ابراهيم (ع) وقيل:ان اسم ابيه تارخ، وقيل:ان آزر بمعنى مخطيء، وقيل:آزر اسم صنم بمعنى وإذ قال ابراهيم لأبيه اتتخذ آزراً، وقال اصحابنا:إن آزر كان جد ابراهيم لأمه أو كان عمّه ، من حيث صح عندهم أن آباء الأنبياء الى آدم (ع) كلهم كانوا موحّدين .

وفي الآية حثّ للنبي (ص) علىٰ محاججة قومه الذين دعوه الىٰ عبادة الأصنام والاقتداء بأبيه ابراهيم . وكما أريناك يا محمّد ارينا ابراهيم آثار قدرتنا فيما خلقنا من الشمس والقمر والنجوم وما في الأرض ، وليكون من الموقنين .

قوله تعالىٰ :

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ

الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

جنّ عليه الليل : أي اظلم ، ويقال لكل ما ستر: جنّ وأجنّ ، والبزوغ الطلوع والهلال اسم للقمر لثلاث ليال من اول الشهر ثم يسمى قمراً الى آخر الشهر ولما تقدم ذكر الآيات التي أراها الله تعالى لنبيّه ابراهيم (ع) بيّن سبحانه كيف استدل بها وكيف عرف الحق من جهتها ، واختلف في الكوكب الذي رآه فقيل هو الزهرة ، وقيل المشتري . أفل:اي غرب . واختلف في تفسير هذه الآيات واستفسار ابراهيم (ع) عنها .

وأوجهها : أن ابراهيم (ع) لم يقل هذا ربي على طريق الشك بل كان عالماً مؤمناً أن ربه سبحانه لا يجوز أن يكون بصفة الكواكب وانما قال ذلك على سبيل الإنكار على قومه والتنبيه لهم على أن من يكون إلها معبوداً لا يكون بهذه الصفة الدالة على الحدوث ، ويُري القوم قصور علمهم وبطلان عبادتهم لمخلوق يجري عليه الأفول والتغيير ، وفيها تنبيه لمشركي العرب وزجر لهم عن عبادة الأصنام ، وحث لهم على سلوك طريق ابيهم ابراهيم (ع) في النظر والتفكر ، وذكر اهل التفسير والتاريخ أن ابراهيم (ع) ولد في زمن نمرود بن كنعان وكان ملكاً أو من ولاة كيكاوس . فقيل لنمرود انه يولد في بلده هذه السّنة مولود يكون هلاكه على يده ثم

اختلفوا فقال بعضهم إنما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهّن ، وقال آخرون بل وجد ذلك في كتب الأنبياء ، وقيل لرؤيا رآها النمرود ، فعند ذلك أمر بقتل كل ولد يولد تلك السنة ، وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء ، ومن وجدت من النساء حبلى تحبس حتى تلد فإن كان غلاماً قتل ، وحين حبلت أم ابراهيم بابراهيم ودنت ولادته خرجت أمه هاربة فذهبت به الى غار ولفّته في خرقة ثم جعلت على باب الغار صخرة وانصرفت عنه ، فجعل الله رزقه في ابهامه يمصّها فيتغذى منها ، وجعل يشب وينمو بسرعة فمكث ما شاء الله أن يمكث ولما خرج من الغار نظر الى النجم والقمر والشمس وقال ما قال ، ولما رأى قومه يعبدون الأصنام خالفهم وكان يعيب آلهتهم حتى فشى امره وجرت المناظرات .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قوله تعالى :

وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

ثم ذكر سبحانه محاجّة ابراهيم مع قومه حين خاصموه وجادلوه وخوفوه من ترك عبادة الهتهم ، قال:أتحاجوني . . . وتدعونني الى عبادة من لا يخاف ضره ولا يرجى نفعه ثم احتجّ (ع) وأكد المحاججة بقوله : وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون إنكم اشركتم بالله . القادر على الضر والنفع ، فأيّ الفريقين احق بالأمن : انحن وقد عرفنا الله بالأدلة والبراهين أم أنتم وقد أشركتم بعبادته غيره من الأصنام والأوثان ؟

قوله تعالى :

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

الظلم في اللغة : وضع الشيء في غير محله . ولما تقدم ذكر المحاججة بأن أي الفريقين أحق بالأمن الموحد أم المشرك ؟ عقبه بذكر مَن هو أحق بالأمن فقال : الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم . والظلم هنا هو الشرك والكبائر من المعاصي إلا أنَّ المرجح الأول عملاً بقوله تعالى « إن الشرك لظلم عظيم » .

قوله تعالى :

وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ
حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا
مِنْ قَبْلُ ۖ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ
مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا
عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ ۖ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ
وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾

بيّن سبحانه أن الحجج التي ذكرها ابراهيم (ع) لقومه اتاه الله إياها وهداه لها ووهبنا له ـ أي لإبراهيم ـ اسحاق ، وهو ابنه من ساره ، ويعقوب ابن اسحاق

كلاً هدينا : أي كل الثلاثة فضّلنا بالنبوة ، واجتبيناهم أي اصطفيناهم واخترناهم للرسالة ، وهديناهم الىٰ صراط مستقيم : أي سددناهم وأرشادناهم فاهتدوا الىٰ طريق لا اعوجاج فيه وهو الدين الحق .

قوله تعالىٰ :

ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾

بيّن سبحانه اكرامه لأنبيائه (ع) ثم أمر بالإقتداء بهم ، والهداية هنا هي الإرشاد الى الثواب . « ولو أشركوا لحبِط عنهم . . . » أي لبطلت أعمالهم التي كانوا يوقعونها علىٰ خلاف الوجه الذي يستحق به الثواب لتوجيهها الىٰ غير الله تعالىٰ ، أُولئك الذين آتيناهم الكتاب : يعني مَن تقدم ذكرهم من الأنبياء ، فإن يكفر بها هؤلاء ، أي الكفار الذين جحدوا بنبوة محمّد (ص) فقد وكلنا بها قوماً . . . من الأنبياء ، أو ممّن آمن من أصحاب النبي محمّد (ص) عند مبعثه . فبهداهم اقتده : أي اقتدِ بهم في الصبر على أذىٰ قومك واصبر كما صبروا ، أو فاقتـدِ بطريقتهم في التوحيد والأدلة وتبليغ الرسالة والإشادة بأُولئك الأنبياء الذين تقدم ذكرهم .

قل - يا محمّد - لا أسألكم عليه اجراً . أي لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة اجراً ، وتدل الاية على أن نبيّنا مبعوث الى كافة العالمين ، وأن النبوة مختومة به ، ولذلك قال : إن هو إلا ذكرى للعالمين .

قوله تعالى :

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾

قيل:نزلت في الكفار وقد انكروا قدرة الله عليهم ، وقيل:نزلت في مشركي قريش،وقيل:في يهودي اسمه مالك بن الضيف جاء يخاصم النبي (ص) .

وما قدروا الله : أي ما عرفوا الله حق معرفته وما عظموه حق عظمته وما وصفوه بما هو أهل أن يوصف به . قل - يا محمّد - من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى - وهو التوراة - نوراً وهدىً للناس:أي دلالةً يهتدون بها لا أن - تجعلونه قراطيس كتباً وصحفاً تبدون بعضها إذا لاءم أذواقكم وأهواءكم ، وتخفون كثيراً ، مما يختلف وأقوالكم وأهواءكم خاصة منه ما كان في التوراة من صفات النبي محمّد (ص) والإشارة اليه والبشارة به وبنبوته .

قوله تعالى :

وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ

الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾

لما احتجّ سبحانه بانزال التوراة على موسى عليه السلام بيّن أن سبيل القرآن سبيلها فقال : وهذا كتاب انزلناه ـ يعني القرآن ـ مصدق الذي بين يديه ـ مما تقدمه من الكتب كالتوراة والإنجيل وغيرهما ، ويشهد بأنها حق من عند الله . ولتنذر أم القرى ومَن حولها : وأم القرى مكة ، ومَن حولها عموم أهل الأرض . وإنما سمّيت مكة أم القرى لأن أول بيت وضع في الدنيا بمكة ، أو لأن جميع الناس يستقبلونها ويعظمونها لأنها قبلتهم ، كما يجب تعظيم الأم .

وفي الآية دلالة على أن المؤمن لا يجوز أن يكون مؤمناً ببعض ما أوجبه الله دون بعض كما أن فيها دلالة على عظم قدر الصلاة ومنزلتها ، ونبّه سبحانه على أن مَن كان مصدقاً بالقيامة وبالنبي (ص) لا يخل بها ولا يتركها .

قوله تعالى :

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية ، فقيل نزلت في مسيلمة حيث ادعى النبوة إلى قومه ولم يوح إليه شيء ، وقوله سأنزل مثل ما أنزل الله : في عبدالله بن أبي سرح

فإنه كان يكتب الوحي للنبي(ص)فكان إذا قال له إكتب: عليماً حكيماً كتب غفوراً رحيماً . وإذا قال له اكتب غفوراً رحيماً كتب عليماً حكيماً ، وارتد ولحق بمكة وقال : إنّي أنزل مثلما أنزل الله . ذهب لذلك جملة من المفسرين ، وهو المروي عن أبي جعفر(ع)ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت: أي في شدائد الموت عند النزع والملائكة : الذين يقبضون الأرواح ، وقيل ملائكة العذاب، « باسطوا أيديهم » : لقبض أرواح الظالمين ، أو لعذابهم وهم يتحدوتهم : اخرجوا انفسكم ، من سكرات الموت إن استطعتم ، أو اخرجوا أنفسكم من عذاب النار إن استطعتم لها خلاصاً ، وعذاب الهون أي ما تتلقون فيه الهوان والمذلة .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

فرادى جمع فرد ، وقد بين سبحانه ما يقال لهم على سبيل التوبيخ .

روي عن النبي (ص) أنه قال : تحشرون حفاة عراة عزل ، وتركتم ما خولناكم : أي ما ملكناكم في الدنيا والذي كنتم تتباهون به من الأموال تركتموه خلف ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم : ليس معكم من كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم من الأصنام والشركاء ، وهو عام في كل من عبد غير الله أو اعتمد على غيره يرجوه ويخافه مخافة الله سبحانه .

قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ

ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾

الفلق: الشق، والحسبان: جمع حساب. وفي الآية عاد سبحانه إلى الإحتجاج على المشركين بعجائب الصنع ولطائف التدبير وما في الحب والنوى من عجائب قدرة الله، وأنه سبحانه: يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي. أي يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس، أو بمعنى يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن. ذلك الله فاني تؤفكون: أي تصرفون عن الحق.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

فالق الإصباح: أي شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وسواده، وجاعل الليل سكناً أي تسكنون فيه، والنهار لتصريف أُمور الحياة، ودل بتعاقبهما على كمال قدرته وحكمته. والشمس والقمر حسباناً: أي يجريان بحساب دقيق لا يتجاوزانه، وما في حسابهما من مصالح العباد في معاملاتهم وتواريخهم وأوقات عباداتهم وغير ذلك من أُمور الدنيا والدين، ذلك تقدير العزيز ـ في سلطانه فلا يقدر أحد على الإمتناع من قدرته ـ العليم ـ بمصالح خلقه وتدبيرهم.

قوله تعالى:

وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾

جعل لكم النجوم : أي خلقها لنفعكم . لتهتدوا بضوئها وطلوعها ومواضعها في الأسفار في البر والبحر ، وهو الذي انشأكم من نفس واحدة : أي ابدعكم وخلقكم من آدم (ع) . فمستقر ومستودع : وقد فسّرت بمعان عديدة ، فمستقر في الرحم إلى أن يولد ، ومستودع في القبر إلى أن يبعث ، أو مستقر في بطون الأمهات ومستودع في أصلاب الآباء . وقيل: مستقر في القبر ومستودع في الدنيا كما روي : يا ابن آدم أنت وديعة في اهلك ويوشك أن تلحق بصاحبك وأنشد قول لبيد :

وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوماً أن ترد الودائع

وفي الاية حثّ على النظر وتنبيه على أن كلاً مما ذكر آية ودلالة على توحيد الله وصفاته العليا .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾

عطف سبحانه على ما تقدم من بيان قدرة الله ، والقنوان : اعذاب الرطب . والدانية : القريبة المنال ، وجنات من اعناب : أي بساتين من الأعناب والزيتون والرمان . مشتبهاً وغير متشابه : أي مشتبهاً شجره يشبه بعضه بعضاً وغير متشابه في الطعم ، وينعه : أي نضجه وكيف تنتقل عليه الأحوال في الطعم واللون

والرائحة والصغر والكبر ، ليستدلوا بذلك على أن له صانعاً مدبراً حكيماً متقناً ، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون : بها يستدلون ويتفعون .

قوله تعالى :

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾

البديع : بمعنى المبدع ، والفرق بين الإبداع والإختراع أن الإبداع فعل ما لم يسبق إلى مثله ، والإختراع : فعل ما لم يوجد سبب له . ولذلك يقال البدعة لكل ما خالف السنة ، ولا يقدر على الإختراع غير الله تعالى .

وفي الآية رد سبحانه على المشركين وعجب من كفرهم مع هذه البراهين والحجج والبيّنات ، وأراد بالجن: الملائكة لإستتارهم عن الأعين ، وقيل المراد بالجن: الشياطين لأن المشركين اطاعوا الشياطين في عبادة الأوثان . وخرقوا له بنين وبنات : أي اختلقوا أو موّهوا وافتروا الكذب على الله ونسبوا البنين والبنات الى الله . فإن المشركين قالوا : الملائكة بنات الله ، والنصارى قالوا: المسيح بن الله واليهود قالوا: عزير ابن الله كل تلك المقالات بغير علم وبغير حجة وجهلاً منهم بعظمة الله تعالى . ولم تكن له صاحبة : أي زوجة .

قوله تعالى :

ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ

شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

لما قدّم سبحانه ذكر الأدلة علىٰ وحدانيته ، عقبه بتنبيه عباده علىٰ أنه الإِلٰه المستحق للطاعة والعبادة ، وأرشدهم إلىٰ الاستدلال بأفعاله سبحانه علىٰ اثبات وجوده وقد ورد في معنىٰ لطفه سبحانه معان كثيرة جمعها المصنف رحمه الله بقوله : إن اللطيف الذي إذا دعوته لبّاك ، وإن قصدته آواك ، وإن أحببته أدناك ، وإن أطعته كافاك ، وإن عصيته عافاك ، وإن عرضت له دعاك ، وإن أقبلت إليه هداك . ولعل هذه الفقرات مستلة من دعاء أو حديث .

قوله تعالىٰ :

قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾

البصيرة : البيّنة والدلالة ، ودرس الأثر دروساً: إذا انمحىٰ لإستمرار الزمان ، والدرس استمرار التلاوة وهو هنا المقصود . وقد بيّن سبحانه أنه بعد هذه الآيات قد أزاح العلة للمكلفين . قد جاءكم بصائر من ربكم : تبصرون بها الهدىٰ من الضلال وتميزون بها بين الحق والباطل ، فمَن انتفع بها فإنما ينفع نفسه ، ومَن تعامىٰ عن الحق مع وضوحه فإنّما يكون شأنه شأن مَن يستطيع أن يبصر طريقه ولكنه يتعمد فيغمض عينيه ويسير كالأعمىٰ فإنه سوف يجني الضرر والسقوط ، وفيها دلالة علىٰ أن المكلفين مخيّرون في أفعالهم غير مجبرين . وليقولوا

درست : ذلك يا محمّد أي تعلمته من اليهود ، أو دارست اهل الكتاب وقرأتهم وتذاكرت معهم .

قوله تعالى :

اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾

امر سبحانه نبيه (ص) باتباع الوحي في تأكيد وحدانية الله ، وأعرض عن المشركين : قيل نسختها آية الأمر بالقتال ، وقيل: معناه اهجر المشركين ولا تخالطهم . وفي المروي عن اهل البيت (ع) لو شاء الله أن يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه احد لما كان يحتاج الى جنة ولا الى نار ، ولكنه أمرهم ونهاهم وامتحنهم وأعطاهم ما به حجة عليهم من الآلة والقدرة والاختيار والمعرفة ليستحقوا الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية .

قوله تعالى :

وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾

السب : هو الذكر بالقبيح ومنه الشتم والذم ، قيل: كان المسلمون يسبّون

أصنام الكفار فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فإن الكفار قوم جهلة . وعلل سبحانه نهي المؤمنين أن يسبّوا الأصنام لما في ذلك من المفسدة ، وأن لا تخرجوا من دعوة الكفار ومحاجتهم الى أن تسبّوا ما يعبدون من دون الله فإن ذلك ليس من المحاججة في شيء . كذلك زيّنا لكل أمة عملهم : أي كما زيّنا لكم اعمالكم زيّنا لكل أمة ممّن قبلكم اعمالهم من حسن الدعاء الى الله وترك السباب ، وأن ذلك ينفر الكفار عن قبول الحق ، ولا يمكن أن تفسر بأن الله زيّن عمل الكافرين ولا اشكال بأن المراد بالآية تزيين أعمال الطاعة .

قوله تعالى :

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

الجهد : بالفتح المشقة ، والجُهد بالضم الطاقة ، وقيل بالفتح المبالغة . فجهد إيمانهم أي بالغوا في اليمين واجتهدوا . قالت قريش : يا محمّد تخبرنا أن موسى كان معه عصى يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة . فآتنا بآية من الآيات حتى نصدقك . فقال رسول الله (ص) : أي شيء تحبون أن آتيكم به ؟ قالوا إجعل لنا الصفا ذهباً وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحقاً ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك ، أو آتنا بالله والملائكة قبيلاً . فقال رسول الله (ص) : فإن

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجزء الثامن

من القرآن الكريم

فعلت ما تقولون أتصدقونني ؟ قالوا:نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين . وسأل المسلمون رسول الله (ص) أن ينزلها عليهم حتىٰ يؤمنوا فقام رسول الله (ص) يدعو أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبرائيل (ع) فقال له إن شئت أصبح الصفا ذهباً ، ولكن إن لم يصدقوا عذبتهم وإن شئت تركتهم حتىٰ يتوب تائبهم فقال رسول الله (ص) بل يتوب تاءبهم ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية حيث بيّن سبحانه حال الكفار الذين سألوه الآيات ، وجهد ايمانهم أي أنهم مجدون بالوفاء بايمانهم وأنهم سيؤمنون بها يا محمّد . قل ـ يا محمّد ـ إنّما الآيات ـ والمعاجز ـ عند الله ولو علم الله ان صلاحكم في إنزالها لأنزلها ، وأنهم وإن اقسموا بالله ليؤمنن بالآيات والله تعالىٰ قد قلب قلوبهم وأبصارهم وعلم أن فيها خلاف ما يقولونه .

قوله تعالىٰ :

وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَٰئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾

الحشر : الجمع مع السوق ، وفيها بيّن سبحانه حال الكفار في عنادهم وترددهم في طغيانهم وكفرهم ، ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة : فيروهم عياناً يشهدون لنبيّنا بالرسالة ، وأحيينا لهم الموتىٰ حتىٰ يكلموهم بالتوحيد ، ويشهدوا لمحمّد بالرسالة وجمعنا لهم كل شيء وكل آية وبرهان وأجبناهم لكل ما سألوا قُبلاً : أي معاينة ومقابلة ، ما كانوا ليؤمنوا ، إلا إن يشاء الله أن يجبرهم علىٰ الإيمان ، وأنهم لا يؤمنون مختارين كما ينبغي لكل مؤمن . وفي الآية دلالة علىٰ ان الله سبحانه لو علم أنه اذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا لفعل سبحانه ذلك ولكان ذلك من الواجب في حكمته ولطفه بعباده .

قوله تعالىٰ :

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ
إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ
وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الزخرف : المزين ، والغرور ما له ظاهر تحبه وباطن مكروه ، والإصغاء الميل للشيء لغرض من الأغراض ، والإقتراف اكتساب الأثم . وفيها بيّن سبحانه ما كان عليه حال الأنبياء (ع) مع اعدائهم وفي ذلك تسليةٌ لنبيه (ص) ، والمراد بـ«جعلنا» أي حكمنا بأنهم اعداء الرسل،وأخذنا بذلك لتعاملوهم معاملة الأعداء في الإحتراز منهم والإستعداد لدفع شرهم ، والمراد بشياطين الإنس والجن مردة الكفار من الفريقين ، يوحي : أي يوسوس ويلقي خفيةً بعضهم الى بعض،المموّه المزيّن من القول المحسن ظاهره ولا حقيقة له ولا أصل ، ولو شاء ربك ما فعلوه : أي لو شاء أن يمنعهم من ذلك جبراً لفعل ولكنه سبحانه خلّى بينهم وبينه إبقاءً للتكليف وامتحاناً للمكلفين .

قوله تعالى :

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

أمر سبحانه نبيّه (ص) أن يقول لهؤلاء الكفار : أفغير الله ابتغي حكماً ؟ أي أطلب سوى الله حكماً والحكم والحاكم بمعنى واحد ، وهو الذي انزل اليكم الكتاب ـ القرآن ـ مفصّلاً . لجميع ما يحتاج اليه ، أو فاصلاً بين الحلال والحرام ، والذين آتيناهم الكتاب : من مؤمني اهل التوراة والإنجيل ، أو كبار الصحابة وأصحاب بدر، يعلمون أنه ـ القرآن ـ منزل من ربك حقاً وصدقاً ، فلا تكونن من الممترين أي من الشاكين في القرآن والنبي ، وقيل:الخطاب لرسول الله زيادة في شرح صدره وتسكينه وطمأنينته

قوله تعالى :

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾

بيّن سبحانه صفة الكتاب المنزل،وتمت:أي كملت بحيث لا يمكن لأحد الزيادة والنقصان في القرآن الكريم ، ونزلت آياته على ما تقتضيه الحكمة ، صدقاً وعدلاً في جميع ما جاء في القرآن من قصص وأخبار ، لا مبدل لكلماته ، ولا مغير لأحكامه ، أو بمعنى أن القرآن محروس عن الزيادة والنقصان فلا يستطيع احد تغيير شيء منه .

قوله تعالى :

﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا

الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾

الخرص : الكذب . ولما تقدم ذكر الكتاب بيّن سبحانه في هذه الآية أن من تبع غير الكتاب ضل وأضل . وإن تطع ـ يا محمّد والمراد غيره ـ اكثر من في الأرض . من الكفار وأهل الضلالة ، وفي هذا دلالة على أنه لا عبرة في الدين ومعرفة الحق بالقلة والكثرة لجواز أن يكون الحق مع الأقل ، وإنّما الإعتبار بالحجّة والبرهان دون النظر لقلة الأتباع وكثرتهم ، وأن هؤلاء الكثرة من الكفار إن هم إلا يخرصون : أي يكذبون ، أو لا يقولون عن علم ولكن خرص وتخمين . وقال ابن عباس : كانوا يدعون النبي (ص) والمؤمنين الى أكل الميتة ، ويقولون أتاكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم ، وهذا من بعض ضلالهم والله أعلم بمَن يسلك سبيل الضلال ومَن يسلك سبيل الهدىٰ وفي هذا رد علىٰ قول المجبرة ، كما أن فيه دلالة علىٰ عدم جواز التقليد في العقائد واتباع الظن في الدين ، وعدم الإغترار بالكثرة ، وأن لا يتخذ ذلك دليلاً علىٰ أحقية الأكثرية ، يقول أمير المؤمنين علي (ع) للحارث الهمداني : يا حار الحق لا يعرف بالرجال إعرف الحق تعرف اهله .

قوله تعالىٰ :

فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا
لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا
مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ

هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾

عطف سبحانه على ما تقدم فقال : كلوا : والمراد اباحة ما ذكر الله عليه عند الذبح . والذكر:هو بسم الله ، وقيل هو كل اسم يختص الله تعالى به أوصفة تختصه كقول : بسم الرحمن أو باسم القدير ، وما يجري مجراها ، والأول مجمع على جوازه ، وقد فصَّل لكم وبيّن ما حرم عليكم في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم . . . أو أنه سبحانه بيّنه وفصّله على لسان رسوله (ص) إلا ما اضطررتم اليه : أي إلّا ما خفتم على نفوسكم الهلاك من الجوع إذا تركتم أكله ، ولا يجوز أن يتناول إلا ما يمسك به الرمق ، وذروا ظاهر الإثم وباطنه : أمر سبحانه بترك الإثم مع قيام الأدلة على أنـه اثم،ونهى عن ارتكابه سراً وعلانية .

قوله تعالى :

وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾

أكد سبحانه ما تقدم وهو صريح في وجوب التسمية على الذبيحة وفيه دليل على تحريم اكل ذبائح الكفار من اهل الكتاب وغيرهم من سمّى منهم ومَن لَم يسمّ فأما ذبيحة المسلم إذا لم يسمّ الله تعالى عليها فقد اختلف في ذلك فقيل:لا يحل اكلها سواء ترك التسمية عمداً أو نسياناً كما ذهب اليه مالك وداود ، وروي ذلك عن الحسن وابن‌سيرين وغيره ، وقيل:يحل أكلها في حال الترك عمداً أو نسياناً

وذلك رأي الشافعي ، وقيل:يحل اكلها إذا ترك التسمية ناسياً بعد أن يكون معتقداً لوجوبها ، ويحرم أكلها إذا تركها متعمداً عن أبي حنيفة وأصحابه وهو المروي عن أئمتنا عليهم السلام . وأن الشياطين : من علماء الكافرين ورؤسائهم المتمادين في كفرهم ليوحون الىٰ أوليائهم ومَن تبعهم من الكفار ،ليجادلوكم في استحلال الميتة كما تقدم من جدال الكفار والمشركين من قريش في أمر الذبيحة والميتة ، وبهذا يتضح أن مَن استحل الميتة فهو كافر بالإجماع كما هو صريح قوله تعالىٰ : وإن اطعتموهم إنكم إذاً لمشركون .

قوله تعالىٰ :

أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾

قيل في أسباب نزول الآية الأولىٰ أوجهاً أرجحها أنها عامة في كل مؤمن وكافر ، وقد ذكر سبحانه مثل الفريقين أو من كان ميتاً فأحييناه : أي كافراً بأن هديناه الىٰ الإيمان ، وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس من العلم والحكمة لأن العلم نور والجهل ظلمة ، أو النور القرآن ، أو هو الإيمان ، والذي جعل الله له نوراً من الإيمان والعلم لا يمكن أن يقاس كمَن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ، وإنَّما سمىٰ الله تعالىٰ الكافر ميتاً لأنه لا ينتفع بحياته ولا ينفع غيره فهو أسوأ حالاً من الميت ، وقد تكرر في عدة مواضع من القرآن الكريم تسمية المؤمن حياً

والكافر ميتاً ، كما سمّاه الله ظلمة لأن الكافر لا يهتدي بهداه ولا يبصر أمر رشده . وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها : اللام لام العاقبة ، كما في قوله ليكون لهم عدواً وحزناً ، وكان مكر مجرمي القرى بسوء اختيارهم ، وستكون عاقبة مكرهم على أنفسهم ، وما يمكرون إلا بانفسهم وما يشعرون : وان عقاب مكرهم سيحل بهم .

قوله تعالىٰ :

وَإِذَا جَآءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

الإجرام : الإقدام على القبيح بالإنقطاع اليه . والصغار : الذل الذي يصغر قيل:في أسباب النزول أنها نزلت في الوليد بن المغيرة حيث قال : والله لو كانت النبوة حقاً لكنت أولىٰ بها منك ـ يخاطب محمّداً (ص) ـ لأني أكبر منك سنّاً وأكثر منك مالاً . وقيل نزلت في أبي جهل : وقد حكىٰ سبحانه عن الأكابر الذين تقدم ذكرهم واقتراحاتهم الباطلة . والآية : الدلالة والمعجزة من عند الله دالة علىٰ توحيده وصدق دعوة نبيّه (ص) قالوا لن نؤمن حتى نؤتىٰ . . . : حسداً منهم للنبي (ص) ولكن الله ردهم بقوله : الله أعلم حيث يجعل رسالته . وبمَن يصلح للرسالة والنبوة ، ثم توعد سبحانه فقال : سيصيب الذين أجرموا صغار عند قومهم . أي سيصيبهم عند الله ذل وهوان وأنهم سيصغرون بكفرهم وتذهب عنهم صفة الأكابر ، وعذاب شديد بما كانوا يمكرون في الدنيا .

قوله تعالى :

﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

الحرج : ضيق الصدر ، ولما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين عقّبه بما يفعله سبحانه بكل من الفريقين ، فمَن يُرد الله أن يهديه : إلىٰ الثواب وطريق الجنة : يشرح صدره للاسلام ويثبّت عزمه عليه ويزيل عن قلبه وساوس الشيطان وذلك لطف منه سبحانه وجزاءً له علىٰ هدايته، ومَن يرد الله أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً : عقوبةً له علىٰ ترك الإيمان ، وليس في ذلك معنىٰ أن الله منعه عن الإيمان وسلبه القدرة عليه بل ربما يكون ذلك سبباً داعياً له الىٰ الايمان ، فإن مَن ضاق صدره بالشيء كان ذلك داعياً الىٰ تركه وقد وردت الرواية الصحيحة أنه لما نزلت هذه الآية سُئل رسول الله (ص) عن شرح الصدر ما هو ؟ فقال (ص) : نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له صدره وينفسح .قالوا : فهل لذلك من أمارة يُعرف بها ؟ قال (ص) : نعم الإنابة إلىٰ دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ، والإستعداد للموت قبل نزول الموت . كأنما يصعد في السماء : أي كأنه قد كلف أن يصعد الىٰ السماء حين يدعىٰ إلىٰ الإسلام ويضيق صدره عنه ، وكأنه يتكلف مشقة كمشقة ارتقاء الصعود الىٰ السماء ، أو كأنما قلبه ينزع منه ويصعد الىٰ السماء لشدة المشقة عليه في مفارقة مذهبه واعتناق الإسلام ، والرجس هو ما لا خير فيه .

قوله تعالى :

وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾

أشار تعالى إلى ما تقدم من البيان ، وصراط ربك :طريق ربك وهو القرآن . قد فصّلنا الآيات : أي بيّناها وميّزناها لقوم يذكرون ، وأصله يتذكرون . لهم دار السلام : أي للذين تذكروا وتبعوا الحق لهم دار السلامة الدائمة الخالصة من كل آفة ، وقيل:السلام هو الله تعالى ، وداره هي الجنة وهي مضمونة عند ربهم ، وهو وليهم ويتولى ايصال المنافع اليهم ودفع المضار عنهم وناصرهم على أعدائهم ، ويتولى توفيقهم في الدنيا وجزاءهم في الآخرة . بما كانوا يعملون .

قوله تعالى :

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

عطف سبحانه على ما تقدم فقال : ويوم يحشرهم جميعاً : أي يجمعهم جميع الخلق ، وقيل:الإنس والجن ، يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس : ممّن أضللتموهم من الإنس وقال أولياؤهم ربنا استمتع بعضنا ببعض أي انتفع بعضنا ببعض أو أطاع بعضنا بعضاً ، اجّلنا الذي أجلت : الموت أو البعث والحشر ، وفي هذا دلالة على أنه لا أجل إلا واحد ، قال : الله تعالى : النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله : أن يعذبهم اضعاف العذاب ، أو أن الإستثناء راجع إلى غير الكفار من عصاة المسلمين الذين هم في مشيئة الله تعالى إن شاء عذبهم بذنوبهم وإن شاء عفا عنهم تفضلاً ، أو أن الاستثناء بمعنى إلا ما شاء الله ممّن آمن منهم ، وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون . وذلك للإمتحان والإختبار ، أو نكل الظالمين بعضهم إلى بعض ونكل الأتباع الى المتبوعين .

قوله تعالى :

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾ ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾

المعشر:الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على اصناف الطوائف . وفيه

احتجاج عليهم بأن بعث اليهم الرسل إعذاراً وانذاراً ، قيل:كان الرسل يرسلون الىٰ الجن كما يرسلون الىٰ الانس ثم بعث الله محمداً (ص) الىٰ الإنس والجن ، أن لم يكن ربك مهلك القرىٰ بظلم وأهلها غافلون : أي لم يكن ربك ليهلك اهل القرىٰ ظلماً حيث يبعث اليهم رسلاً ينبهونهم علىٰ حجج الله سبحانه، ولكل درجات مما عملوا : ومراتب في أعمالهم وطاعتهم ومعصيتهم فيجازىٰ كل بما يستحقه ، وما ربك بغافل عمّا يعملون .

قوله تعالىٰ :

وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣) إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ (١٣٤) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥)

الإنشاء : الإبتداء ، والوعد في الخير ، والإيعاد والوعيد في الشر . وفيها بيّن سبحانه أنه لم يأمر بالطاعة لحاجته لها ، وربك الغني : عن أعمال عباده لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم ، إن يشأ يذهبكم : أي يهلككم فهو قادر علىٰ أن يخرج قوماً آخرين لا من الجن ولا من الأنس ،وإن ما توعدون : من القيامة والحساب والجنة والنار لآت قل -يا محمّد- يا قوم اعملوا علىٰ مكانتكم أي علىٰ قدر منزلتكم وتمكّنكم واثبتوا علىٰ ما أنتم عليه ، وهو تهديد ووعيد ، فستعلمون أينا تكون لـه العاقبة المحمودة سواء عاقبة الدنيا بالنصر أو عاقبة الآخر بالأجر .

قوله تعالىٰ :

وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾

الذرء : الخلق والإختراع، والحرث: الزرع ، أو الأرض التي تثار للزرع . والأنعام : جمع النعم وهي المواشي من الإبل والبقر والغنم . وفي الآية عاد سبحانه إلىٰ محاججة المشركين وبيان فساد عقائدهم . نصيباً : أي قسطاً وقسماً للأوثان باعتبارها شريكة لهم ، فما كان لشركائهم فلا يصل الىٰ الله . . . . وأنهم كانوا يزرعون لله زرعاً وللأصنام زرعاً فكان إذا زكا الزرع الذي زرعوه لله ولم يزك الزرع الذي زرعوه للأصنام جعلوا بعضه للأصنام وصرفوه اليها ويقولون إن الله غني والأصنام أحوج ، وإذا انعكس الأمر لم يأخذوا من زرع الأصنام شيئاً ، وكذلك يفعلون بالأنعام فيجعلون بعضها لله وبعضها للأصنام فما كان لله اطعموه للضيوف ، وما كان للأصنام انفقوه على الصنم . وقيل:أوجهاً أُخرىٰ في تحايل الكفار علىٰ ما يجعل لله من الزرع والأنعام وميلهم عليه لصالح الأصنام .

قوله تعالىٰ :

وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

الإرداء : الإهلاك من الردى ، وقد بيّن سبحانه خصلةً أُخرىٰ من خصال المشركين الذميمة وهي قتل البنات ووأدهنّ أحياء خيفة العيلة والفقر والعار ، وقيل كان السبب في تزيين قتل البنات أن النعمان بن المنذر أغار علىٰ قوم فسبىٰ نساءهم وكان فيهنّ بنت قيس بن عاصم ، ثم اصطلحوا فأرادت كل امرأة منهنّ عشيرتها غير ابنة قيس فإنها أرادت مَن سباها فحلف قيس لا يولد له بنت إلا وأدها فصار ذلك سنّة فيما بينهم . وليلبسوا عليهم دينهم : أي يخلطوا عليهم دينهم ويدخلوا عليهم الشبهات . ولو شاء الله ما فعلوا : ولمنعهم واضطرهم الىٰ ترك فعله ولكن ذلك المنع منافياً للتكليف والإختيار الذي به يستحق المكلف العقاب والثواب .

قوله تعالىٰ :

وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

حكىٰ سبحانه عقيدةً أُخرىٰ من عقائد المشركين الفاسدة ، وقالوا :يعني المشركين ، هذه أنعام : أي ابل وبقر وغنم ، وحرث:زرع ، حِجْر : أي حرام محجّر عليها لا يأكلها إلا مَن نشاء ونأذن له في أكلها ، وبيّن سبحانه أن هذا التحريم زعم منهم لا حجة عليه ولا برهان ، وأنعام حرمت ظهورها : فلا يركبونها وهي السائبة والبحيرة والحام،وقيل:هو الحامي الذي حمىٰ ظهره بتناسله وتقادمه عندهم ، وانعام لا يذكرون اسم الله عليها ، قيل:هي التي لا يحجّون عليها ولا يذكرون اسم الله وهم ركوب عليها ، وقيل:هي التي اذا ذكّوها لم يذكروا اسم الله

عليها بل يذكرون اسم الأصنام عليها ، افتراءً عليه : أي على الله حيث يقولون ان تلك البدع امرهم الله بها .

قوله تعالىٰ :

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾

حكىٰ سبحانه عنهم مقالةً أخرىٰ ، وقالوا : يعني هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم وأنهم يحرمون ما في بطون تلك الأنعام مما اسموه بحيرة وسائبة فإنهم يحرمون البانها أو أجنتها ، وان ما ولد من تلك الانعام فإن ولد حياً فهو خالص للذكور دون النساء ، وما ولد ميتاً أكله الرجال والنساء .

قوله تعالىٰ :

قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾

جمع سبحانه بين الفريقين في الخسران بين الذين قتلوا أولادهم والذين حرموا الحلال لأن ذلك كان منهم سفهاً وبغير علم ، وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبّرة لأنه سبحانه اضاف القتل والإفتراء والتحريم اليهم ونزّه نفسه عن ذلك وذمهم علىٰ قتل الاطفال بغير جرم

قوله تعالىٰ :

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (١٤١)

الانشاء : إحداث الفعل ابتداءً لا على مثال سبق . والجنات : البساتين والعرش اصله الرفع ومنه سمّي السرير عرشاً لارتفاعه . والإسراف : مجاوزة الحد ، وقد تكون المجاوزة بالزيادة وقد تكون بالتقصير حيث يجاوز حد الحق والعدل . ولما حكىٰ سبحانه عن المشركين أنهم جعلوا بعض الأشياء للأوثان ، عقّبه ببيان أنه سبحانه الخالق لجميع الأشياء ، فلا يجوز اضافة شيء منها الىٰ الأوثان ولا تحليل ذلك ولا تحريمه إلا باذنه سبحانه. مختلفاً أكله : أي طعمه ، وقيل ثمره ، والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه . وأتوا حقه يوم حصاده : والحق الذي يجب اخراجه يوم الحصاد هو الزكاة ، العشر أو نصف العشر علىٰ تفصيل في ابواب الزكاة ، وقيل:حقه ما يعطىٰ للفقراء والمساكين . ولا تسرفوا : خطاب لأرباب الاموال لا تسرفوا بأن تتصدقوا بجميع الحاصل فتحرموا عوائلكم ؛ أو لا تقصروا بأن تمنعوا بعض الواجب ، وقيل:لا تسرفوا في التصرف والصرف قبل يوم الحصاد فيؤدي إلىٰ إنقاص حق الفقراء ، او لا تنفقوا في المعصية ولا تضعوه في غير مواضعه . وقيل خطاب للأئمة ومعناه لا تأخذوا ما يجحف بأرباب الأموال فوق الحق الواجب والخطاب عام يشمل كافة الوجوه .

قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾

الحمولة : الإبل التي يحمل عليها الأثقال : والحمولة بضم الحاء الأحمال . عطف سبحانه على ما تقدم ببيان نعمته في إنشاء الأنعام وفوائدها . ومن الأنعام حمولة وفرشاً : والحمولة كبار الإبل ، والفرش صغارها ، أو أن الحمولة ما يحمل عليه من الإبل والبقر والخيل والحمير والبغال ، والفرش الغنم ، أو ما يفرش من اصواف الانعام واوبارها ، ثمانية ازواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل إثنين ومن البقر اثنين ، وإنما خصّ هذه الثمانية في الإباحة من اكل ذكورها واناثها لأنها هي التي كانوا يحرمون منها ما أحل الله سبحانه ، قل ـ يا محمّد لهؤلاء المشركين الذين يحرمون ما أحل الله سبحانه ـ

الذكرين ـ من الضان والمعز حرم الله أم الأنثيين منهما ، أم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين فيما أدعوه من أن ما في بطون الأنعام حلال للذكور وحرام على الإناث .

وهكذا بالنسبة لبقية الأنعام . فمَن اظلم ممن افترى على الله كذباً ، ونسب إليه سبحانه تحريم ما لم يحرم وتحليل ما لم يحل .

قوله تعالى :

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

قل ـ يا محمد لهؤلاء الكفار ـ لا أجد فيما اوحي اليّ ، شيئاً محرماً أكله إلا أن يكون ميتة ، أو دماً مسفوحاً : أي مصبوباً لأن الدم المختلط باللحم منه مما لا يمكن تخليصه من اللحم معفوعنه مباح ، أولحم خنزير فإنه رجس ، أي نجس والرجس اسم لكل شيء مستقذر منفور عنه ، أو فسقاً اهل لغير الله به : أي ذكر عليه اسم الأصنام والأوثان ، فمن اضطر : لتناول شيء مما ذكرناه ، غير باغ ولا عادٍ فإن ربك غفور رحيم .

قوله تعالى :

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ

جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

الظفر : ظفر الإنسان وغيره ، وقد بيّن سبحانه ما حرمه على اليهود في أيام موسى (ع) ويدخل فيما حرم السباع والكلاب والسنانير وما يصطاد بظفره . وقيل هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب ، كما أخبر سبحانه أنه كان حرم عليهم شحوم البقر والغنم وما في أجوافها من شحم الكلى وغير ذلك واستثنى منه بقوله : إلا ما حملت ظهورها ـ من الشحم أو اللحم أو السمن ـ أو الحوايا وهي المباعر وما تحمله من شحم ، وقيل:الحوايا عموم الأمعاء التي عليها الشحوم أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم : أي حرمنا ذلك عقوبة لهم نقتلهم الأنبياء وأخذهم الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل .

قوله تعالى :

سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا

تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾

هلمَّ شهادءكم : أي هاتوا شهداءكم ، وهنا رد سبحانه على المشركين مقالتهم الفاسدة وأنهم يلقون تبعة شركهم على الله سبحانه ظلماً منهم ، وأنهم وآباؤهم كذبوا الأنبياء قل : يا محمّد لهم جواباً على مقالتهم من أن الشرك بمشيئة الله قل هل عندكم من علم وحجّة فيما تقولونه ، ثم أكد سبحانه الرد عليهم وتكذيب مقالتهم بقوله : إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون. وفي هذا دليل على أنه سبحانه لا يشاء المعاصي والكفر ولا يريدهما، وأنه سبحانه يتعالى عن ارادة القبيح وعن جميع صفات النقص علواً كبيراً . وإذا عجز هؤلاء عن اقامة الحجّة على باطلهم قل ـ لهم ـ فلله الحجّة البالغة التي تزيل كل لبسٍ وشبهة لمَن تدبرها واستدل بها ، فلو شاء لهداكم أجمعين أي لو شاء لألجأكم وأجبركم على الإيمان إلا ان ذلك الاجبار ينافي التكليف المبني على الاختيار، قل ـ يا محمّد لهؤلاء ـ هلمَّ شهداءكم : اي احضروا وهاتوا شهداءكم الذين يشهدون بصحةما تدعونهمن أن الله حرم هذا: الذي يذكر مما حرمه المشركون من البحيرة والسائبة والوصيلة والحرث والأنعام . فإن شهدوا فلا تشهد معهم : أي فإن لم يجدوا شاهداً يشهد لهم على تحريمها فشهدوا بأنفسهم فقط فلا تشهد أنت معهم لأن شهادتهم باطلة ، ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا ـ والذين ـ لا يؤمنون بالآخرة . وإنما ذكرهم كفريقين وإن كانوا كلهم كفاراً ليفصل فمنهم مع الإقرار بالآخرة كحال اهل الكتاب ، ومنهم ما يكون مع الإنكار للجميع كحال عبدة الأوثان .

قوله تعالى :

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ
وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)

الإملاق : الإفلاس من الزاد والمال ، والفواحش جمع فاحشة وهو القبيح العظيم القبح ، ولما حكى سحانه عنهم تحريم ما حرموا عقبه بذكر المحرمات فقال : ولا تقتلوا أولادكم من إملاق : أي خوفاً من الفقر ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق : والحق الذي يستباح به قتل النفس ثلاثة اشياء : القود ، والزنا بعد احصان والكفر بعد إيمان .

قوله تعالى :

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ
فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا

تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون ﴿١٥٣﴾

ولا تقربوا مال اليتيم : القرب من ماله التصرف فيه ، وإنما خصّ مال اليتيم بالذكر لأنه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا عن ماله فيكون الطمع في ما له اشد . إلا بالتي هي احسن : كأن يكون الغرض من التصرف بمال اليتيم هو المتاجرة به وانماؤه لمصلحة اليتيم ، أو باباحة الشارع للقيّم على مال اليتيم بالأكل منه بالمعروف دون التوسع والزيادة ، حتى يبلغ أشده : وهو بلوغ الحلم ، وقيل بلوغ ثمانية عشر سنة،وقيل اكثر من ذلك ، وقيل:لا حد له بل هو أن يبلغ اليتيم ويكمل عقله ويؤنس منه الرشد فيسلم اليه ماله ، وهذا أقوى الوجوه . وأوفوا الكيل والميزان بالقسط : أي بالعدل والوفاء ، لا نكلف نفساً إلا وسعها : أي إلا ما يسعها من الإجتهاد في التحرز من النقصان . وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى : أي فقولوا الحق وإن كان على ذي قرابة لكم وذلك حين تشهدون أو تحكمون . وبعهد الله أوفوا : وهو عموم ما أوجبه الله تعالى على عباده ، وقيل:هو في النذور والعهود،ما لم يكن النذر والعهد في معصية الله فإنه لا يجب الوفاء به وأن هذا صراطي مستقيماً : أي إن هذا ديني دين الحنيفية أقوم الأديان وأحسنها فاتبعوه ولا تتبعوا السبل : أي طرق الكفر والبدع والشبهات ، أو لا تتبعوا اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان . قال ابن عباس : هذه الآيات محكمات لم ينسخهنّ شيء من جميع الكتب ، وهي محرمات على بني آدم كلهم وهنّ أُم الكتاب من عمل بهنّ دخل الجنة ومن تركهنّ دخل النار .

قوله تعالى :

ثم آتينا موسى الكتب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء

وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ
أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾

تقديره، ثم قل يا محمّد: آتينا موسىٰ الكتاب، أو بتقدير: ثم أتل عليكم آتينا موسىٰ الكتاب وهو عطف علىٰ قوله تعالىٰ: قل تعالوا أتل . . . . تماماً على الذي احسن: أي تماماً على إحسان موسى (ع)، أو تماماً على عموم المحسنين من قوم موسى وغيرهم، وتماماً على إحسان الله الى أنبيائه، أو تماماً على ما أحسن الله على موسى بالنبوة وغيرها. وهذا كتاب: يعني القرآن وفي تسميته بالكتاب بيان لأنه مما ينبغي أن يكتب.

قوله تعالىٰ:

أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ
لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ
فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَٰتِ اللَّهِ
وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَٰتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا
يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾

علىٰ طائفتين من قبلنا: أي جماعتين وهم اليهود والنصارىٰ، وإنّما خصّهما بالذكر لشهرتهما وظهور أمرهما. وإن كنّا عن دراستهم لغافلين: أي عن تلاوة كتبهم ودراستها غافلين، أو تقولوا ـ يا أهل مكة ـ لكنا اهدىٰ منهم: في

المبادرة الى قبول ما أُنزل الينا والتمسك به لأنا أجود أذهاناً وأثبت معرفةً منهم . وفي الآية دلالة على أن انزال القرآن لطف من الله للمكلفين .

قوله تعالى :

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾

توعد سبحانه فقال : هل ينظرون : أي ما ينظرون هؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم إلا أن تأتيهم الملائكة : لقبض أرواحهم ، أو لإنزال العذاب والخسف بهم . أو يأتي ربك : أي يأتي امر ربك بالعذاب ، أو تأتي آيات ربك ، أو يأتي بعض آيات ربك : التي تضطرهم الى المعرفة ويزول التكليف عندها ، لا ينفع نفساً إيمانها : لأنه ينسد باب التوبة بظهور آيات حلول يوم القيامة . أو كسبت في ايمانها خيراً : فإنه لا ينفعها في تلك الحال وفوات فرصة العمل . قل انتظروا : إتيان الملائكة ووقوع هذه الآيات ، وفيها حث على المسارعة إلى الإيمان والطاعة .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾

عطف سبحانه على ما قدمه من الوعيد ، وأنه سبحانه عنى بهم اهل الضلالة واصحاب الشبهات والبدع من هذه الأمة ، وقيل: انه سبحانه عنى الكفار وأصناف

المشركين ، أوهم اليهود والنصارى لأنهم يكفر بعضهم بعضاً ، وأمر رسوله (ص) بالمباعدة عنهم ، لست منهم في شيء : ولا تجتمع معهم في معنى من مذاهبهم الفاسدة ، وقيل:معناه لست من قتالهم في شيء ثم نسختها آية القتال .

قوله تعالى :

مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾

لما ذكر سبحانه الوعيد على المعاصي ، عقبه بذكر الوعد بالجزاء ومضاعفته على الطاعات ، وأن مَن جاء بالخصلة الواحدة من خصال الطاعة فله عشر أمثالها من الثواب ، وإن من عظيم فضل الله تعالى على عباده أنه لا يقتصر في الثواب على قدر الاستحقاق بل يزيد عليه وربما يعفو عن ذنوب المؤمن ، وإن عاقب فعلى قدر الاستحقاق عدلاً ، وإن أحسن الحسنات التوحيد ، واسوأ السيئات الكفر .

قوله تعالى :

قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

الملة : الشريعة مأخوذة من الإملاء بما يمليه الرسول من الشرايع على أُمته ليكتب ويحفظ ، والنسك العبادة ، فالنسك كل ما تقرب به الى الله تعالى إلا ان

الغالب عليه أمر الذبح ، وفي الآية أمر الله نبيه (ص) فقال : قل ـ يا محمّد لهؤلاء الكفار وللخلق أجمعين ـ إنني هداني : أي دلّني وأرشدني ووفقني لذلك، ملة ابراهيم : وإنما وصف دين النبي محمّد (ص) بأنه ملة ابراهيم ترغيباً منه للعرب لجلالة ابراهيم في نفوسهم ونفوس كل أهل الأديان وأنه كان على الحق ، حنيفاً : أي ابراهيم كان مخلصاً في العبادة لله مائلاً إلى الإسلام ، وما كان من المشركين : يعني ابراهيم (ع) وأنه كان يدعو إلى عبادة الله وينهى عن عبادة الأصنام ، وفيها بيان فضل الإسلام ووجوب اتباعه .

قوله تعالى :

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

الرب : المالك المتصرف بالشيء بأتم التصرف . ولما أمر سبحانه نبيه (ص) ببيان الإخلاص في الدين عقبه بأمره أن يبيّن لهم بطلان أفعال المشركين ، قل ـ يا محمّد لهؤلاء الكفار على وجه الإنكار ـ أغير الله أبغي وهو رب كل شيء ؟ أيجوز أن أطلب غير الله رباً وأترك عبادة مَن خلقني ورباني وهو مالك كل شيء وخالقه ومدبّره، وهو الذي جعلكم خلائف الأرض: أي إن أهل

كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله كلما مضىٰ قرن خلفهم قرن، وهذا لا يكون إلا من عالم مدبر، وقيل المراد بذلك أمة محمد (ص) جعلهم الله تعالىٰ خلفاء لسائر الأمم ونصرهم علىٰ سائر الخلق، ورفع بعضكم فوق بعض درجات: في الرزق، وقيل في الصورة والعقل والعمر والمال والقوة ولا إشكال في وجود الحكمة بهذا التفاضل، وما فيه من مصالح للبلاد والعباد، ليبلوكم فيما آتاكم: أي ليختبركم فيما أعطاكم.

تمت ولله الحمد سورة الأنعام وتفسيرها

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

سورة الأعراف

وهي مكية ، وقد روي عن قتادة والضحاك أنها مكية
غير قوله تعالى : واسئلهم عن القرية . . . إلى قوله بما
كانوا يفسقون : فإنها نزلت بالمدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ
وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ
مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾

المٓصٓ : مضى تفسيره في سورة البقرة الآية الأولى . . . فلا يكن في صدرك حرج منه : والحرج معناه الضيق ، و بضيقنّ صدرك خوفاً من أنك لا تقوم بتبليغ ما أنزل اليك حق القيام فليس عليك اكثر من الانذار ، أو فلا يضيقنّ صدرك من قومك اذا كذبوك أو جهلوا حقك . لتنذر به : أي بالقرآن قليلاً ما تذكرون :أي قليلاً يا معشر المشركين تذكركم واتعاظكم .

قوله تعالى :

وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ

دعويهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين ﴿٥﴾

لما تقدم الأمر منه سبحانه للمكلفين باتباع القرآن والتحذير من مخالفته عقب ذلك بتذكيرهم بما نزل بمن قبلهم من العذاب وتحذيرهم أن ينزل بهم ما نزل بأولئك . وكم من قرية . . . فجاءها بأسنا: أي عذابنا ـ بياتاً ـ بالليل ، أو هم قائلون : في وقت القيلولة وهي نصف النهار .

وفي الآية دلالة على أن الاعتراف والتوبة بعد فوات الأوان وحلول العذاب لا ينفع فقد ذكر سبحانه أولئك الذين حل بهم العذاب من الأمم السابقة حينما رأوا العذاب ينزل بهم اعترفوا (إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين) .

قوله تعالى :

فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين ﴿٦﴾ فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين ﴿٧﴾ والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ﴿٨﴾ ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ﴿٩﴾

لما أنذرهم سبحانه بالعذاب في الدنيا عقبه بالانذار بعذاب الآخرة . والآية تحمل معنى القسم والتهديد والتأكيد على الحساب والسؤال والجزاء ، ثم أكد سبحانه فقال : فلنقصن عليهم : أي لنخبرنهم بجميع أفعالهم ليعلموا أن أعمالهم محفوظة مسجلة ، وما كنا غائبين : عن علم افعال الرسل وسائر البشر وأخبارهم ، والوزن يومئذ الحق : وذلك في الآخرة وانه لا ظلم فيها على احد ولا خوف من جور .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

ذكر سبحانه نعمه على البشر بالتمكين في الأرض وما خلق فيها من الأرزاق مضافة لنعمه السابقة عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل . وجعلنا لكم معايش : أي ما تعيشون به من أنواع الأرزاق ووجوه النعم والمنافع والتمكن منها بالعلم والقدرة والآلات . قليلاً ما تشكرون : أي انتم مع هذه النعم شكركم قليل ، ولقد خلقناكم ثم صورناكم : فالمراد أنا بدأنا خلق آدم (ع) من التراب ثم وقعت الصورة بعد ذلك ، ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم : تكريماً وتعظيماً لمخلوق الله العظيم ، وقد مضى معنى السجود وامتناع ابليس عن السجود في سورة البقرة آية (٣٤) ....

قوله تعالى :

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾

الصاغر : الذليل بصغر القدر ، وفيها حكى سبحانه خطابه لابليس حين امتنع من السجود لآدم (ع) ، قال ابن عباس : أول من قاس ابليس فأخطأ

القياس ، فمَن قاس الدين بشيء من رأيه قرنه الله بابليس ، وقد فضّل النار برأيه ، وإنّما التفضيل منه سبحانه لمخلوقاته ، ومع هذا فقد قيل: ان الطين خير من النار لأنه أكثر منافع للخلق من حيث أن الأرض مستقر الخلق وفيها معايشهم ومنها يخرج انواع أرزاقهم . و. و. قال فاهبط منها : أي من السماء ، وقيل: من الجنة .

قوله تعالى :

قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾

قال : ابليس ـ انظرني : أي امهلني وأخرني في الأجل ولا تمتني الى يوم يبعثون: أي الخلائق حين يبعثون من قبورهم للجزاء ، وقيل: معناه انظرني في الجزاء إلى يوم القيامة ، فكأنه خاف أن يعاجله الله بالعقوبة ، قال الله تعالى لابليس إنك من المنظرين : أي المؤجلين ، قال ابليس فبما اغويتني اي خيّبتني وطردتني من رحمتك وجنتك ، أو بما امتحنتني به من السجود لأدم فغويتُ عنده ، أو بما حكمت بغوايتي وأهلكتني بلعنك إياي ـ لأقعدن لهم ـ أي لأولاد آدم على طريقك المستقيم ، ولأصدنهم عن طريق الحق بالاغواء ، وأزين لهم الدنيا وأُخوفهم الفقر ، وأقول لهم لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب ، وآتيهم من جميع الجهات التي تؤثر فيهم وتصرفهم عن الحق واعمال الخير ، وآتيهم من حيث

يبصرون ومن حيث لا يبصرون ، ولا تجد اكثرهم شاكرين : وهذا إخبار من ابليس أن الله تعالى لا يجد اكثر خلقه شاكرين .

قوله تعالى :

قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾

الذام : أشد العيب ، والدحر: الدفع بالهوان والاذلال ، والوسوسة: الدعوة الى أمر بصوت خفي، والموارات: ستر الشيء . والسوأة : الفرج لأنه يسوء صاحبه اظهاره ، والمقاسمة: الحلف واليمين والقسم . وقد بيّن سبحانه ما فعله بابليس من الاهانة والاذلال ، وآتاه آدم من الإكرام والإجلال . ولا تقربا هذه الشجرة - بالأكل - فتكونا من الظالمين : الباخسين نفوسهم المضيّعين الثواب العظيم ، وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة البقرة ، ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما : أي عوراتهما ، ولازمه أن يكون ابليس علم أن مَن أكل من هذه الشجرة بدت عورته ، وأن من بدت عورته لا يترك في الجنة وأوهمهما أنهما إذا أكلا من هذه الشجرة تغيرت صورتهما إلى صورة الملك وأنهما سوف يخلدان ولا تبيد حياتهما . قاسمهما : أي حلف لهما بالله تعالى أني لكما من الناصحين :

المخلصين لأن ظنهما أن أحداً لا يقدر أو لا يقدم على اليمين بالله إلا صادقاً .

قوله تعالىٰ :

فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن
تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا
رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾
قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ
وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا
تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾

طفق يفعل : أي ضل يفعل .قال الكلبي: فلما أكلا منها تهافت لباسهما عنهما فأبصر كل واحد منهما سوءة صاحبه فاستحيا . فطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة لسيترا سوآتهما ، وهذا إنما كان لأن المصلحة اقتضت اخراجهما من الجنة واهباطهما إلىٰ الأرض لا لغرض عقوبتهما، قالا ربنا ظلمنا أنفسنا : وبخسنا وضيّعنا ثوابها بترك المندوب اليه . ولا خلاف أن آدم (ع) وحواء لم يستحقا العقاب . وفي الآية دلالة علىٰ أن الله سبحانه يخرج العباد يوم القيامة من هذه الأرض .

قوله تعالىٰ :

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ
ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ
ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا
جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ
وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ
أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾

الريش والأثاث : متاع البيت من فراش وغيره ، لما ذكر سبحانه نعمته علىٰ بني آدم في تبوئه الدار والمستقر ، عقّبه بذكر النعمة في الملابس والستر. يا بني آدم : وهو خطاب عام لجميع أهل الأزمنة من المكلفين . أنزلنا عليكم لباساً : أي أعطيناكم ووهبنا لكم . أو خلقنا لكم . ولباس التقوىٰ : هو العمل الصالح ،وقيل:هو ثياب النسك والتواضع.وقيل:ما يتّقي بها الانسان حين الحرب من الآلات والدروع . إنه ـ أي الشيطان ـ يراكم هو وقبيله : أي نسله ، قال قتادة:والله إن عدواً يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا مَن عصم الله ، إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون : أي حكمنا بذلك لأنهم يتناصرون علىٰ الباطل : وإذا فعلوا فاحشة : كنّىٰ بها عن المشركين الذين كانوا يبدون سوآتهم في طوافهم فكان يطوف الرجال والنساء عراة ، يقولون نطوف كما ولدتنا أُمهاتنا ولا نطوف في الثياب التي ارتكبنا فيها الذنوب ،

وكانوا يعملون شيئاً من سيور مقطعة يشدّونها على حقويهم ويسمى حوفاً ، وإن عملوه من صوف يسمى رهطاً ، ويبررون ذلك ، قالوا وجدنا عليها آباءنا : قيل ومن أين أخذها آباؤكم قالوا : الله أمرنا بها .

قوله تعالىٰ :

﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

القسط : العدل إذا كان مع الحق ، وإذا كان مع الباطل فهو جور ، ومنه قوله تعالىٰ : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » :ولما بيّن سبحانه أنه لا يأمر بالفحشاء ، وهو اسم جامع للقبائح والسيئات ، عقبه ببيان ما يأمر به من القسط وهو اسم جامع لجميع الخيرات ، وأقيموا وجوههم عند كل مسجد : أي توجهوا الى قبلة كل مسجد في الصلاة أو بمعنىٰ توجهوا الى الكعبة في صلواتكم ، وقيل إن المراد إذا أدركتم الصلاة في مسجد فصلّوا ، ولا تقولوا حتى ارجع الى مسجدي ، أو اقصدوا عند كل صلاة وفيها أمر بصلاة الجماعة التي هي مستحبة عند أكثر الملسلمين . كما بدأكم تعودون : وأنّ بعثكم ليس باشد من ابتدائكم وخلقكم فاعتبروا بالابتداء وتهيؤا للنهاية . فريقاً هدىٰ : أي جماعة هداهم الى طريق الثواب وأعانهم حين طلبوا ذلك وعملوا له ، وفريقاً حق عليهم الضلالة : أي وجب عليهم إذا لم يقبلوا الهدىٰ ، أو بمعنىٰ حق عليهم العذاب والهلاك :

بكفرهم وضلالهم ، انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ، وأطاعوا الشياطين فيما دعوهم اليه مع ضلالتهم يصرون على دعوى الهداية ، ويحسبون أنهم مهتدون . وأنهم على الحق .

قوله تعالى :

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةٗ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأٓيَٰتِ لِقَوْمٖ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾

لما تقدم ذكر ما أنعم الله سبحانه على عباده من اللباس والرزق ، أمرهم في أثرها بتناول الزينة والتستر والاقتصاد في المأكل والمشرب فقال : يا بني آدم ، وهو خطاب لعموم المكلفين . خذوا زينتكم عند كل مسجد : أي خذوا ثيابكم التي تتزينون بها للصلاة في الجمعات والأعياد ، وقيل معناه: خذوا ما تسترون به عوراتكم ، لأنهم كانوا يتعرون من ثيابهم للطواف على ما تقدم بيانه ، وكان يطوف الرجال بالنهار والنساء بالليل ، وقيل: ان أخذ الزينة هو التمشط عند كل صلاة ، وقد روي ذلك عن الصادق (ع)، ولا تسرفوا: أي لا تتجاوزوا الحلال الى الحرام، وقيل معناه: لا تخرجوا عن حد الاستواء والاعتدال في زيادة المقدار ، وما استقبحه العقلاء وعاد بالضرر فهو اسراف لا يحل .

قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصةً يوم القيامة : قال ابن عباس : يعني أن المؤمنين يشاركون المشركين الطيبات في الدنيا فأكلوا من طيباتها ولبسوا

من جياد ثيابها ثم يخلص الله الطيبات في الآخرة للذين آمنوا وليس للمشركين فيها شيء . وفي هذه الآية دلالة على جواز لبس الثياب الفاخرة وأكل الاطعمة الطيبة الحلال .

قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾

بيّن سبحانه المحرمات وجميع القبائح والكبائر ما ظهر واتضح قبحه منها مثل التعري ، وما بطن واستتر مثل الزنا ، والإثم : وهي الذنوب والمعاصي ، وقيل الإثم: الخمر ، والبغي: الظلم والفساد ، بغير الحق : أي انه قد يكون بالحق كما إذا كان البغي قصاصاً . ولكل أمة أجل : أي لكل جماعة واهل عصر وقت لاستئصالهم ، أو أن الأجل هنا بمعنى الأعمال ومدة الحياة .

قوله تعالى .

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾

لما تقدم ذكر النعم الدنيوية عقّبه بذكر النعم الدينية ، والخطاب يعم جميع المكلفين من بني آدم ، فمَن أتقى المعاصي واجتنبها وأصلح امر دينه وعقيدته ، فلا خوف عليهم في الدنيا ، ولا هم يحزنون : في الآخرة . والذين كذبوا بآياتنا ـ وحججنا ـ واستكبروا عنها ـ ولم يقبلوها ـ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ، باقون مؤبداً .

قوله تعالى :

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

ذكر سبحانه وعيد المكذبين وأنه لا أحد أظلم من المكذب ، وإنما جاء بلفظ الاستفهام ليكون أبلغ في الإخبار والتوبيخ والتهديد ، أولئك ينالهم نصيبٌ من الكتاب : أي من العذاب ،أو بمعنى ينالهم نصيب من العمر والرزق ، فلا يقطع رزقهم بكفرهم ،أو ينالهم جميع ما كتب لهم وعليهم ، حتى إذا جاءتهم رسلنا ـ يعني الملائكة ـ قالوا ـ الملائكة قالوا ـ اين ما كنتم تدعون من دون الله ـ من الأوثان والأصنام ، وقول الملائكة توبيخ للكفار قالوا ـ أي قال الكفار ـ ضلّوا عنا ـ أي ذهبوا عنا فلا يقدرون على الدفع عنا .

قوله تعالى :

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ

كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ
لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ
ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ
عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

الجن : جنس من الحيوان مستترون عن أعين الناس لرقتهم . قال ادخلوا : هذه حكاية قول الله تعالى للكفار يوم القيامة أدخلوا في أمم قد خلت: في جملة أقوام وجماعات مضت ، كلما دخلت أمة النار ـ لعنت اختها ـ التي سبقتها الى النار ـ حتى إذا اداركوا ـ اي تلاحقوا وأدرك بعضهم بعضاً واجتمعوا في النار . .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ
وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

عاد الكلام الى الوعيد لمن تكبروا عن قبول آيات الله ورسله ، وسوف لن تفتح ابواب السماء لأرواحهم كما تفتح لأرواح المؤمنين ، او لا تفتح لدعواتهم

وقبول أعمالهم ، ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج الجمل في سم الخياط : أي حتىٰ يلج البعير في ثقب الأبرة ، ومعناه لا يدخلون الجنة أبداً ، وهذا كما تقول العرب في التبعيد للشيء لا أفعل كذا حتىٰ يشيب الغراب وحتىٰ يبيض القار . لهم من جهنم مهاد : أي فراش ومضجع ، ومن فوقهم غواش : أي النار محيطة بهم من اعلاهم وأسفلهم .

قوله تعالىٰ :

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

لما تقدم وعيد الكفار بالخلود في النار اتبع ذلك بالوعد للمؤمنين بالخلود في الجنان وأنه سبحانه لا يكلف عباده من الطاعات إلا ما يقدرون عليها وما تسعها طاقتهم . ونزعنا ما في صدورهم من غل : أي وأخرجنا ما في قلوبهم من حقدٍ وحسدٍ وعداوة في الجنة بحيث لا يحسد بعضهم بعضاً حين يراه أرفع درجة في الجنة منه ، متطامنون مستأنسون بما آتاهم الله .

قوله تعالىٰ :

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا

فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ
اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾

حكى سبحانه ما يجري بين أهل الجنة والنار بعد استقرارهما في الجنة والنار واعتراف كل من الفريقين بأنهما وجدا ما وعدهما به ربهما حقاً وصدقا من الجنة ونعيمها ، والنار وعذابها ، فأذّن مؤذّن بينهم : نادى منادٍ بينهم بحيث اسمع الفريقين . أن لعنة الله على الظالمين : أي غضب الله وسخطه على الكافرين الذين ظلموا انفسهم بالكفر واتباع الهوى والشيطان ، ويبغونها عوجاً أي يطلبون العوج بما يلقونه من شبه .

قوله تعالى :

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ
وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾
وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ
الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾

وبينهما : أي بين الفريقين من أهل الجنة وأهل النار سور ، والأعراف سور بين الجنة والنار ، وقيل الأعراف الصراط . والمراد بالرجال : أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فحالت حساناتهم بينهم وبين النار ، وحالت سيئاتهم بينهم

وبين الجنة فجعلوا هناك حتىٰ يقضي الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة ، وقيل انهم الملائكة في صورة الرجال يعرفون اهل الجنة والنار ويكونون خزنة الجنة والنار جميعاً .

وقال أبو جعفر الباقر (ع) : هم آل محمّد عليهم السلام لا يدخل الجنة مَن انكرهم وأنكروه، يعرفون كلاً بسيماهم : يعني هؤلاء الرجال الذين هم على الأعراف يعرفون اهل الجنة بسيماء المطيعين وأهل النار بسيماء العصاة . ونادوا اصحاب الجنة : يعني هؤلاء الذين على الأعراف ينادون اصحاب الجنة : أن سلام عليكم : وهو تهنئة وسرور بما وهبهم الله سبحانه . لم يدخلوها : أي لم يدخلوا الجنة وهم في طريقهم اليها ، وهم يطمعون : بدخولها ، والطمع هنا يؤدي معنى اليقين بدخولها . وأذا صرفت ابصارهم : أي ابصار الذين على الأعراف ، تلقاء اصحاب النار : إلىٰ جهنم فنظروا اليهم ، قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين . أي لا تجعلنا وإيّاهم في النار ، وذلك لشدة وهول ما رأوه من حال النار ومَن فيها .

قوله تعالىٰ :

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾

بيّن سبحانه خطاب اصحاب الأعراف لأصحاب النار وأن أصحاب

الأعراف يعرفون أصحاب النار بسيماهم وكناهم وعلاماتهم التي جعلها الله عليهم من سواد الوجوه وتشويه الخلقة، أو يعرفونهم بصورهم في الدنيا ، ما أغنى عنكم جمعكم : للأموال والعدد في دار الدنيا واستكباركم على الرسل والمؤمنين . أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة : أي حلفتم أنهم لا يصيبهم الله برحمته وخيره ولا يدخلون الجنة، ثم ينادى على المؤمنين ، أدخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون : على اكمل سرور ، وفيه تقريع للذين احتقروا ضعفاء المؤمنين وحلفوا أنه لا خير لهم عند الله .

قوله تعالى :

وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٥١﴾

ذكر سبحانه كلام أهل النار وما أظهروه من الذل بدلاً مما كانوا عليه من الاستكبار . أفيضوا علينا : أي صبوا علينا من الماء نسكّن به العطش أو ندفع به حر النار أو مما رزقكم الله : أي مما أعطاكم الله من الطعام ، ويجيبهم أهل الجنة : إن الله حرمهما على الكافرين .

ثم بيّن سبحانه صفات اهل النار : الذين اتخذوا دينهم لهواً ، فحرموا ما شاؤوا واستحلوا ما شاؤوا بشهواتهم واغتروا بطول البقاء في الدنيا : فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا: أي نتركهم في العذاب كما تركوا التأهب والعمل للقاء

هذا اليوم ، أو نعاملهم معاملة المنسي في النار . وما كانوا بـآياتنـا يجحدون : أي ولكونهم جاحدين لآياتنا .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾

لما ذكر حال الفريقين ، بيّن سبحانه أنه قد آتاهم الكتاب والحجّة ، على علم :أي ونحن عالمون به وأنه : هدىً ورحمةً لقوم يؤمنون : أي انه دلالة ترشدهم ونعمة على جميع المؤمنين لأنهم المنتفعون به . هل ينظرون إلا تأويله : أي هل ينظرون إلا عاقبة الجزاء عليه وما يؤول مغبة أمورهم اليه ،أو ما وُعدوا به من البعث والنشور والحساب يقول الذين نسوه من قبل : وتركوا العمل بكتاب الله وأعرضوا عنه قد جاءت رسل ربنا بالحق : وبذلك يعترفون بأن ما جاءت به الرسل هو الحق ويتمنون أن يكون لهم شفعاء يشفعون لهم في ازالة العذاب .أو نُرد - الى الدنيا - فنعمل غير الذي كنا نعمل : وهي أماني ومواعيد طالما رددها المسرفون بماضيهم حين يصدموا بالواقع وتزال عنهم حجب الجهل والغرور ، ولكن بعد فوات الأوان . أجارنا الله من ذلك .

قوله تعالىٰ :

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥٤)

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

لما ذكر سبحانه الكفار وعبادتهم غير الله ، احتج عليهم بمقدوراته ومصنوعاته ودلهم بذلك علىٰ أنه لا معبود سواه ، وحين ذكر سبحانه أنه الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام بمعنىٰ في مقدار ستة ايام من ايام الدنيا ، ولا شبهة أنه سبحانه يقدر علىٰ خلق امثال ذلك في لحظة . ثم استوىٰ علىٰ العرش : أي استوىٰ أمره علىٰ الملك ، يغشي الليل النهار : يعني باحدهما بعد الآخر فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ، حثيثاً :أي سريعاً .

قوله تعالىٰ :

﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (٥٥) ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥٦)

التضرع : التذلل ومثله التخشع ، وفيها امر سبحانه بعد ذكر دلائل التوحيد

أمر بدعائه على وجه الخشوع من كافة عبيده . تضرعاً وخفية : اي تخشعاً وسراً ، وقيل التضرع رفع الصوت والخفية السر اي ادعوه علانية وسراً . إنه لا يحب المعتدين : في الدعاء : قيل هو أن يطلب منازل الأنبياء فيجاوز الحد في الدعاء وقيل هو الصياح في الدعاء وقيل لا يحب المجاوزين الحد المرسوم في جميع العبادات والدعوات . وادعوه خوفاً وطمعاً : خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه .

قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

لما أخبر سبحانه في الآية المتقدمة بأنه خلق السماوات والأرض وما فيهما من البدائع ، عطف على ذلك بقوله : وهو الذي يرسل الرياح . . . أي يطلقها ويجريها منتشرة في الأرض ، أو مبشرة بالغيث ، حتى إذا أقلت ـ أي حملت سحاباً ثقالاً بالماء ـ سقناه لبلد ميت : لا نبات فيه ولا زرع . لعلكم تذكرون : أي تتذكروا وتتفكروا وتعتبروا بأن من قدر على إنشاء الأشجار والثمار في البلد الذي لا ماء فيه فإنه يقدر على إحياء الأموات بأن يعيدها الى ما كانت عليه ، والبلد الطيب : أي ما كان أرضه وترابه طيب، يخرج نباته باذن ربه : أي كما يشاء ربه طيب دون عناء ولا تعب من زارعه وغارسه ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً : اي

والأرض السبخة التي خبث ترابها يخرج ريعها قليلاً لا ينتفع به ، وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن : أن هذا مثل ضربه الله تعالىٰ للمؤمن والكافر ، فأخبر بأن الأرض كلها جنس واحد إلا أن منها طيبة تلين بالمطر ويحسن نباتها ويكثر ريعها ، ومنها سبخة لا تُنبت شيئاً فإن انبتت فما لا نفع فيه ، وكذلك القلوب كلها لحم ودم ، فمنها لين يقبل الوعظ ، ومنها قاس جاف لا يقبل الوعظ ، فليشكر الله تعالىٰ من لان قلبه لذكر الله وآياته .

قوله تعالىٰ :

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم
مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ
مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ
وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ
مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ
وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟
قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾

لما بيّن سبحانه الأدلة علىٰ وحدانيته ذكر بعده حال مَن عاند وكذب رسله

تسلية لنبينا محمد (ص) وتثبيتاً له على احتمال الأذى من قومه، وتحذيراً لهم عن الاقتداء بأولئك فينزل بالمتأخرين ما نزل بالمتقدمين من البلاء والعذاب، وابتدأ بقصة نوح (ع) وهو نوح بن ملك بن متوشلخ بن اخنوخ النبي وهو ادريس (ع)، ونوح اول نبي بعد ادريس ولد في العام الذي مات فيه آدم (ع) وبعث وهو ابن اربعمائة سنة، وقيل وهو ابن خمسين سنة، ولبث في قومه الف سنة إلا خمسين عاماً، وكان في تلك الألف ثلاثة قرون عايشهم وعمر فيهم وكان يدعو ليلاً ونهاراً فلا يزيدهم دعاؤه إلا فراراً، ثم شكى الى الله تعالى ففرغت له الدنيا، وعاش بعد الطوفان تسعين سنة، وروي عن أبي عبدالله (ع) قال: عاش نوح ألفي سنة وخمسمائة سنة، منها ثمانمائة وخمسين قبل أن يبعث، والف سنة إلا خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم، ومئتي عام في عمل السفينة، وخمسمائة عام بعد ما نزل من السفينة ونضب الماء فمصر الأمصار وأسكن ولده البلدان، ثم إن ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السلام عليك. فرد عليه نوح وقال له: ما جاء بك يا ملك الموت؟ فقال: جئتك لأقبض روحك. فقال له: تدعني أتحول من الشمس الى الظل، فقال له نعم. قال فتحول نوح ثم قال له: يا ملك الموت كأن ما مر بي من الدنيا مثل تحولي من الشمس الى الظل، فامض لما أمرت به، قال: فقبض روحه (ع).

قوله تعالى:

وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي

سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ﴿٦٧﴾ أبلغكم رسالات
ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴿٦٨﴾ أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على
رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح
وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ﴿٦٩﴾ قالوا
أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا
إن كنت من الصادقين ﴿٧٠﴾ قال قد وقع عليكم من ربكم رجس
وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها
من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين ﴿٧١﴾ فأنجيناه والذين معه
برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين ﴿٧٢﴾

عطف سبحانه على قصة نوح فذكر قصة هود . والى عادٍ : وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح (ع) أخاهم : يعني في النسب لا في الدين . هوداً : وهو هود ابن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح (ع) ثم ذكرهم بنعم الله عليهم ، إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ، وجعلهم سكان الأرض من بعد قوم نوح وهلاكهم بالطوفان . وزادكم في الخلق بسطةً : أي طولاً وقوةً . قال أبو جعفر (ع) كانوا كأنهم النخل الطوال ، وكانوا اطول من غيرهم ، آلاء الله ـ أي نعم الله ـ في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم : أي في أصنام صنعتموها أنتم وآباؤكم واخترعتم

لها اسماء سميتموها آلهة، ما أنزل الله بها من سلطان:أي حجّة وبرهان فيما ادعيتم وسميتم ، فانتظروا : عذاب الله فإنه نازل بكم . فأنجيناه والذين معه برحمةٍ منا : أي فخلصنا هوداً والذين آمنوا معه . وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا : أي واستأصلنا الذين كذبوا بحججنا فلم يبق لهم نسل ولا ذرية ، وفي هذه الآية دلالة على أن قوم هود استؤصلوا فلا عقب لهم ومجمل قصة هود : إن عاداً كانوا ينزلون اليمن وكان لهم زرع ونخل ولهم أعمار طويلة وأجساد عظيمة ، وكانوا أصحاب اصنام يعبدونها ، فبعث الله تعالى اليهم هوداً نبياً وكان أوسطهم نسباً وأفضلهم حسباً ، فدعاهم الى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه وآذوه ، فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين،وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا ، وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد التجأوا الى بيت الله الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم ، وأهل مكة يومئذٍ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح . فبعث عاد وفداً الى مكة ليستسقوا لهم وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد الى الإستسقاء ، فقال : يا إلهنا إن كان هود صادقاً فأسقنا فإنا قد هلكنا . فأنشأ الله سبحانه سحاباً من النقمة فساقه الى عادٍ فلما رأوها استبشروا وقالوا هذا عارض ممطرنا . يقول الله عز وجل : بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم : فسخّرها الله تعالى عليهم سبع ليالٍ وثمانية ايامٍ حسوماً ، أي دائمةً فلم تدع من عاد احداً إلا هلك واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة لم يصبهم من العذاب شيء . وكان هود وصالح وشعيب واسماعيل ونبيّنا محمّد (ص) يتكلمون بالعربية .

قوله تعالى :

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ

فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَاذْكُرُوا
إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ
سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي
الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ
اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا
أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ
كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا
بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا
فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ
رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾

عطف سبحانه على ما تقدم فذكر قصة صالح وقومه فقال : **والى ثمود . . .** أي وأرسلنا الى ثمود ، وثمود هنا القبيلة ، أما ثمود فهو ابن عامر بن ارم بن سام بن نوح وصالح من ولد ثمود ، **قد جاءتكم بينة من ربكم** : أي دلالة ومعجزة شاهدة على صدقي . **هذه ناقة الله لكم آية** : انما نسبها الله إلى نفسه لأنه خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على قدرته وتوحيده . وملخّص قصة صالح والناقة أن عاداً لما هلكت ، عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الأرض ، وكانوا في سعة من معايشهم

فعتوا على الله وافسدوا في الأرض وعبدوا غير الله ، فبعث الله اليهم صالحاً وكان من أوسطهم نسباً ، وكانوا قوماً عرباً فلبث فيهم يدعوهم الى الله تعالى حتى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه الى خير ، وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها ، فلما رأى ذلك منهم قال لهم أنا عارض عليكم أمرين إن شئتم فاسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألون.وإن شئتم سألت الهتكم فإن أجابوني خرجت عنكم فقد شنئتكم وشنئتموني ، قالوا:قد أنصفت ، وخرجوا جميعاً ولم تجب أصنامهم الى شيء من الدعوات ، فقالوا:يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة ناقةً أوصافها كذا وكذا فخرجت باذن الله كما طلبوا وهم ينظرون ، فآمن به رهط من قومه ولم يؤمن أكابرهم ، فقال لهم صالح هذه ناقة لها شربٌ ولكم شربُ يوم معلوم ، فاذا كان يومها وضعت رأسها في مائهم فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيه ، ثم ترفع رأسها فيحتلبون ما شاؤوا من لبنها فيشربون ويدّخرون ، فكانوا في سعة ودعة ، ويشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشقّ ذلك عليهم وكانت تنفر مواشيهم من الناقة لعظمها فهمّوا بقتلها فتعاون رهط من مفسديهم على قتلها ولم ينكر الباقون افعال سفهائهم فحق على الجميع العذاب والبلاء فلم يبقَ منهم ثاغية ولا راغية ولا شيئاً يتنفس إلا أهلكه الله فأصبحوا في ديارهم موتى ، ثم أرسل الله اليهم النار من السماء فأحرقتهم أجمعين .

قوله تعالى :

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ

إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾

عطف سبحانه على ما تقدم فقال (ولوطاً) أي وأرسلنا لوطاً ، أو واذكر لوطاً ، وهو لوط بن هاران بن تارح بن أخ ابراهيم الخليل (ع) ، وقيل: ابن خالة ابراهيم وكانت سارة امرأة ابراهيم اخت لوط ، وان لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة وكان نازلاً فيهم ولم يكن منهم ، يدعوهم الى الله وينهاهم عن الفواحش ويحثهم على الطاعة فلم يجيبوه ولم يطيعوه ، وكانوا لا يتطهرون من الجنابة بخلاء أشحاء على الطعام فأعقبهم البخل الداء الذي لا دواء له في فروجهم ، وذلك أنهم كانوا على طريق القوافل الى الشام ومصر وكان ينزل عليهم الضيوف فدعاهم بخلهم الى تنفير الضيوف فكانوا اذا نزل بهم الضيف راودوه وفعلوا به القبيح لتنفير الضيوف وطردهم دون شهوة منهم الى ذلك حتى صاروا بعد حين يطلبونه من الرجال شهوة ويعطون عليه الأموال وكان لوط (ع) سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به فنهوه عن ذلك وقالوا : لا تقرينّ ضيفاً جاء ينزل بك فإنّك إن فعلت فضحنا ضيفك . فكان لوط (ع) إذا نزل به الضيف كتم أمره عن قومه .

فلما أراد الله سبحانه عذابهم بعث اليهم رسلاً مبشرين ومنذرين فلما عتوا عن أمر ربهم بعث الله اليهم جبرائيل (ع) في نفر من الملائكة فأقبلوا الى ابراهيم قبل لوط فلما رآهم ابراهيم ذبح عجلاً سميناً، فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفةً، قالوا: يا ابراهيم إنا رسل ربك ونحن لا نأكل الطعام، إنا ارسلنا الى قوم لوط وخرجوا من عند ابراهيم فوقفوا على لوط وهو يسقي الزرع فقال

مَن أنتم ؟ قالوا : نحن ابناء السبيل أضفنا الليلة ، فقال لوط : إن أهل هذه القرية قوم سوء ينكحون الرجال في أدبارهم ويأخذون أموالهم . قالوا : قد أبطأنا فأضفنا ، فجاء لوط الى أهله وكانت امرأته كافرة فقال قد أتاني أضياف في هذه الليلة فاكتمي أمرهم ، قالت:أفعل ، وكانت العلامة بينها وبين قومها أنه اذا كان عند لوط اضياف بالنهار تدخن من فوق السطح ، واذا كان بالليل توقد النار .

فأقبل القوم من كل ناحية يهرعون اليه ودار بينهم ما قصّه الله تعالى في كتابه ، فضرب جبرائيل (ع) بجناحه على عيونهم فطمسها فلما رأوا ذلك علموا أنهم قد أتاهم العذاب ، فقال جبرائيل يا لوط اخرج من بينهم أنت وأهلك إلا امرأتك ولا يلتفت منكم احد ، فخرجوا من القرية فلما طلع الفجر جعل الله عاليها سافلها بعد ان أمطر الله عليهم حجارة من سجيل ، وقيل قلبت المدينة على الحاضرين فيها فجعل الله عاليها سافلها وأمطرت الحجارة على الغائبين فأهلكوا بها .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجُزءُ التَّاسِع

مِنَ القرآن الكَريم

قوله تعالى :

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ
غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ
قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦) وَإِنْ
كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا
فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧)

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

عطف سبحانه على ما تقدم من قصص الأنبياء فذكر قصة شعيب (ع) (والى مدين) أي وأرسلنا الى مدين ، وقيل ان مدين ابن ابراهيم الخليل (ع) (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) أي لا تنقصوهم حقوقهم ، (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) لأنهم كانوا يقعدون على طريق من يقصد شعيباً للإيمان به فيخوفونه بالقتل ، وقيل انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس (واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم) أي كثر عددكم بالأنفس والأولاد أو كنتم فقراء فأغناكم وكثر أموالكم ومتاعكم (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) أي فكروا في عاقبة امر ثمود وعاد ولوط ، وانزال العذاب بهم وما حل بهم من البوار بسبب كفرهم وفسقهم

قوله تعالىٰ :

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴿٨٩﴾

اخبر سبحانه عمّا دار بين شعيب وبين الذين استكبروا من قومه ، وأنهم توعدوه (لنخرجنّك يا شعيب . . . أولتعودنّ في ملّتنا) لأنهم كانوا يظنون أن شعيباً كان في السابق على دينهم لأنه (ع) كان يخفي دينه عنهم قبل أن يؤمر باعلان الأمر ، (قال) شعيب لقومهِ أتعيدوننا في ملّتكم ولو كنّا كارهين للدخول فيها لما عرفناه من بطلانها (بعد إذ نجّانا الله) تعالىٰ منها وأوضح لنا الأدلة والحجج على بطلان عقائدكم وملّتكم (إلا أن يشاء الله) أي إلا أن يشاء الله تمكينكم من اكراهنا على الدخول في دينكم ، أو إلا أن يشاء الله أن يردكم الى الحق فنكون وإياكم ملة واحدة . (ربنا افتح بيننا . . .) أي احكم بيننا وبينهم ، وأنت خير الحاكمين الفاصلين .

قوله تعالىٰ :

وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ۚ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾

حكى سبحانه ما قالته الجماعة الكافرة الجاحدة بآيات الله فكان جزاء مقالتهم وحربهم لله ولرسوله (فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة ، وقيل: ارسل الله عليهم رمدة وحراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فدخلوا اجواف البيوت فدخل عليهم البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء، وأنضجهم الحر ، وقيل: بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي ميّتين ملقون على وجوههم (كأن لم يغنوا فيها) أي كأن لم يعيشوا مستغنين ، أو كأن لم يعمروا في الدنيا (فكيف آسىٰ على قوم كافرين) أي فكيف احزن علىٰ عذاب قوم استحقوا العذاب بكفرهم وشدة عتوهم ، وفي هذا دلالة على انه لا يجوز للمسلم أن يدعو للكافر بالخير وانه لا يجوز الحزن علىٰ هلاك الكافرين والظالمين .

قوله تعالىٰ :

وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ

يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا
قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾

ذكر سبحانه تسليةً لنبيه محمّد (ص) سنّته في انبيائه وتكذيب أممهم إياهم وما نزل بهم من العذاب المسبوق بالانذار (.. بالبأساء والضراء لعلّهم يضّرعون) أي ليتنبهوا أن ذلك مقدمة لحلول عذاب الله فيهم فيتوبوا الى الله ويتضرعوا اليه ويكفّوا عن شركهم ومحاربتهم لله ولرسله ، ويعني بالبأساء ما نالهم من الشدة في انفسهم وبالضراء ما نالهم في أموالهم ، وقيل :البأساء الجوع والضراء الأمراض والشدائد ، ولكنهم لم يتعظوا بالنذر ولم يسارعوا لكشف البلاء عنهم بالتوبة ، بل انهم عللوا ذلك بأنه من عادة الدهر وان ذلك يمسّ كل البشر كما مسّ آباءهم (وقالوا قد مسّ آباءنا الضراء والسراء) وحثّ بعضهم بعضاًعلى التمسك بما هم عليه من الكفر والظلم والفساد (فأخذناهم بغتةً) أي فجأة .

وفي الأية بيّن سبحانه انه يدبر خلقه الذين يعصونه بأن يأخذهم تارةً بالشدة وتارةً بالرخاء فاذا أصروا على كفرهم وفسادهم ولم يتعظوا بالنذر أخذهم فجأة ليكون ذلك اعظم في الحسرة وأبلغ في العقوبة والموعظة .

قوله تعالىٰ :

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ
أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ

الْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ
فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾

بيّن سبحانه أن كل من أهلكه الله من الأمم المتقدم ذكرهم انما كان بسبب جحودهم وعنادهم وعدم توقيهم من الشرك والمعاصي (أفأمن اهل القرى) المكذبون لك يا محمد (أن يأتيهم بأسنا) اي عذابنا (بياتا) ليلاً (وهم نائمون . .) فينبغي لهم أن لا يأمنوا وقوع العذاب عليهم ليلاً او نهاراً (أفأمنوا مكر الله) أي أأمنوا عذاب الله أن يأتيهم من حيث لا يشعرون ، وإنما سمي العذاب مكراً لنزوله بهم من حيث لا يعلمون كما أن المكر ينزل بالممكور به من حيث لا يعلمه ، وقيل:ان مكر الله استدراجه اياهم بالصحة والسلامة وطول العمر وتوالي النعم . ومعنى الآية الإبانة عما يجب عليه المكلف من الخوف من عقاب الله سبحانه فيسارع الى طاعته واجتناب معاصيه وعدم التهالك في المعاصي والقبائح .

قوله تعالى :

أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم
بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ
مِنْ أَنۢبَآئِهَا وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا
كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا

وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾

انكر سبحانه عليهم تركهم الاعتبار بمصير من تقدمهم من الأمم وما أصابهم من عذاب وبلاء بكفرهم وفسقهم (أولم يهدِ . . .) أي أولم يبين الله لكم أولم يهد ما تلونا من انباء القرى (تلك القرى نقص عليك) يا محمّد (من أنبائها) لتتفكر فيه وتخبر قومك ليتذكروا ويعتبروا ويحذروا من الإصرار على مثل حال أولئك من الكفر والفساد المغترين بطول الإمهال وتواتر النعم . (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) أي ما وجدنا لأكثر الذين هلكوا وفاءً بالعهد ، والمراد بالعهد هو ما أودع الله العقول من وجوب شكر المنعم واجتناب القبائح (وإن وجدنا اكثرهم لفاسقين) فقد يكون الكافر غير مرتكب للمحرمات والقبائح ولكن أكثرهم فاسق غير لازم لمذهبه غير موفٍ بعهد الرسل والعقول .

قوله تعالى :

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا
فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ
إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ
إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ
إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ
فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾

عطف سبحانه بقصة موسى (ع) على ما تقدم من قصص الأنبياء (ع) (ثم بعثنا من بعدهم) أي من بعد الرسل الذين ذكرهم سبحانه ، أو من بعد الأمم الذين هلكوا بالعذاب (الى فرعون) وكان اسم فرعون الوليد بن مصعب وكانت مقالة موسى (ع) (حقيق عليّ أن لا أقول على الله إلا الحق) أي واجب علي ترك القول على الله إلا الحق (فأرسل معي بني اسرائيل) أي فاطلق سراح بني اسرائيل من السخرة ودعهم يرجعون الى الأرض المقدسة ، وكان فرعون والقبط قد استعبدوا بني اسرائيل واعتقلوهم للإستخدام في الأعمال الشاقة (قد جئتكم ببيّنة من ربكم . . . فاذا هي ثعبان مبين)أي حية عظيمة ظاهرة فتضرع فرعون الى موسى بعد أن وثب من سريره هرباً منها وهرب الناس ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذها وأنا اؤمن بك ، فأخذها موسى فعادت عصا (ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين) قيل ان فرعون قال لموسى هل معك آية أخرى ؟ قال نعم ، فادخل يده في جيبه وقيل تحت ابطه ثم نزعها اخرجها فإذا هي بيضاء ولها شعاع يغلب نور الشمس ، وكان موسى (ع) أدم أي أسمر البشرة .

قوله تعالى :

قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾

السحر : لطف الحيلة في إظهار أُعجوبة توهم المعجزة ، وأصل السحر خفاء الأمر ، وفي الآية حكى سبحانه ما قاله كبار قوم فرعون (يريد أن يخرجكم من ارضكم . . .) أي يستميل قلوب بني اسرائيل نحوه ويتقوى بهم فيغلبكم بهم

ويخرجكم من بلدتكم (قالوا أرجه وأخاه) أي اخّره واخاه هارون ولا تتعجل بالحكم في أمرهما بشيء (وأرسل في المدائن) التي حولك (حاشرين) أي جامعين للسحرة فيجتمعوا ويعارضوا سحر موسى فيغلبوه لأنهم كانوا يظنون ان ما اظهره موسى (ع) من آيات ومعاجز انما هو سحر فاذا كان سحراً أمكن إبطاله بمثله .

قوله تعالى :

وَجَآءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾

وكانوا من كبار السحرة ومشاهيرهم من القبط وبني اسرائيل ، واشترطوا على فرعون شروطاً وجوائز إذا انتصروا على موسى ، فأجابهم فرعون لما طلبوه وزادهم (وإنكم لمن المقربين) ولكم عندي المنزلة الجليلة (قالوا يا موسى إما أن تلقي) ما معك من العصي أولاً (وإما أن نكون نحن الملقين) لما معنا من العصي والحبال (قال) لهم موسى (ألقوا) أنتم وهذا امر تهديد وتقريع لهم (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) حين احتالوا في تحريك العصي والحبال بما جعلوا فيها من الزئبق حتى تحركت بحرارة الشمس وغير ذلك من الحيل والتمويه ، وخيل للناس انها تتحرك كما تتحرك الحية (واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم) وصف سحرهم بالعظم لشدة التمويه فيراه الناس عظيماً وخافوه .

قوله تعالى :

وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾

الأفك : قلب الشيء عن وجهه ، والإفك الكذب ، والصاغر: هو الذليل ، والصَغار: الذلة . وأوحينا الى موسى أي ألقينا اليه من جهة لم يشعر به (أن ألق عصاك) ألقاها فصارت ثعباناً فإذا هي تبتلع ما يكذبون فيه انها حيّات (وألقي السحرة ساجدين) يعني أن السحرة لما شاهدوا تلك الآيات وعلموا أنها من عند الله تعالى آمنوا بالله وبموسى وسجدوا لله ، ألهمهم الله ذلك ، وقيل: ان موسى وهارون (ع) سجدوا لله شكراً له على ظهور الحق فاقتدوا بهما السحرة فسجدوا معهما وفسروا سجودهم بأن قالوا (آمنا بربّ العالمين) لئلا يتوهم متوهم أنهم سجدوا لفرعون ، ثم قالوا (ربّ موسى وهارون) لأن فرعون كان يدّعي أنه ربّ العالمين فأزالوا به الابهام لئلا يتوهم الجهال أنهم عنوا بربّ العالمين أنه فرعون .

قوله تعالى :

قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا

مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ
أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾

حكى سبحانه ما صدر عن فرعون عند ايمان السحرة ، وحاول فرعون ايهام الناس أن إيمان السحرة لم يكن عن علم ولكن كان منهم تواطؤاً مع موسى وليمكروا بالناس ليأخذوا أموالهم وأملاكهم ، ثم توعدهم (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم (لأقطعنّ أيديكم وأرجلكم من خلاف) قيل: ان اول من قطع الارجل وصلب هو فرعون حين صلبهم في جذوع النخل على شاطىء نهر مصر . وكان جواب المؤمنين من قوم فرعون (وما تنقم منّا إلا . . .) أي وما تكره منا إلا إيماننا بالله وتصديقنا بآياته التي جاءتنا ، ثم دعوا الله سبحانه (ربنا افرغ علينا صبراً) اي انزل علينا الصبر عند التعذيب والصلب حتى لا نرجع كفاراً ، فصلبهم فرعون من يومه فكانوا أول النهار كفاراً سحرة ، وآخر النهار شهداء أبرار . وقيل: ان فرعون لم يتمكن من مؤمني السحرة وعصمهم الله منه .

قوله تعالى :

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا
فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾

روي عن ابن عباس : أنه لما آمن السحرة أسلم من بني اسرائيل ستمائة الف واتبعوا موسى ، وكان فرعون يستعبد الناس ويعبد الأصنام بنفسه وكان الناس يعبدونها تقرباً اليه ، وقيل: كان يعبد مايستحسن من البقر، وكان يأمرهم بعبادة البقر

ولذلك أخرج السامري لهم عجلاً جسداً له خوار وكان ايمان السحرة ومن تبعهم من بني اسرائيل بالله وبموسى (ع) رسوله سبباً لحنق فرعون والمنافقين من قومه الذين اغروا فرعون وحثوه على ايذاء المؤمنين والتنكيل بهم (وقال الملأ من قوم فرعون . . .) وحذروه بأن موسى وقومه سيفسدون عليك ملكك (ويذرك وآلهتك) قال فرعون: سنقتل أبناءهم الذين فيهم القوة ويصلحون للقتال ونستحيي نساءهم حيث لايخشى منهن خطر ولحاجتنا لهن للأعمال والخدمة التي ستعطل بقتل الرجال .

قوله تعالى :

قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾

قال ابن عباس : كان فرعون يقتل ابناء بني اسرائيل فلما كان من أمر موسى (ع) ما تقدم أمر باعادة القتل عليهم فشكا ذلك بنو اسرائيل الى موسى (قال موسى لقومه استعينوا بالله) على دفع بلاء فرعون (واصبروا) على دينكم ، ووعدهم بحسن العاقبة في الدارين (قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا) أي عذبنا فرعون بقتل اطفالنا قبل أن تولد يا موسى ، وبعد أن جئت بالنبوة ، وقيل: كان فرعون يأخذ الجزية قبل مجيء موسى وبعده من بني اسرائيل ، فوعدهم موسى بالنجاة من فرعون (ويستخلفكم في الأرض) وقد حقق الله سبحانه هذا الوعد فأورث بني اسرائيل ارض مصر ونواحيها بعد أن أهلك فرعون وقومه .

قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾

بيّن سبحانه ما فعل بآل فرعون ، وأنه عاقبهم بالجدب والقحط (ونقص من الثمرات لعلهم يذّكرون) فيوحدوا الله سبحانه ، وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب المجبرة في أنه سبحانه يريد الكفر تعالى الله عن ذلك ، فإنّه سبحانه بيّن أنه أراد منهم التذكر والرجوع الى الله (فإذا جاءتهم الحسنة) من النعمة والسعة في الرزق والسلامة (قالوا لنا هذه) أي اننا نستحق ذلك وأنه أمر طبيعي لنا في أرضنا وخيراتنا ، وكان الواجب عليهم أن يشكروا نعم الله ويؤدوا شكر النعمة بالإعتراف بحق المنعم وأوامره (وإن تصبهم سيئة) من جوع أو بلاء أو هلاك الثمرات والمواشي والانفس (يطيروا بموسى ومن معه) اي يتشاءموا بهم ويقولون ما رأينا شراً ولا أصابنا بلاء إلا بعد أن رأيناكم (الا انما طائرهم عند الله) أي انما الشؤم الذي لحقهم هو العقاب الذي وُعدوا به من عند الله ، فلو عقلوا لطلبوا الخير والسلامة من الله ، وقيل معناه: إلا أن مايتشاءمون به محفوظ عليهم حتى يجازيهم الله يوم القيامة .

قوله تعالىٰ :

وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾

أي مهما كانت آياتك ومعاجزك يا موسى انما هو سحر منك لتموّه به علينا (فما نحن لك بمؤمنين) فأكدوا بذلك اصرارهم على الكفر فزادهم تأكيداً لأمر موسىٰ (ع)(فارسلناعليهم الطوفان) لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوباً ، وأبىٰ هو وقومه إلا الاقامة على الكفر ، قال هامان لفرعون إن الناس قد آمنوا بموسىٰ فانظر مَن دخل في دينه فاحبسه ، فحبس كل مَن آمن من بني اسرائيل فتابع الله عليهم بالآيات وأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ، ثم بعث عليهم الطوفان فخرب دورهم ولم ينل بيوت بني اسرائيل من أذىٰ الطوفان شيء واقام الماء على وجه الأرض لا يقدرون أن يحرثوها فقالوا لموسىٰ (ع) أُدع لنا ربك أن يكشف عنا المطر فنؤمن لك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا ربه فكشف عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ، وأنبت الله في تلك السنة من الكلأ والزرع والثمر حتىٰ اعشبت بلادهم فقالوا ما هذا الماء الذي جاءنا إلا نعمة لنا فانزل الله عليهم في السنة الثانية أو في الشهر الثاني الجراد فجرد زرعهم وأشجارهم حتىٰ كانت تجرد كل شيء وتأكل الأبواب والأثاث والثياب وكانت لا تدخل بيوت المؤمنين من بني اسرائيل ، وجزع فرعون والكافرون معه من تلك الحال وتضرعوا الىٰ موسىٰ أن أُدع لنا ربك أن يكشف عنا الجراد فدعا ربه فكشفه عنهم بعد أن أقام عليهم سبعة أيام من السبت الىٰ السبت ، فلم يؤمن فرعون وقومه ولم يفوا بوعدهم باطلاق بني اسرائيل من

الأسر ، فرجعت عليهم الجراد والقمّل وهو الجراد الصغار الذي لا اجنحة له وهو شر ما يكون وأخبثه ، فأتى على زرعهم ولحس الأرض كلها ، وقيل:القمل السوس الذي يخرج من الحبوب ، فقال فرعون لموسى أُدع لنا ربك لئن كشفت عنا القمل لأكفنّ عن بني اسرائيل ، فدعا موسى ربه حتى ذهب القمل فنكثوا ولم يفوا بما واعدوا موسى عليه فأنزل الله عليهم في السنة الرابعة،وقيل:في الشهر الرابع الضفادع فكانت تكون في طعامهم وشرابهم وامتلات منها بيوتهم وأبنيتهم فلا يكشف احد ثوباً ولا إناءً ولا طعاماً ولا شراباً إلا وجد فيه الضفادع فلقوا منها أذى شديداً ، فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى (ع) وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فادع الله أن يذهب عنّا الضفادع فانا نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فأخذ عهودهم ومواثيقهم ، ثم نقضوا العهد وعادوا لكفرهم ، فلما كانت السنة الخامسة أرسل الله عليهم الدم فسال ماء النيل دماً عليهم ، وقيل:سلط الله عليهم الرعاف وصاروا يأكلون ويشربون الدم ، فبكوا واستغاثوا بموسى (ع) وأعلنوا الندم ، فلما دفع الله عنهم لم يؤمنوا ولم يخلوا عن بني اسرائيل .

قوله تعالى :

وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ
لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾
فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا
عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾

الرجز : الميل عن الحق ، وكذلك العذاب رجز لأنه عقوبة علىٰ الميل عن الحق . وفيها اخبر سبحانه عن الكفار ونزول العذاب عليهم من الطوفان وغيره مما تقدم ذكره ،وقيل:هو الطاعون الذي حل بهم فمات من القبط سبعون الفاً (قالوا) يعني فرعون وقومه (يا موسىٰ أُدع لنا ربك بما عهد عندك) أي بما وعدك فإنه يجيبك كما اجابك في آياتك السابقة ، أو بما عهدَ عندك من النبوة ونعاهدك (لئن كشفت عنّا الرجز) أي العذاب (لنؤمننّ لك) ونصدق بنبوتك (ولنرسلنّ معك بني اسرائيل) فنطلقهم من الأسر والخدمة (فلما كشفنا عنهم الرجز الىٰ أجل هم بالغوه) أي رفعنا عنهم العذاب الىٰ أجل مقدّر نكثوا العهد ونقضوا الوعد (فانتقمنا منهم) بسبب نكثهم واصرارهم على الكفر (فأغرقناهم في اليم) أي في البحر .

قوله تعالىٰ :

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

عطف سبحانه علىٰ ما تقدم (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) يعني بني اسرائيل فإن القبط كانوا يستضعفونهم فأورثهم الله بأن مكّنهم بعد هلاك فرعون وقومه القبط (مشارق الأرض ومغاربها) التي كانوا فيها يريد ملك فرعون من ادناه الى اقصاه وقيل:هي ارض الشام ومصر (وتمّت كلمة ربك الحسنىٰ علىٰ بني

اسرائيل) بانجاز الوعد واستخلافهم في الأرض (بما صبروا) على أذى فرعون وقومه

قوله تعالىٰ :

وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾

ثم اخبر سبحانه عن احوال بني اسرائيل (وجاوزنا ببني اسرائيل) أي قطعنا بهم البحر وهو نيل مصر بأن جعلنا فيه طرقاً يابسةً حتىٰ عبروا ثم أغرقنا فرعون وقومه فمرّ بنو اسرائيل (علىٰ قوم يعكفون علىٰ اصنام لهم) أي ملازمين مقيمين علىٰ عبادتها . قال قتادة:كان أُولئك القوم من لحم ، أو لخم ، وكانوا نزولاً بالرقة ، وقيل:ان اصنامهم تماثيل بقر ، وكشف بنو اسرائيل عن جهلهم حين (قالوا يا موسىٰ اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) أي انصب لنا شيئاً مثل هذه الآلهة نعبدها (قال انكم قوم تجهلون) ربكم وعظمته وصفاته ولو عرفتموه حق معرفته لما قلتم هذا القول (إن هؤلاء) القوم الذين ترونهم يعبدون الاصنام (متبّرٌ) أي مدمر ومهلك (ما هم فيه) من عبادة الأصنام (قال) موسىٰ (ع) لقومه (أغير الله أبغيكم) أي اطلب لكم رباً غير الله تعبدون (وهو فضّلكم علىٰ العالمين) في زمانكم بأن خلصكم من اذىٰ فرعون وقومه ، وأورثكم ارضهم وديارهم وأموالهم .

قوله تعالى :

وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾

خاطب سبحانه بني اسرائيل الذين كانوا في زمن النبي محمّد (ص) يسومونكم: أي يحملونكم إذلالاً ويكثرون من قتل ابنائكم ويستبقون نساءكم للخدمة والإمتهان (وفي ذلك) أي في تخليصكم من فرعون وقومه (بلاء) أي نعمةٌ وامتحان (من ربكم عظيم) .

قوله تعالى :

وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾

ثم بيّن سبحانه تمام نعمته على بني اسرائيل ، وأنه سبحانه واعد موسى (ع) ثلاثين ليلة ليصوم فيها ويتقرب بالعبادة ثم أتمها بعشر الى وقت المناجاة ، وقيل هي العشر التي أُنزلت فيها التوراة ، وقيل: ان العدة كانت ذو القعدة وعشر من ذي الحجّة (وقال موسى لأخيه . . .) عند خروجه للميقات (أخلفني) أي كن خليفتي في قومي وأصلح فاسدهم واحملهم على الطاعة .

قوله تعالىٰ :

قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾

أخبر سبحانه عن عظيم نعمته علىٰ موسى (ع) بالإصطفاء وإجلال القدر ، وأمره بالشكر له (فخذ ما آتيتك) من التوراة وتمسك بما أمرتك (فخذها بقوة) أي بجد واجتهاد وقوة قلب وثبات (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي بما فيها من المحاسن وهي الفرائض والنوافل (سأريكم دار الفاسقين) قيل هي جهنم ، وفي ذلك تهديد وتحذير من أن تكونوا منهم ، وقيل أراد سبحانه بدار الفاسقين أي سأدخلكم الشام فأريكم منازل القرون الماضية .

قوله تعالىٰ :

سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا

وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾

(سأصرف عن آياتي . . .) أي ساصرفهم عن نيل الكرامة المتعلقة بآياتي ، أو سأصرفهم عن زيادة المعجزات ، التي تثبت بها النبوة ، أو سأمنع الكذابين والمتكبرين عن آياتي ورسلي ، أوعن ابطال آياتي والمنع من تبليغها . (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) .يعني الذين كذبوا بالقيامة والنشور والبعث هؤلاء (حبطت اعمالهم) التي عملوها ولا يستحقون بها مدحاً ولا ثواباً لأنها وقعت على خلاف الوجه المأمور به فصارت بمنزلة ما لم يُعمل .

قوله تعالى :

وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾

عاد الكلام الى قصة بني اسرائيل وما أحدثوه عند خروج موسى (ع) الى ميقات ربه (من حليهم) التي يتزينون بها (عجلاً) ولد البقر (جسداً) أي مجسّداً لا روح فيه (له خوار) أي له صوت ، قيل:انه احتال بادخال الريح الى جسد العجل كما يفعل مَن يصنع الآلات ، وقيل:اخذ السامري قبضةً من تراب اثر فرس جبرائيل (ع) يوم قطع البحر فقذف ذلك التراب في فم العجل فتحول لحماً ودماً .

قوله تعالى :

وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

سقط في أيديهم : أي وقع البلاء عليهم ، ويقال ذلك للنادم بعد فوات الأوان اسقط في يده ولحقته الندامة ، قال الحسن:كلهم عبدوا العجل إلا هارون بدلالة قول موسى (ع) رب اغفر لي ولأخي ، ولو كان هناك مؤمن غيرهما لدعا له .

قوله تعالى :

وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾

أخبر سبحانه عمّا فعله موسى (ع) حين رجع من مناجاة ربه ورأى عكوف قومه على عبادة العجل (أعجلتم أمر ربكم) أي ميعاد ربكم لأنهم قدروا أن موسى مات حين لم يأت على رأس ثلاثين ليلة ، وقيل:بمعنى استعجلتم وعد الله وثوابه على عبادته فلما لم تنالوه عدلتم الى عبادة غيره (وألقى الألواح) لما داخله

من الغضب والجزع لعبادة قومه العجل (وأخذ برأس أخيه) هارون (يجره اليه) قيل: ان موسىٰ (ع) انما جرّ هارون ليناجيه ويعرف خبر قومه وأسباب كفرهم وانحرافهم عن عبادة الله سبحانه ، ولما أظهر هارون براءة نفسه من فعلة القوم دعا موسىٰ لأخيه ولنفسه (ربّ اغفر لي ولأخي) وهذا بدواعي الانقطاع الىٰ الله سبحانه والتقرب اليه ، لا انه كان وقع منه ومن أخيه قبيح ، وقيل انه (ع) بيّن بهذا لبني اسرائيل أنه لم يجر رأس أخيه اليه لعصيان صدر من هارون وإنّما فعله كما يفعل الانسان بنفسه عند شدة غضبه علىٰ غيره،وقيل: في ذلك معان وتوجيهات لم نشأ ذكرها لعدم اهميتها .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالىٰ :

إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾

توعد سبحانه (الذين اتخذوا العجل) إلها وعبدوه من دون الله أنه (سينالهم غضب) وعقوبة (من ربهم وذلة في الحياة الدنيا) وذلك بصغر النفس والمهانة وأخذ الجزية منهم ، وقيل: هو ما أمروا به من قتل انفسهم ، ثم اكد سبحانه أن باب التوبة مفتوح لعباده النادمين (ولما سكت) أي سكن الغضب وزالت فورة غضب موسىٰ لأن قومه تابوا (اخذ الألواح) التي كانت فيها التوراة

(وفي نسختها) أي فيما نُسخ فيها (هدىً ورحمةً) أي دلالةٌ وبيان ونعمة (للذين هم لربهم يرهبون) يخشون ربهم فلا يعصونه .

قوله تعالىٰ :

وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٥﴾

واختار موسىٰ عند خروجه من قومه الىٰ ميقات ربه ، قيل:في سببه إنما اختارهم حين خرج الىٰ الميقات ليكلّمه الله سبحانه بحضرتهم ويعطيه التوراة ، فيكونوا شهداء له عند بني اسرائيل ليطمئنوا بخبره عن الله سبحانه ، فأصابتهم الصاعقة ثم أحياهم الله ، وذلك في الميقات الأول قبل عبادة العجل ، وقيل:بعد عبادة العجل ليعتذروا من ذلك ، فلما سمعوا كلام الله قالوا أرنا الله جهرةً (فأخذتهم الرجفة) وهي الرعدة حتىٰ كادت أن تتفرق مفاصلهم وخاف موسىٰ عليهم الموت وبكىٰ ودعا وخاف أن يتهمه بنو اسرائيل في امر السبعين ولم يصدقوه بأنهم ماتوا (قال) موسىٰ (ربّ لو شئت اهلكتهم من قبل وإياي) أي لو شئت اهلكت السبعين من قبل هذا الموقف ، فالآن ماذا أقول لبني اسرائيل (إن هي إلا فتنتك) أي ان الرجفة منك اختبار وامتحان منك لنا بالصبر علىٰ هذا الأمر المحزن « تضل بها مَن تشاء وتهدي مَن تشاء) أي تصيب بهذه الرجفة مَن تشاء وتصرفها عمّن تشاء ، وتهلك مَن تشاء وتنجي مَن تشاء .

قوله تعالىٰ :

وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾

هذا تمام ما قاله موسى (ع) في دعائه (إنّا هدانا اليك) أي مرجعنا بتوبتنا اليك والهود الرجوع ، قال ابن عباس وغيره انها لما نزلت (ورحمتي وسعت كل شيء) قال ابليس أنا من ذلك الشيء ، فنزعها الله من ابليس بقوله فساكتبها للذين يتقون . . . الىٰ آخر الآية، فقالت اليهود والنصارىٰ نحن نتقي ونؤتي الزكاة ونؤمن بآيات الله ربنا ، فنزعها منهم وجعلها لأمة محمّد (ص) بدليل قوله تعالىٰ (الذين يتبعون الرسول النبي الأمي . . .) .

قوله تعالىٰ :

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾

وصف سبحانه الذين يتقون بصفة أخرى تميزهم (الذين يتبعون الرسول النبي . . .) أي يؤمنون به وهو نبينا محمد (ص) (النبي الأمي) بمعنى أنه لا يكتب ولا يقرأ ولكنهما مقدوران له ، أو بمعنى أنه منسوب الى أم القرى وهي مكة وهذا هو المروي عن أبي جعفر الباقر (ع) (الذي يجدونه . . .) أي يجدون صفاته واخبار نبوته مكتوباً عندهم في الكتابين ، فقد روي أنه مكتوب في التوراة في السفر الخامس إني سأقيم لهم نبياً من اخوتهم مثلك ، واجعل كلامي في فيه ، فيقول لهم كل ما أوصيه به . وفيها أيضاً مكتوب : وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً وسيلد اثني عشر عظيماً ، وأؤخره لأمة عظيمة . وفي الإنجيل بشارة في مواضع منها : نعطيكم فار قليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله . (ويضع عنهم إصرهم) أي ثقلهم ، وقيل العهد الذي كان الله سبحانه اخذه على بني اسرائيل أن يعملوا بما في التوراة (والأغلال) أي ويضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم التي هي بمنزلة الأغلال في الأعناق ، وقيل يريد بالأغلال ما امتحنوا به من قتل نفوسهم في التوبة ، وتحريم السبت ، وغير ذلك . (فالذين آمنوا) بهذا النبي (وعزروه) أي عظموه ووقروه ومنعوا عنه أعداءه (واتبعوا النور الذي أنزل معه) وهو القرآن الكريم .

قوله تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

امر سبحانه نبينا (ص) أن يخاطب جميع الخلق من العرب وغيرهم (قل) يا

محمّد وأعلن لجميع الناس (أني رسول الله اليكم جميعاً) أدعوكم الى توحيد الله وطاعته واتباعي فيما ارسلت به اليكم (فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله) يعني أن الرسول لم يأمركم بالايمان حتى آمن هو أولاً وعليه زيادة التكليف من اداء الرسالة وبيان الشريعة والقيام بالدعوة (واتبعوه لعلكم تهتدون) أي لكي تهتدوا الى الطاعة والثواب والجنة .

قوله تعالى :

وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

عاد سبحانه الى قصة بني اسرائيل (ومن قوم موسى . . .) أي جماعة يدعون الى الحق ويرشدون اليه (وبه يعدلون) أي وبالحق يحكمون ويعدلون في حكمهم وروي عن النبي (ص) أنه لما قرأ (وممّن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون . . .) قال (ص): هذه لكم وقد أعطي قوم موسى مثلها (وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطاً) أي وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة فرقة ، قيل: هم اولاد يعقوب (ع)

فانهم كانوا اثنا عشر وكان لكل واحد منهم اولاد ونسل (فانبجست) الإنبجاس خروج الماء الجاري بقلة ، والانفجار خروجه بكثرة .

قوله تعالى :

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾

تقدم الكلام بتفسير الآيتين عند ذكر الآيتين ٥٨ و ٥٩ من سورة البقرة فلا داعي لاعادته هنا .

قوله تعالى :

وَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾

بدأ سبحانه بخبر آخر عن بني اسرائيل (واسألهم) أي استخبرهم يا محمّد وهو سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استفهام (عن القرية) وهي إيلة أومدين أوطبرية (إذ يعدون في السبت) أي يتجاوزون الحد ، والحيتان جمع حوت والعرب تسمي السمك حيتان ، وشُرعاً:اي ظاهرةً على وجه الماء ، أو رافعةً رؤوسها لأنها كانت آمنة ، قيل:انهم ألقوا الشبكة في يوم السبت فيقع فيها السمك ولا يخرجونها إلا يوم الأحد ، وعن ابن عباس:اتخذوا الحياض فكانوا يسوقون الحيتان اليها ولا يمكنها الخروج فيأخذونها يوم الأحد ، وقيل:انهم صادوها وأخذوها يوم السبت .

(وإذ قالت أُمة منهم) أي من بني اسرائيل ممن لم يصطادوا ، وكانوا ثلاثة فرق ، فرقة قانصة ، وفرقة ساكتة ، وفرقة واعظة،فقال الساكتون للواعظين والناهين (لِمَ تعظون قوماً الله مهلكهم) ولم يقولوا ذلك كراهيةً لوعظهم ولكن ليأسهم عن أن يقبل المتعدون الوعظ فأن الأمر بالمعروف إنما يجب عند عدم الأياس من القبول . قال الواعظون في جواب الساكتين عن الوعظ (معذرةً الى ربكم) أي إن موعظتنا تأدية لفرض فرضه الله علينا في النهي عن المنكر لئلّا يقول لنا لِمَ لم تعظوهم (ولعلهم) بالوعظ (يتقون) ويرجعون .

قوله تعالىٰ :

فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾

فلما ترك اهل هذه القرية ما ذكرهم الواعظون به ولم ينتهوا عن ارتكاب المعاصي بصيد السمك.روي عن عكرمة قال:دخلت على ابن عباس وبين يديه

المصحف وهو يبكي ويقرأ هذه الآية ثم قال : قد علمت أن الله تعالى أهلك الذين اخذوا الحيتان وأنجى الذين نهوهم ، ولا أدري ما صنع بالذين لم ينهوهم ولم يواقعوا المعصية وهذه حالنا . (قلنا لهم كونوا قردةً خاسئين) . قيل كانت هذه القصة في زمن داوود (ع) ، وعن ابن عباس قال : أمروا باليوم الذي أمرتم به يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فأبتلوا به ، وحرم عليهم فيه الصيد ، وأمروا بتعظيمه ، فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شُرعاً بيضاً سماناً حتى لا يُرى الماء من كثرتها ، فمكثوا ما شاء الله لا يصيدون ، ثم أتاهم الشيطان وقال: إنّما نُهيتم عن اخذها يوم السبت ، فاتخذوا الحياض والشبكات فكانوا يسوقون الحيتان اليها يوم الجمعة ثم يأخذونها يوم الأحد ، فأصبحوا يوماً ولم يخرج من العصاة احد فنظروا فاذا هم قردة ، ففتحوا الباب ودخلوا فكانت القردة تعرفهم وهم لا يعرفونها فجعلت تبكي ، فاذا قالوا لهم ألم ننهكم ؟ قالت القردة برؤوسها أن نعم . قال قتادة: فصارت الشبان قردة والشيوخ خنازير .

قوله تعالى :

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾

واذكر يا محمّد (وإذ تأذن) اي أذّنَ واخبر ربك ، أو اقسم القسم الذي يسمع بالأذن (ليبعثنّ عليهم) أي على اليهود مَن يذيقهم شدة العذاب بالقتل واخذ

الجزية (وقطعناهم في الأرض أمماً) أي وفرقناهم في البلاد فرقاً مختلفة وجماعات شتى (منهم الصالحون) وهم الذين يؤمنون بالله ورسله ويصدقون بك يا محمّد (وبلوناهم بالحسنات والسيئات) أي اختبرناهم بالرخاء في العيش والدعة والسعة في الرزق ، وبالشدائد والمصائب في الأنفس والأموال (لعلهم يرجعون) الى الله تعالى وامتثال أوامره .

قوله تعالى :

فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ الْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَـٰبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾

ذكر سبحانه الأخلاف بعد ذكر الأسلاف ، ويقال لجميع متاع الدنيا عرض ، وكانوا يرتشون ويحكمون بالجور (ويقولون سيغفر لنا) إخبار عن اصرارهم على الذنوب ، ويتمنون على الله المغفرة ويسوّفونها (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) أي وإن وجدوا مثله اخذوه وأصروا على معصيتهم (والذين يمسكون بالكتاب) أي يتمسكون به ، والكتاب هو التوراة أي لا يحرفونها ولا يكتمون ما فيها ، وقيل:هم الذين يتمسكون بالقرآن من أمة محمّد (ص) .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾

واذكر يا محمّد إذا قلعنا الجبل من أصله فرفعناه فوق بني اسرائيل ، وكان عسكر موسىٰ (ع) فرسخاً في فرسخ فرفع الله الجبل فوق جمعهم (كأنه ظُلة) أي غمامة أو سقيفة ، وقد مضىٰ تفسير هذه الآية في سورة البقرة آية (٦٣) . . .

قوله تعالىٰ :

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾

ذكر سبحانه ما أخذ علىٰ الخلق من المواثيق بعقولهم عقيب ما ذكره من المواثيق التي في الكتب جميعاً وفسرت الآية بمعان . منها : أن الله تعالىٰ أخرج ذرية آدم من صلبه كهيئة الذر فعرضهم علىٰ آدم وقال: إني آخذ علىٰ ذريتك ميثاقهم أن يعبدوني ولا يشركوا بي شيئاً . ومنها : أن المراد بالآية أن الله سبحانه اخرج بني

آدم من أصلاب آبائهم الى ارحام أمهاتهم ثم رقاهم درجة بعد درجة علقة ثم مضغة ثم أنشأ كلاً منهم بشراً سوياً ، وأراهم آثار صنعه ومكنهم من معرفة دلائله حتى كأنه أشهدهم فقال لهم ألست بربكم ؟ فقالوا بلى .

قوله تعالى :

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٧٧) مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ۖ وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٧٨)

أمر سبحانه نبيه (ص) أن يقرأ عليهم قصة أخرى من أخبار بني اسرائيل ، قيل:انه كان رجلاً على دين موسى (ع) وكان في المدينة التي قصدها موسى ، وكانوا كفاراً ، وكان عنده اسم الله الأعظم إذا دعا الله به اجابه، ، وعلم أن الله قد ارسل رسولاً في ذلك الوقت ، ورجا أن يكون هو ذلك الرسول ، فلما أرسل محمّد (ص) حسده ومر على قتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمّد ، فقال لو كان نبياً ما قتل اقرباءه . وقيل:هو أبو عامر بن نعمان بن صيفي الراهب الذي سماه

النبي (ص): الفاسق ، وقيل: أن المعني بالآية منافقوا اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي محمداً (ص) كما يعرفون ابناءهم لواضح صفاته وبراهينه ومن انكره وخاصمه (فمثله كمثل الكلب . . .) أي فصفة ذلك المتنكر للحق مع وضوحه كصفة الكلب إن طردته وشددت عليه يخرج لسانه من فمه وإن تركته أيضاً يلهث، أي إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال، وقيل: إنما شبّهه بالكلب إذا أخرج لسانه لإيذائه الناس بلسانه . (فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) يريد اهل مكة لعلهم يتعظون بحال من سبقهم ممّن عاندوا الحق وحاربوا الرسل وأصروا على الكفر (من يهدي الله فهو المهتدي) أي من يهده الله الى نيل الثواب فهو المهتدي للايمان والخير (ومن يضلل) أي من يضلل الله عن طريق الجنة ونيل الثواب عقوبة له على كفره وفسقه واصراره (فأولئك هم الخاسرون) .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾

لما بيّن سبحانه امر الكفار وضرب لهم الأمثال عقّبه ببيان حالهم في المصير والمآل (ولقد ذرأنا) أي خلقناهم وعاقبتهم المصير الى جهنم بكفرهم وانكارهم وسوء اختيارهم (لهم قلوب لا يفقهون بها) الحق لأنهم لا يتدبرون ادلة الله وبيّناته

ولا يسمعون الوعظ لأنهم يعرضون إعراض مَن لا يسمع (أُولئك كالأنعام) أي هم كالبهائم التي لا تفقه ولا تعلم (بل هم أضل) من البهائم فان البهائم إذا زُجرت انزجرت ، وإذا أُرشدت الى طريق اهتدت (وذروا الذين يلحدون في اسمائه) أي اتركوا الذين يلحدون في الله ويسمونه ويصفونه بما لا يجوز عليه سبحانه ، وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز أن يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه (وممن خلقنا أُمةٌ يهدون بالحق) روي عن النبي (ص) قوله : هي لأمتي بالحق يأخذون وبالحق يعطون ، وروى العياشي باسناده عن امير المؤمنين علي (ع) أنه قال : والذي نفسي بيده لتفترقنّ هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة (وممن خلقنا أُمةٌ يهدون بالحق وبه يعدلون) فهذه التي تنجو .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾

لما ذكر سبحانه المؤمنين المصدقين بمحمّد (ص) ذكر بعده المكذبين بآياته ومعجزاته الدالة على صدق النبي (ص) (سنستدرجهم من حيث لا

يعلمون) أي نقربهم اليهم جزاء إصرارهم وعنادهم (وأُملي لهم) أي وامهلهم ولا اعاجلهم لعلهم يتوبوا ويرجعوا، فإذا أصروا (إن كيدي متين) قوي لا يدفعه دافع (أولم يتفكروا بما بصاحبهم من جنّة) أولم يتفكر هؤلاء الكفّار أنه (ص) ليس بمجنون ، لأن رسول الله (ص) صعد الصفا وكان يدعو قريشاً فخذاً فخذاً الى توحيد الله ، ويخوفهم عذابه ، فقالَ المشركون : إن صاحبهم قد جنّ بات ليلاً يصوّت الى الصباح ، فنزل الله الآية ، ثم أكد سبحانه مهمة الرسول (ص) (إن هو إلا نذير مبين) أي معلم موضح يبيّن للناس أمر ربهم وينذرهم ويحذرهم عاقبة كفرهم (وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) بمعنى أو لم يتفكروا وينظروا عسى أن يكون قد اقترب اجل موتهم فيدعوهم ذلك الى أن يحتاطوا لدينهم ولأنفسهم ، فلعل أجلهم قريب وهم لا يعلمون .

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

قوله تعالى :

يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

قيل : انه جاء قوم من اليهود فقالوا يا محمّد اخبرنا عن الساعة متى هي إن كنت نبياً ؟ وقيل : إن القائلين هم قريش : يا محمّد متى الساعة ؟ فنزلت الآية (أيان مرساها) أي متى وقوعها ، أو قيامها ، وإنما لم يخبر سبحانه بوقتها ليكون العباد دائماً على حذر منها فيكون ذلك ادعى لهم على الطاعة وأزجر عن المعصية (ثقلت في السموات والأرض) أي ثقل علمها على أهل السماوات والأرض لأن

من خفي عليه علم شيء كان ثقيلاً (يسألونك كأنك حفي عنها) أي كأنك عالم بها مستقص لأخبارها .

قوله تعالى :

قُلْ لَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قيل : إن اهل مكة قالوا يا محمّد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فنشتريه فتربح فيه ؟ وبالأرض التي تريد أن تجدب فترتحل منها الى أرض قد أخصبت ؟ فأنزل الله هذه الآية .

قوله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ

نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ
سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾

(من نفس واحدة) يعني آدم (ع) (فلما تغشاها . .) أي قاربها كما يقارب الرجل زوجته (جعلا له شركاء) وكانت حواء تلد في كل بطن ذكر وأنثى ، وقطعاً أن الذي جعل لله شركاء هم من ولد آدم وحواء وليس هما آدم وحواء . وروى بعض المفسرين اقوالاً وروايات لا تناسب مقام آدم (ع) وحواء ، وعللوا الآية بوجوه بعيدة تأباها العقول السليمة وتنكرها الأذواق المستقيمة فإن الأدلة القاطعة دلت على عصمة الأنبياء عليهم السلام ، فلا يجوز عليهم الشرك والمعاصي .

قوله تعالى :

إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾

أتم سبحانه الحجة على المشركين وبيّن (إن الذين تدعون من دون الله . . .) من الأصنام والأوثان وتدعونهم آلهة ليس لهم هذه الحواس ، ولكم انتم هذه الحواس من الأرجل للمشي بالمصالح والأيدي للبطش والدفاع ، وكذلك الأعين والأسماع لجلب المنافع ودفع الأضرار فإذاً أنتم افضل منهم (قل) يا محمّد لهؤلاء المشركين (أدعوا شركاءكم . . .) ومَن تزعمون انهم آلهة ،

أوتشركونهم فيما تجعلون لهم في أموالكم ومواشيكم ، فاجتمعوا انتم وأصنامكم وتعاونوا على كيدي فإن ربي يدفع كيدكم وينصرني عليكم .

قوله تعالى :

إِنَّ وَلِيِّـيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾

أكد سبحانه أنه ناصر نبيه وحافظه بأمره ، وأنه أمره أن يقول للمشركين (إن وليي الله . . .) وإن ما تدعون من دون الله لا ينصرون انفسهم ولا يدفعون عنها الضرر (وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) الحجج والبراهين وذلك حال مشركي العرب وقريش حينما يستمعون لآيات الله وأقوال رسوله .

قوله تعالى :

خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾

لما امر الله سبحانه نبيه محمّداً(ص)بالدعوة اليه وتبليغ رسالته،علّمه محاسن الأفعال ومكارم الأخلاق والخصال (خذ العفو) أي خذ يا محمّد ما عفا من أموال الناس وزاد على نفقاتهم ، وكان رسول الله (ص) يأخذ الفضل من أموالهم ، ثم نزلت آية الزكاة فنسخت هذا الحكم ، وقيل معناه:خذ العفو من أخلاق الناس

واقبل الميسور منها ، وهو في معنى الخبر : أحب الله عبداً سمحاً بائعاً ومشترياً وقاضياً . ويروى أن جبرئيل (ع) فسّر تلك الآية لرسول الله (ص) فقال : يا محمّد إن الله يأمرك أن تعفو عمّن ظلمك ، وتعطي من حرمك ، وتُصل من قطعك . (وأمر بالعرف) أي بالمعروف وهو كل ما حسن في العقل السليم فعله ، أو في الشرع (واعرض عن الجاهلين) عند قيام الحجة عليهم ولا تقابلهم بالسفه صيانة لقدرك (وإمّا ينزغنك من الشيطان نزغ) أي إن عرض لك من الشيطان عارض ، أو منعك الشيطان عن شيء مما امرتك به (فاستعذ بالله) أي اسأل الله أن يعيذك منه (إنه سميع) لدعوات المؤمنين واستعاذتهم (عليم) بنيّاتهم ومكنونات صدورهم .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾

ذكر سبحانه طريقة المتقين إذا عرضت لهم وساوس الشياطين (فإذا هم مبصرون) للرشد مبتعدون عن المعاصي بسبب تذكرهم لله واستعاذتهم من الشيطان (واخوانهم يمدونهم في الغي) معناه اخوان المشركين من شياطين الجن والأنس يزيدونهم في الشرك ويزيّنون لهم ما هم فيه من الكفر والفساد ، ثم إن حالك يا محمّد مع هؤلاء الكفار إذا جئتهم بآية كذبوا بها (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها) قالوا هلا اخترتها من قبل نفسك فتسأل ربك أن يأتيك بها(هذا بصائر

من ربكم) أي هذا القرآن دلائل ظاهرة وحجج واضحة يبصر بها الإنسان أمور دينه . وفي هذه الآية دلالة على أن أفعال النبي (ص) واقواله تابعة للوحي ، وأنه لا يجوز أن يعمل بالرأي والقياس .

قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

أمر سبحانه بالإستماع للقرآن ، واختلف في الوقت المأمور فيه بالإنصات للقرآن والإستماع له واقوى الوجوه وأشهرها أنه في الصلاة خاصة اذا كانت جماعة خلف إمام تسمع قراءته، وقيل: أنه في خطبة الجمعة ، أما في غيرهما فقد حملت الروايات والأقوال الداعية للإنصات للقرآن على الإستحباب . والإنصات هو السكوت مع الإستماع (لعلكم ترحمون) أي لترحموا بذلك وباعتباركم به وباتعاظكم بمواعظه (واذكر ربك في نفسك) خطاب للنبي (ص) ، وهو عام وقيل: خطاب لمستمع القرآن ، والمعنى واذكر ربك بالكلام من التسبيح والتهليل والتحميد . روى زرارة عن أحدهما عليهما السلام قال معناه: إذا كنت خلف الإمام تأتم به فانصت وسبّح في نفسك ، وقيل بمعنى: اذكر نعمة ربك بالتفكر في نفسك (ودون الجهر من القول) ارفعوا أصواتكم قليلاً ولا تجهروا بها جهراً بليغاً (إن الذين عند ربك) وهم الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته . . .) . ولا خلاف إن ههنا سجدة واجبة ، وهي أول سجدات القرآن .

سورة الأنفال

آياتها خمس وسبعون آية ،
وهي مدنية الا ست آيات،
بعد الثلاثين مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)

أي يسألك يا محمد جماعة من أصحابك (عن الأنفال) قيل: هي الغنائم التي غنمها النبي (ص) يوم بدر ، وقيل: هي أنفال السرايا ، وقيل: هي ما شذ عن المشركين الى المسلمين من عبد أو جارية او مال من غير قتال ، وصحت الرواية عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام أنهما قالا إن الأنفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال وكل ارض إنجلى أهلها عنها بغير قتال، ويسميها الفقهاء فيئاً ، وميراث من لا وارث له ، وقطائع الملوك إذا كانت في ايديهم من غير غصب ، والآجام وبطون الأودية ، والأرض الموات وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه فهي لله وللرسول ، وبعده لمن قام مقامه فيصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لأحد فيه شيء .

قوله تعالى :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ

عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ

الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ

دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾

لما قال سبحانه في الآية السابقة « إن كنتم مؤمنين » عقّبه ببيان صفة المؤمن بقوله (إنَّما المؤمنون . . .) وإن قلوبهم وجلة خائفة تعظيماً لله وخوفاً من عدله وعقوبته ، وإذا قرأ عليهم القرآن زادتهم آياته تبصراً ويقيناً على يقين ، وقال ابن عباس انه سبحانه أراد بذلك أن المنافق لا يدخل قلبه خشية الله عند ذكره ، وإن هذه الأوصاف المذكورة في الآية منتفية عن المنافق .

قوله تعالى :

كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ

لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ

إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ

وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الْحَقَّ

بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾

يا محمّد قل لهم الأنفال لله نزعها عنكم مع كراهتكم ومشقة ذلك عليكم لأنه أصلح لكم ،كما أخرجك ربك من بيتك مع كراهة فريق من المؤمنين ، ويعني بذلك خروج النبي (ص) من المدينة الى حرب بدر مع كراهة فريق من المؤمنين لذلك الخروج لما فيه من المشقة (وتودّون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) أي تودّون أن يكون لكم لتحصون على القافلة وأخذ غنائمها ، وكان رسول الله (ص) يريد بأمر من الله النفير وحرب قريش الذي عبرت عنه الاية الكريمة ذات الشوكة .

وخلاصة قصة بدر : أن أبا سفيان أقبل بعير قريش وأموالها من الشام وفيه اربعون راكباً من قريش . فندب النبي (ص) أصحابه للخروج واعتراض القافلة ، فلما سمع ابو سفيان بمسير النبي (ص) اليه بعث الى اهل مكة يخبرهم بالخطر على أموالهم ويستنفرهم لحرب محمّد ، وخرج رسول الله (ص) في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وأخبره جبرائيل (ع) بافلات القافلة ، وأن قريش استنفرت كافة قواها وحلفاءها وتوجهت لحربه فجمع أصحابه وأخبرهم الخبر وصار يستخبر حالهم ، فكانت مواقف مشرفة كما كانت هناك مقالة تنم عن الجبن والتخذيل ، وحينها قام ممثل الأنصار الذين هم العنصر المهم في الموقف ، قام سعد بن معاذ فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله كأنك أردتنا فقال (ص) نعم ، قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله ، فمرنا بما شئت وخذ من أموالنا ما شئت واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك . . . فسر بنا على بركة الله . ففرح بذلك رسول الله (ص) وخرج الى بدر وهو بئر ماء ، وفزع رسول الله (ص) لما بلغه كثرة قريش وعدتها واستغاث المسلمون وتضرعوا الى الله فأنزل الله سبحانه (إذ تستغيثون . . .) .

قوله تعالى :

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ

مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا
النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ
النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ
وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي
فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ
وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ
فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾

روي أن النبي (ص) لما نظر الى كثرة عدد المشركين وقلة عدد المسلمين استقبل القبلة وقال : اللهم انجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض ، فما زال يهتف بربه ماداً يده حتى سقط رداؤه من منكبيه ، فأنزل الله تعالى قوله « إذ تستغيثون . . . » وألقى الله الرعب في قلوب المشركين . واختلف في أن الملائكة هل قاتلت يوم بدر أم لا ؟ فقيل: ما قاتلت ولكن شجعت وكثّرت سواد المسلمين ، وبشّرت بالنصر ، وقيل انها قاتلت . (وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهّركم به) لأن الكفار سبقوا المسلمين الى الماء فنزلوا عليه وبقي

المسلمون على كثيب رمل ، وأصبحوا محدثين مجنبين ، وأصابهم الظمأ ، فمطرهم الله حتى اغتسلوا وتطهروا . وتلبدت ارضهم ، ووحلت ارض عدوهم ، ولما اصبح رسول الله (ص) يوم بدر عبأ أصحابه، فكان في عسكره فرسان فرس للزبير بن العوام ، وفرس للمقداد بن الأسود ، وسبعون جملاً كان المسلمون يتعاقبون عليها.وكان في عسكر قريش اربعمائة فرس فلما نظرت قريش الى قلة اصحاب رسول الله (ص) قال أبو جهل ما هم إلا أكلة رأس ، ولو بعثنا اليهم عبيدنا لأخذوهم باليد ، وبعث المشركون عيناً لهم ليلاحظوا هل للمسلمين مدد أوكمين ، وكان عينهم عمير بن وهب الجمحي ، وكان فارساً شجاعاً فجال بفرسه حتى طاف على عسكر رسول الله (ص) ثم رجع الى قريش فقال ليس لهم كمين ولا مدد ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع ، أما ترونهم خرساً لا يتكلمون ويتلمظون تلمظ الأفاعي ، ما لهم ملجأ إلا سيوفهم ، وما أراهم يولون حتى يُقتلوا ، ولا يُقتلون حتى يَقتلوا بعددهم . . .

وأنزل الله يومها (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) فبعث اليهم رسول الله (ص) فقال يا معشر قريش إني اكره أن ابدأكم فخلوني والعرب وارجعوا فقال عتبة : ما رد هذا قوم قط فأفلحوا . ثم ركب جملاً احمر فنظر اليه رسول الله (ص) وهو يجول بين العسكر وينهى عن القتال فقال (ص) إن يك عند احد خير فعند صاحب الجمل الأحمر وإن يطيعوه يرشدوا ، وخطب عتبة فقال : يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدهر ، إن محمّداً له إلٌ وذمة وهو ابن عمكم فخلوه والعرب ، فان يك صادقاً فأنتم أعلى عيناً به ، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره . ولكن قريش أصرت على عنادها وبغيها ، وتنادوا يا محمّد اخرج لنا اكفاءنا فنظر رسول الله (ص) الى عبيدة بن الحرث بن عبدالمطلب وكان يومئذٍ له سبعون سنة فقال قم يا عبيدة ، ونظر الى حمزة بن عبدالمطلب فقال قم يا عم ، ثم نظر الى علي بن أبي طالب (ع) فقال قم يا علي وكان اصغر القوم، فاطلبوا بحقكم الذي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

جعله الله لكم فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها تريد أن تطفىء نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره . وهؤلاء الثلاثة من بني هاشم هم الذين اعز الله بهم الاسلام ونصر جنده وبهم دحر الله قريشاً وهزم جمعهم .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾

لما أمد الله سبحانه المسلمين بالملائكة ووعدهم بالنصر والظفر ، نهاهم عن الفرار وحثهم على الصبر والثبات في الحرب ، قيل هو خطاب لأهل بدر ، وهو عام لكل حرب وموقف يقفه المسلمون قبال الكفر والكفار . (وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً) فيبتلي سبحانه عباده ويختبرهم بالنعم ليظهر مدى شكرهم عليها ، كما يمتحنهم بالمحن والشدائد ليظهر عندها مدى صبرهم وثباتهم الموجب للنصر والأجر .

قوله تعالى :

ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ

جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن
تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ
تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾

(إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) أي إن تستنصروا على أعدائكم فقد جاءكم النصر بالنبي (ص) (وإن تنتهوا) أي إن تمتنعوا من الكفر وقتال الرسول والمؤمنين (فهو خير لكم . .) وإن تعودوا أيها المشركون الى قتال المسلمين نعد الى نصرهم ونأمرهم بقتالكم . (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) والسماع بمعنى التقبل والانتفاع وهؤلاء هم المنافقون الكفار ، وقيل هم اهل الكتاب من اليهود قريظة والنضير ، وقيل هم مشركوا العرب .

قوله تعالى :

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ
عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم
مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾

ذم سبحانه الكفار (إنّ شر الدواب . . .) أي شر من دبّ على وجه الأرض هؤلاء المشركين الذين لم ينتفعوا بما يسمعون من الحق ولا يتكلمون به ولا يقرون به فكأنهم صمٌ بكمٌ . قال الباقر (ع): نزلت الآية في عبدالدار لم يكن اسلم منهم

غير مصعب بن عمير وحليف لهم يقال له سويبط ، قيل:نزلت الاية في النضر بن الحارث بن كلدة من بني عبدالدار (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) أي لو علم الله فيهم قبولاً للهدى وإقبالاً على طلب الحق لأسمعهم . . .

قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤) وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) ﴾

روي أن علياً (ع) وزيد بن ثابت وأبو جعفر (ع) والربيع بن انس وأبو العالية انهم قرأوا (لتصيبنّ) والقراءة المشهورة لا تصيبنّ ، وقد أمر سبحانه بطاعة الرسول (ص) وأن يجيبوا الله والرسول فيما امر به ، والإجابة اطاعتهما فيما يدعوان اليه من الجهاد ، ويدعوان اليه من العلم والدين والقرآن الكريم . (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) أي يحول بين المرء وبين الإنتفاع بقلبه وذلك بالموت ، فبادروا الى الطاعة قبل الحيلولة (واتقوا فتنة . . .) حذرهم سبحانه من هذه الفتنة،قيل:هي العذاب الشامل ، وقد أمر الله المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب ، وأنها جارية على العموم فتصيب الظالم وغير الظالم أما الظالمون فمعذبون بظلمهم ، وأما المؤمنون فممتحنون ومختبرون بذلك . وفي حديث أبي أيوب الأنصاري أن النبي (ص) قال لعمار : يا عمار انه سيكون بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم ، وحتى يقتل بعضهم

بعضاً ، وحتى يبرأ بعضهم من بعض ، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني علي بن ابي طالب فإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي وخل عن الناس ؛ يا عمار إن علياً لا يردك عن هدى ، ولا يدلك على ردى ، يا عمار طاعة علي طاعتي ، وطاعتي طاعة الله ، روي هذا الحديث بطرق وأسانيد متعددة ذكرها المصنف رحمه الله ، وروى سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية (واتقوا فتنة . . .) قال النبي (ص) من ظلم علياً مقعدي هذا من بعد وفاتي فكأنما جحد بنبوتي ونبوة الأنبياء قبلي .

قوله تعالى :

وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾

ذكر سبحانه حالة المهاجرين (واذكروا) يا معشر المهاجرين (إذ أنتم قليل) في العدة والعدد في ابتداء الإسلام وقبل الهجرة (تخافون أن يتخطفكم الناس) أي تخافون أن يستلبكم المشركون من العرب وغيرهم (فآواكم) أي جعل لكم مأوى ومقر وهي المدينة المنورة دار الهجرة .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ

عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾

أخبر جبرائيل (ع) رسول الله (ص) بقافلة قريش التي مع أبي سفيان فأخبر النبي (ص) بها أصحابه ، وأمرهم بالتجهز لأخذها ، فكتب رجل من المنافقين الى قريش أن محمّداً يريدكم فخذوا حذركم ، فأنزل الله الآية ، وقال السدي: كانوا يسمعون الشيء من النبي (ص) فيفشونه حتى يبلغ المشركين ، وقيل: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر الأنصاري وقصته مشهورة واسطوانة توبته في مسجد النبي بالمدينة معروفة ، ومعنى الآية عام في تحذير المؤمنين .

قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

(فرقاناً) أي هدايةً في قلوبكم تفرقون به بين الحق والباطل ونجاةً في الدنيا والأخرة وتقديره إن تتقوا الله ولم تخالفوه فيما أمركم به من الجهاد وغيره يجعل الله لكم من النور والهداية ما تفرقون به بين الحق والباطل ، ومعناها عام .

قوله تعالى :

وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾

المكر : من الناس ميل الى جانب الشر وخبٌ وخداع ، ومن الله جزاء (والله خير الماكرين) لأنه لا يمكر إلا ما هو حق وصواب وينزل المكروه بمن

يستحقه (ليثبتوك) أي ليقيدوك ويوثقوك أو يحبسوك ، قال المفسرون: انها نزلت في قصة دار الندوة حين اجتمع نفر من قريش في دار قصي بن كلاب وتآمروا في أمر النبي محمّد (ص) فقال عروة بن هشام نتربص به ريب المنون ـ أي الموت ـ وقال غيره اخرجوه عنكم تستربحوا من أذاه ، وقال أبو جهل: اقتلوه بأن يجتمع عليه من كل بطن رجل فيضربوه بأسيافهم ، فانطلقوا مجمعين على هذا الرأي، وجاء جبرئيل فأخبر النبي (ص) بذلك ، فخرج الى الغار وأمر علياً (ع) فبات على فراشه فلما أصبحوا لم يجدوا رسول الله (ص) وارسلوا في طلبه واقتصوا أثره فلما بلغوا الجبل رأوا على باب الغار نسج العنكبوت فقالوا لو كان ها هنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثة ايام ثم قدم المدينة المنورة .

قوله تعالى :

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

أخبر سبحانه عن عناد هؤلاء الكفار واصرارهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) أي مثل آيا ت القرآن مع أن القرآن تحداهم على الإتيان بسورة من مثل القرآن ، ثم أصروا على كذبهم وعنادهم حين قالوا (إن هذا إلا اساطير الأولين) أي احاديث الأولين تكررها علينا ، وكان هذا هو النظر بن حارث بن كلدة ، وأسر يوم بدر فقتله رسول الله (ص) ومعه المطعم بن عدي وعقبة بن أبي معيط (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) ذكر سبحانه سبب إمهالهم وأن الله لا يعذب أهل مكة وأنت مقيم بين أظهرهم كرامة لك يا محمّد (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وفيهم بقية مؤمنة بعد خروجك من مكة ممن لم يهاجروا مع النبي (ص) لعذر ، وقد روي عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه قال : كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع أحدهما ـ يعني وجود رسول الله (ص) فدونكم الآخر فتمسكوا به ـ يعني الاستغفار ـ وقرأ (ع) الآية (وما كان أولياءه) أي وما كان المشركون أولياء المسجد الحرام وإن سعوا في عمارته .

قوله تعالى :

وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ
بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا
عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ
الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي
جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾

:

المكاء : الصفير ، والتصدية:التصفيق وهو ضرب اليد على اليد الأخرى .
قال ابن عباس:كانت قريش يطوفون بالبيت عراة يصفرون ويصفّقون ، وصلاتهم معناه دعاؤهم ، وروي أن النبي محمّد (ص) كان إذا صلّى في المسجد الحرام قام رجلان من بني عبدالدار عن يمينه فيصفران ورجلان عن يساره يصفّقان بأيديهما فيخلطان عليه صلاته . (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم . . .) قيل:انها نزلت في أبي سفيان بن حرب استأجر يوم أحد الفين من الأحابيش ليقاتل بهم النبي محمّد (ص) سوى من استنهضهم من العرب ، وقيل:نزلت في المطعمين يوم بدر ، وكانوا اثنا عشر رجلاً من اثرياء قريش ورؤسائها وكان كل يوم يطعم الواحد عشر جزر ، وقيل غير ذلك . وفي الاية ذكر سبحانه إنفاق المشركين في معصية الله تعالى (ليصدوا عن سبيل الله) ويمنعوا الناس عن دين محمّد (ص) (ثم تكون عليهم حسرة) حيث انهم لا ينتفعون بذلك الإنفاق لا في الدنيا ولا في الأخرة (ثم يغلبون) في الحرب . وفي هذه الآية دلالة على صحة نبوة النبي محمّد (ص) لأنه أخبر بذلك قبل وقوعه .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الجُزءُ العَاشِر

مِنَ القرآن الكَريم

قوله تعالى :

قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ
فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ
وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾
وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

أمر سبحانه نبيه بدعائهم الى التوبة والايمان وأن الله (يغفر لهم ما قد سلف) من ذنوبهم (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) دعوة للنبي (ص) وللمؤمنين بأن يقاتلوا الكفار حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ، ومعناها عام (وإن تولوا) وأعرضوا عن دين الله وطاعته (فاعلموا) يا أيها المؤمنون (إن الله مولاكم) وناصركم وحافظكم وهو (نعم المولى ونعم النصير) .

قوله تعالى

وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى
ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ
وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾

بيّن سبحانه حكم الغنيمة مما قلّ أو كثر (فان لله خمسه . . .) واختلف في كيفية قسمة الخمس ، ذهب الإمامية الى أن الخمس يقسم على ستة أسهم ، فسهم لله وسهم للرسول وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للإمام القائم مقام الرسول (ص) وسهم ليتامى آل محمّد وسهم لمساكينهم ، وسهم لأبناء السبيل لا يشركهم في ذلك غيرهم ، وذهب غيرنا الى تقسيم الخمس لثلاثة أقسام . كما وقع الخلاف فيما يخرج منه الخمس فذهب الإمامية الى أن الخمس واجب في كل فائدة تحصل للإنسان من المكاسب وأرباح التجارات ، والكنوز والمعادن والغوص ، وغير ذلك مما هو مذكور في كتب الفقه ، واستدلوا على ذلك بهذه الآية وبتفسيرها عن اهل البيت عليهم السلام .

وروي عن المنهال بن عمر قال سألت علي بن الحسين (ع) وعبدالله بن محمّد بن علي عن الخمس فقالا : هو لنا ، فقلت لعلي إن الله يقول:واليتامى والمساكين وابن السبيل ؟ فقال يتامانا ومساكيننا . (يوم الفرقان) يعني يوم بدر لأن الله تعالى فرق فيه بين المسلمين والمشركين وكان يوم بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان من سنة اثنتين للهجرة النبوية الشريفة .

قوله تعالى :

إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ

أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

العدوة : شفير الوادي ، وللوادي عدوتان وهما جانباه ، والدنيا تأنيث الأدنى والقصوى تأنيث الأقصى ، وفيها بيّن سبحانه نصرته للمسلمين ببدر ، قال الكلبي كانوا على شط البحر بثلاثة أميال ، وما كان المسلمون فيه من قلة الماء ، والرمل الذي تسيخ فيه الأرجل مع قلة العدد والعدة ، وما كان المشركون فيه من كثرة العدد والعدة ونزولهم على الماء ، والعير اسفل منهم وفيها أموالهم ، ومع هذا كله نصر الله المسلمين عليهم ليُعلم أن النصر من عند الله سبحانه (ليهلك من هلك . . .) أي ليموت من مات منهم بعد قيام الحجّة عليه بما رأى من المعاجز للنبي (ص) في حروبه وغيرها ، ويعيش من عاش على بيّنة بعد قيام الحجج والبراهين . (إذ يريكهم الله في منامك قليلاً . .) لتخبر المؤمنين بقلة اعدائهم فيتجرأ المؤمنون على قتال الكفار ، وهذا جائز لأن الرؤيا في النوم هي تصور يتوهم معه الرؤية في اليقظة ، ولا يكون علماً ، بل كثير مما يراه الإنسان في نومه يكون تعبيره بالعكس مما رآه ، ومن الحكمة التي أرادها الله لإتمام لطفه بالمسلمين أن صاروايرون الكفار كأنهم قلة فيقدموا ويتشجعوا على حربهم ، ويرى المشركون المسلمين وهم قلة ، قال ابن مسعود : قلت لرجل بجانبي أتراهم سبعين رجلاً ؟ فقال هم قريب من مائة ، وقد روي أن ابا جهل كان يقول خذوهم بالأيدي أخذاً ولا تقاتلوهم .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ
رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا
يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قال ابن عباس : لما رأى أبو سفيان أنه أحرز عيره - قافلته - أرسل الى قريش أن ارجعوا ، فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدراً ، وكان بدر موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم بها ثلاثاً وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقى الخمور ، وتعزف علينا القيان ، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً ، فوافوها فسقوا كؤوس المنايا وناحت عليهم النوائح .

قوله تعالى :

وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ
النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ
وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

عطفاً على بيان حال المشركين في خروجهم بطراً ورياء الناس ، إذ زين الشيطان للمشركين أعمالهم وحسنها في نفوسهم (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس) لكثرة عددكم وقوتكم (وإني جارٌ لكم) أي ناصر ومجير لكم (فلما تراءت الفئتان) والتقت في الحرب (نكص على عقبيه) أي رجع الشيطان منهزماً الى الوراء (وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون) لأني أرى الملائكة الذين جاؤوا لنصرة المسلمين (إني أخاف الله) اي أخاف عذاب الله على ايدي من أراهم من المسلمين .

قوله تعالى :

إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾

المنافقون : هم الذين يبطنون الكفر ويظهرون الايمان (والذين في قلوبهم مرض) وهم الشاكون في الاسلام مع اظهارهم كلمة الايمان ، وكان من مقالة المنافقين في التنديد بالمؤمنين (غر هؤلاء دينهم) أي انهم كانوا يخطئون المسلمين بخروجهم للجهاد ويتهمونهم بالغرور في الإقدام على حرب قريش والمشركين . ولكن الله رد مقالة المنافقين وأفهمهم أن النصر ليس بالقلة أوالكثرة (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز) يعز أولياء (حكيم) يضع الأمور بمواضعها

وعلى ما تقتضيه الحكمة والمصلحة (ولو ترى) يا محمّد (إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة . . .) أي لو تراهم حين يقبضون أرواحهم عند الموت وحين يضربون أجسادهم من قدامهم ومن خلفهم ، والمراد بهم قتلى المشركين ببدر .

قوله تعالى :

كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ
مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ
كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾

بيّن سبحانه أن حال المشركين في الكفر بمحمّد (ص) ورسالته كعادة آل فرعون والذين من قبلهم في كفرهم بالرسل وما أُنزل اليهم ، وقيل:ان عقوبة المشركين الكافرين بما أُرسلت به يا محمّد كعذاب وعقوبة آل فرعون ، وإنّما كرر قوله كدأب آل فرعون لأنه أراد بالأول بيان حالهم في استحقاق عذاب الآخرة ، وفي الثاني بيان استحقاقهم لعذاب الدنيا ، وقيل غير ذلك .

قوله تعالىٰ :

إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾

ذم سبحانه الكفار وأنهم شر من يدب على وجه الأرض لأنهم أصروا على كفرهم حتىٰ ماتوا مشركين ، وأن من جملتهم أناس بينكم وبينهم عهد ، قال مجاهد أراد بهم يهود بني قريظة فإنهم كانوا قد عاهدوا النبي (ص) على أن لا يضروا به ولا يمالؤوا عليه عدواً ، ثم مالؤوا عليه الأحزاب يوم الخندق ، وعاهدوا مرة بعد أخرىٰ فنقضوا فانتقم الله منهم ، لأنهم لا يتقون عذاب الله تعالىٰ .

قوله تعالىٰ :

فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾

حكم سبحانه في الناقضين للعهود فقال لنبيه (ص) إذا ظفرت بهم في الحرب وأدركتهم فنكل بهم تنكيلاً يؤدب من وراءهم ويشرد من خلفهم فلا يقدموا على نقض العهد والفساد في الأرض (وإما تخافن من قوم خيانة) من الذين بينك وبينهم عهد (فانبذ اليهم على سواء) أي أعلمهم بأنك حللت ما شرطت لهم ولا

تبدأهم بالقتال قبل أن تعلمهم باعلان الحرب ، حتى لا ينسبوك الى الغدر ، قال الواقدي : هذه الآية نزلت في بني قينقاع ، وبهذه الآية سار النبي (ص) اليهم .

قوله تعالى :

وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُّوا لَهُم
مَا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ
وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا
تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)
وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)

لما تقدم الأمر بقتال الكفار، عقبه سبحانه بوعد النصر ، والأمر بالإعداد لقتالهم (انهم لا يعجزون) أي لا يعجزون الله (وأعدوا لهم . .) أي وأعدوا لحرب المشركين ما قدرتم عليه من السلاح والالات والرجال (ومن رباط الخيل) أي ومما تربطون وتقتنون للغزو من الخيل (وآخرين من دونهم) أي وترهبون كفاراً آخرين (لا تعلمونهم) معناه لا تعرفونهم لأنهم يظهرون الإسلام ويؤدون الفرائض ويختلطون بالمؤمنين وهم المنافقون . (وإن جنحوا للسلم) أي إذا مالوا للصلح وترك الحرب فاقبل منهم . قيل إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » وبقوله تعالى « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله » وقيل أنها ليست بمنسوخة ، لأنها في السوادعة لأهل الكتاب ، والأخرى لعباد الأوثان ، وهذا هو الأقرب للمنطق وللفكر الاسلامي .

قوله تعالى :

وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ (٦٣)

خاطب الله سبحانه نبيه محمداً (ص) وإن يرد الذين يطلبون منك الصلح أن يخدعوك في الصلح حتى يقووا فيبدؤكم بالقتال عن غير استعداد منكم (وألف بين قلوبهم) أراد بالمؤمنين الأنصار وهم الأوس والخزرج وما كان بينهم من العداوة والقتال فألف الله بين قلوبهم حتى صاروا متوادين متحابين ببركة قدوم النبي محمّد (ص) عليهم ودخولهم في الإسلام ، وذلك من آيات عظمة الإسلام ورسوله الكريم .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا
مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ
قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا

فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾

أمر سبحانه بقتال الكفار وحث عليه ، وأن الله حسبك وكافيك وكافي من اتبعك من المؤمنين ، والتحريض: الترغيب بذكر الثواب الموعود وبيان ما وعد الله به من النصر والظفر ، واغتنام الأموال ، وأن ذلك النصر من الله تعالى لكم على الكفار بأنكم تفقهون أمر الله تعالى وتصدقونه فيما وعدكم من الثواب فيدعوكم ذلك الى الصبر والجد في القتال ، والكفار لا يفقهون أمر الله تعالى ولا يصدقون بما وعد من الثواب ولما علم الله تعالى ان ذلك يشق على المؤمنين تغيرت المصلحة فقال (الآن خفف الله عنكم . . .) وقيل: ان هذه الآية نزلت بعد الآية الأولى بمدة وإن قرن بينهما في المصحف وهي ناسخة للأولى ، وقال الحسن : إن التغليظ كان على اهل بدر ثم جاءت الرخصة .

قوله تعالى :

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

أي ليس لنبي من الأنبياء ولافي عهدالله (أن يكون له أسرى) من المشركين ليفديهم أو يمن عليهم حتى يبالغ في قتل المشركين وقهرهم ليرتدع من وراءهم من الكفار،ثم خاطب الله المؤمنين الذين رغبوا في أخذ الفداء من الأسرى ،

ورغبوا في الحرب لأجل الغنيمة (تريدون عرض الدنيا..) (لولا كتاب من الله سبق..) في أن لا يعذب قوماً حتى يبين لهم ما يتقون ، وانه لم يبين لكم أن لا تأخذوا الفداء لعذّبكم بأخذ الفداء ، وقيل في معنى الكتاب الذي سبق معان أُخر لا داعي لذكرها . وكان نتيجة معركة بدر أنّ القتلى من المشركين يوم بدر سبعين قتل منهم علي بن أبي طالب (ع) سبعة وعشرين ، وكان الأسرى أيضاً سبعين ولم يؤسر احد من أصحاب رسول الله (ص) ، فجمعوا الأسرى وقرنوهم في الحبال وساقوهم على أقدامهم . وقتل من اصحاب رسول الله (ص) تسعة رجال،وقيل احد عشر رجلاً . وعن ابن عباس قال:لما أمسى رسول الله (ص) يوم بدر والناس محبوسون بالوثاق بات ساهراً اول الليل فقال له أصحابه مالك لا تنام ؟ فقال (ص) سمعت أنين عمّي العباس في وثاقه ، فأطلقوه فسكت ، فنام رسول الله (ص) .

وقال أبو جعفر الباقر (ع):كان الفداء يوم بدر كل رجل من المشركين بأربعين أُوقية ، والأُوقية اربعون مثقالاً ، إلا العباس فان فداءه كان مائة أُوقية وكان أخذ منه حين أُسر عشرون أُوقية ذهباً ، فقال النبي (ص) ذلك غنيمة ففادِ نفسك وابني أخيك نوفلاً وعقيلاً ، فقال:ليس معي شيء،فقال (ص):أين الذهب الذي سلمته الى أُم الفضل ، وقلت إن حدث بي حدث فهو لك وللفضل وعبدالله وقثم؟فقال:من أخبرك بذا ؟ قال (ص):الله تعالى ، فقال:أشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا احد إلا الله تعالى .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾

وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾

خاطب سبحانه نبيّه في أمر اسرى بدر الذين كانوا بيد المسلمين ، ذكر أن النبي (ص) لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفاً وقد توضأ لصلاة الظهر فما صلّى يومئذٍ حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ويحثي فأخذ ، فكان العباس يقول هذا خير مما أخذ منّا وأرجوا المغفرة (وإن يريدوا خيانتك) أي الذين أطلقتهم من الأسارى إن أرادوا خيانتك بأن يعدوا لحربك أو ينصروا عدواً عليك (فقد خانوا الله من قبل) بأن خرجوا الى بدر وقاتلوا مع المشركين ، وأشركوا بالله وأضافوا اليه سبحانه مالا يليق به .

قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾

قيل : نزلت الآية في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فجعل الله الميراث للمهاجرين والأنصار دون ذوي الأرحام ، وكان الذي آمن ولم يهاجر لم يرث لأنه لم يهاجر ولم ينصر ، وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله تعالى (وأولوا الأرحام

بعضهم أولى ببعض) فنسخت هذه الآية ، وصار الميراث لذوي الأرحام المؤمنين ولم يتوارث اهل ملتين ، وفي الآية أوجب سبحانه موالاة المؤمنين وحرمة موالاة الكافرين (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) يعني المؤمنين الذين لم يهاجروا إن طلبوا منكم النصرة على الكفار ، فيلزمكم نصرهم ومعونتهم فيما يخص الدين ، إلا أن يطلبوا منكم النصرة على قوم من المشركين بينكم وبينهم ميثاق وعهد فيجب عليكم الوفاء بعهدكم ولا تنصروا المؤمنين عليهم لما في ذلك من نقض العهد .

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

ذكر سبحانه حكم الكافرين وأن بعضهم انصار بعض ، وقيل معناه: بعضهم أولى ببعض في الميراث (إلا تفعلوه) أي إلا تفعلوا ما أمرتم به في الآية الأولى والثانية من لزوم التناصر والتعاون بين المؤمنين والتبري من الكفار (تكن فتنة في

الأرض وفساد كبير) علىٰ المؤمنين الذين لم يهاجروا ومحنةً لهم بالميل الىٰ الضلال وضعف الإيمان ، ثم بيّن سبحانه أن المؤمنين حقاً هم المسلمون الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووهم ونصروهم وهم الأنصار في المدينة .

وفي قوله « وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض » دلالة على أن مَن كان أقرب الى الميّت في النسب كان اولىٰ به بالميراث .

تمت ولله الحمد سورة الأنفال وتفسيرها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

سورة التوبة

وسمّيت براءة ، لأنها مفتتحة بها ، ونزلت باظهار البراءة من الكفار . وسمّيت التوبة لكثرة ما فيها من التوبة ، وسمّيت بأسماء أخرى . وذكر في علة عدم افتتاحها بالبسملة وجوه ، منها: أنها ضمت إلى الأنفال بالمقاربة فصارتا كسورة واحدة ، ومنها: أن بسم الله للأمان والرحمة وبراءة نزلت لرفع الأمان واعلان الحرب كما هو المروي عن علي (ع) وغيره من الصحابة .

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿٢﴾

(براءة من الله . . .) أي انقطاع للأمان وخروج من العهد وهو خطاب للنبي (ص) والمسلمين أن تبرؤا ممن كان بينكم وبينهم عهد من المشركين فإن الله ورسوله بريئان منهم لأن المشركين نكثوا عهودهم وهو بمثابة اعلان حرب ثم خاطب سبحانه الكفار والمشركين (فسيحوا في الأرض) أي لكم مهلة لتصرفوا أموركم وتقضوا حوائجكم آمنين من السيف أربعة أشهر فإذا انقضت هذه المدة ولم تسلموا انقطع الأمان عن أموالكم ودمائكم .

أجمع المفسرون ونقلة الأخبار أنه لما نزلت براءة دفعها رسول الله (ص) الى أبي بكر، ثم أخذها منه ودفعها الى علي بن أبي طالب (ع) ورويت قصة استرجاع أبي بكر واعطاء مهمة تبليغ براءة الى المشركين لعلي بن أبي طالب (ع) بصور عديدة ، منها ما روي عن عروة بن الزبير وأبي سعيد الخدري وأبي هريرة ، قالوا بأن النبي

(ص) اخذها من أبي بكر قبل خروجه الى المشركين ودفعها الى علي (ع) وقال:لا يبلّغ عنّي إلا انا أو رجل منّي ، وروي أن علياً (ع) قام عند جمرة العقبة يوم النحر فخطب في الناس وهو مخترط سيفه فقال : لا يطوفنّ بالبيت عريان ، ولا يحجنّ البيت مشرك ، ومَن كانت له مدة فهو الى مدته ، ومَن لم يكن له مدة فمدته اربعة اشهر ، وقرأ عليهم سورة براءة،وقيل:قرأ عليهم ثلاثة عشرة آيةً من أول براءة ، وروي أنه (ع) لما نادى فيهم إن الله بريء من المشركين ، أي من كل مشرك ، قال المشركون نحن نتبرأ من عهدك وعهد ابن عمك ثم لما كانت السنة المقبلة وهي سنة عشر حجّ النبي (ص) حجّة الوداع وعاد الى المدينة ومكث بقية ذي الحجّة ومحرم وصفر وليال من شهر ربيع الأول حتى لحق بالله عز وجل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ
مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ
فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ
أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)

بيّن سبحانه أنه يجب إعلام المشركين ببراءته منهم لئلّا ينسبوا المسلمين الى الغدر (وأذان . .) أي اعلام الناس (يوم الحجّ الاكبر) قيل هو يوم عرفة ، وأن الحجّ الأكبر الذي فيه الوقوف بعرفة ، والحجّ الأصغر الذي ليس فيه وقوف وهو

العمرة،وقيل:سمي الحجّ وهو خصوص ذلك العام لأنه حجّ فيه المشركون والمسلمون ولم يحجّ بعدها مشرك .

قال ابن عباس : عنىٰ به كل مَن كان بينه وبين رسول الله (ص) عهد قبل براءة ولم يتعرض له بعداوة ، ولا ظاهر عليه عدواً ، لأن النبي (ص) صالح أهل هجر وأهل البحرين وإيله ودومة الجندل ، وله عهود بالصلح والجزية ، ولم ينبذ اليهم بنقض عهد ولا حاربهم بعد ، وكانوا اهل ذمة الىٰ أن توفي النبي (ص) ووفىٰ لهم بذلك مَن بعده .

قوله تعالى :

فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَآتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

بيّن سبحانه الحكم في المشركين بعد انقضاء المدة ، قيل الحرم : هي الأشهر المعروفة ذو القعدة وذو الحجّة والمحرم ورجب ، وقيل:هي اشهر الإمهال بعدنزول سورة براءة ، وبعد ذلك (فاقتلوهم حيث وجدتموهم) أي حيث كانوا في الأشهر الحرم وغيرها في الحل أو في الحرم ، وهذا ناسخ لكل آية وردت في الصلح والإعراض عنهم . (وإن أحد من المشركين . . .) أي إن طلب أحد

المشركين الأمان من القتل ليسمع دعوتك واحتجاجك عليه بالقرآن فأمّنه وبيِّن له ما يريد وأعطه مهلة حتى يسمع كلام الله ويتدبره (ثم ابلغه مأمنه) سواء أسلم أو لم يسلم فلا تقتله إن لم يهتدِ ويسلم بل أوصله الىٰ ديار قومه ومأمنه .

قوله تعالىٰ :

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨﴾

لما أمر سبحانه بنبذ العهد إلىٰ المشركين، بيّن أن العلة في ذلك ما ظهر منهم من الغدر وأمر باتمام العهد لمن استقام علىٰ الأمر ، أي كيف يكون لهؤلاء عهد صحيح مع اضمارهم الغدر والنكث . (إلا الذين عاهدتهم عند المسجد الحرام . .) قيل هم قريش ، وقيل:هم خصوص اهل مكة عاهدهم رسول الله (ص) يوم الحديبية فلم يستقيموا ونقضوا العهد بأن اعانوا بني بكر علىٰ خزاعة حلفاء النبي (ص) فضرب لهم رسول الله (ص) بعد عام الفتح أربعة اشهر يختارون امرهم إما أن يُسلموا ، وإما أن يلحقوا بأي بلادٍ شاؤوا فأسلموا قبل انتهاء المدة ، وقيل:هم قبائل دخلوا في عهد قريش يوم الحديبية ولم ينقضوا العهد كما نقضت قريش ، فالتزم لهم رسول الله (ص) بالعهد (ولا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذمة) أي لا يحفظوا ولا يراعوا فيكم قرابةً ولا عهداً،وقيل:إن إلاً اسم الله تعالىٰ .

قوله تعالى :

اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ
بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ
لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ
وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ
أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

بيّن سبحانه خصال القوم وأنهم اعرضوا عن دين الله وصدوا الناس عنه بشيء يسير نالوه من الدنيا. قيل: ورد هذا في قوم جمعهم أبو سفيان على طعامه ليستميلهم ويجمعهم على عداوة النبي محمّد (ص) . وقيل: ورد في اليهود الذين كانوا يأخذون الرشا من العوام على الحكم بالباطل وقرأ علي (ع) قوله تعالى « وان نكثوا أيمانهم . . . » يوم البصرة ثم قال: أما والله لقد عهد اليّ رسول الله (ص) وقال : يا علي لتقاتلنّ الفئة الناكثة والفئة الباغية والفئة المارقة . ثم حثّ سبحانه المؤمنين على قتال الناكثين ، وأن لا تخشوهم ولا تتركوا قتالهم خوفاً على انفسكم (**فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين**) مصدقين بثواب الله وعقابه .

قوله تعالىٰ :

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾

أكد سبحانه ما تقدم ذكره حين أمر المسلمين بقتال المشركين والناكثين ، وبشّر المؤمنين بالنصر والظفر على أعدائهم ، وأكد سبحانه بأنه يقبل توبة مَن تاب منهم مع شدة تعذيبهم ، وذلك رحمة بعباده ، وفرصة للعصاة منهم بالعودة والإنابة .

قوله تعالىٰ :

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

نبّه سبحانه على أهمية الجهاد وأنكم أيها المؤمنون أظننتم أن تُتركوا من دون أن تكلفوا الجهاد في سبيل الله (ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة . .) أي ولم يعلم الله الذين لم يتخذوا سوىٰ الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء يوالونهم ويفشون اليهم أسرارهم . وفي هذا دلالة علىٰ تحريم موالاة الكفار والفساق والألفة لهم وبهم .

قوله تعالى :

مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ
أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ
إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾

لما أمر سبحانه بقتال المشركين وقطع العصمة والموالاة عنهم ، أمر بمنعهم عن المساجد فلا ينبغي للمشركين أن يكونوا قواماً على عمارة مساجد الله ومتولين لامرها ، بل ينبغي أن يعمرها المسلمون ، قيل المراد بذلك المسجد الحرام ، وقيل هي عامة في جميع المساجد (شاهدين على أنفسهم بالكفر اختلف في شهادتهم بالكفر فقيل أن يُسأل فيقول أنه مشرك ، وقيل أن يفهم ذلك من كلامهم كقولهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك كما كانوا يلبون حول البيت وقيل شهادتهم هي سجودهم لأصنامهم ، وأنهم يشهدون على أنفسهم بأفعالهم وأحوالهم .

قوله تعالى :

أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا
يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِى

سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ
لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾

قيل : أنها نزلت في علي بن أبي طالب (ع) والعباس بن عبدالمطلب وطلحة ابن شيبة وذلك أنهم افتخروا ، فقال طلحة:أنا صاحب البيت وبيدي مفتاحه ولو أشاء بتُّ فيه ، وقال العباس:أنا صاحب السقاية والقائم عليها ، وقال علي (ع):ما أدري ما تقولان لقد صلّيت الىٰ القبلة ستة أشهر قبل الناس ، وأنا صاحب الجهاد . وقيل : أن علياً (ع) قال للعباس : يا عم الا تهاجر ، ألا تلتحق برسول الله ؟ فقال:ألست في افضل من الهجرة أعمر المسجد الحرام ، وأسقي حاج بيت الله ، فنزلت (أجعلتم . . .) وفي تفسير أبي حمزة: أن العباس لما أسر يوم بدر أقبل أناس من المهاجرين والأنصار فعيّروه بالكفر وقطيعة الرحم ، فقال : ما لكم تذكرون مساوئنا وتكتمون محاسننا ، قالوا : وهل لكم من محاسن ؟ قال نعم والله لنعمر المسجد الحرام ، ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ، ونفك العاني ، فأنزل الله تعالىٰ (ما كان للمشركين أن يعمروا . . .) .

قوله تعالىٰ :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا
الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾

قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾

روي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام أنها نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حيث كتب إلى قريش يخبرهم بخبر النبي (ص) لما أراد التوجه الى فتح مكة . وفيها نهى الله سبحانه المؤمنين عن موالاة الكافرين وإن كانوا في النسب اقربين و بأس بمجالستهم ومعاشرتهم لقوله سبحانه «وصاحبهما في الدنيا معروفاً» ، قال ابن عباس: لما أمر الله تعالى المؤمنين بالهجرة وأرادوا الهجرة فمنهم مَن تعلقت ب زوجته ومنهم مَن تعلق به أبواه وأولاده فكانوا يمنعونهم من الهجرة فيتركون الهجر لأجلهم فبيّن سبحانه أن أمر الدين مقدم على النسب ، وإذا وجب قطع قراب الأبوين فالأجنبي أولى .

قوله تعالى :

لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ

جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾

ذكر المفسرون وأصحاب السير أن رسول الله (ص) لما فتح مكة خرج منها متوجهاً إلى حنين[1] لقتال هوازن وثقيف في آخر شهر رمضان أو في شوال من سنة ثمان من الهجرة ، وقد اجتمع رؤساء هوازن الى مالك بن عوف النصري وساقوا معهم أموالهم ونساءهم وذراريهم ونزلوا بأوطاس وهم مصممون على عدم الإذعان للإسلام ومقدمون على حرب النبي والمسلمين . وعقد رسول الله (ص) لواءه الأكبر ودفعه الى علي بن أبي طالب (ع) وكل من دخل مكة براية أمره أن يحملها ، وخرج من مسلمة الفتح ألفا رجل وكان (ص) دخل مكة في عشرة آلاف رجل وخرج منها في اثني عشر ألفاً . ولما صلّى رسول الله (ص) بأصحابه الغداة انحدر في وادي حنين وكانت هوازن قد توزعت وكمنت في ارجاء الوادي ، فلمّا مر رسول الله والمسلمون معه خرجت هوازن عليهم من كل جانب وانهزم بنو سليم وكانوا على مقدمة المسلمين ، وانهزم ما وراءهم وخلّى الله تعالى بين المسلمين وبين أعدائهم ، لإعجاب بعض المسلمين بكثرتهم ، وبقي علي (ع) ومعه الراية يقاتلهم في نفر قليل ، ولما رأى رسول الله (ص) هزيمة المسلمين أمر العباس فنادى : يا معشر المهاجرين والأنصار ، يا أصحاب سورة البقرة ، يا أهل بيعة الشجرة ، الى أين تفرون ؟ هذا رسول الله (ص) ، فلما سمع المسلمون صوت العباس تراجعوا وقالوا لبيك لبيك ، وتبادر الأنصار خاصة وقاتلوا المشركين حتى

---

(١) حنين وادي بين مكة والطائف ، وحنين اسم رجل ، ذكر في مجمع البحرين:انه كان رجلاً شديداً ادعى أنه ابن اسد بن هاشم ، فأتى عبدالمطلب وعليه خفان أحمران فقال : يا عم أنا ابن أسد بن هاشم ، فقال عبدالمطلب ، لا وثياب هاشم ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع،فقالوا : رجع حنين بخفيه ، فصار ذلك القول مثلاً بين الناس لمَن عاد خائباً من مطلبه .

قال رسول الله (ص):الآن حمي الوطيس (أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبدالمطلب) . ونزل النصر من عند الله تعالىٰ وانهزمت هوازن هزيمةً قبيحة . ولم يزل المسلمون في آثارهم ، وأغنم الله المسلمين أموال الكفار ونساءهم، وكان ستة آلاف من الذاري والنساء ، ومن الإبل والشاة ما لا يدرىٰ عدته .

قال انس بن مالك : وكان رسول الله (ص) أمر منادياً فنادىٰ يوم أوطاس : الا لا توطأ الحبالى حتىٰ يضعن ، ولا غير الحبالى حتىٰ يستبرأن بحيضة ، ثم أقبلت وفود هوازن وقدمت على رسول الله (ص) بالجعرانة مسلمين ، ورد اليهم رسول الله ما سبي من نسائهم وذراريهم مما كان بيده وبيد بني هاشم ، وتأسى به بقية المسلمين فردوا على هوازن ما سبي من نسائهم وذراريهم ، إلا قليل من المسلمين سألوا الفداء ففداهم رسول الله وردهم إلى أهلهم ، ثم أن رسول الله أرسل الىٰ مالك بن عوف بالأمان وقال: إن جئتني مسلماً رددت اليك أهلك ومالك ولك عندي مائة ناقة ، فخرج مالك من الطائف وأعلن اسلامه بين يدي رسول الله (ص) فرد عليه اهله وماله وأعطاه مائةً من الابل واستعمله على مَن أسلم من قومه .

قوله تعالىٰ :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾

لما تقدم النهي عن موالاة المشركين وولايتهم أزال الله سبحانه ولايتهم عن المسجد الحرام وحرم عليهم دخوله ، وذلك عام تسع للهجرة الذي نادىٰ فيه علي

(ع) بالبراءة وقال : لا يحجّن بعد هذا العام مشرك ، واختلف في نجاسة الكافر فقال قوم من الفقهاء أن الكافر نجس العين ، وظاهر الآية يدل عليه .

وروي عن عمر بن عبدالعزيز أنه كتب : امنعوا اليهود والنصارىٰ من دخول مساجد المسلمين ، وأتبع نهيه قوله تعالىٰ « إنما المشركون نجس . . . » (وإن خفتم عيلةً) أي فقراً أو حاجةً ، وكانوا قد خافوا انقطاع المتاجر بمنع المشركين عن دخول الحرم ، فوعدهم بأنه يغنيهم من فضله ، وقد جاء الخير الكثير والرزق الوفير ببركات الإسلام .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالىٰ :

﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾

قيل:هذه الآية نزلت حين أمر رسول الله (ص) بحرب الروم ، فغزا (ص) بعد نزولها غزوة تبوك ، وقيل:هي علىٰ العموم ، وفيها بيّن سبحانه أن من الكفار مَن يجوز تبقيته بالجزية وهذا يدل علىٰ صحة ما يذهب أصحابنا اليه من أنه لا يجوز أن يكون في جملة الكفار مَن هو عارف بالله ، وإن أقر باللسان ، وانما يكونون معتقدين لذلك اعتقاداً ليس بعلم لأنه صريح في أن أهل الكتاب الذين يؤخذ منهم الجزية لا يؤمنون بالله واليوم الآخر ، أو يضيفون الىٰ اعتقادهم بالله أشياء لا تليق وقدسية المولىٰ وعظيم صفاته .

قوله تعالى :

وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾.

الحبر : العالم الذي يحبر المعاني ويحسن البيان عنها ، والرهبان:جمع الراهب وهو الخاشي الخائف الذي يظهر عليه لباس الخشية ، وقد كثر استعماله على متنسكي النصارى . وقد حكى سبحانه عن اليهود والنصارى أقوالهم الشنيعة ، روي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام أنهما قالا : اما والله ما صاموا لهم ولا صلّوا ولكنهم أحلوا لهم حراماً وحرموا عليهم حلالاً فاتبعوهم وعبدوهم من حيث لا يشعرون .

قوله تعالى :

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾

أخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار من اليهود والنصارى بأنهم (يريدون أن يطفؤوانور الله) وهو القرآن الكريم والدين الإسلامي والدلالات والبراهين التي يهتدي بها المهتدون (وهو الذي أرسل رسوله) محمداً (ص) بالحجج والبينات (ليظهره على الدين كله) أي ليعلي الدين الاسلامي على جميع الأديان ، ولا يغلب احد أهل الإسلام بالحجة والبرهان ، قيل:أراد سبحانه ذلك عند نزول عيسى بن مريم (ع) لا يبقى اهل دين إلا أسلم أو أدى الجزية ، وقال أبو جعفر(ع)إن ذلك يكون عند خروج المهدي من آل محمد فلا يبقى احد إلا اقر بمحمد وبالاسلام ، وقيل:ان الهاء في (ليظهره) عائدة إلى الرسول محمد (ص) ليعلمه الله الأديان كلها حتى لا يخفى عليه شيء .

مركز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾

بيّن سبحانه حال الأحبار والرهبان ، وإن كثيراً منهم يأخذون الرشى على الحكم ،وأكل المال بالباطل تملكه من الجهات التي يحرم منها أخذه (ويصدون عن سبيل الله) فيمنعون غيرهم عن اتباع الاسلام ، وعن الإعتراف بنبوة محمد

(ص)(والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) أي يجمعون المال ولا يؤدون زكاته (فبشّرهم بعذاب اليم) أي اخبرهم بعذاب موجع ، قال رسول الله (ص) : ما من عبد له مال ولا يؤدي زكاته إلا جمع يوم القيامة صفائح يحمىٰ عليها في نار جهنم فتكوىٰ به جبهته وجنباه وظهره حتىٰ يقضي الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون .

قوله تعالىٰ :

إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

لما ذكر سبحانه وعيد الظالم الذي يكنز المال ولا يخرج زكاته ولا ينفقه في سبيل الله عقّبه بذكر النهي عن الظلم في الأشهر الحرم (إن عدة الشهور عند الله . . .) وذلك قائم منذ خلق الله السموات والأرض وأجرى فيهما الشمس والقمر (منها اربعة حرم) وهي ذو القعدة وذو الحجّة والمحرم وشهر رجب ، وكانت العرب تعظمها حتىٰ لو أن رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لا يتعرض له بسوء لحرمة الشهور ، وإنما جعل الله بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكف عن الظلم ، ولأنه ربما أدىٰ ذلك الى ترك الظلم أصلاً ، وقد وردت بعض التفسيرات لأسماء الشهور العربية اشتقت منها تلك الأسماء ، أو لأن فيها من الحوادث والأعمال والحالات ما يناسب تسميتها بأسمائها (وقاتلوا

المشركين كافة . . .) أي جميعاً مؤتلفين (كما يقاتلونكم كافة) ، وفي هذه الآية دلالة على أن الإعتبار بالشهور القمرية لا بالشمسية والأحكام الشرعية معلقة بها .

قوله تعالى :

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

لما قدم سبحانه ذكر السنة والشهر عقبه بذكر ما كانوا يفعلونه من النسيء يعني تأخير الأشهر الحرم عما رتّبها الله سبحانه عليها ، فربما كان يشق عليهم أن يمكثوا عن الغارات والحروب ثلاثة اشهر متوالية لا يغزون فيها ، فكانوا يؤخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمونه ويستحلون المحرم (يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً) أي يجعلون الشهر الحرام حلالاً إذا احتاجوا الى القتال فيه ويجعلون الشهر الحلال حراماً ويقولون شهر بشهر (ليواطؤا عدّة ما حرم الله) معناه انهم لم يحلوا شهراً من الحرام إلا حرموا مكانه شهراً من الحلال ، وبالعكس ليكون موافقة في العدد وذلك المواطأة .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

قالوا لما رجع رسول الله (ص) من الطائف أمر بالجهاد لغزوة الروم وذلك في زمان ادراك الثمار ، فأحبوا المقام في المسكن والمال وشق عليهم الخروج الى القتال ، وكان (ص) قلما خرج الى غزوة إلا كنى عنها ، إلا غزوة تبوك لبعد شقتها وكثرة العدو وليتأهب المسلمون ، فأخبرهم بالذي يريد فلما علم الله سبحانه تثاقل الناس أنزل الآية ، وفيها عاتب سبحانه المؤمنين لتثاقلهم عن الجهاد وميلهم الى الإقامة في الأرض ، وهدد من لا ينفر ويخرج للقتال مع رسول الله (ص) يعذبه عذاباً أليماً ، وأن الله سيقبض قوماً غيرهم يفوزون بشرف الجهاد ، ولا يضروا الله ولا رسوله بقعودهم عن الجهاد فإن الله قادر على نصره بغيركم .

قوله تعالى :

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

إن لم تنصروا النبي (ص) على قتال العدو فقد نصره الله في مواطن عديدة معلومة منها (إذ أخرجه الذين كفروا) من مكة لشدة مضايقتهم له ، ولفقدان

الناصر والمدافع عنه فخرج (ص) الى المدينة (ثاني اثنين) انه (ص) كان هو وأبو بكر ليس معهما ثالث وذلك في غار ثور وهو جبل مطل على مكة ، لما دخل رسول الله (ص) وأبو بكر الغار أرسل الله زوجاً من الحمام حتى باضا في اسفل الثقب ، وجاء العنكبوت حتى نسج بيتاً على باب الغار ، فلما جاء سراقة بن مالك في طلبهما فرأى بيض الحمام وبيت العنكبوت، قال: لو دخله احد لأنكسر البيض وتفسخ بيت العنكبوت فانصرف ، وقال النبي (ص): اللهم اعم أبصارهم، فعميت أبصارهم عن دخول الغار ، وجعلوا يضربون يمنياً وشمالاً حول الغار . (فأنزل الله سكينته عليه) أي ألقى الله في قلب محمد (ص) ما سكن به ، وعلم أنهم غير واصلين اليه (وأيده بجنود لم تروها) أي بملائكة يضربون وجوه الكفار وأبصارهم، وقيل معناه: وأعانه بالملائكة يوم بدر .

قوله تعالى :

انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾

أمر سبحانه بالجهاد وبيّن تأكيد وجوبه على العباد (انفروا خفافاً وثقالاً) أي

شباناً وشيوخاً ، أو نشاطاً وغير نشاط ، وأغنياء وغير أغنياء ، ركباناً ومشاة ، عزاباً ومتأهلين (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم) وهذا يدل على أن الجهاد بالنفس والمال واجب على مَن استطاع بهما، وعلى مَن لم يستطع فعليه بما استطاع منهما. (ولو كان عرضاً قريباً) أي غنيمة حاضرة (وسفراً قاصداً) أي قريباً سهلاً غير شاق (لاتبعوك) طمعاً في المال (ولكن بَعُدت عليهم الشقة): المسافة في التوجه الى الشام لغزوة تبوك ، وأنهم سيعتذرون اليك في قعودهم عن الجهاد ويحلفون لو استطعنا وتمكنا من الخروج لخرجنا ، ولكنهم يهلكون انفسهم بما أسروا من الشرك ، أو باليمين الكاذبة والعذر الباطل ،وفي هذا دلالة على صحة نبوة نبينا محمّد (ص) إذ أخبر أنهم سيحلفون قبل وقوعه فحلفوا، ثم خاطب الله نبيه معاتباً في إذنه لمَن استأذنه (عفا الله عنك لِمَ أذنت لهم) .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قال ابن عباس: ذلك أن رسول الله (ص) لم يكن يعرف المنافقين يومئذٍ ، وقيل انه (ص) إنما خيّرهم بين الظعن والإقامة متوعداً لهم ولم يأذن فاغتنم القوم ذلك ، وفي هذا إخبار من الله سبحانه أنه كان الأولى أن يلزمهم بالخروج معه ، حتى إذا لم يخرجوا اظهر نفاقهم لأنه متى أذِن لهم ثم تأخروا لم يُعلم النفاق أكان لتأخرهم أم لغيره ، وكان الذين استأذنوه منافقين ومنهم جد بن قيس ومعتب بن قشير من الأنصار .

قوله تعالى :

لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ

يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾

بيّن سبحانه حال المؤمنين والمنافقين في الإستئذان . قال ابن عباس : هذا تعيير للمنافقين حين استأذنوه في القعود عن الجهاد ، وعذر للمؤمنين وأنهم لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، وأن المنافقين (في ريبهم يترددون) فهم في شكهم يذهبون ويرجعون ، ولو كانوا مخلصين لوثقوا بالنصر وبثواب الله فبادروا الى الجهاد ولم يستأذنوك فيه .

قوله تعالى :

وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ
فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ
إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ
الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾

اخبر سبحانه عن هؤلاء المنافقين ، وأنهم لو أرادوا الخروج للجهاد معك (لأعدوا له عدته) وهيؤوا أنفسهم للحرب (ولكن كره الله انبعاثهم) لعلمه سبحانه أن المنافقين لو خرجوا لحرب لأفسدوا حال المسلمين ، وكانوا عيوناً للمشركين ، وكان ضررهم أكثر من نفعهم (وقيل اقعدوا مع القاعدين) من النساء والصبيان ، ثم بيّن سبحانه وجه الحكمة في كراهية انبعاثهم وتثبيطهم عن الخروج فقال « لو

خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ، أي لو خرج هؤلاء المنافقين معكم إلى الجهاد ما زادوكم إلا شراً وفساداً وغدراً ومكراً وجبناً (ولأوضعوا خلالكم) أي لأسرعوا بالفساد والنميمة بينكم ولفرقوا كلمة المسلمين (وفيكم سمّاعون لهم) أي بينكم عيون ينقلون اليهم ما يسمعون منكم (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أي في يوم أُحد حين انصرف عبدالله بن أُبي بأصحابه وخذل النبي (ص) ، وقيل:يعني بها محاولة اغتيال النبي (ص) في غزوة تبوك ليلة العقبة ، وكانوا اثنا عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على الثنية ليفتكوا بالنبي (ص) وقلبوا مختلف أوجه الحيل والتآمر على الإسلام ورسوله (ص) .

قوله تعالى :

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

قيل : إن رسول الله (ص) لما استنفر الناس الى تبوك قال:انفروا لعلكم

تغنمون بنات الأصفر (ومنهم مَن يقول إئذن لي) أي إئذن لي في القعود عن الجهاد (ولا تفتنّي) ببنات الروم (ألا في الفتنة سقطوا) أي في العصيان والكفر وقعوا بمخالفتهم أمرك بالجهاد ، وكان من صفات المنافقين إذا نالتك نعمة من الله وفتح وغنيمة حزنوا لذلك (وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أي أخذنا حذرنا واحترزنا بعدم الخروج وأنجينا أنفسنا من الهلكة والشدة التي تعرض لها النبي والمؤمنون معه ، ويفرح المنافقون بما يصيب المؤمنين من الشدة والمصيبة (قل) يا محمّد (لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) وأنه لن يصيبنا في عاقبة أمرنا إلا ما كتب الله لنا في القرآن من النصر الذي وعدنا والظفر بأعدائنا (قل) يا محمّد لهؤلاء المنافقين (هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) معناه توبيخ للمنافقين الذين يتربصون بالمؤمنين ويفرحون لحزنهم ، وأن المؤمنين لا يخلون من احدى الحسنيين إما الغلبة والغنيمة في العاجل ، وأما الشهادة والثواب الدائم في الدار الآخرة .

قوله تعالى :

قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ
﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ
كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾

بيّن سبحانه أن هؤلاء المنافقين لا ينتفعون بما ينفقونه مع اقامتهم على الكفر والله سبحانه إنّما يتقبل من المؤمنين المخلصين ، وأن أولئك المنافقين لا يؤدّون ما فرض الله عليهم عن إيمان وإخلاص بل رياءً وتستراً بالإسلام (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم . .) فهي عذاب لهم في الآخرة ، أو يعذبهم في الدنيا بالتشديد عليهم بالتكاليف من الأمر بالإنفاق والزكاة والغزو فيؤدّونها على كره ومشقة ، أو يعذبهم بجمعها وحفظها والبخل بها والحزن عليها ، وخروجهم عنها بالموت ، ويمكن ارادة جميع ما تقدم من المعاني .

قوله تعالى :

وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

أظهر سبحانه سراً من اسرار القوم ، وأن هؤلاء المنافقين يقسمون بأنهم مؤمنون أمثالكم ، ولكن الله كذّب دعواهم (وما هم بمؤمنين) وأنهم (قوم يفرقون) أي يخافون القتل والأسر إذا لم يظهروا الايمان ، ولو وجد هؤلاء المنافقون ملجأ يلجؤون اليه ويحتمون به من الإسلام لأظهروا كفرهم و (لولوا اليه وهم يجمحون) أي يسرعون في الذهاب ، وانهم من خبث سريرتهم وشدة نفاقهم لو وجدوا ملجأ لأووا اليه ولجاهروا بما يضمرون من الكفر وأعرضوا عن الإسلام .

قوله تعالى :

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا

مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾

عن أبي سعيد الخدري وابن عباس : بينا رسول الله (ص) يقسم غنائم هوازن يوم حنين إذ جاءه ابن أبي ذي الخويصرة التميمي وهو حرقوص بن زهير اصل الخوارج فقال، إعدل يا رسول الله، فقال (ص): ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل ؟ فقال عمر : يا رسول الله إئذن لي فأضرب عنقه ، فقال النبي (ص): دعه فإن له اصحاباً يحتقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم ، يمرقون من الدين كما يرمق السهم من الرمية، فينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر رضافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل اسود في إحدىٰ ثدييه ، أو قال: في احدىٰ يديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة تدردر يخرجون علىٰ فترة من الناس . وفي حديث آخر : فاذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم . فنزلت (ومنهم مَن يلمزك) .

قال أبو سعيد الخدري : أشهد أني سمعت هذا من رسول الله (ص) وأشهد أن علياً (ع) حين قتلهم - يعني الخوارج - وأنا معه جيء بالرجل علىٰ النعت الذي نعته رسول الله (ص) . (يلمزك) أي يعيبك ويطعن عليك في تقسيم الصدقات .

قوله تعالىٰ :

إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ

فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

بيّن سبحانه أن الصدقات وهي زكاة الأموال تصرف لهذه الأصناف من الناس واختلفوا في الفرق بين الفقير والمسكين ، قيل: انهما صنف واحد، وقيل: هما صنفان الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل ، والمسكين الذي يسأل . (والعاملين عليها) أي سعاة الزكاة وجباتها والقائمين بجمعها (والمؤلفة قلوبهم) وهم قوم من الأشراف في زمن النبي (ص) وكان يعطيهم سهماً من الزكاة ليتآلفهم به على الإسلام ، ويستعين بهم على قتال العدو ، واختلف فيه بعد النبي (ص)، قيل: هو ثابت في كل زمان كما عن الشافعي ، واختاره الجبائي ، وهو المروي عن أبي جعفر (ع) إلا أنه قال: من شرطه أن يكون هناك إمام عادل يتألفهم على ذلك به ، وقيل: هو خاص على عهد الرسول ثم سقط بعده، لأن الله سبحانه أعزّ الإسلام وقهر الشرك (وفي الرقاب) يعني فك الرقاب المملوكة واعتاقها ، وأراد به المكاتبين ، وأجاز أصحابنا أن يشترى منه عبد مؤمن إذا كان في شدة ويعتق (والغارمين) وهم الذين لحقتهم الديون في غير معصية ولا إسراف فتقضى عنهم الديون من الزكوات . (وفي سبيل الله) وهو الجهاد، بلا خلاف، ويدخل فيه عند الإمامية جميع مصالح المسلمين ، ويبنى منه المساجد والقناطر وغير ذلك من المصالح العامة بنظر الفقيه (وابن السبيل) وهو المسافر المنقطع به يعطى من الزكاة وإن كان غنياً في بلده .

قوله تعالى :

وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ

يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ
لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ
﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا
ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾

قيل : نزلت في جماعة من المنافقين قالوا ما لا ينبغي ، فقال رجل منهم لا تفعلوا فإنا نخاف أن يبلغ محمداً ما تقولون فيوقع بنا ، فقال الجلاس بل نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول ، فإن محمداً أُذن سامعة ، فأنزل الله الآية (قل) يا محمد (أُذنُ خيرٌ لكم) أي هو أُذن خير يستمع الى ما هو خير لكم وهو الوحي ، وقيل :كونه أذن أصلح لكم لأنه يقبل عذركم ويستمع اليكم (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) وأنه لا يقبل إلا الخبر الصادق من الله سبحانه ، ويصدق المؤمنين أيضاً فيما يخبرونه، ثم أخبر سبحانه أن هؤلاء المنافقين(يحلفون بالله لكم ليرضوكم) يقسمون بالله أن الذي بلغكم عنهم باطل ، يعتذرون بذلك طلباً لمرضاتكم (والله ورسوله أحق أن يرضوه) وأولى أن يطلبوا مرضاتهما (إن كانوا مؤمنين) مصدقين بالله ورسوله حقاً و (مَن يحادد الله ورسوله . .) أي يتجاوز حدود الله التي أمر أن لا يتجاوزوها (فإن له نار جهنم . .) .

قوله تعالى :

يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي
قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ

لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾

قيل : نزلت في اثني عشر رجلاً وقفوا على العقبة ليفتكوا برسول الله (ص) عند رجوعه من تبوك فأخبر جبريل رسول الله (ص) بذلك .

روي عن أبي جعفر الباقر (ع) : أن المنافقين ائتمروا ليقتلوه ، وقال بعضهم لبعض إن فطن نقول: إنا كنّا نخوض ونلعب ، وإن لم يفطن نقتله . والمعنى أنه ليحذر المنافقون أن ينزل الله عليهم -أي على النبي والمؤمنين- سورة تخبر عما في قلوب المنافقين من الغدر والشرك ، وقيل إنَّ حذر المنافقين إنما كان على سبيل الإستهزاء باخبار النبي (ص) عن كل شيء بالوحي ، وأن ذلك كفر صريح من المنافقين (بعد إيمانكم) الذي أظهرتموه (إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين) أي كافرين مصرين على النفاق .

قوله تعالى :

الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ

كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا
فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ
ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ
مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾

ذكر سبحانه أحوال اهل النفاق ، وأنهم مجتمعون بعضهم لبعض على النفاق والشرك ، وأنهم يأمرون بالمنكر من الشرك والمعاصي ، وينهون عن المعروف ، عن الإيمان ومحاسن الأفعال (كالذين من قبلكم) أي وعدكم على النفاق والإستهزاء ، كما وعد الذين من قبلكم من الكفار الذين فعلوا مثل فعلكم (فاستمتعوا بخلاقهم) أي بنصيبهم وحظهم من الدنيا بأن صرفوها في شهواتهم ، ثم ذكر سبحانه الأمم الماضية والقرون السالفة (قوم نوح وعادٍ وثمودَ وقوم ابراهيم وأصحاب مدين) وكيف اهلكهم الله لتكذيبهم الرسل (والمؤتفكات) أي المنقلبات وهي ثلاث قرى كان فيها قوم لوط .

قوله تعالى :

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ
ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ
وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾

لما ذكر سبحانه المنافقين وقبيح أعمالهم وخصالهم ، اقتضت الحكمة ذكر المؤمنين وصفاتهم (بعضهم أولياء بعض) أي بعضهم انصار وأعوان لبعضهم ، ثم وعد الله المؤمنين الممتثلين لأوامر الله سبحانه أنه سيرحمهم ويسكنهم (في جنات عدن) التي هي من أعلى درجات الجنة والنعيم ، روي عن النبي (ص) أنه قال : عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر ، ولا يسكنها غير ثلاثة ، النبيين والصديقين والشهداء ، يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك .ثم أمر الله سبحانه بالتشديد في جهاد الكفار والمنافقين (وأغلظ عليهم) أي أسمعهم الكلام الغليظ الشديد ولا ترق عليهم .

قوله تعالى :

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ

إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟
يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾

اختلف في مَن نزلت هذه الآية : قيل خرج المنافقون مع رسول الله (ص) الى تبوك فكانوا إذا خلى بعضهم ببعض سبّوا رسول الله (ص) وأصحابه وطعنوا في الدين ، فنقل ذلك حذيفة الى رسول الله ، فقال لهم (ص): ما هذا الذي بلغني عنكم ؟ فحلفوا بالله ما قالوا شيئاً من ذلك،وقيل:نزلت في جلاس بن سويد بن الصامت . وقيل:نزلت في عبدالله بن أبي سلول حين قال : لئن رجعنا الىٰ المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل، وقيل:نزلت في اهل العقبة الذين ائتمروا على قتل النبي (ص) غيلةً عند رجوعهم من تبوك وقد تقدم ذكر القصة ، والمعنىٰ عام يحتمل الجميع . وفي الآية اظهر سبحانه أسرار المنافقين وانهم يحلفون كاذبين انهم ما قالوا ما نقل عنهم إلا أنه سبحانه اقسم أنهم (لقد قالوا كلمة الكفر) وطعنوا في الاسلام وفي النبي (ص) (وهمّوا بما لم ينالوا) من تآمرهم على قتل رسول الله (ص) ، أوهمّوا بالفساد والنميمة بين المسلمين ، أوهمّوا باخراج الرسول من المدينة ، إن تمكنوا من ذلك .

قوله تعالىٰ :

وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ

مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ
مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا
اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ
وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

قيل:نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الأنصار ، فقال للنبي (ص) أدع الله أن يرزقني مالاً ، فقال (ص):يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ، أما لك في رسول الله أسوة حسنة ، والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت . ثم جاء بعد ذلك ثعلبة فقال:يا رسول الله أدع الله أن يرزقني مالاً والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه ، فقال (ص) اللهم ارزق ثعلبة مالاً ، فاتخذ ثعلبة غنماً فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحىٰ عنها فنزل وادياً من أوديتها ، ثم كثرت نمواً حتىٰ تباعد عن المدينة ، فاشتغل بذلك عن الجمعة والجماعة ، وبعث رسول الله (ص) اليه المصدق ـ أي الذي يجمع الزكاة ـ ليأخذ منه الصدقة فأبىٰ وبخل وقال : ما هذه إلا أخت الجزية . فقال رسول الله (ص) : يا ويح ثعلبة . وأنزل الله الآية ، وقيل انها نزلت في اشخاص آخر . وفي الآية دلالة على أن بعض المعاصي قد يدعو الىٰ بعض ، لأنهم حين تهاونوا عن أداء الحق فدعاهم ذلك الىٰ الثبات علىٰ النفاق الىٰ الممات ، وكذلك يدعو بعض الطاعات الىٰ بعض وفي الآية دلالة أيضاً علىٰ أن خلف الوعد والخيانة والكذب من اخلاق اهل النفاق وقد صح عن النبي (ص) قوله : للمنافق ثلاث علامات،إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان .

قوله تعالى :

الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾

وصف الله المنافقين بصفة أخرى (الذين يلمزون المطوعين) أي يعيبون المتطوعين بالصدقة (فيسخرون منهم سخر الله منهم) أي جازى المنافقين جزاء سخريتهم حيث صيّرهم الى النار ، والوجه في تعليق الاستغفار بسبعين مرة المبالغة لا العدد المخصوص ، والمراد بها نفي الغفران جملة،وقيل:ان العرب تبالغ بالسبعة والسبعين ، وانَّ سبب حرمانهم من مغفرة الله سبحانه (ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله) فلا يستحقون المغفرة ولا ينتفعون ببركات النبي (ص) ودعواته لهم بالاستغفار .

قوله تعالى :

فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ

نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا
وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ
طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن
تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾

أخبر سبحانه أن جماعة من المنافقين خلفهم النبي (ص) ولم يخرجوا معه الى تبوك استأذنوه في التأخر فاذن لهم ففرحوا بمقعدهم عن الجهاد (خلاف رسول الله) أي بعده ، أو لمخالفتهم النبي (ص) (قالوا) المنافقون قالوا للمسلمين (لا تنفروا في الحر) وقال بعضهم لبعض لا تنفروا للحرب سراعاً في هذا الحر .

(فان رجعك الله) يا محمّد من غزوتك هذه (فاستأذنوك للخروج) هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عنك (فقل لن تخرجوا معي أبداً) الى أي غزوة أخرى .

ثم بيّن سبحانه سبب ذلك العزل للمنافقين وحرمانهم من فضيلة الجهاد وفوائد الغزو (انكم رضيتم بالقعود أول مرة) عن غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) أي مع الصبيان والنساء ، أو مع المتخلفين دون عذر العاصين لله ولرسوله .

قوله تعالى :

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ

وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ
أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

نهى سبحانه عن الصلاة على الميّت من المنافقين ، والوقوف على قبره للترحم والدعاء له فانه (ص) كان إذا صلّى على ميت يقف على قبره ساعة يدعو له فيها ، فنهاه الله سبحانه عن الصلاة على المنافقين والدعاء لهم ، لأنهم أصروا على نفاقهم ولم يتوبوا الىٰ أن ماتوا على النفاق .

قوله تعالى :

وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ
أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن
يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ
ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾

بيّن سبحانه تمام أخبار المنافقين ، وأنه (أولوا الطول) أي أصحاب المال والقدرة من المنافقين لا زالوا يصرون على التخلف عن الجهاد (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) أي مع المتخلفين عن الجهاد من النساء والصبيان . ثم مدح

سبحانه النبي (ص) والمؤمنين معه على انقيادهم لله ولرسوله لأنهم جاهدوا بأموالهم ينفقونها في سبيل الله ، وبأنفسهم يقاتلون الكفار .

قوله تعالى :

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

لما تقدم حديث المخلفين صنفهم الله سبحانه فمنهم المعذورون من الأعراب أي المقصرون الذين يعتذرون ، وقيل: هم ذوو الأعذار المشروعة في التأخر عن الجهاد ، وقسم كذبوا على الله ورسوله فيما ادعوه من الأعذار ، كما كذبوا فيما اظهروه من الإيمان ،وقيل: ان كلا الفريقين كان مسيئاً ، أي أن قوماً تكلفوا عذراً بالباطل ، وتخلف آخرون من غير تكلف عذر وإظهار علة جراة منهم على الله ورسوله .

قوله تعالى :

لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ

أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

ذكر سبحانه أهل العذر الصحيح في القعود عن الجهاد ، وهم أصحاب العلل المانعة من الخروج ، وكذلك الذين ليست معهم نفقة الخروج وآلة السفر ، وأن هؤلاء ليس عليهم حرج في القعود ولكن شريطة أن يضل هؤلاء عن اخلاصهم لله ولرسوله (ما على المحسنين من سبيل) أي ليس على هؤلاء المعذرون من سبيل لتقريعهم وتوبيخهم بترك الجهاد ، وليس عليهم عذاب بقعودهم هذا عند الله ، وقيل معناه عام في كل محسن (ولا على الذين إذا ما اتوك لتحملهم) أي جاؤوك يطلبون مركباً يركبونه للخروج معك للجهاد إذ ليس معهم ما يمكنهم به الخروج ، وانك اعتذرت منهم لأنك لا تجد ما تحملهم عليه (إنما السبيل) والحق في العقاب (على الذين يستأذنوك وهم اغنياء) ويستطيعون أن يخرجوا ويستطيعون أن ينفقوا على أنفسهم للخروج ومع ذلك يستأذنونك في القعود عن الجهاد .

قوله تعالى :

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا

عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ
عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾

قيل:نزلت في جد بن قيس ، ومعتب بن قشير وأصحابهما من المنافقين . وكانوا ثمانين رجلاً ، ولما قدم النبي (ص) المدينة راجعاً من تبوك قال : لا تجالسوهم ولا تكلموهم . وقيل:نزلت في عبدالله بن أبي ، حلف للنبي (ص) أن لا يتخلف عنه بعدها ، وطلب الى النبي (ص) أن يرضى عنه ، وفيها أخبر سبحانه عن هؤلاء القوم الذين تأخروا عن الخروج مع النبي (ص) وجاؤوا بعد عودته (ص) يعتذرون بالأباطيل والكذب (قل) لهم يا محمد (لا تعتذروا لن نؤمن لكم) ولن نصدق أعذاركم وقد أخبرنا الله حقيقة أمركم وكذب معذرتكم و (انهم رجس) أي نجس فاجتنبوهم كما تجتنبون الأرجاس المنتنة .

قوله تعالى :

الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ
عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ
مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ

قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٞ لَّهُمْۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾

الرجل عربي إذا كان من العرب وإن سكن المدن ، ورجل أعرابي إذا كان ساكناً في البادية والعرب صنفان : عدنانية ، وقحطانية ، والفضل للعدنانية برسول الله (ص) . ولما تقدم ذكر المنافقين ، بيّن سبحانه أن الأعراب من المنافقين أشد في النفاق وأكثرجهلاً ويريد سبحانه بالأعراب الذين كانوا حول المدينة ، وانما كان كفرهم اشد لأنهم أقسى وأجفى من اهل المدن ، ومعناه أن سكان البوادي إذا كانوا كفاراً أو منافقين فهم اشد كفراً ونفاقاً من اهل الحضر لبعدهم عن مواضع العلم واستماع الحجج ومشاهدة المعجزات ، وهم اجدر وأحرى أن لا يعلموا حدود الله في الفرائض والسنن والحلال والحرام ، ومن منافقي الأعراب من يعد ما ينفق في الجهاد وفي سبيل الخير مغرماً لحقه لأنه لا يرجو به الثواب ، وينتظر بالمؤمنين الدوائر وصروف الزمان ، وكانوا يتربصون وينتظرون موت رسول الله (ص) ليرجعوا الى الشرك . ولكن هذا ليس هو الصفة العامة الثابتة في الأعراب (ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر) وتصح عقيدته ، ويرجو بنفقته في الجهاد القربة والطاعة لله تعالى (وصلوات الرسول) ويرغب في دعاء الرسول له بالخير والمغفرة (ألا إنها) أي الصلوات والدعوات من الرسول (قربةٌ لهم) تقربهم الى ثواب الله ، وكذلك نفقتهم في سبيل الله قربة لله .

قوله تعالى :

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾

قيل: نزلت فيمن صلّى الى القبلتين ، وقيل: فيمن بايع بيعة الرضوان وهي بيعة الحديبية ، وقيل: في اهل بدر ، وقيل: هم الذين اسلموا قبل الهجرة ، وهم السابقون الى الايمان والطاعات (رضي الله عنهم) أفعالهم (ورضوا عنه) عن الله لما أجزل لهم الثواب على طاعتهم وايمانهم ، وأن أول من آمن من النساء خديجة بنت خويلد ، ثم علي بن أبي طالب (ع) ، وهو قول عامة المسلمين قال انس : بُعث النبي (ص) يوم الأثنين وصلّى علي (ع) وأسلم يوم الثلاثاء .

قوله تعالى :

وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

مرد الرجل : عتا وخرج عن الطاعة . وقد عاد سبحانه الى ذكر المنافقين وأن النفاق لا يقتصر على الأعراب بل ان من أهل المدينة منافقون أيضاً متمرنين على النفاق لم يتوبوا عنه (سنعذبهم مرتين) في الدنيا بالفضيحة ، وذلك حين ذكرهم رسول الله (ص) بأسمائهم وأخرجهم من المسجد يوم الجمعة في خطبته ،

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

ويعذبهم في القبر بعد الموت ، وقيل:أراد سبحانه بالمرتين عذاب قبض الأرواح وشدته على المنافقين ، وعذاب ما بعد الموت (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) أي أقروا بذنوبهم ولم يصروا عليها ، قيل:نزلت في ابي لبابة وقصته معروفة ، وقيل فيه وفي غيره ممّن تخلفوا عن الجهاد (عسى الله أن يتوب عليهم) قال المفسرون : عسى من الله واجبة متحققة ، وانما قال عسى حتى يكونوا بين الطمع والخوف فيكون ذلك ابعد عن الإتكال على العفو واهمال التوبة .

قوله تعالى :

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ
صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ
ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ
إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

خاطب سبحانه النبي (ص) وأمره بأخذ الصدقة من اموال هؤلاء الذين أبتلوا بمخالفتك والتخلّف عن الخروج معك ، فأخذ الصدقة تطهيراً لهم وتكفيراً لسيئاتهم ، والمشهور أنها الزكاة المفروضة ، وقال آخرون:انها كفارة خاصة للذنوب التي اقترفوها (وصلّ عليهم) أي:أدع لهم بقبول صدقاتهم (إن صلاتك سكن لهم) أي:دعواتك تسكن نفوسهم ورحمة لهم وتثبيت لهم على الطاعة (ويأخذ الصدقات) أي إنّ الله يتقبّل الصدقات ويضمن الأجر عليها،قال رسول

الله (ص) : إن الصدقة تقع في يد الله قبل أن تصل الى يد السائل .

قوله تعالى :

وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾

عطف سبحانه على ما قبله (مرجون لأمر الله) أي مؤخرون لما يرد من أمر الله فيهم إن شاء عذبهم، وإن شاء قبل توبتهم فعفا عنهم، قيل: نزلت في هلال بن أمية الواقفي ، ومرارة بن الربيع ، وكعب بن مالك وهم من الأوس والخزرج وقد تباطؤوا عن الخروج حتى فاتهم فندموا على ذلك ، ولم يعتذروا من رسول الله لأنهم أبوا الكذب وانتحال الأعذار ، ومكثوا خمسين ليلة في كرب ودعاء معتزلين الناس ، وقيل: أن رسول الله (ص) نهى عن مكالمتهم وأمر نساءهم باعتزالهم حتى نزلت التوبة عليهم ، وهو قوله تعالى « وعلى الثلاثة الذين خلفوا . . . » فبشرهم بذلك رسول الله (ص) .

قوله تعالى :

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ

أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ
تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ
هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٩﴾
لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾

قال المفسرون: إن بني عمرو بن عوف اتخذوا مسجد قباء وبعثوا الى رسول الله (ص) أن يأتيهم فأتاهم وصلّى فيه فحسدهم جماعة من المنافقين من بني غنم بن عوف فقالوا: نبني مسجداً فنصلّي فيه ولا نحضر جماعة محمّد وكانوا اثنا عشر رجلاً، وقيل: خمسة عشر منهم ثعلبة بن حاطب، فبنوا مسجداً إلىٰ جنب مسجد قباء، فلما فرغوا منه أتوا رسول الله (ص) وهو يتجهز الىٰ تبوك فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلّي فيه لنا وتدعو بالبركة فقال (ص): إنّا علىٰ جناح سفر ولو قدمنا أتيناكم انشاء الله فصلّينا لكم فيه، فلما عاد رسول الله (ص) من تبوك نزلت عليه الآية، وبيّن سبحانه أن غرضهم تفريق كلمة المسلمين (ضِراراً) أي لمضارة مسجد قباء (وكفراً) ولاقامة الكفر فيه (وارصاداً لمَن حارب الله ورسوله من قبل) أي أرصدوا ذلك المسجد واتخذوه واعدّوه لأبي عامر الراهب ذي القصة المشهورة في النفاق وحرب الله ورسوله، وكان قد أرسل الىٰ المنافقين أن استعدوا وابنوا مسجداً فإني اذهب الى قيصر وآتي من عنده بجنود وأخرج محمداً من المدينة فمات قبل أن يبلغ ملك الروم، فوجه رسول الله عند قدومه من تبوك عاصم بن عوف العجلاني

ومالك بن الدخشم فقال لهما: انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه واحرقاه ، وأمر بأن يتخذ كناسة يلقى فيها الجيف ، ثم بيّن سبحانه (لمسجد أسس على التقوى) والطاعة (أحق أن تقومَ فيه) واختلف في هذا المسجد ، فقيل: هو مسجد قباء ، وقيل: هو مسجد رسول الله (ص) وروي في ذلك قوله (ص) هو مسجدي هذا .

وقيل: هو كل ما بُني للإسلام وأُريد به وجه الله (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبةً في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم ، أي لا زال الشك في قلوبهم والإصرار على النفاق وانهم لا يتوبون الى أن يموتوا على نفاقهم وكفرهم .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾

لما تقدم ذكر المؤمنين والمنافقين عقّبه سبحانه بالترغيب في الجهاد (وعداً عليه حقاً) أي وعدهم الله الجنة على نفسه وعداً حقاً لا خلف فيه (في التوراة والانجيل والقرآن) وهذا يدل على أن فريضة الجهاد في كل ملّة ، ثم وصف سبحانه المؤمنين الذين اشترىٰ منهم الأنفس والأموال فقال (التائبون العابدون السائحون) قيل:هم الصائمون،وقيل:هم الذين يسيحون في الأرض فيعتبرون بعجائب الله ، وقيل:هم طلبة العلم يسيحون في الأرض لطلبه .

قوله تعالىٰ :

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾

معناه:ليس للنبي والمؤمنين أن يطلبوا المغفرة للمشركين (ولو كانوا أولي قربىٰ) أي ولو كان الذين يطلبون لهم المغفرة أقرب الناس اليهم ،من بعد ما تبين أنهم كفار مستحقون للخلود في النار ، ثم بيّن سبحانه الوجه في استغفار ابراهيم لأبيه مع كونه كافراً ، روىٰ أصحابنا أنه لم يكن أباه الذي ولده وانما كان عمه ، وقيل جده لأمه،وقيل:إن الموعدة كانت من الأب وعد بها ابراهيم انه يؤمن إن استغفر له فاستغفر له ابراهيم طمعاً في إيمانه (فلما تبيّن له أنه عدو لله) مصرّ علىٰ كفره (تبرأ منه) وترك الدعاء بالمغفرة له (إن ابراهيم لأواه) أي كثير الدعاء والبكاء ، وقيل:الأواه الرحيم بعباد الله ، أو هو الخاشع المتضرع ، أو الكثير الذكر

والتسبيح لله تعالى،وقيل:هو المتأوه شفقاً وخوفاً .

قوله تعالى :

وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ
إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ
يُحْيِي وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾

قيل:مات قوم من المسلمين على الإسلام قبل أن تنزل الفرائض ، فقال المسلمون يا رسول الله اخواننا الذين ماتوا قبل الفرائض ما منزلتهم ؟ فنزلت الآية أي وما كان الله ليحكم بضلالة قوم بعد ما حكم بهدايتهم حتى يبيّن لهم ما يستحقون به الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ، وقيل:لما نسخ بعض الشرايع كتحويل القبلة وقد غاب أناس وهم يعملون بالأمر الأول ولم يبلغهم الناسخ وقد ماتوا وسئل عنهم النبي (ص) فنزلت الآية .

قوله تعالى :

لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ
الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ
إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ

مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾

نزلت الآية الأولى في غزاة تبوك ، وما لحق المسلمين فيها من العسرة حتى همّ قوم بالرجوع ثم تداركهم لطف الله سبحانه . وأما الآية الثانية نزلت في شأن كعب بن مالك ومرارة بن الربيع ، وهلال بن امية وقد تقدمت قصة تخلفهم لا عن نفاق وندمهم على ذلك ، فهجرهم الناس حتى نزلت الآية بقبول توبتهم بعد ما مضى لهم خمسون يوماً في التضرع والبكاء وطلب التوبة من الله سبحانه (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) اقسم الله سبحانه أنه قبل توبتهم ، وانما ذكر اسم النبي (ص) لأنه سبب توبتهم ، وإلا فلم يكن منه ما يوجب التوبة ، وقد روي عن الرضا علي بن موسى (ع) أنه قرأ: لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار (الذين اتبعوه) (ثم تاب عليهم ليتوبوا) أي سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا ، وقيل: ليتوبوا أي ليعودوا الى حالتهم قبل المعصية .

قال الحسن : أما والله ما سفكوا من دم ، ولا أخذوا من مال ، ولا قطعوا من رحم ولكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله (ص) وتخلف هؤلاء ، وكان احدهم تخلف بسبب ضيعة له ، والآخر لأهله ، والثالث طلباً للراحة ، ثم ندموا وتابوا فقبل الله توبتهم (إن الله هو التواب الرحيم) .

قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾

خاطب سبحانه المؤمنين المصدقين بالله المقرين بنبوة رسوله (ص) خاطبهم أن اتقوا المعاصي واجتنبوها وكونوا مع الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وصاحبوهم ، روى الكلبي عن ابن عباس قال : كونوا مع الصادقين مع علي

وأصحابه ، وروى جابر عن أبي جعفر (ع) في قوله وكونوا مع الصادقين قال : مع آل محمّد (ع)،وقيل:مع النبيين والصديقين ، أو مع الذين صدقت نياتهم وخرجوا مع رسول الله (ص) ولم يتخلفوا عنه ، وقال ابن مسعود : لا يصلح من الكذب جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيّه ثم لا ينجز له ،إقرؤا إن شئتم هذه الآية هل ترون في الكذب رخصة .

قوله تعالىٰ :

مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾

لما قصَّ الله سبحانه قصة الذين تأخّروا عن الخروج مع النبي (ص) الىٰ غزوة تبوك ثم اعتذارهم عن ذلك وتوبتهم منه ذكر ذلك علىٰ وجه التوبيخ والعتاب علىٰ ما كانوا فعلوه ، وأنهم لا ينبغي لهم أن يتخلّفوا عن رسول الله ، ولا يرغبوا براحة نفوسهم ودعتها عن نفس رسول الله (ص) وهو في الحر والمشقة ، بل ينبغي

لهم أن يجعلوا أنفسهم وقاية لنفس رسول الله (ص) وليعلم المؤمنون أن كلما يصيبهم من ظمأ أو نصب،أي تعب ـ أو مخمصة:وهي شدة الجوع ، كل ذلك في طاعة الله(ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار) وذلك في الحرب حين يطأ المؤمنون الكفار وديارهم (إلا كتب لهم به عمل صالح) ولا يتجاوزون وادياً في طريقهم للجهاد وإعلاء كلمة الله (إلا كتب لهم) ثواب ذلك الفعل أو القول .

قيل:إن هذا كان حكم الجهاد في ابتداء الإسلام ويوم كان المسلمون قلة ، أما اليوم وقد كثر المسلمون فهو منسوخ بقوله « وما كان المؤمنون لينفروا كافة . . . » وهو الأقوى ، لأنه لا خلاف أن الجهاد من فروض الكفاية فلو لزم كل احد لكان من الواجبات العينية .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

قوله تعالىٰ :

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ
طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ
الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾
وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا
الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾

قيل : كان رسول الله (ص) إذا خرج غازياً لم يتخلّف عنه إلا المنافقون والمعذرون فلما أنزل الله تعالى آية بعيوب المنافقين، قال المؤمنون : والله لا نتخلف عن غزاة يغزوها رسول الله (ص) فلما أمر رسول الله بالسرايا الى الغزو نفر المسلمون جميعاً وتركوا رسول الله (ص) وحده فأنزل الله الآية . . . وقيل غير ذلك . وقد بيّن سبحانه الرخصة في تأخر من تأخر عنه ، وقيل: معناه ليس عليهم أن ينفروا كلهم من بلادهم الى النبي (ص) ليتعلّموا الدين ويضيعوا ما وراءهم ويخلوا ديارهم ، قال الإمام الباقر (ع) :كان هذا حين كثر الناس فأمرهم الله أن تنفر منهم طائفة وتقيم طائفة للتفقه . (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أي مَن كان قريباً منكم من الكفار الأقرب منهم فالأقرب في النسب والديار ، وفي هذا دلالة على أنه يجب على أهل كل ثغر الدفاع عن انفسهم إذا خافوا على بيضة الإسلام وإن لم يكن هناك إمام عادل .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

قوله تعالى :

أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ
وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ
بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا ۚ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا
يَفْقَهُونَ (١٢٧) لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ
مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)
فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

نبّه سبحانه على إعراض المنافقين عن النظر والتدبر لما ينبغي أن ينظروا فيه (انهم يفتنون) أي يمتحنون دفعة أو دفعتين بالأمراض والأوجاع ، وقيل:يمتحنون بالجهاد مع رسول الله (ص) وما يرونه من نصرة الله ورسوله ، وما ينال اعداءه من السبي والقتل ، وقيل:بهتك سرائر المنافقين وما يظهره الله من اسرار نفاقهم (وإذا ما نزلت سورة نظر بعضهم الىٰ بعض) وذلك عندما تنزل سورة من القرآن وهم حضور عند النبي (ص) لأنهم منافقون يحذرون أن يعلم بنفاقهم احد من المؤمنين (لقد جاءكم رسول من انفسكم) عنىٰ بالرسول محمداً (ص) أي جاءكم رسول من جنسكم من البشر ومن العرب ومن بني اسماعيل ، لأنهم إذا عرفوا مولده ومنشأه وشاهدوه صغيراً وكبيراً وعرفوا صدقه وأمانته ولم يعثروا علىٰ شيء يوجب نقصاً فيه فيكونون اقرب الىٰ تصديقه (عزيز عليه ما عنتم) أي شديد عليه ما يصيبكم من الأذىٰ والضرر ، وقيل:شديد عليه ما أثمتم ، حريص علىٰ مَن لم يؤمن منكم أن يؤمن (فان تولوا) وذهبوا عن قبول الحق وتولوا عنك يا محمّد (فقل حسبي الله) أي اعتصم واكتفي بالله القادر علىٰ كل شيء . وقيل:إن هذه الآية آخر آية نزلت من السماء ، وآخر سورة كاملة نزلت سورة براءة . وقال قتادة آخر القرآن عهداً بالسماء هاتان الآيتان خاتمة براءة .

تمت ولله الحمد سورة التوبة وتفسيرها

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی